كليـــة دار العلـــوم
قســم الفلسفـة الإسلاميـة

مقارنــة الأديــان بــين "موريــس بوكــاي ووليــم كامبــل" دراســة مقارنـــة

رسالة ماجستير

إعداد: إسماعيل عبد المحسن قطب

بإشراف الأستاذ الدكتور: السيد رزق الحجر
ومشاركة الدكتور: محمد سلامة أبو خليفة

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

شكـــر وتقديـــر

انطلاقًا من قول النبي (ﷺ) ﴿من لم يشكر الناس لم يشكر الله﴾

أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان والامتنان إلى أستاذيَّ الجليلين اللـذين تكبدا عناء ومشقة التعب في متابعتهما وإشرافهما على هذا البحث الذي لـولا أن الله سببهما بما عندهما من غزير العلم، وواسع الفهم، وخبرة الـزمن، وسـعة الصـدر، لما كان هذا البحث ليخرج إلى النور.

الأستاذ الدكتور/ **السيد رزق الحجر** أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ومنارة من مناراتها العالية التي يستضاء بها (مشرفًا رئيسًا على البحث).

وبمشاركة الدكتور/ **محمد سلامة أبو خليفة** المـدرس بقسـم الفلسـفة الإسلامية بكلية دار العلوم، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومثلٌ من أمثلة الخلق الرفيع بالكلية.

فالله اسأل أن يجزيّ أستاذيَّ عني خير الجزاء وألا يحرمهما الأجر في الـدنيا والآخرة ...

كما أتقدم بخالص الشكر للعالمين الجليلين اللذين تحملا النصبَ في قراءتهمـا تخليطي ولغوي ليقيماه مستقيمًا لا عوج فيه - إن شاء الله - .

الأستاذ الدكتور/ **مصطفى حلمي** أستاذ الفلسفة الإسلامية بكليـة دار العلـوم جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور/ **سليمان الخطيب**، أستاذ ورئـيس قسـم الفلسـفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة المنيا.

والله العظيم اسأل أن يجزهما عني وعن الإسلام والمسـلمين جـزاء يرفـع درجاتهما إلى أعلى عليين في الجنة مع النبي والصديقين والشهداء والصالحين.

فهرست المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

" إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (ﷺ)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الاحزاب : ٧٠ ، ٧١].

أما بعد ..... فإن من المباديء العظيمة التي أرسى قواعدها الإسلام منذ بداية ظهوره " مبدأ الحرية الدينية " وهذا المبدأ يكاد كون معدوماً في غير ملـــة الإســـلام الحنيف ، ولقد كان تأصيل هذا المبدأ مبنيا على أصول ونصـــوص شـــرعية قطعيـــة الدلالة والثبوت يقول الله رب العالمين ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقـــرة : ٢٥٦] وقال ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [هود : ٢٨] ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩] وقال مخاطبا خير رسله محمـــداً (ﷺ) : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩].

وفي ضوء هذه الحرية التي كفلها الإسلام لمن عايش المسلمين في مجتمعهم حدد الله رب العالمين دور رسله جميعاً ووظيفتهم في البلاغ فقال: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل : ٣٥].

ومن حكم الله رب العاملين التي اقتضاها وارتضاها في كونه أن تتعدد الديانات وتختلف العقائد ، ويظل هذا التعدد وهذا الاختلاف سنة إلهيه ماضية كما أرادها سبحانه فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود : ١١٨ ، ١١٨] .

هذه الحرية الدينية التي كفلها الإسلام نمت وازدادت برغم فتوحاته التي اتسعت وكونت أعظم دولة شهدها التاريخ على مدار تطاول سنينه ووجود هذه الحرية الدينية على هذا النحو مكّن لأهل الأديان الأخرى الاستمرار والبقاء آمنين على شعائرهم وشرائعهم متي شاؤوا .

وتمتع أهل الديانات الأخرى بالتسامح والحرية مكّن لهم أن ينشئوا حواراً دينيّاً مع المسلمين وقد رحب الإسلام والمسلمون بهذا الحوار العقائدي مادام يأتي داخل الإطار الذي حدده الإسلام .

يقول الله تعالي : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥] .

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

ولقد حرص علماء المسلمين على تطبيق أصول هذه الدعوة بأدق تفاصيلها وهي دعوة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، وذلك أنهم يعلمون أن الخروج عن سنن الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدل بالتي هي أحسن ، تشويشا على الحق ، وتشويها

للخير، وتنفيراً منه ، بل وجناية عليه .. ولعلمهم أيضا أن الله ذم أولئك الذين حُمّلوا التوراة لأنهم لم يحسنوا الانتفاع بها والدعوة إليها بالتي هي أحسن .

كما حرص علماء المسلمين أن يكون حجَاجُهَم مع أهل الكتاب منبعه النصوص الصحيحة الثابتة التي لا يرقي إليها شك ، ولا يعتورها نقصان .

ومن يطالع تاريخ الأمة الإسلامية منذ عهد النبي (ﷺ) يجد أن الله رب العالمين قد قيض لهذا الشأن رجالاً كأنما خلقهم لهذا الشأن وحده ورزقهم قلوباً مخبتة وآذاناً واعية وفطنة متوقدة وحدّةٌ في الإدراك ، وجلداً على المناظرة والنزال .

واعتماد علماء المسلمين في مناظراتهم على نصوص ثابتة وحجه قاطعة ، وثقة في دينهم وإيمانهم بربهم ونبيهم ، كل ذلك مكّن لهم أن يتعرفوا ويؤصلوا ويكتبوا في علم غزير المعرفة ، كثير الفروع ، عُرف فيما بعد "بعلم مقارنة الأديان"، أسسوه على الفهم الصحيح ، والتحليل والوصف الدقيق ، والمقارنة الموضوعية التي تقود إلى معرفة الحقيقة في غير تعسف .

وفي الوقت الذي نما فيه هذا العلم – كما نمت كل العلوم – وازدهر في الشرق عند علماء المسلمين ، كان الغرب يعيش أحلك وأظلم فترة من فترات تاريخه ، فقد سجلت لنا العصور الوسطي في الغرب كثيرا من المخازي الإنسانية ، في مختلف صور الحياة وفي جميع مستوياتها ، وأن الضلال والجهل قد أصابا كل نواحي الحياة ، مما جعل التاريخ يسجل لنا هذه المخازي وهذه الصحف السوداء ، ويُعلّمنا أنها حدثت كلها باسم الدين ، وتحت رايته .

ثم قضي الله رب العالمين بحكمته أن تأتي علي البشرية بعد ذلك تلك القفزة الحضارية والنضج العقلي اللذين جعلهما الله سببا مباشرا في أن يثبتا لأصحاب الفطر السليمة أن الدين الصحيح لا يمكن أن يتعارض مع العلم ، وذلك علي العكس مما كان شائعا في ظلمات العصور الوسطي لدى الغرب .

فلما ثبت ذلك لأولي النهي من أهل العلم التجريبي – وخاصة من الغربيين – أصبحت هذه القفزة العلمية تحمل في طياتها بوادر طيبة ، يبشر بعضها بأن روح

التعصب الأعمى للدين قد أخذ يزايل كثيرا من النفوس التي حررها العلم من الانقيــاد إلي غير العقل والاستجابة إلي ما لا يخضع لمنطقه ، وتقبّل أيّة دعوى لا يقوم عليها دليل بيِّن ولا تستندها حجة واضحة مشرقة ... وبهذا خرجت هذه البوادر عن سلطان المضللين والمخادعين الذين كانوا يسوقون الناس باسم الدين إلي كل مَجْهلٍ ومتاهة ، كما يساق القطيع بعصا الراعي الأحمق الجهول .

ولما كان الدين الإسلامي هو الدين المتفق مع العلم ومع المقبول عند العقــل الصحيح قبولا لا ينفصل عنه – لما كان كذلك – أصبح ذلك سببا مباشرا فــي قبــول الكثير من العلماء التجريبيين له كدين تطمئن به قلوبهم وتسكن به إليــه أفئــدتهم . وأصبح لا مانع لديهم في أن ينتصروا له حتى ولو علي حساب نصرانيتهم ، وذلك لأن الدين الصحيح مع العلم يكونان الأثر الطيب في تنقية العقول من الكثير من الضلالات والأباطيل التي أضيفت إليه ، وتلبّست به فحجبت الأنظار عن رؤيــة مواقــع الخيــر والهدي فيه .

وأحسب أن قدرة الدين الإسلامي علي فعل ذلك في نفوس الناس ، كان هذا هو السبب الرئيس في أن يستنفر الغرب جيوشه ليجلب علي ديار الإسلام بخيله ورجله ، وليشاركهم في الأموال والأولاد ، ليعدهم الغرور ويبعدهم عن الدين الحــق الــذي لا يجافي العلم ولا يعاديه ، فإن أطاعوه ، أو استلسموا له مُكْرهين لضعفهم تفلتوا مــن دينهم، وجانبوا الصواب ووقعوا في حمأة الحيرة والتيه التى لا يخرجون منهــا إلا إذا رجعوا إلى دين ربهم وسنة نبيهم (ﷺ) ولكن يأبى الله إلا أن يحقق سنته ، فــالقوم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، فعلي الرغم مما يحتاطه القوم لأنفسهم مــن تدبير وهدم وتخريب لديار المسلمين ؛ إذ يخرج من بين ظهورهم ومــن بــين بنــي جلدتهم من يُثْبت أن حبل النجاة في التمسك بهذا القرآن العظيم ، لأنه بيقين لا ريــب فيه من رب العالمين .

وذلك لأن من رحمة الله بعبادة – بعد انقطاع الوحي والنبوات – أن جعل مــن العلماء الأعلام في كل عصر وأوان من يدافع عن عقائد الإسلام ويؤيدها ، ويرد شبة

الجاحدين والمعاندين ويبطلها ، ويقيم الحجة على العباد ، ويدعوهم إلى سلوك طريق الهدي والسداد .

وكان من بين هؤلاء الذين استخدمهم الله في نصره دينه ليظهره على الــدين كله .الطبيب الفرنسي الدكتور موريس بوكاي – والذي يأتي هذا البحث – بحــول الله وقوته دارسًا له ، ومبينا لجهوده في بيان صحة النص القرآني ، ووقــوع التحريــف والتبديل فيما سواه من التوراة والإنجيل ، محكمًا في ذلك الحقائق العلمية والنظريــات الثابتة التي اهتدي إليها القوم بأنفسهم ، وارتضوها يقينا لا شك فيه .

هذه الحقائق العلمية والنظريات الثابتة نجح من خلالها الدكتور موريس بوكاي أن يضبط النسبة بين الوسيلة والغاية ، فاهتدي – بحول الله وقوته –إلــي أن الــنص القرآنــي : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢].

ويأتي هذا البحث – كحلقة منتظمة في سلسلة ممتدة عبر القرون طرفها البعيد في يد (ﷺ) إذ حكى لنا القرآن الكريم أنه (ﷺ) حاور أهل الكتاب حتى دعاهم إلــي المباهلة بأمر من الله سبحانه وتعالي : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

والسبب الرئيس في اختيار هذا الموضوع أن من يحاور أهل الكتاب هذه المرة رجل من بني جلدتهم كان يتكلم بكلامهم ويردد شبهاتهم حتى هداه الله رب العــالمين إلي الإسلام فصدق فيه قول النبي (ﷺ) : "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجــل الفــاجر (البخاري ، برقم ٢٨٣٤) وأنه حين كان يحاورهم – ويُثْبِت لهــم تحريــف كتــبهم وتبديلها – وصحة النص القرآني كان نصرانيا لم يزل علي ملتهم ؛ بل ومــن أشــهر منصريهم.

ولعل هذا أوقع في النفس وآكد من أن نسوق كلام رجل من المسلمين يقال في حقه : "ينتصر لدينه وملته".

وكان سببا آخر وراء اختيار هذا الموضوع وهو البيان لأهل الكتاب أن كون القرآن مصدقا لما بين من الكتاب ومهيمنا عليه ، – معني ذلك – أن أصل الوحي واحد ، وأنه جاء ليصدق مقاصد الدين الإلهي وأصوله ، وأنه المهيمن علي ما سبقه من كتب، فمنه نعرف صحيحها من محرفها. كما أنه يبين لنا المسائل الكبرى التي خالف فيها أهل الكتاب الحق واختلفوا فيها ، ويبين لنا كذلك المسائل التي أخفوها أو حاولوا إخفائها ، كل ذلك لأنه الكتاب الناسخ لما قبله ، وبه ينتهي العمل بما سبق من كتب.

كما يتفرع عن هذه المسألة أيضا أمر آخر وهو أن كتابا هذا حاله ووصفه فلا بد يقينا أن النبي الذي أخبر بهذا الكتاب نبي صادق لا ينطق عن الهوى ولا شك ، ولا بد أيضا أن من سبقه من الأنبياء أخبروا عن وصفه ووصف أمته كما أخبر هو بذلك (ﷺ).

ولما كان هدفا أصيلا من أهداف هذا البحث نَظْم أدلة الدكتور بوكاي وتحليلها وبيان الأصول التي اتكأ عليها وتوضيحها ، كان لزاما علي الباحث أن يورد أدلة معارضه (الدكتور وليم كامبل) كما ذكرها ، مع التركيز علي القضايا المحورية الأساسية التي اختارها لتكون قاسما مشتركا بينه وبين محاوره الدكتور بوكاي ، ثم عرضها كاملة ، ثم عرض أدلة الطرفين في صورة مقارنة مبنية علي الموضوعية ومُحكَّمة النصوص الصحيحة الثابتة من الكتب التي اعتمدها الطرفان في مجادلاتهما.

وهنا أمرٌ يجب لفت النظر إليه في عنوان البحث، وهو أنني لم أقيد مقارنة الأديان بالسماوية، وذلك لأمرين :

الأمر الأول : أنه عند الإطلاق لمقارنة الأديان يتبادر للذهن الأديان السماوية الثلاثة لا غير.

الأمر الثاني: أنه غالبًا ما يكون الحوار والنقد الجدلي بين متجادلين، يكون منصبًا على الأديان السماوية الثلاثة.

ولكي يتم للباحث هذا النظم علي هذا النحو ، جاء هذا البحث في مقدمة ، وتمهيد وبابين وخاتمة علي النحو التالي :

فأما المقدمة ، فقد بينت فيها أهمية الموضوع وقيمته العلمية ، وأسباب اختياره ، والمنهج المتبع في دراسته .

وأما التمهيد فتحدثت فيه عن أصالة علم مقارنة الأديان لدي علماء المسلمين، وبيان أهم المناهج التي وقفوا عليها وأصّلوا لها واستخدموها في دراستهم للأديان.

كما تحدثت في التمهيد أيضا عن معرفة الغرب لهذا الفرع من فروع العلم في وقت متأخر مرورا بأطوار عديدة ، ثم بينت أنهم عرفوا بعض المناهج لاستخدامها في هذا العلم ، غير أنهم لم يتفقوا عليها ، ومازالوا يبحثون عن مناهج أخرى.

ثم أتبعت ذلك بالتعريف بشخصيتي الدراسة والتعريف – أيضا – بالكتب السماوية الثلاثة والتي كانت محلا لجدالهما ومحاورتهما .

ثم جاء الباب الأول بعنوان : "الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث لدى بوكاي" متضمنا الحديث عن أدلته على تحريف الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد من جهة وذكر أدلته على صحة النص القرآني وصدق نبوه محمد (ﷺ) من جهة أخرى، ولذا جاء هذا **الباب في ثلاثة فصول.**

الفصل الأول : تناولت فيه الدراسة أدلة بوكاي علي تحريف (التوراة) فجاء هذا الفصل في مبحثين :

المبحث الأول : النقد الخارجي للتوراة ، وقد بينت في هذا المبحث الأدلة التاريخية التي يراها بوكاي تقدح في صحة النص التوراتي ، كأن يكون موسى قد عرف الكتابة ، أو أن يكون هناك حوادث مذكورة في التوراة ولم يَثْبت وجودها إلا بعد زمن موسى بأمد بعيد.

ثم جاء المبحث الثاني : النقد الداخلي للتوراة ، وقد عالجت فيه أدلة بوكاي علي تحريف التوراة ، وذكرت هذه الأدلة التي وقف عليها واستبان له وجه الحق فيها والتأكد منها ، وذلك لأنه قام بمقارنة النص التوراتي نفسه – بعد تحليله تحليلا دقيقا

بأدلة ونظريات العلم الحديث التي لا يرقي إليها الشك عنده فوقف مــن خــلال تلــك المقارنة علي كثير من القضايا العلمية المذكورة في التوراة، كقضية الطوفان، وقضية خلق السماوات والأرض، وتاريخ ظهور الإنسان علي الأرض .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب عنيت الدراسة بتوضيح أدلــة بوكــاي علــي تحريف الأناجيل . فجاء هذا الفصل **في ثلاثة مباحث.**

المبحـث الأول : النقد الخارجي للأناجيل ، وفيه بينت آراء بوكاي حــول كتابــه الأناجيل وطبيعة رسائل تلاميذ المسيح، ودور بولس في المسيحية ورسائله التي كتبها وتغييره مسار المسيحية .

والمبحث الثاني : بينت فيه موقف بوكاي من النص الإنجيلــي نفســه، وبيانــه تناقض الأناجيل بين بعضها البعض ، بل وتناقض الإنجيل الواحد مع نفسه ، وذكــرت القضية المثال في ذلك ، وهي قضية نسب المسيح بين لوقا ومتي ومــدى الاخــتلاف بينهما في عدد آباء المسيح ، ونسبة المسيح تارة إلي يوسف النجار خطيب مــريم ، وتارة أخرى إلي داود عليه السلام .

والمبحث الثالـث : ذكرت فيه موقف بوكاي من تأويلات مفسري الأناجيل حــول القضايا البينة الخلل في الأناجيل ، وبينت كــذلك اســتياء بوكــاي مــن تفســيراتهم للتناقضات الواردة في الأناجيل ، والتي تتطلب – أي التفسيرات – أن يكون المــؤمن مؤمنا بلا عقل .

ثم جاء الفصل الثالث بعنـوان : أدلة صحة القرآن الكريم وصدق نبــوة محمــد (ﷺ) لدي بوكاي ، وقد جاء في أربعة مباحث .

المبحـث الأول : صحة تدوين القرآن الكريم ، ذكرت فيه وقوف بوكاي علي أدلة صحة النص القرآني ، وذلك من خلال اختباره لهذا النص بتمرير نفس القضايا التــي ذكرها بوكاي من النص التوراتي علي مقياس العلم الحديث ، فإن له توافقها وتلائمها مع نظريات العلم الحديث مما جعله يجزم قائلا : بأنه لم يجد أيَّة مقولة فــي القــرآن قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث.

المبحث الثاني : أدلة صحة القرآن الكريم ، وقد ركزت في هذا المبحــث علـــي بيان أدلة صحة النص لدي بوكاي من خلال إبراز ذات القضايا التـــي قارنهـــا عنـــد معالجته للنص التوراتي .

المبحث الثالث : موقف بوكاي من ترجمة الغرب للقرآن الكريم، وقد ذكرت في هذا المبحث تنبيه بوكاي المسلمين علي الأخطاء التي يتعمدها الغرب عند تــرجمتهم لنص القرآن الكريم ، وكيف هم يسيئون لهذه الترجمات بتحريفهم للمعني المقصـــود في اللغة الأصلية للقرآن الكريم ، وكيف وقف هو علي الكثير من هذه الإساءات بعـد أن صار يعرف شيئا من اللغة العربية .

المبحث الرابع : موقف بوكاي من نبوة محمد (ﷺ) . وفي هذا المبحث ذكرت ما قام به بوكاي من دراسة تحليلية للنصوص الواردة في إنجيل يوحنا ، والتـــي تحمـــل البشارات عن مجيء نبي بعد المسيح ، وقد بينت رفض بوكاي لتـــأويلات النصـــارى لهذه النصوص علي أن المقصود بها هو الروح القدس الـــذي يـــوحي إلـــي تلاميـــذ المسيح.

أما الباب الثاني : فقد جاء بعنوان " **دراسة الكتب المقدسـة لـدي كـامبـل** " وقد اشتمل هذا الباب علي خمسة فصول :

الفصل الأول بعنوان : أدلة صحة الكتاب المقدس من القرآن الكريم لدي كامبل ، وقد جاء في مبحثين :

المبحـث الأول : أدلة كامبل من القرآن الكريم علي صحة التوراة والإنجيل، وقد ركزت في هذا المبحث علي إبراز الأدلة من القرآن الكريم، والتي رأي فيها كامبل أن القرآن الكريم يشهد فيها لصحة نصوص التوراة والإنجيل .

المبحث الثـاني: وقد ناقشت فيه أدلة كامبل في ضوء آيات القرآن الكريم التـــي ارتضاها كامبل حكما علي التوراة والإنجيل .

وأما **الفصل الثـاني** فقد جاء بعنوان : أدلة صحة الكتاب المقدس من الحـــديث الشريف . في مبحثين :

المبحث الأول : أدلة كامبل علي صحة الكتاب المقدس من الحــديث الشــريف ، ذكرت فيه النصوص الحديثية التي يرى أنها تشهد بصحة التوراة والإنجيل .

والمبحــث الثــاني : ناقشت فيه الدراسة أدلة كامبل في ضوء الأحاديث الشــريفة التي تتحدث عن أهل الكتاب بصفة عامة ، ثم ناقشت الأحاديث التي استدل به كامبــل علي ما يذهب إليه.

ثم جاء الفصل الثالث بعنوان : موقف كامبل من القرآن الكريم ذكرت فيه موقفه من القرآن الكريم ، ورؤيته أنه يمكن أن نطلق علي القرآن ذات الأحكام التي نجريها علي التوراة والإنجيل من حيث التحريف ، وذلك لأن القرآن الكريم – كما يري – مرَّ بذات الأطوار التي مر بها الإنجيل في تدوينه وتعدد نسخه . ولقد جاء هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول : قضية تحريف القرآن الكريم عند كامبل . ذكرت فيه أدلته علــي التحريف ، من حيث تدوينه وتعدد مصاحفه .

وأما **المبحــث الثــاني** : ناقشت فيه أدلته علــي التحريــف ، فأجريــت مقارنــة موضوعية بين أدوار تدوين الإنجيل، والأدوار التي مر بها القرآن الكريم عند تدوينه، ثم ناقشت قضية تعدد المصاحف التي ذكرها كامبل في أدلته علــي تحريــف القــرآن الكريم ، ثم عرجت بعد ذلك علي الأدلة التي عمد إليها بوكاي عند إثباته لصحة النص القرآني.

والفصل الرابع بعنوان : موقف كامبل من نبوة محمد (ﷺ)، ذكرت فــي هــذا الفصل المفهوم العام للنبوة لدى كامبل ، ثم موقفه من نبوة محمد (ﷺ) وقد جاء هذا الفصل في مبحثين.

المبحث الأول : النبوة عند كامبل ، ذكرت فيه شروط النبــوة عنــده ، وســقت الأمثلة علي هذه الشروط علي حسب رؤية كامبل .

المبحث الثاني : ناقشت فيه مدى تحقق شروط النبوة لدى كامبل على محمد(ﷺ)، فعرضت الطرق التي بها تثبت نبوته (ﷺ)، ثم المعجزات التي أجراها الله علي يديه ، وكذا البشارات التي أخبر عنه بها الأنبياء السابقون عليه.

ثم جاء الفصل الخامس: توظيف المنهج لدى كل من المتجادلين في مبحثين:

المبحث الأول : مدى توظيف المنهج لدى بوكاي ، وقد ذكرت فيه بعض المناهج التي استخدمها بوكاي في دراسته للكتب السماوية ، ثم ذكرت أمثلة عملية على استخدامه إياها.

المبحث الثاني : مدى توظيف المنهج لدى كامبل ، وقد ذكرت فيه أيضا مدى استخدام كامبل لبعض المناهج التي يعمد إليها كل من يتعرض لدراسة الأديان ، ثم بينت مدى نجاح كامبل في توظيف هذه المناهج .

ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، متبوعة بملحق خاص بالدراسة ، ثم المراجع والمصادر ، ثم ملخص للبحث باللغة الإنجليزية .

وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن تسير دراسته ومعالجته ، وفق منهج مركب (تاريخي ، تحليلي ، نقدي ، مقارن) متآلف العناصر ، فقد كنت أحيانا ألجأ إلي توظيف منهج واحد عند دراسة فكرة معينة ، وأحيانا أخرى استخدم أكثر من منهج لاستيفاء الفكرة وتجليتها بصورة واضحة . غير أن المنهج التحليلي المقارن يمثل المنهج الرئيس المستخدم علي طول البحث ، إذ بالمنهج التحليلي المقارن أستطيع أن أقف علي الفكرة وأوضحها محللاً ثم أقارنها بنظيرتها أو بما يسقطها كلية إذا كانت فاسدة . ثم تأتي المقارنة لتساند التحليل ، إذ علي ضوءها يتضح ويبين بجلاء فساد الرأي أو صحته .

وأخيراً ، فلقد بذلت في هذا البحث جهدي ، واستنفذت فيه طاقتي ، وأفنيت فيه جملة صالحة من أيامي ولياليي، ولم لا ؟ فإن الأمر كما يقول العلامة ابن رسلان "والعلم ليس هو السطور التي كُتبت علي أكفان التاريخ، وإنما العلم هو الذي يكتب

بنبض الحياة ودمع العين ودمع القلب ، والصواب يتوارى عند احتدام الخصام ولكن لا يفنى أبداً ، والإنصاف والعدل، وقول الحق مع البغض والحب وفي الرضا والغضب قِيمٌ لا تستقيم الحياة بدونها ".

لقد حاولت وحاولت ، وتحريت الصواب ما أمكن وتوقيت الخطأ ما أستطعت ولكن هيهات.

سبحانك ما أعظمك محسنا ، وما أضعفني شاكراً .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله علي سيدنا محمد (ﷺ) .

مدخل تمهيدى

ويشتمل على ما يلى :

أ) أصالة علم مقارنة الأديان لدى المسلمين.

ب) الأطوار التي مر بها الغرب فى نقد النص الديني.

ج) التعريف بشخصيتي الدراسة.

د) التعريف بالكتب السماوية الثلاثة.

أ) أصالة علم مقارنة الأديان لدى المسلمين.

تلهج بعض الألسنة الغربية كثيراً حول إثبات أسبقية الغرب النصراني للمسلمين فى حقل مقارنة الأديان، وتحاول أن تستشرف لذلك بعض الأدلة محاولة إثبات صحة ما تذهب إليه.

وبطلان ذلك – فى رأيى – لا يحتاج إلى كثير عناء ومشقة، وذلك لأمر بسيط جداً وهو أن أوربا كلها فى الوقت الذى كانت فيه تحت سلطة الكنيسة وتسلط البابوات – وهذا ما سيتضح بعد قليل – كان المسلمون ينعمون بنور المعرفة والعلم اللذين أُرسِيَتْ دعائمهما منذ نزول الآيات الأولى من القرآن الكريم على قلب النبى محمد (ﷺ) والتى أمرته بالتعلم والتفكر، ثم جاءت الآيات القرآنية – من بَعْدُ – تتنزل على قلبه (ﷺ) – عارضة لعقائد الأديان الأخرى مناقشة إياها بأسلوب حكيم، وحجة بالغة كقول الله رب العالمين: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾ [1]. وكقوله سبحانه: ﴿مَّا "الْمَسِيحُ" ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [2].

كما حرص القرآن الكريم على دعوة أهل الكتاب إلى الدخول فى الإسلام مبيناً أن دعوة محمد (ﷺ) جاءت موافقة فى جوهرها لما دعا إليه الأنبياء السابقون، فتعددت مواقف أهل الكتاب فكان منهم من آمن، ومنهم من كفر كما حكى القرآن الكريم.

---

(1) سورة النساء : آية ١٧١.

(2) سورة المائدة : آية ٧٥.

كما أن الإسلام فى مجال العقيدة أكد على أهمية الإقناع والاقتناع، ونظَّم أيضًا العلاقات بين الأديان فى مجال التعايش الاجتماعى فيما يخص الأقليات غير المسلمة من حيث حقوقهم وواجباتهم، فعاش أهل الذمة طوال أربعة عشر قرناً فى المجتمع الإسلامى ليجدوا كل معاملة طيبة فى ظل الأمن والأمان، ولأن منطلق المسلمين فى ذلك هو قول النبى (ﷺ) : "من ظلم معاهدًا، أو كلفه فوق طاقته، أو انتقصه أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة".(١)

"والقرآن الكريم مليء بالآيات التى تعرض عقائد المخالفين ثم ترد عليها بما يكفى ويشفى بمنهج سرير...مما جعل له دورًا كبيرًا فى تفتيح أذهان المسلمين على هذا الحقل العلمي، وحقهم على الخوض فيه." (٢)

"وكذا الأمر بالنسبة لسنة رسول الله (ﷺ) فقد وجد علماء المسلمين فيها وقائع حدثت بين رسول الله (ﷺ) وبعض المخالفين تعلموا منها الحرص الشديد على نصرة التوحيد، وإفحام الخصوم يتتبع مقالاتهم بالنقد وبيان فسادها."(٣)

كما أكد القرآن الكريم فى غير ما موضع على ضرورة إرساء قواعد الحرية الدينية، بموجب نصوص قطعية الثبوت والدلالة مُرَسَّخَةً فى عقل المسلم وقلبه ووجدانه ومحددة لها، وعلى أساسها تصوره ونظرته إلى الآخر، خارج ديار الإسلام،

---

(1) سنن أبى داود ، باب الخراج والإمارة والفيء ، فى تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات برقم (٢٦٥٤) وصححه العلامة الألباني فى السلسلة الصحيحة برقم (٤٤٥) ، وفى صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٠٠٦)، (والتخريج للكتب التسعة جميعًا من قرص ليزرى متضمنًا : موسوعة الحديث الشريف، من إصدارات وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الإصدار الأول، سنة ٢٠٠٥.

(2) منهج المعتزلة فى مجادلة علماء الملل المخالفة حتى نهاية القرن الخامس الهجرى، ص٦٣، رسالة ماجستير، بكلية دار العلوم من إعداد مختار محمود عطا الله، وإشراف أ.د/ السيد رزق الحجر سنة ١٤٠٦ هجرية – ١٩٩١م.

(3) انظر: السابق ، ص٦٨، ٧٠.

أو داخلها[1]، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[2] و ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[3] و ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[4]

وقال مخاطبًا خير رسله : ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[5] ومحددًا دور الرسل جميعًا، ووظيفتهم فى البلاغ ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[6] بل أوجب عدم التعصب ضد العقائد الأخرى ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾[7] و ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[8]

ولقد طُبِّق هذا المبدأ الثابت منذ بزوغ فجر الإسلام، وما إن تمكنت دعوته وانطلقت فتوحاته المباركة، حتى انطلق معها إلى آفاق أرحب وأشمل، فقامت شواهده ممثلة فى استبقاء واستمرار أهل الديانات الأخرى – ما أرادوا – على عقائدهم، آمنين على شرائعهم وشعائرهم، وكُتُبُ الرسول (ﷺ) –وخلفائه من بعده – المعروفة، لأهل نجران وبيت المقدس[9] وغيرهم، وثائق عملية تطبيقية لهذا المنهج الإسلامى[10].

ووجود الحرية الإسلامية أدى بدوره إلى وجود جوٍّ من التسامح الديني والفكري طَبَّع علاقة المسلمين بغيرهم فى ربوع الدولة الإسلامية كلها...، وفى ظل

---

(1) انظر مناهج دراسة الأديان بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ص (د) ، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم ، إعداد دكتور حمدى الشرقاوى ، وإشراف الأستاذ الدكتور محمد الجليند ، سنة ١٩٩٩م

(2) سورة البقرة : (٢٥٦).

(3) سورة هود: (٢٨).

(4) سورة الكهف: (٢٩).

(5) سورة يونس: (٩٩).

(6) سورة النحل: (٣٥).

(7) سورة الشورى: (١٥).

(8) سورة يونس: (٤١).

(9) دلائل النبوة للبيهقي، (٤٨٥/٥).

(10) انظر: "مناهج دراسة الأديان بين المتكلمين والفلاسفة" ، مرجع سابق، ص٧.

ذلك اندفع المسلمون وغير المسلمين -علـى السـواء- إلـى التفـاهم والتواصـل والتعايش، الذي نتج عنه - بطبيعة الحال- ، انفتاح وحوار ومناقشة، مـا لبـث أن اتسع نطاقها ليشمل جانبًا من الدراسات المخصصة للتعرف على الأديان الأخرى؛ فهمًا ووصفًا وتحليلاً ومقارنة ومعرفة، دون الأخذ فى الاعتبار مسألة الرد والنقض.[1]

ثم أصبح ذلك كلُه يشكل مجموع حركة علمية مُؤَسَّسَة علـى روح التسـامح وحفظ حقوق الآخر، من قوم قامت حياتهم كلها على الدين، وتمَّ لهم به النصر والعزة. وفى ظل هذا النصر تمكنَ العلماء من دراسة الديانات دراسة علمية منهجية، دونمـا تعصب أو استعلاء، مستشعرين واجبهم، وعمق مسئوليتهم الحضارية تجاه الإنسـانية جمعاء[2] فولِد على أيديهم ولأول مرة فى مسيرة تاريخ العلم الإنسانى، فـرع جديـد، يرجع إليهم شرف إنشائه -كعلم ذى منهج- وتطويره وإنمائه، يُعْنى أساسًا بدراسـة الملل والنحل، وُسَمِى فيما بعد مقارنة الأديان.[3]

فى هذا الجو الإسلامى الصحيح بدأ ظهور فجر علـم مقارنـة الأديـان فكـرًا إسلاميًا خالصًا مُتَّبِعا منهج القرآن الكريم فى مناقشة العقائد السـابقة سـواء كانـت صحيحة أم باطلة.

وعلى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية سبق العلماء المسلمون الغرب فـى وضع القواعد والأصول المنهجية، وتطبيقها على دراسة الأديان، وذلـك لأن دراسـة المسلمين للأديان جاءت متميزة بميزتين :

- **فأما الأولى** : أن الحديث عن الأديان بعد أن كان فى العصور السابقة إمًّا مغمورًا فـى لُجَّةِ الأحاديث عن شئون الحياة، وإما مدفوعًا فى تيار البحوث العقلية والفلسـفية أو الجدلية، أو - على الأقل - محدودًا بحدود العقائد الوضعية وما يشاركها فيها، أصبح فى كتب العرب دراسة وصفية واقعية، منعزلة عن سائر العلوم، شاملة لكافة الأديـان

---

[1] انظر: السابق، ص (هـ) .

[2] انظر: السابق ، الموضع نفسه ، بتصرف بسيط .

[3] والراجح أن هذه التسمية لم تطلق على الكتابات الأولى لعلماء المسلمين، وذلك لأن كتابات الأوَّلين كانت تأتي نتيجة مجادلات بين علماء المسلمين وأهل الكتاب، فينبري الواحد منهم ليكتب كتابًا فيه وجه الصواب.

المعروفة فى عهدهم، فكان لهم فى ذلك فضل السبق فى تدوينه علمًا مستقلاً، قبل أن تعرفه أوربا الحديثة بعشرة قرون [1].

وأما الثانيـة : وهى لا تقل نفاسة عن سابقتها – فهى أن المسلمين فى وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون، ولا على الأخبار المحتملة للصدق والكذب، ولا على العوائد، والأفكار والآراء الشائعة بين عامة الناس، والتى قد تنحرف قليلاً أو كثيرًا عن أديانها، ولكنهم كانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثـوق بها – ويستقونها من منابعها الأولى. وهكذا بعد أن اختطوه علمًا مستقلاً. اتخذوا لـه منهجًا علميًا سليمًا." [2] "كل ذلك فضلاً عما تميزت به أكثر دراسـتهم مـن النزاهـة المطلقة، والأمانة العلمية، والحيدة التامة فى عرض ومناقشـة القضـايا، ونصـاعة الحجة وقوة البرهان، والأصالة، والعمق." [3]

وقد اعترف الغربيون بفضل هذا السبق، فيقول أحد الدارسين الغربيين فى حقل الأديـان: [4] "إن شـرف كتابـة أول تـاريخ للأديـان فـى العـالم يخـتص بـه "الشهرستانى"ت(٥٤٨هـ) هو الذى وصف ونظمَّ مذاهب وفـرق وفلسـفات الأديـان العشرة المعروفة فى العالم اعتمادًا على منهج تاريخي سديد لـم يسـتطع أى كاتـب نصراني فى عصره أن ينتج مثله. [5]

والحق أن الأوْلَى بهذه الأوَّلية هو الإمام "ابن حـزم (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ)" المتوفى (٤٥٦هـ)، إذ إنه من أول العلماء الذين عُنوا بدراسة الأديان علـى سـبيل النقد والمعارضة، حتى إن المستشرق "جب" ليقول عنه : "إن ابن حزم (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ) كُرِّمَ من الغرب باعتباره مؤسسًا لعلم مقارنة الأديان" [6]

---

[1] الدين :بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان،ص١١٣- للدكتور.محمد عبد الله دراز- دار المعرفة الجامعية-بدون تاريخ.

[2] انظر : السابق : نفس الموضع.

[3] "جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هـ) فى دراسة الأديان" ، ص٨ – رسالة ماجستير بكلية البنـات – جامعة عين شمس سنة ١٩٩٦، إعداد الباحث حمدى الشرقاوى، بإشراف د . سهير أبو وافية.

[4] هو: Erish.J.–Sharpe: Comparative Religion A history. P.11 (New York, 1975).

[5] Erish – Sharpe : Comparative Religion A history. Ibid P.11

[6] انظر : "ابن حزم (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ) ومنهجه فى دراسة الأديـان" د/ محمـود حمايـة ، ص١٥٠ – رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين، د.محمود حماية، وهى رسالة منشـورة بـدار المعـارف س ١٩٨٣ الطبعة الأولى. انظر : أيضًا " اتجاهات نقد العهد القديم" ، ص٤٤: ٥٠ تأليف الدكتور . محمـد خليفـة حسن والدكتور . أحمد هويدى – الطبعة الأولى – دار الثقافة العربية سنة ١٤٢٢ هـ ، سنة ٢٠٠١م.

كما يقول عنه المستشرقون "ألفريد جيوم" : إنَّ باحثًا مثابرًا "كـ "ابـن حـزم (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ) القرطبى" قد استطاع أن يحشد قواه ليؤلف أول موسوعة دينية أوربية، وليكتب دراسة على مستوى عالٍ من النقد والترابط حول العهدين القديم والجديد. [١]

ونختم التأكيد على سبق المسلمين للغرب فى هذا الحقل بما قالته "دائرة المعارف البريطانية" معللة هذا السبق فى دراسة الأديان بأنه يرجع إلى سببين :

الأول : أن معرفة المسلمين للأديان تفوق معرفة الأوربيين.

والثانى : دراسة علماء المسلمين جاءت محتفظة بالعقل والوحى معًا. [٢]

وعليه فقد بات واضحًا أن المسلمين كانوا أسبق من غيرهم فى هذا الميدان، واتضح على لسان الغرب أنفسهم أن كتابات المسلمين جاءت على مستوى عال من النقد المترابط ، مما يدل على أن دراساتهم أثمرت منذ أن بُذِرَتْ بذورها الأولى.

ولعل السبب فى سبق علماء المسلمين لغيرهم فى مجال مقارنة الأديان يرجع إلى – ما يذكره علماء الغرب أنفسهم أيضًا – من أن الفارق الأكبر بين الإمبراطورية الإسلامية وأوربا المسيحية فى العصور الوسطى، وجود عدد كبير من أهل الديانات بين المسلمين، يتمتعون بنوع من التسامح لم تعرفه أوربا العصور الوسطى، كما نجده يقرر أن هذا التسامح قد أدى إلى نشأة هذا العلم الجديد، الذى لم يكن قط من مظاهر تلك العصور، والإقبال عليه بشغف عظيم.[٣]

كما يقرر فرانز روزنتال – ولا تخفى شهرته – أنه لا يسع الغرب اليوم الاعتراف صراحة، بأن علم مقارنة الأديان يعد واحداً من الإنجازات الرفيعة للحضارة الإسلامية، أسهمت به فى التقدم الفكري للإنسانية. [٤]

وفي مقابل ذلك نجد **E.Sharpe** وهو من خبراء منهج دراسة الدين فى الغرب، يقرر أن الغرب المسيحى، طوال العصور الوسطى، وحتى قرب نهاية القرن

---

[1] انظر : السابق : ص١٥١.

[2] **Encyclopidio of Brtitainca : Vol.15 p : 615 – 1965.**

[3] انظر: "آدم متز" (١/٥٥، ٣٣٤) وقارن: مناهج دراسة الأديان ص٥.

[4] السابق : الموضع نفسه

التاسع عشر، لم يدرس ديانات الآخر غير المسيحى، إلا بهدف دحضها، وتمام كسرها، وانتهت نظرياته اللاهوتية عن أصل تلك الأديان ونشأتها، على أنها رجس من أعمال الشياطين، أو من أعمال الملائكة الساقطين!!، ولم يكن هذا رأى العامة، بل هو رأى كبار آباء الكنيسة، ويعزو Sharpe ذلك إلى الانغلاق التام، والتعصب الصارم.[١]

ويمكن أن نعزو نجاح علماء المسلمين في هذا الميدان إلى عوامل كثيرة منها أنهم جعلوا الأديان الأخرى موضوعًا مستقلاً للدراسة والبحث، وإن نظرة واعية إلى تراثهم المعني بذلك[٢]، تُوقِف صاحبها على مدى ما بلغه هذا التراث ؛ استيفاءً، وعمقًا، وشمولاً، وثراء، وموسوعية، واستيعابًا، وريادة، وقبل ذلك التزامًا بمنهجية علمية واضحة، دقيقة، متنوعة المداخل، ولا يقل جهدهم فى ذلك، عما بلغه تراثهم – أيضًا – فى شتى العلوم والمعارف الأخرى، ومناهجهم التى برزوا فيها، ورادوا بها مختلف جوانب الفكر الإنسانى ، كما هو معروف ومقرر[٣].

وإن المتأمل المقارن فى تراث علمائنا من دارسى الأديان يجد أن ثمار هذا التراث، ونتائجه التى "أَفْضَى" إليها توظيف منهجيته، لا تزال إلى اليوم، تحتفظ بقيمتها العلمية الغضة، بمعايير علم مقارنة الأديان الحاضرة، وكثير من تلك النتائج شكَّل خلاصات أبحاث علماء الغرب المتخصصين المشهود لهم فى هذا الحقل، وبوجه خاص فى نقد أسفار العهدين، وفى دراساتهم التاريخية والنقدية والمقارنة ، لعقائد النصرانية.[٤]

---

(1) Comparative Religion.. pp. 9-11

(2) من ذلك على سبيل المثال : ١- كتاب "جمل المقالات" لأبى الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ (القرن العاشر الميلادى).

٢- كتاب : "المقالات فى أصول الديانات" للمسعودى ، ٤٣٦هـ .

٣- "الفصل فى الملل والأهواء والنحل" ، لابن حزم (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ) ، ٤٥٦هـ (الحادى عشر الميلادى).

٤- "الملل والنحل" ، للشهرستاني ، ٥٤٨ هـ (القرن الثانى عشر الميلادى).

٥- اعتقادات المسلمين والمشركين " للفخر الرازى ، ت٦٠٦ (القرن الثالث عشر الميلادى).

(3) "مناهج دراسة الأديان " ، ص. (ز).

(4) السابق : نفسه.

* مناهج دراسة الأديان لدى علماء المسلمين.

المنهج الأول : المنهج التاريخى الوصفى.

يكاد يتفق الباحثون فى مختلف العلوم على أن أي بحث مهما كـان الأسـلوب المتَّبع فيه لا غنى له عن الاستعانة بمعطيات المعرفة التاريخية، بـل إن فهمنـا لأى حدث، أو ظاهرة فى الحاضر لا يمكن أن يكتمل إلا بمعرفة تاريخها.(١)

وقد كان علماء المسلمين على وعى بذلك، فقد جعلوا المنهج التاريخى منهجًا أساسيًا يتكئون عليه فى دراساتهم للظواهر الدينية، ولم يختلفوا فـى أكثـر قواعـده وأصوله فيما بينهم، وذلك لأنه أبسط المناهج استعمالاً كطريقة بحـث، إن لـم يكـن أساسها، وأهمها فى نفس الوقت، ولا غنى عنه لأى علم مـن العلـوم – خصوصًـا الفلسفة والاجتماع واللغات والآداب والأديان – بما فى ذلك تاريخ العلـوم الطبيعيـة بهدف الوقوف على تطورها التاريخى(٢)، وهذا ما تنبه إليه مبكـرًا الفيلسـوف أبـو الحسن العامري (ت٣٨١هـ) ت ٣٨١هـ حيث قـرر أن علـم الأخبـار والتـواريخ ومنهجه "يتشعب فى الأبواب ...بل ما من فن من فنون العلوم إلا ويوجد فيـه أخبـار منقولة ...فهو إذن مادة لها كلها".(٣)

"ونظرًا لأهمية هذا المنهج وضرورته، فإننا نجد علماء المسلمين اهتموا بـه اهتمامًا كبيرًا، وخصوه بمؤلفات كثرة تفوق الحصـر منـذ القـرون الأولـى للفكـر الإسلامي، فنجد كتب المقالات متنوعة ومختلفة، بعضها يتناول مقالات ملة من الملـل والبعض يتناول فرقة معينة يفصِّل القول فى مذاهبها وأفكارها، وغيرهم يتناول مقالات الأشخاص فى فرقة أو مذهب، ويشير إلى مواطن الاختلاف فيها".(٤)

---

(1) نقلاً عن مناهج دراسة الأديـان - ص٨ ، وانظـر المـنهج العلمـى فـى البحـوث الاجتماعيـة ، د. سمير نعيم ، ص١٣٩، ١٣٠ ، مكتبة جامعة عين شمس، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٨٧م.

(2) "مناهج دراسة الأديان" ، ص٨.

(3) "الإعلام بمناقب الإسلام" لأبى الحسن العامري (ت٣٨١هـ) ، تحقيق د. عبد الحميـد غـراب ، نشـر مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض ١٤٠٨هـ ، ص١٠٧- ١٠٨.

(4) مناهج البحث والتفكير العلمي للدكتور محمد الشرقاوي، ص١٠١، دار الثقافة العربية بالقـاهرة، سـنة ١٩٩٧، وانظر له أيضًا : المنطق الحديث ومناهج البحث، ص١٩٨، دار النصر للنشر والتوزيع، سنة١٩٩٨.

وقد كان هدف علماء المسلمين – فى المقام الأول – من تـأريخهم للأديـان، الدراسة الوصفية التحليلية للأديان بقصد فهمها فهمًا دقيقًا، كما كـان الهـدف مـن دراستها عند بعضهم الجدل، والمناظرة، والمحاورة.[١]

ومما ساعد علماء المسلمين على اتباع المنهج التاريخى فى دراستهم للأديان أن كثيرًا منهم كانوا مؤرخين، كما أنهم اعتمدوا أيضًا على كتب التاريخ والحضارة.[٢]

المنهج الثانى : المنهَج التحليلى المقارن.

يمثل المنهج المقارن أهمية بالغة بين المناهج المختلفـة ممـا جعـل بعـض الباحثين يجعله هو محور المنهج العلمى برمته، بينما يرى البعض الآخر أن المقارنة، أو الموازنة فى العلوم الإنسانية تعادل فى أهميتها منهجية الملاحظة والتجربـة فـى العلوم الطبيعية.. وهذا يؤكد الأهمية المنهجية الحقيقية لطريقة المقارنة فـى البحـث والدراسات العلمية.[٣]

وفيما يخص أهمية منهج المقارنة لدى علماء المسلمين فإن الإشارات التـى وردت فى القرآن الكريم، والتى تتضمن مقارنات وموازنات فى كثيرٍ من القضايا سـواء مـا يتعلق منها بالعقيدة والحديث عن الأديان الأخرى، أو ما يتصل بالتشريع والأحكام أو غيـر ذلك[٤] كانت تمثل مفردات وأسس المقارنة ودروبها، وأهدافها لدى علماء المسلمين.

---

[1] انظر : السابق ، ص٦.

[2] ومن يتتبع كثيراً ممن كتبوا فى الأديان من علماء المسلمين يجد أن له كتبًا فى التـاريخ قائمـةً بـذاتها ومنهم البيروني (ت٤٤٠هـ) وهو من كبار علماء الأديان ، وله أكثر من مؤلف فى علم التاريخ أهمهـا "الآثار الباقية عن القرون الخالية" ، وكذلك، ابن حزم (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ)، كان مـن كبـار مـؤرخى السيرة والأنساب وله كتاب :"جوامع السيرة، وجمهرة أنساب العرب، وكثيرٌ من علماء الأديان كالقاضـى عبد الجبـار (ت٤١٥هــ) ، ت٤٨٥هــ – والأشـعرى ت٣٢٤هــ – والبغـدادى ت٤٢٩هــ – والشهرستانى ت٥٤٨ هـ ، وغيرهم كثير، كانوا من أعلام مؤرخى الفرق والملل".

[3] انظر : "الأخذ والرد فى هذه الآراء تفصيلاً فى مناهج دراسة الأديان" ، ص١٨٩.

[4] وهذا النوع من الآيات كثير فى القرآن مثـل قـول الله رب العـالمين :﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ ﴾ (يوسف٣٩) . وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ (البقرة ١١٤). ومنها : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ (التوبة ٣٠)

وانظر أيضًا : آل عمـران ٥٦ ، ٥٧ ، والمائـدة ٣٢، والفرقـان ٣٢، والنحـل ٦٧ ، والحشـر ٢٠، والتحريم ١٠، ١١.

"ويقوم المنهج التحليلي أساسًا على التسليم الجدلي بصحة الوثائق التاريخية أو النصوص المقدسة، ثم محاولة التوفيق بينها وبين مقتضيات العقل البديهية، ومعطياته القطعية."[١]

وفى ضوء المنهج التحليلي المقارن يقرر الغزالى قاعدتين أساسيتين ينبغى أن تؤخذ بعين الاعتبار لكل من يقرأ النصوص المقدسة، ويريد أن يفهمها فهمًا واضحًا :

الأولى : "أن النصوص إذا وردت، فإن وافقت المعقول تركت وظواهرها، وإن خالفت صريح المعقول، وجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة فيجب ردها إلى المجاز إذن.

الثانية: أن الدلائل إذا تعارضت، فدل بعضها على إتيان حكم، وبعضها على نفيه، فلا تتركها متعارضة، وإلا وقد أحسسنا من أنفسنا العجز باستحالة إمكان الجمع بينها متضافرة على معنى واحد."[٢]

وقد حرص علماء الأديان من المسلمين بعد الانتهاء من عملية التحليل الدقيق على مراعاة أسس المقارنة. هذه الأسس تتبعها الباحثون، وأحصوها على النحو التالى:[٣]

١- "إجراء المقارنة بين النظائر أو الأشكال المتجانسة.

٢- الالتزام بمقارنة المقبول لدى جمهور الديانة.

٣- تجنب إطلاق الأحكام أولاً (وهو ما يسمى المنهج المعكوس فى المقارنة).

٤- التسليم للخصم للوصول إلى مفاسد واضحة منطقيًا."[٤]

---

(1) "منهج الأشاعرة فى مجادلة علماء الملل المخالفة" حتى نهاية القرن السادس الهجري، إعداد : أحمد إدريس الطعان، رسالة ماجستير بإشراف أ.د: أبو اليزيد العجمي، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، وقارن : "الإسلام بين الأديان"، د. كمال جعفر،ص٥، مكتبة دار العلوم ، ١٩٧٧م، والتفكير المنطقي، د. عبد اللطيف العبد، ص١٣١، دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(2) "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل" للإمام الغزالى، ص ٢٤٢ – ٢٤٣، تحقيق الأب روبير شدياق – تعليق وتقديم عبد العزيز الحق حلمى – طبعة القاهرة – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. لا يوجد رقم الطبعة.

(3) السابق : ص١٩٧ ، ٢٠٤.

(4)"منهج المعتزلة فى مجادلة علماء الملل المخالفة"، ص١٢٦.

المنهج الثالث : المنهج النقدي الجدلي.

مثلت الروافد القرآنية التى تتحدث عن أصحاب الديانات المخالفة للإسلام أحكامًا قطعية بأن هذه الأديان قد دخلها التحريف والتبديل[1] ، مما جعل هذه الروافد تمثل المرجعية لعلماء الأديان فى النقد والجدل مع أصحاب الملل المخالفة إضافة إلى ما يحتويه النص محل الدراسة نفسه من تحريف وتبديل.

وفى إطار هذين الرافدين – القرآن والنص الدينى نفسه – اتخذ علماء الأديان معيارًا مهمًا أسسوا عليه الحكم على هذه الكتب، وهذا المعيار الذى اتخذه علماء الأديان يدور حول ضرورة أن يكون الكتاب سماويًا، حتى يمكن نسبته إلى الوحي.

وهذا المعيار لابد أن يتوفر له أمران لا غنى لأحدهما عن الآخر **أولهما** : أن يثبت ثبوتًا قطعيًا أن نبيًا من الأنبياء قد كتبه – أو أملاه – بوحي، وأن يكون قد وصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل، المتواتر الذي تتلقاه الكافة عن مثلها، بلا تغيير ولا تبديل؛ مع الاعتماد فى هذا كله على اليقين، حيث لا يكفي مجرد الوهم أو الظن أو التخمين، أو مجرد ادعاء فرقة من الفرق – دونما برهان – أنه من وضع فلان النبى، إذ هناك كتب كثيرة ادعت فرق دينية مختلفة أنها وضعت بواسطة الأنبياء، ومن ثم نسبوها إليهم، ثم جاءت فرق أخرى وادعت أن هذه الكتب مكذوبة منحولة، فالفصل فى هذا، هو البرهان القاطع والدليل الدامغ.[2]

---

(1) ذكر القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تقطع بتحريف الكتب السماوية غير القرآن مثل قول الله تعالى: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (سورة البقرة آية ٧٥) ، ومنها ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة آية ١٤٦) وقوله : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران آية ٧١} وقوله :﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران آية ٧٨).

(2) انظر : " فى مقارنة الأديان" ، ص٦١ ، للدكتور محمد الشرقاوى، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠، وانظر : "إظهار الحق ١/١٠٩ تحقيق د. محمد أحمد ملكاوى، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

وآخرهما : أن يثبت بالفحص والتحليل ثبوتًا قطعيًا أيضًا خلوه من الاختلافــات والتناقضات على تفصيلاتها، باعتباره وحيًا إلهيًا، يمتنع أن يحتوى نصه علــى مثــل ذلك، ولو وقع هذا فى الوثائق الأخرى "البشرية" لكان أحد الأسباب العلميــة الجــديرة بإسقاط القيمة الوثوقية عنها، فماذا عساه لو زعم أن الكتاب وحى سماوى، يتعين أن يكون منزهًا عن الخطأ والتناقض؟!(١).

وقد كانت معالم هذا المعيار على هذا النحو واضحة جدًا لدى علماء الأديان من المسلمين، يقول ابن حزم (٣٨٤هــ-٤٥٦هــ) عن هذا المعيار: "كل كتابٍ دُوِّن فيــه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عند الله".(٢)

"وبناءً على هذا المعيار أيضًا نهض علماء المسلمين بنقــد أســفار العهــدين (القديم والجديد) نقدًا خارجيًا تضمن دراسة سند التوراة دراسةً مطولةً، تعرضوا فيها لمشكلة انتقال التوراة وحفظها والأطوار المختلفة التى مرت بها، كما تــوفروا أيضًــا على نقدها نقدًا داخليًا درسوا فيه بتحليل دقيق وتتبعٍ عميق ومقارنةٍ منهجية، متــون هذه الأسفار ومراميها والأفكار الواردة بها، بشأن قضايا مختلفة، تتعلق بالذات الإلهية والأنبياء وبشخص عيسى عليه السلام، والأحداث التاريخية والكشف عما تضمنته من اختلافات وتناقضات وأخطاء...إلخ". (٣)

---

(1) انظر : "مناهج دراسة الأديان" ، ص٣٤٧ ومن ينظر بدقة فى أصل هذين الفرعين يجد أنهما عين يمثلان منهج علماء الحديث الذين استخدموهما عند تحقيق الحديث رواية ودراية. إذ إنهــم وضــعوا ضــوابط وشروطًا لقبول المروى (متن الحديث) وشروطًا فى الراوى لقبول روايته، كالعقــل والعدالــة والإســلام والضبط وغيرها ثم هم بعد ذلك يحكمون على الحديث من حيث الصحة والحسن والضعف. وقد بلغت دقة هذا المنهج قيمة علمية إلى حدٍ جعلها تقابل تمامًا التجربة ومعطياتها فى العلوم التجريبية (انظر : "منهج السلف بين العقل والتقليد" ، ص٢٥) وقارن علوم الحــديث ومصــطلحه للــدكتور صــبحى الصــالح ، ص٣١٢، ٣١٣ ومقدمة ابن الصلاح ص٧-١٥، ٤٧، والكفاية فى علم الروايــة للخطيــب البغــدادى ، ص٢١ -٢٣.

(2) الفصل ١١٦/١.

(3) "مناهج دراسة الأديان" ، ص٣٧١ وجديرٌ بالذكر أن نلفت النظر إلى أن هذا البحث قد استقصــى كثيــرًا من الشواهد والأمثلة التى تدل على أن علماء المسلمين طبقوا قواعدهم، وأصول هذا المنهج على خيــر وجه (انظر : ص٣٤٦ – ٣٩٧).

"وقد اتخذ علماء المسلمين منهج النقد الجدلي مع أصــحاب الملــل المخالفــة لإثبات بطلان عقائدهم مجددين له قواعده وسماته الخاصة التى تميزه عن غيره مــن المناهج الجدلية الأخرى." [١]

"ويجتمع فى هذا المنهج عدة طرق بينها نوع من التداخل بحيــث قــد تعتمــد إحداها على غيرها فى سبيل الوصول إلى النتيجة." [٢]

ويمكن إجمال هذه الطرق التى استخدمها علماء المسلمين على النحو التالي[٣]:

١) القسمة العقلية.

٢) الإلــزام.

٣) التسليم الجدلي للخصم.

٤) الاعتماد على الواقع الحسي فى الاستدلال.

٥) الاعتماد على العلم الضرورى.

٦) الاعتماد على ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه.

٧) إظهار فساد الرأى بعرضه فقط.

٨) إبطال الأصل مبطل لفرعه.

المنهج الرابع : منهج نقد العقائد ومجادلة أصحابها :

تولَّد هذا المنهج عند علماء المسلمين متزامنًا مع بداية مجادلتهم مــع أهــل الكتاب بقصد الدفاع عن الإسلام خاصة وأن الحوار العقدي بين المسلمين وأهل الكتاب ظهر فى الفترات المبكرة لظهور الإسلام بل إنه مبدأ إسلامى أصيل فسح الإسلام صدره لــه شريطة أن يكون بالتي هى أحسن، وأن يكون محتويًا على أهدافٍ يسعى لتحقيقها[٤].

---

(1) "منهج المعتزلة فى مجادلة علماء الملل المخالفة" ، ص١١١بتصرف بسيط.

(2) انظر: السابق ، ص١١٢.

(3) انظر: تفصيل القول فى هذه الطرق وبيان أمثلة واضحة عليهــا فــى المرجــع الســابق مــن ص١١٢، ص١٤٢،وقارن "منهج الأشاعرة فى مجادلة علماء الممل المخالفة"، ص١٨٩، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٣١.

(4) من ذلك بعض الإشارات التى وردت فى القرآن الكريم، والتى تعبر عن أن الحوار مطلب دينــي كقولــه تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل :١٢٥) ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ (آل عمران :٦٤)

ومما زاد فى نضج هذا الاتجاه أن البيئة الإسلامية لم تكن قاصرةً على أن تجمع بين جنباتها وفى كنفها المسلمين فقط، بل إنها جمعت معهم كثيرين من أصحاب الديانات المخالفة مما أزكى روح الحوار والنقد والمجادلة.

وكان من نتيجة ذلك أن ترك لنا علماء المسلمين كتاباتٍ تنضح بالثراء المعرفي، وتعبر عن ازدهار حركةٍ علميةٍ نشطة لا تعرف الفتور والكسل مما جعلها متعددة الأشكال والدروب. (1)

****

(1) من هذه الأشكال والدروب ما يلى :

أولاً : الكتابات النقدية: سواء كانت حواراص أو مناظرة غير حية.

ثانياً : الحوار الحي: مثل مناظرات العلماء في مجالس الخلفاء والحكام أو بواسطة سفراء ومبعوثين.

ثالثاً : الرسائل والجوابات الخطية. رابعاً : كتب ترد على كتب.

(انظر في ذلك: "مناهج دراسة الأديان" ، ص٤٠٢، وما بعدها. وانظر أيضًا : حوار حول العقيدة بين المسلمين وأهل الكتاب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص٦٤ – ١٠٠) رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، إعداد الطالبة : ريمة شريف الصياد، سنة ٢٠٠٣م، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور.

ب) الأطوار التى مرَّ بها الغرب فى نقد النص الدينى.

الطور الأول : النظر فى الدين من سلطة الكنيسة وحدها .

إن معالجة الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدية شيء قريب العهد فى بلاد الغرب ، فقد ظل الناس يقبلون كتب العهدين القديم والجديد على ما هما عليه طيلة قرون عديدة.... وكان مجرد التعبير عن أى روح نقدية إزاء الكتب المقدسة خطيئة لا تغتفر. (1)

ويهتم هذا المدخل بتوضيح صورة مبسطة لما كان عليه الحال في الغرب قبل ظهور هذه الموجة العاتية من النقد الموجه للدين لدى الغرب، والسؤال المطـروح هنا هو هل هذه الموجة هى امتداد لموجات أخرى سابقة عليها، أم أنها جـاءت ردًا لفعل معاكس لتيارات عاتية أخرى كانت أشدَّ منها فأججتها حتى صارت على حالتها هذه !

ولاشك أن التيار النقدى كان جارفًا، فلابد من أن أمورًا بعينها كانت سببًا فى توصيله إلى صورته التى هو عليها. وهذا ما حدث بالنسبة لعلم نقد النص الـدينى لدى الغرب، فقد ظلت أوربا كلها ما يزيد على عشرة قرون في قبضة مـن حديـد، وذلك منذ ضعف أباطرة الرومان، ثم انهيار الإمبراطورية الرومانيـة فـى الغـرب (سنة٤٧٦م) مما أدى إلى ارتفاع شأن البابا فى أوربا. (2) إذ تهيأ للكنيسة سـلطان واسع النطاق، روحيًا بحكم وظيفتها، وسياسيًا بسبب ضعف الملوك والأبـاطرة. (3) "فسيطرت الكنيسة على كل شيء، حتى التعليم فى المدارس، واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس، وأدانت كل من جاهر بحقيقة لم تُقرِهًا من قبل، ومن لم يُذْعِن لهـا تحيق به اللعنة." (4)

---

(1) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، دارسة الكتب المقدسة فى ضـوء المعـارف الحديثـة لـــ "موريس بوكاى" ، ص٩ ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولى، سنة ١٩٩٦.

(2) انظر : "قصة الحضارة" ، ول ديورانت، المجلد الرابع ، ص١٥٠ ، ترجمة محمد بدران. لجنة التـأليف والترجمة والنشر. الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٣م. وانظر "أوربا العصور الوسطى" ، د. سـعيد عاشـور ، ص٥٤ ، ٥٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٨٣ – القاهرة.

(3) انظر: "قصة الصراع بين الدين والفلسفة" ، د. توفيق الطويل ، ص١٠ ، دار النهضة العربية ، سنة ١٩٧٩م.

(4) "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، د.أحمد على عجيبة، ص٦ ، دار الآفاق العربية – الطبعة الأولـى ، سنة ٢٠٠٤م.

وساعد على ذلك أن الملوك والأباطرة سلَّموا بهذه السياسة فـى اضـطهاد المخالفين(١) فهيمنت الكنيسة على كل شئ، ففرضـت سـيطرتها علـى الجامعـات الأوربية، وحولتها إلى معاقل للاستبداد وأوكار للرجعية. (٢) حيـث أدركـت أن فـى خروج الحركة التعليمية من قبضتها تعريضًا لسلطانها وتعاليمها للخطر والنقـد. (٣) وكان مما هيمنت عليه الكنيسة بشدة ميادين البحث العلمى، ففرضت عليه ما تـراه حقًا بالقوة مستندةً فى قوتها هذه على سلطانها الديني والدنيوي. (٤)

ويكفى دلالة على ذلك أن تفسيرات الكنيسة لنصوص العهد القديم، وخاصـة فيما يتعلق بقصة الخلـق أدت إلـى اسـتبعاد علـم (طبقـات الأرض)(٥)، و(علـم الحيوان)(٦)،وأصبحت الحقيقة – فى نظرهم – هى التى تكون فى ظـاهر نصـوص الإنجيل. (٧)

واحتكار الكنيسة لمجال البحث العلمى أدَّى إلى القـول بـالكثير مـن الآراء العلمية غير الصحيحة، وأدانت الكنيسة كثيرًا من العلماء الذين يشـتغلون بـبعض العلوم مستخدمة في ذلك أساليب متعددة مثل سجنهم لـ(روجـر بيكـون)(٨) سـنة

(1) "قصة الصراع بين الدين والفلسفة" ، ص١٠.

(2) انظر : السابق ، ص٤٧.

(3) "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى"، ص٦.

(4) انظر : السابق ، ص٧.

(5) علم طبقات الأرض : هو العلم الذى يعرف بالجيوعلوم Geoscience وهى مجموعة العلوم التى تتعلق بدراسة نشأة الأرض وتكونها وعلاقتها بالكون وتغيراتها تحت تأثير العوامل الداخلية والخارجية.

(6) علم الحيوان Zoology (باليونانية Zoon = حيوان وLogos كلمة أو دراسة) هى أحد فـروع علـم الأحياء (البيولوجيا) الذى يدرس جميع نواحى الحياة الحيوانية (انظر : "علم الحيوان" ، فهمى إبـراهيم خطاب، ص٧ ، دار المعارف ، سنة ١٩٩٩م.

(7) "قصة الصراع بين الدين والفلسفة" ، ص٤٧ – ٤٨.

(8) روجر بيكون Roger Bacon (١٢١٤-١٢٩٤م) كان يعمل راهبًا فـى أراضـى إحـدى الأبرشـيات الإنجليزية، وكان محبًا للقراءة والعلم والتعلم ،وهو من أوائل من نقل عن المسلمين العلم التجريبى إلـى الغرب (لأنه تعلم العربية وكان يحسنها) (انظر : "تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه" ، ص١٤٩، د. عبد الحليم منتصر ، ط ، دار المعارف، سنة ١٩٧٣م ، و"مناهج البحـث عنـد مفكـرى الإسـلام"، د. سامى النشار، ط. دار الفكر العربى ، سنة ١٩٤٧م.

١٢٩٢م مدة طويلة، بسبب اشتغاله بالبحث العلمى.[١] وفى المقابل تبنت آراء آباء الكنيسة، ورجال الدين، الذين أعطتهم وحدَهُم سلطان التأويل والتفسير.[٢]

ولأجل إعلاء الكنيسة من آراء آبائها ورجالها، والإعلاء من شأنهم والحط من آراء غيرهم من المخالفين لها؛ استخدمت كل أساليب القهر والتعذيب، فأقامت (محاكم التفتيش)[٣] لتعبر عن أشنع الوصمات فى تاريخ البشرية.[٤]

وقد تولت هذه المحاكم مطاردة المارقين وتعذيبهم، إلى حد إحراقهم وهم أحياء.[٥]

ونتيجة لذلك – وغيره مما لم يذكر – كان الأوربيون بين الحين والآخر يُظْهرون التمرد ولكن الكنيسة كانت تقهره مرة أخرى.[٦]

بدأ هذا التمرد فى صورته الأولى متمثلاً فى بعض الحركات الفردية من بعض المفكرين فى توجيههم النقد للبابوية أو رجال الدين "المسيحي" بوجه عام.[٧]

وكان أمر النقد فى أوله مقتصرًا على نقد الكنيسة فى بعض الأمور الأخلاقية والمادية، والتى تمثل بعضها في ثراء رجال الدين وترفهم، والضرائب البابوية التي كانت رأس الشكوى، ولم يتطور النقد فيغدو أكثر عمقًا وأشد تدميرًا إلا بعد ذلك، وذلك يوم أخذ يوجه سهامه إلى الحقيقة المركزية فى تعاليم الكنيسة.[٨]

---

(1) انظر السابق : ص٤٥.

(2) "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص٨.

(3) محاكم التفتيش: أسسها البابا لوسيوس الثالث (١١٨١ -١١٨٥م) ثم إنوسنت الثالث (١١٩٨ – ١٢١٦م) الذى يرتبط اسمه بقيام قيامها وخاصة فى المجمع اللاتيرانى الرابع سنة ١٢١٥م، واستمرت فى قمع الفكر المخالف بالحديد والنار والإرهاب لعدة قرون، عن هذا الموضوع ، راجع د.إسحاق عبيد : محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها، دار المعارف، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨م، قصة الحضارة ، مج٤ ، ج٥، ص٩٣ – ٩٥]

(4) انظر : السابق ، ص٩.

(5) انظر : "قصة الصراع" ، ص١١.

(6) "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص٩.

(7) انظر : السابق ، ص١٤.

(8) انظر: السابق ، ص١٧.

انتقلت هذه الصورة النقدية فأخذت شكلاً آخر غير صورته الفردية إلى قيـام حركات جماعية، تنقد الكنيسة؛ بل وتعارضها وتظهر عيوبها ومسـاوئها، وازدادت هذه الحركات جداً فى القرن الثالث عشر الميلادى، حتى إن ول ديورانت أوصلها إلى مائة وخمسين حركة. (١)

وكان من أهم الحركات التى أعلنت سخطها على الكنيسة حركة الكاثـاريين ومعناها (الأطهار). (٢) وقد انتشرت هذه الحركة فى نواحٍ كثيرة مـن أوربـا، عـاد أصحاب هذه الحركة بعقائدهم إلى "المسيحية الأولى".

ويوصف الكاثاريون – من قِبَل أعدائهم – بأنهم يرفضون (العشاء الربانى)(٣) والقداس وتعظيم الصور المقدسة، كما يصفونهم بأنهم يرفضون التثليث، ولا يؤمنون بأن "المسيح" ولد من عذراء ، وعندهم أن "المسيح" من الملائكة، وليس هو الله. (٤)

كما أنكروا أن الكنيسة كنيسة "المسيح"، وقالوا إن "بطرس" تلميذ "المسـيح" لم يأت قط إلى روما. (٥) ولم يؤسس البابوية، وأن البابوات خلفـاء للأبـاطرة، وأن

---

(1) "قصة الحضارة" ، مج٤ ، ج٥ ، ص٧٥.

(2) انظر : السابق، ص٧٨.

(3) يعتقد النصارى أن "المسيح" كان يوم عيد الفصح بمحل وبيده قطعة خبز وقدح خمر، فقال : هذه قطعة من لحمى والخمر دمى،فيصنع القسيسون فى هذا اليوم أقراصًا وخمرًا، ويقسمها البابا على النصـارى قطعـة قطعة على اعتبار كونها هى جسد المسيح ، وقصة العشاء الربانى فى إنجيل متى ٢٦/٢٠ – ٣٠ ومرقس ١٤/٧– ٢٦. (قاموس الكتاب المقدس ص٥٠٩، ٣٩٦).

(4) "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي" ، ص١٩.

(5) يذكر د. أحمد عجيبة فى كتابه "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي" فى هامش ص٢١ أن بـابوات رومـا يَّدعون أنهم خلفاء لبطرس – تلميذ المسيح – فهو مؤسس الكنيسة الرومانية – فى نظرهم – وأنـه أول من جاء بالمسيحية إلى روما ، فالعهد الجديد بالرغم من أنه يتحدث بالتفصيل عن حياة "بطرس" ونشاطه التبشيرى إلا أنه لم يذكر شيئًا عن ذهابه إلى روما، كما لم يؤكد التاريخ شيئًا من ذلك، ثم ينقل د.أحمـد كلام القس توفيق صالح الذى يقول فيه : ووصف المؤرخون كيفية سجنه وصلبه بالتفصيل غير أنـه لا يستطيع أحد تأكيد أين ؟ ومتى كان ذلك بالضبط ؟ انظر فى ذلك :

- "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٧٢ – ٧٣.
- "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص١٩.
- "قاموس الكتاب المقدس" ، ص١٧٧.

هم زمرة الشيطان، وأن البابا هو المسيح الدجال، وكانوا ينددون بالداعين إلى الحروب الصليبية بأنهم قتلة، فضلاً عن استهزائهم بصكوك الغفران[1] ، وغيرها من الأمور التى فرضها رجال الدين لدرجة أنهم شككوا فى صحة مبادئ روما فى التفسير الصحيح للكتاب المقدس.[2]

قاومت الكنيسة هذه الجماعة مقاومة شديدة، واستنفرت لذلك الحملات بهدف إبادتها والقضاء عليها، ونجحت فى ذلك لأنها تدعو إلى ذلك باسم الدين، حتى إنهم لم يرحموا منهم طفلاً ولا امرأة ولا شيخًا– وأعملوا فيهم الحرق والتقتيل بلا رحمة.[3]

هذه المقاومة لم تتمكن من إيقاف تيار النقد الذى وجّه إلى الكنيسة وأوليائها، فراحت الحركات والاتهامات للكنيسة وسُلْطَتها تزداد، وتتتابع كالسيل العارم، ولم تفتأ الكنيسة تخمد نيران هذه الحركات – غير متورِّعَة – مستخدمة أشنع الطرق وأبشعها.

---

[1] وصكوك الغفران : هى واحدة من تلك الادعاءات التى ابتدعتها الكنيسة وتعني أن يقوم كل واحد من النصارى بالاعتراف بذنوبه أمام الكاهن ويقوم بمراسم الكفارات لأنهم اعتقدوا أن المسيح منح الرسل – تلاميذه– سلطة غفران الخطايا وادعت الكنيسة أن هذه السلطة انحدرت بالتوارث من التلاميذ إلى المطارنة الأوليين، ومن بطرس إلى البابوات، ومن ثم وهبها المطارنة إلى القسيسين فى القرن الثامن، وقد مارسها القساوسة لأنها من أسهل الطرق جلبًا للأموال، حتى إن أحد القساوسة وهو يروج لبيع صكوكه، كان يقول للفلاحين الألمان إن صكوكه تغفر كل الخطايا وإن زنا مع العذراء مريم (انظر : "محاضرات فى النصرانية" ، ص٢٠٧،١٩٤ للشيخ / محمد أبى زهرة الطبعة الرابعة، مصر. والمسيحية ، للدكتور أحمد شلبى، ص٢١٤ ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥٠م، ولمزيد من التفاصيل انظر:

- "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص٥٣ –٥٦.
- "قصة الحضارة" ، مج٣ ، الجزء الثالث ، ص١٥١ – ١٥٢.
- "تاريخ المسيحية" ، ص٩٧ ، د. عزت زكى، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، سنة ١٩٨٠م.
- انظر أيضًا : "تاريخ الكنيسة" ، جـ٤ ، ص٣٩ ، جون لوريمر، ترجمة عزرا مرجان – الطبعة الأولى، دار الثقافة ، سنة ١٩٩٠م.

[2] "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص٢١.

[3] انظر : السابق ، ص٢٣.

الطور الثانى : صحوة العقل الأوروبى وانقسام الكنيسة.

شرع العقل الأوروبى منذ أوائل القرن الثانى عشر الميلادي يستيقظ من سباته على دعوات جديدة، نادى بها بعض الفلاسفة، وشرعوا يطالبون فيها بأن على الكنيسة أن تحرر العقل من قيوده، وتعتبره الحكم الذى يفصل في كل رأى، وأن يكون من حقه أن يناقش كل الأمور مناقشة حرة، حتى على حقائق الدين، وتعاليم الكنيسة المقدسة. [١]

وكان من أهم الدعوات التى أحدثت صيحة فى العالم الغربى دعوة "بطرس أبيلارد" **Abelard**. [٢]

اشتهر "أبيلارد" بكتاباته اللاهوتية، والتى من أشهرها – كتاب "مقدمة إلى اللاهوت" ، وكتاب "نعم ولا" [٣]، وهذا الأخير من أهم كتبه على الإطلاق، حيث إنه أوضح فيه التناقض بين أقوال آباء الكنيسة فى المسائل اللاهوتية. [٤]

يقول "ول ديورانت" عن مقدمة هذا الكتاب : إنها تنتقص من قيمة الاعتماد على آباء الكنيسة؛ لأنها تظهر ما بينهم من تناقض، بل إنها تظهر تناقض كل منهم مع نفسه. [٥]

ثم ظهرت العقلانية أكثر عند "إبيلارد" فى كتابه: "التوحيد والتثليث"، وقد انتشر انتشارًا واسعًا جدًا، حيث أعجب الناس بما فيه من دقة. [٦]

---

(1) "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" (هامش) ص٢٩.

(2) "بطرس إبيلارد" : **Abelard** فيلسوف فرنسي، من أشهر رجال القرن الثاني عشر في علم الجدل، كما أنه صاحب فلسفة الشك والتشكيك فى كل شئ حتى في طبيعة المسيح، يقول عنه د. عبد الرحمن بدوى: إنه أعظم شخصية في العصور الوسطى من حيث إيمانه بالعقل دون أن يحسب حسابًا للنقل ولا معتقدات الكنيسة، (انظر: "فلسفة العصور الوسطى"،ص٨٠– ٨١ ، د. عبد الرحمن بدوى ، ط دار القلم، الكويت س١٩٧٩م).

(3) "فلسفة العصور الوسطى" ، ص٨١.

(4) "قصة الحضارة" ، مج٤ ، ج٦، ص٧٤ ، وانظر: "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص٢٩.

(5) السابق : نفس الموضع.

(6) "قصة الحضارة" ، مج٤ ، ج٦، ص٧٦.

وقد أزعج هذا الفيلسوف الكنيسة جدًا ، وكان سبب إزعاجه أن الكنيسة تبينَت أن "أبيلارد" يفترض أنه لا أسرار فى الدين، وأن العقائد كلها يجب أن تكـــون قابلـــة للتفسير القائم على العقل. (١)

فكان موقفها منه موقف العداء الشديد، لأنهم يرون أن مـــن يحـــاول تفســـير الأسرار المقدسة بقواعد العقل والمنطق فهو المعصية والحماقة بعينهـــا، وأن العقـــل الذى يبدأ بتفسير هذه الأسرار الخفية ينتهى آخر الأمر إلى تدنيسها. (٢)

ومع مَقْدمِ عام ١١٢١م انعقد مجمع "سواسون Soissons" والذى قرر حـــرق كتاب "إبيلارد" – ومن غير أن يستمع إليه – وهو ذلك الكتاب الذي يتناول فيه عقيدة التثليث، كما اُستُدعِىَ "إبيلارد" وأُرْغِم على أن يُلْقى كتابه هذا في النار، ثم سُجِنَ فـــي أحد أديرة سواسون، .. وكان نتيجة لذلك أن تراجع عن بعـــض العقائـــد، أو حـــاول تفسيرها بما يراه رجال الدين مناسبًا.(٣)

انتقل العقل الأوروبي بعد "إبيلارد" إلى مرحلة أعمق ، من حيث تناول بعـــض الأمور التفصيلية المتعلقة بالعقائد المسيحية، فظهر بعض الفلاســـفة يتحـــدثون عـــن ماهية العلاقة بين الله والإنسان.

من هؤلاء (هوجن ويكلف، ١٣٢٠- ١٣٨٤م Wycliffe)، أســـتاذ اللاهـــوت الإنجليزي الذى ذهب إلى أن العلاقة بين الله والإنسان علاقة مباشرة لا تحتـــاج إلـــى وساطة الكنيسة، وأن أعظم ما تحتاجه الكنيسة هو التخلص مـــن أملاكهـــا الدنيويـــة المتزايدة وقال: "إن المسيح والقديسين لم يأتوا إلى الناس بشيء من صكوك الغفران، وأن الأحبار يخدعون الناس بصكوك الغفران الزائفة، وينهبون بذلك أموالهم لعنةُ الله عليهم"(٤)

---

(1) انظر السابق : ص٨٦.

(2) انظر السابق : ص١٧.

(3) "قصة الحضارة" ، مج٤ ، ج٦ ، ص٧٦ – ٧٧.

(4) انظر : "قراءة منهجية للإسلام" ، ص٩ ، د. كامل النجار – مطبعة تالة للطباعة والنشـــر – طـــرابلس– الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى – الطبعة الأولى (١٤٢٥ – ٢٠٠٥م).

ثم امتد الأمر شيئًا فشيئًا وبمرور الزمن حتى حكَّم العقل الأوروبي نفسه في مسائل دينية خلقت للكنيسة مشكلات لم يستطع رجال الدين أن يوجدوا لها حلاً.

وقد هبَّ جماعة من المسيحيين للخروج على الكنيسة الكاثوليكية ونددوا بعيوبها، وشهَّروا بمفاسدها [1]، وكان من أهم هؤلاء جميعًا الزعيم "مارتن لوثر Martin Luther" [2] الذى بدأ خروجه على الكنيسة الكاثوليكية برفضه للشهادة على فاعلية صكوك الغفران التى يصدرها البابا ويتم الإتّجار فيها، وأن ذلك "قد أضعف الإحساس بالندم الذى يجب أن يثيره ارتكاب الإثم وجعل الخطية تبدو أمرًا تافهًا يمكن تسويته وُدِّيًّا بصفقة تعقد مع بائع يتجر بالغفران. [3]

كما وصف "مارتن لوثر" البابوات بقوله : "إن الباباوات أسوأ من الأباطرة الوثنيين، وإن اثنتى عشرة فتاة عارية كن يقمن بخدمة رجال البلاط البابوي وقت ذلك". [4]

التف حول "لوثر" عدد من علماء اللاهوت، واحتدم الصراع جدًا بينهم وبين الكنيسة، فعلا صوت "مارتن لوثر" قائلاً : "إن البابا زعيم لصٌ، وإن عصابته تحمل اسم الكنيسة، وروما بحرٌ من الدنس وحمأة من القذارة، وبالوعة ليس لها قرار من الظلم، ألا يجدر بنا أن نتقاطر من كل حَدْبٍ وصَوْبٍ لنقوم بإزالة هذه اللعنة الشائعة التى حاقت بالبشرية ؟!" [5]

مثلت نداءات "مارتن لوثر" ومن آزره من علماء اللاهوت إرهاصات قوية لثورة إصلاحية قادمة شعارها تغيير أوضاع الكنيسة.

---

(1) انظر : "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي" ، ص٣٩.

(2) مارتن لوثر : Martin Luther ، ولد لوثر سنة ١٤٨٣م فى ألمانيا، تفرغ للدراسات اللاهوتية فدخل دير الرهبان الأوغسطينيين، عُيِّن قسيسًا لرعاية كنيسة كنتبرج بألمانيا، ثم ذهب إلى الحج إلى روما وهناك هاله ما رأى من مظاهر الفساد والانحلال الخلقي بين طبقات الكنيسة، ومن ثم أصبح مشغولاً بوضع خطة لإصلاح الكنيسة (انظر : الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص٥٤٩، ص١٦٩ ،ص١٥٧).

(3) انظر : "قصة الحضارة" ، مج١٢ ، ج٢ ، ص٥٨.

(4) السابق، ص١٥.

(5) السابق ، ص٢٦.

غير أنه كان هناك عوامل أخرى تآزرت مع حركة "لـوثر" وجماعتـه التـى ساعدت على ظهور الحركة الإصلاحية، ومن ذلك : الانشقاق الديني الكبيـر، والـذى يطلق عليه أيضًا انشقاق الغرب، وكان نتيجةً عن الأسر البـابلي.[1] لمـدة اثنتـين وسبعين سنة (١٣٠٥م – ١٣٧٧م) –والذى كان فى فرنسا– حيث إن البابوات كانوا غير راضين عن بقائهم في فرنسا، لأن البابوية استمدت نشأتها وهيبتهـا فـى نظـر العالم الغربى من كرسى "القديس بطرس" فى روما.[2] فلما استجاب البابا "جريجورى الحادي عشر" (Pop Gergory XIII) (١٣٧٠م–١٣٧٨م) وأخذ يسترضي "الملـك فيليب" (Philippe) ملك فرنسا وذهب إلى روما، أدرك سكان روما بأن الفرصـة قـد واتتهم، فطلبوا من الكرادلة انتخاب بابا جديد على الأقل من إيطاليًا ، إن لم يكن مـن أبناء روما فاختاروا "إيريان السادس" (١٣٧٨م – ١٣٨٩م) لكرسى البابويـة ، ممـا أثار الكرادلة الفرنسيين على هذا الإجراء، وأخذوا يُلحّوُن على البابا الجديد فى الانتقال إلى أفنيون (Avignon)، ورفض البابا أن يُزْعن لهذا الإلحاح، وأمام هذا الرفض لم

---

[1] الأسر البابلي : هو ذلك الذي حدث في فرنسا، نتيجة أن البابا "يونيفاس الثامن" (١٢٩٤–١٣٠٣م) أنكر على ملوك الدول حقهم في فرض الضرائب، ووضع مرسومًا بابويًا سماه (يونام سانكت) ومضمونه : أن السلطة الدينية والمادية في سلطان الكنيسة ، والسلطة الدينيـة تسـتخدم للكنيسـة بواسـطة الكـاهن وموافقته، كما أن السلطة الدنيوية تخضع للروحية، وعليه فإذا أخطأت السلطة الدنيوية تعاقبهـا القـوة الروحية (الكنيسة) ، وإذا أخطأت الروحية فلا يدينها إلا الله وحده، أغضب هذا المرسوم الملـك فيليـب الرابع ملك فرنسا، لدرجة أنه دعا إلى عقد مجمع عام للكنيسة لمحاكمة البابا، ولكن هـذا المجمـع لـم ينعقد، فأرسل الملك قوة سجنت البابا "يونيفاس" في الوقت الذى أراد فيه البابا أن يصدر الأمر بحرمـان فيليب ، وقد سبب هذا الأمر صدمة قوية للبابوية، اغتنم "فيليب" فرصة موت البابا ، فقام بالضغط علـى البابوية في اختيار أحد الكرادلة الفرنسيين لمنصب البابوية باسم "كلمنت الخـامس" (١٣٠٥م– ١٣١٤م) وقد آثر البابا أن يبقى في فرنسا فأرسل إلى الكرادلة يستدعيهم لمقابلته في "ليون" فتمت فيهـا مراسـم التنصيب بدلاً من روما، ولم يذهب إلى مقر كرسيه البابوى وآثر البقاء فى فرنسا وأخذ يسترضى الملـك فيليب ملك فرنسا، وقد امتدت مدة البابوية فى فرنسا اثنتين وسبعين سنة (١٣٠٥م–١٣٧٧م) حتى جاء عهد البابا جريجوري الحادي عشر إلى روما وانتهت الفترة المسماه بـ "الأسر البابلي".

– انظر : "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص٤٢ –٤٣.

– انظر : "أوربا فى مطلع العصور الوسطى" ، ص٢٧.

– انظر : "تاريخ الكنيسة " ، مج٤ ، ص٣٠ –٣١.

[2] انظر : "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص٤٤ ، و"الموسوعة الميسرة" ، ص٥١٣.

يسع الكرادلة الفرنسيين إلا أن يطعنوا بالبطلان فى قرار انتخاب "إيريـــان الســـادس"، واختاروا "كلمنت السابع Clement" (١٣٧٨م-١٣٩٤م) لكرسى البابويـــة علـــى أن يقيم في أفنيون Avignon. [(١)]

انقسم العالم المسيحي الغربي إلى معسكرين كبيرين :

أحدهما : يناصر البابا "إيريان السادس" ، ويضم إنجلترا ومعظم ألمانيا والمجر وبولندا وأمراء شمالى إيطاليا.

والمعسكر الآخر : يؤيد البابا "كلمنت السابع" ويضم فرنسا، وأسبانيا ونـابولي، وصقلية، فكان هذا مطلع الانشقاق الدينى الكبير. [(٢)]

تسبب هذا الانشقاق فى فقدان البابوية هيبتها ففكر بعض الكرادلة فى إيجـــاد حل لهذا الموقف، فعقدوا مجمعًا كنسيًا فى مدينة بيزا في إيطاليا سنة ١٤٠٩م، ضـــم عددًا كبيرًا من الكرادلة، وقادة الفكر السياسيين، فقرروا خلع كل من بابا روما وبابـــا أفنيون، واختاروا البابا "اسكندر الخامس". وقد أدت هذه المحاولة إلى تصعيد الموقف؛ إذ رفض كل من بابا روما وبابا أفنيون التخلي عن منصـــبيهما، فغـــدا فـــى العـــالم المسيحى الغربى ثلاث بابوات، وأصبح الانقسام الدينى ثلاثيًا...وأصبح كل فريق يعمد إلى تسفيه منافسَيْه، ويطعن فيهما، وفي صلاحيتهما لتولى كرسى البابوية، ولم يتورع بعضهم عن إصدار قرار الحرمان ضد البابا الآخر. [(٣)]

وقد تزامن مع هذه الأحداث فى الغرب انتشار بعض الاعتقادات الخاصة علـــى أيدى رجال الكنيسة، كان الغرض منها التأكيد على الحاجة إلى رجال الدين عنـــد أداء مثل هذه العقائد، والتى لا يمكن أدائها بدون رجال الدين. [(٤)]

---

(1) "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص٤٤.

(2) انظر : السابق، ص٤٥، وقارن أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ص٣٥٥، د.محمد شكرى ، ود.محمد أنيس ، الجزء الأول، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٦١م.

(3) انظر : السابق ، ص٤٦ ، وقارن أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ص٣٥٦.

(4) انظر : السابق فى نفس الموضع ، والمقصود بهذه العقائد ، مسألة صكوك الغفران، ومسألة الاســـتحالة (العشاء الربانى) ، انظر ما سبق من هذا البحث هامش ص١٩ ، وهامش ص٢٠). وانظر : "فـــى الـــرد على بطلان هذه العقيدة (العشاء الربانى)" : محاضرات فـــي النصـــرانية ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ، وراجـــع "إظهار الحق"، لرحمة الله الهندي ، مج٣ ، ص٧٠٥، ص٧٢٤.

وفى ذات الوقت انبرت أوربا كى تطَّلع بنفسها على علـوم اليونـان وآدابهـم وفنونهم القديمة باللغة اليونانية، وكانت باكورة نشاطها فى هذا الشأن تنقيبها عـن الآثار الأسطورية، وتفسير ما ترمز إليه من عقائد أو حوادث تاريخية. (١)

ولم تلبث الأحداث – نتيجة لكل ما سبق – أن ساعدت علـى ظهـور حركـة الإصلاح المسيحى (البروتستانتية) فى منتصف القرن السادس عشر. (٢)

"والتى وجدت أرضًا خصبة لقبولها بين الأوربيين فى ظل المتغيرات الثقافيـة المختلفة. (٣) وكان من أهم القرارات التى تبنتها الثورة البروتستانتية **هو أنه ليس للبابا الحق فى احتكار تفسير الكتاب المقدس**". (٤)

"ورغم ذلك كله لم تكن الثورة البروتستانتية كافيـة لإقنـاع العقـل الأوربـي بالمسيحية... ولذلك لم يَقْنَع المفكرون الأوربيون بهذه الثورة وقـاموا هـم أنفسـهم بمحاولات أخرى للتخلص أو التحرر من الدين المسيحي؛ ما دام الإصلاح متعسرًا." (٥)

---

(1) انظر : الدين : بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، ص١٥.

(2) ولفظ البروتستانت : أى المحتجون ، وقد أطلق عليهم ذلك لاحتجاجهم على قرارات المجامع الكاثوليكيـة التى اجتمعت لتتخذ قرارات ضدهم، حيث قررت هذه المجامع إقامة الطقوس الكاثوليكية على أرض هؤلاء المحتجين ولم يمنحوهم الحق فى إقامة القداس طبقاً لمذهبهم (اللوثرى نسبة إلى مارتن لوثر) فقـالوا : إننا نحتج ولا نستطيع الإذعان إلى هذا القرار ووقَّع على احتجاجهم هذا خمسة أمراء وحكام أربع عشرة مدينة. (انظر : هامش ص٦٢ ، من "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى") ، وقارن ("أوربـا فـى مطلـع العصور الحديثة" ، ص٤٠٦ – ٤٠٨).

– ومن أهم أعلامها (جون كوليت ١٤٦٩ – ١٥١٩) (وتوماس مور ١٤٧٨ – ١٥٣٥) (وديسيد بـروس إبرازموس – ١٤٦٩ – ١٥٣٦) حيث ساهم هؤلاء فى الإعداد للحركة – أما أبرز قادتها مـن أصـحاب الدور الأكبر فى ظهورها فهم : (مارتن لوثر ١٤٨٣ – ١٥٤٦) (وروينجلى ١٤٨٤ – ١٥٣١م).

– انظر : عن الثورة البروتسانتية :

– "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص٥٧ – ٦٧.

– "قصة الحضارة" ، مج٦ ، الجزء الأول ، ص٦٣، وما بعدها.

– "تاريخ الكنيسة " ، الجزء الرابع، ص٥٥.

– الموسوعة الميسرة ، ص٥٤٩.

(3) "أثر الكنيسة على الفكر الأوروبى" ، ص٥٧.

(4) السابق : ص٦٣.

(5) السابق : ص٦٨.

تزامن مع ذلك الوقت فى أوربا أن عمَّت أوربا موجة من التعصب الكنسي لـم يسبق لها مثيل، وتبارت المدن الأوربية في إنشاء محاكم التفتيش التـى كانـت قـد انطلقت من أسبانيا فى عام ١٥٥٣م حيث رموا الطبيب الأسبانى "ميكائيل سرفيتوس" "Maguel Servetos" بالهرطقة وحكموا عليه بأن يُحْرق حيًّا مع كتبه، لا لشـيء إلا لأنه رفض أن يؤمن "بتعميد الأطفال"[1] "Christening" بعقيدة التثليـث التـي تؤمن بـ "الله والابن والروُح القدس" ، ونُفذَ الحكم يـوم ٢٧أكتـوبر/ تشـرين الأول ١٥٥٣م. [٢] وكانت فرنسا هى الأخرى فى قبضة محاكم التفتيش لدرجـة أنَ رجـال الكنيسة فى فرنسا لمَّا شعروا أن سويسرا فازت بجائزة حرق "سرفيتوس" صنعوا لـه تمثالاً ثم أحرقوه حتى لا يفوتهم أجر حرق الملحدين. [٣]

"وقام زعيمهم "ميلانكتون Melanchton" فخطب فـيهم قـائلاً : إن حـرق سويسرا لهذا الطبيب ليدل على الورع ، ثم تجرأ شخص من سويسـرا فـدافع عـن الطبيب "سرفيتوس" تحت اسم مستعار، وكان هذا الشخص هو "جوريس البازلى" فلما مات هذا الرجل اكتشفت الكنيسة أنه هو الذى دافع عن سرفيتوس، فقاموا بنبش قبره وأخرجوا جثته وأحرقوها عام ١٥٦٦م."[٤]

"غير أن أهم ما نتج فى أوربا عن ثورة الإصلاح البروتسـتانتى أنهـا كانـت مكملة لجانب من جوانب النهضة العلمية الذى بدأ يظهر فى أوربـا، وهـو التمهيـد لدراسة اللغة العبرية، واللغات السامية الأخرى، بُغْيَـة الـتَّفهمُ لنصـوص التـوراة والإنجيل، والتى كان رجال الإصلاح يتمسكون بحرفيتها." [٥]

---

(1) تعميد الأطفال : يعتقد النصارى بأنه يجب أن يعمد الأطفال فى مياه يشبهونها بمياه الطوفان فـى زمـن نوح، فهو ماء الحياة الذى حمل السفينة وجعلها تطفوا فأحيا البشرية كلها، انظـر : "القـرآن والتـوراة والإنجيل" ، ص٥٨- ٥٩ ، و"قاموس الكتاب المقدس" ، ص٦١٢ ، قارن إنجيل متى (١٩/٢٨، وإنجيل مرقس ١٦/١٦).

(2) انظر : "قراءة منهجية للإسلام" ، ص٩.

(3) انظر: السابق : ص٩، وانظر : "الفكر المصرى فى العصر المسيحى"،لـ د . رأفت عبد الحميد، ص٢١٠ – الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة – وانظر النص المؤسس ومجتمعه – تأليف – خليل عبد الكـريم – منشورات الجمل – دار مصر المحروسة ، ص١٧٥.

(4) السابق ، نفس الموضع.

(5) الدين ، "بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان" ، ص١٥.

الطور الأخير : استقلال علم نقد النص الدينى لدى الغرب خلال القرنين الأخيرين:

تتابع الرحَّالة من الفريقين (الكاثوليك – البروتســتانت) ليهتمــوا بالأقطــار الجديدة فى آسيا وأمريكا ومجاهل أفريقيا... حتى كان آخر القرن الثامن عشر، وهو الوقت الذى نشطت فيه حركة التأليف فى وصف هؤلاء القوم وعوائدهم[1]، وهنالك إشرأبت العقول إلى السؤال عما كانت عليه ديانة الإنسان الأول، وبُــذِلت محــاولات لتحديدها فى ضوءَ القياس على ديانات هؤلاء البدائيين، كما بُذِلت محاولات لاستنباط الطريق الذى سارت فيه الديانات منذ نشأة الإنسان، ومعرفة أســلوب تطورهــا، أو تولدُ بعضها من بعض.[2]

وفى هذا الوقت بدأ يظهر علم مقارنة الأديان فى الغرب، فــى وقــت كــان الصراع بين الدين والعلم على أشده، "عندما كان العلماء يتجهون اتجاهًــا معاكسًــا تمامًا لاتجاه الكنيسة وباباواتها، مع تدهور بيِّنْ فى نظام الكنيسة ، وضعفٍ واضــح فى سلطتها التى كانت تتمتع بها عبر العصور؛ وبخاصة فى العصور الوسطى، وقوةٍ نسبيةٍ اكتسبها العلماء نتيجة ما توصلوا إليه من اكتشافات أقنعت الناس بقيمتهــا، وجذبتهم إلى رحابها، يحاولون فهمهــا، ويقّــدرون رجالهــا، ويــذهبون وراءهــم يُشْهِدونَهُم ويستفتونهم، ليس فقط فى مسائل العلم الطبيعى وموضوعاته، إنما فــى جميع ما يتعلق بالحياة الإنسانية فى أبعادها المختلفة، ومناحيها المتعــددة. الأمــر الذى جعل العلماء يخوّلون لأنفسهم سلطة إخضاع كل شئ لمقاييسهم المادية، وبحث كل شيء فى ضوء مناهجهم التجريبية." [3]

"إنَّ انبهار الغرب بما توصل إليه العلم الطبيعى والذى حَســبوه أنــه يمتلــك القدرة على بحث كل شئ متعلق بهذه العوالم المختلفة، وأنه هو الوسيلة الوحيــدة

---

(1) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(2) السابق : ص١٥.

(3) "مشكلة المنهج فى علم الدين المقارن فى الغرب" ، د. دين محمد ، ص١٩٠ ، بحث فى حولية الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام أباد ، العدد الأول ١٤١٤ هـ – سـنة ١٩٩٣م. وانظـر أيضًـا Western Criticism on Christianity in 20th Century .page :13-14 ، رسـالة ماجسـتير، الجامعـة الإسلامية بباكستان، إعداد دراخشان أعظم ، إشراف : د.محمد عبد الله الشرقاوى.

التى يمكن أن يُعْرف بها الخير والشر، وبه يحسم الخلاف فى كل ما يتعلق بالإنسان والكون والله جعلهم يُسلّمون للعلماء فى كثير من الأمور ويظنون أن العلم الطبيعى لديه الإجابة على كل سؤال وعنده القدرة على بحث كل شيء". (١)

وقد تزامن مع هذا الانبهار مجموعة من الظروف المختلفة من أهمها : انتصارات غربية فى ميادين العلم والسياسة، وانحطاط وتدهور فى أنظمة الكنيسة، وتأييد شعبى للعلم والعلماء، وكان العلماء فى مواجهتهم مع الكنيسة فى وضعٍ يمكنهم من رد الصاع صاعين، ونتيجة ما فعلته الكنيسة بالعلماء فى بداية العصر الحديث لجأ العلماء فى وضعهم الجديد إلى الثأر من أصحابها. (٢)

فى هذا الجو المشحون بالحماس للعلم وأهله بدأت مرحلة ظهور علم الدين المقارن فى الغرب. ويعبر أحد علماء الغرب عن هذه المرحلة بقوله : "يبدو العلم كاسحًا كل ما أمامه، وفى سكرة النجاح بدأ قادرًا على بيان كل شئ، وفى عقول الكثيرين كان هناك اقتناع بأن فجر عصر جديد قد بزغ، وأن الإنسان بقدراته المستقلة على وشك التغلب على جميع العقبات التى تعترض طريقه نحو التقدم والسرور، وأما فيما يتعلق بالدين والإله فلن تكون هناك أى حاجة إليهما"(٣)

احتدم الصراع بين العلم والدين فى الغرب، فظهر علم الدين المقارن فى هذا الجو ليكون جسرًا بين العلم والدين، لأن الغرب يرى أنه بما أن العلم والدين يمثلان نقيضين لا يجتمعان يمكن أن يكون هناك علم للأديان ينصف الاثنين. (٤)

"ظهر علم الدين المقارن فى الغرب أوّل ما ظهر كاتجاه جديد يحاول دراسة الأديان من وجهة نظرٍ علميةٍ صِرْفةٍ، وإن كانت طبيعة هذه النظرة العلمية وحدودها

---

(1) السابق ، ص١٩٠.

(2) انظر : السابق ، ص١٩١.

(3) السابق ، ص١٩١ ، والباحث المقصود هو Elliot Bomms . L.E, فى كتابه : (Religion in the victorion Era" p.165, (2nd Edition , London – 1946)

(4) E.J. Sharpe in "Comparative Religion : Ahistory"p.28.

وعلم الأديان هو الاسم الذى أطلقه "ماكس موللر" لعلم الدين المقارن، ويعرف اليوم بالإضافة إلى هذين الاسمين بتاريخ الأديان فى بعض الأحيان "والدراسة العلمية للأديان" أو "الدراسات الدينية" فى بعض الجامعات كما في جامعات جنوب أفريقيا حيث يدعى باسم "التراث الدينى" (انظر: مشكلة المنهج فى علم الدين المقارن فى الغرب، ٢٠٨).

غير محددة، وكان هناك اتفاق على أن تكون هذه الدراسة العلمية مبنية على معطيات بعيدة عن مُسلَّمات الكنيسة ومبادئها "اللاهوتية الموروثة."[1]

وعلى الرغم من أن علم مقارنة الأديان فى الغرب (فى هذه الفترة) كان علمًا مبنيًا على مقارنةٍ علميةٍ محايدةٍ لجميع الأديان أو على الأقل للأديان العالمية الكبرى فإن مفاهيم الكلمات التى تم استخدامها فى هذا السياق لم تكن واضحة محددة فى أذهان الناس، ولا فى أذهان العلماء. ما المقارنة ؟ وما العلمية ؟ وما المحايدة وحدودها؟ ثم ما الدين نفسه؟ [2]

غير أنه كان من المعلوم لدى الغرب أن علم الدين المقارن لابد وأن يتوقف على توافر ثلاثة شروط أساسية، وهى أولاً : وجود دافع قوى للقيام بالدراسات المقارنة حول الأديان.

ثانياً : توافر المادة العلمية اللازمة..

ثالثاً : منهج مقبول لدى الجميع يُنَظِّمُ هذه المادة العلمية ويجعل منها بناءً محكمًا.[3]

واستطاع علم الدين المقارن فى الغرب فى فترته الأولى أن يوفِّرَ الشرطين الأولين لأنه كانت لديه الرغبة الأكيدة لفهم الأديان، ودافع قوى لإجراء مقارنات بينها. وقد اتجهت أنظار العلماء إلى أديان الأرض المختلفة التى كان يُنْظَرُ إليها من قبل على أنها وثنيات لا يليق بالعالم المسيحى الاهتمام بها ولا دراستها. [4]

"وفى هذه المرحلة صار علم الأديان ذات شعبتين : شعبة جديدة مبتكرة، وشعبة قديمة نالها شيء من التجديد. [5]

فأما الشعبة القديمة : فهى تلك الدراسات الوصفية، التحليلية الخاصة بملَّة معينة؛ وهى التى يمكن أن تعرفّنا بنشأة ديانة ما، وحياة مؤسسها، ومقومات عقائدها وعباداتها، وأسباب انتشارها وألوان تطورها...وهذه الشعبة هى المشهورة باسم "تاريخ الأديان".[6]

---

(1) "مشكلة المنهج فى علم الدين المقارن " ، ص١٩٢.

(2) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر: السابق ، نفس الموضع.

(4) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(5) الدين ، "بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان " ، ص١٥ ، ١٦.

(6) انظر : السابق ، ص١٦.

"وأما الشعبة الجديدة المبتكـرة فهـى ضـرب مـن الدراسـات النظريـة، والاستنباطات الكلية التى تهدف إلى إشباع نهمة العقل فى التطلع إلى أصول الأشياء ومبادئها العامة، حيث تتفرع منها جزئياتها وتفصيلاتها." (١)

وانبثق من هذه الشعبة جيل النقاد المعاصرين الذين تـأثروا بنقـد علمـاء المسلمين لنقد الكتاب المقدس بعهديه خاصة العهد القديم. (٢)

فقد نشأ فى القرن السابع عشر الميلادى ما يمكن أن يسمى بالنقد التاريخى للكتاب المقدس على أيدى كل من ريتشارد سيمون **R.Simon** (١٦٧٨م) (٣) و"جان استروك" (١٧٥٣م) **J. Austyuc** (٤) ، و"باروخ اسبينوزا" (١٦٣٢م) **Spinza**(٥).

ويصف الأستاذ الدكتور "حسن حنفى" أعمال "ريتشارد سيمون" بأنها كانـت مبادرة كبرى ، وفاتحة طيبة للنقد العلمى الحديث للكتاب المقدس. (٦)

---

(1) انظر : السابق ، ص١٧.

(2) أثبتت الدراسات المقارنة الحديثة تأثر النقاد الغربيين العلماء المسلمين فى نقد الكتاب المقدس (ومن تلك الدراسات: مقدمة د. حسن حنفى لكتاب "رسالة فى اللاهوت والسياسة")، ونقد النص بـين ابـن حـزم (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ) وسبينوزا ، د. محمد الشرقاوى.

(3) ريتشارد سيمون (١٦٧٨م) من أوائل النقاد للعهد القديم الذين رفضوا أن يكون موسى هو كاتب الأسفار الخمسة ولا لجزء منها، ومن أهم أعماله النقدية :

- التاريخ النقدى لنصوص العهد العتيق.
- التاريخ النقدى لترجمات العهد العتيق ويشرح فيه ظهور الترجمات - ونقلها واختلافاتها.
- التاريخ النقدى لترجمات العهد الجديد.

انظر مقدمة : د . حسن حنفى لرسالة فى اللاهوت والسياسة ، ص١٩.

وانظر أيضًا "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" لـ "موريس بوكاى" ص٣١.

(4) جان استروك (١٧٥٣م) كان الطبيب الخاص للويس الخامس عشر، وكانت له اهتمام بالكتب المقدسـة، نشرت له دراسة بعنوان "قرائن عن المذكرات الأصلية التى يبدو أن موسى قد استخدمها لتحريـر سـفر التكوين" أكد فيها على وجود نصين جنبًا إلى جنب، الأول فيها يسمى الرب (يهـوه) ، والثانيـة يسـميه (الوهبة). انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٣٢. وانظر أيضًا اتجاهات نقـد العهـد القـديم ص١٥٩،د. محمد خليفة حسن ،ود. أحمد محمود هويدى- دار الثقافة العربية س٢٠٠١-الطبعة الأولى.

(5) هو الفيلسوف الهولندى باروخ اسبينوزا **Spinozo** (١٦٣٢ - ١٦٧٧م) من أكبر نقـاد التـوراة مـن علماء اليهود ، بنى نقده للتوراة على أساس معرفته للخلفية التاريخية والنقدية للكتاب المقدس، انظـر : رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ص٦ ، ترجمة د. حسن حنفى ، ط٣ ، مكتبة النافذة ، س٢٠٠٥م.

(6) انظر: سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ، مقدمة الدكتور حسن حنفى ، هامش ص١٨-١٩.

كما اتخذ نقد الكتاب المقدس شكلاً آخر من أشكال النقد التى وجهت إليه، حين وضع "إيكهارن" Eicharn سنة ١٧٨٣م[1] نظرية البحث عن مصادر الكتاب المقدس، وقد اقترح كل من "جديس" Gedds سنة ١٧٨٢) [2] و"فاتر" Vater سنة ١٨٠٢م) [3] ، "دى فته" Vette سنة ١٨٠٥م مصادر له[4]. بينما وضع "فلهاوزن"[5] نظرية المصادر الأربعة للكتاب المقدس.[6]، كما شكك "فولتير" فى القرن الثامن عشر فى أسفار نشيد الإنشاد والجامعة.[7]

ويعد القرن التاسع عشر عصر النقد بفضل النقاد البروتستانت تحت تأثير المدرسة الهيجلية التى روّج لها رينان Renan فى فرنسا، وانقسم النقد إلى مدرستين :

١- **المدرسة الأسطورية** : وأشهرها روادها (اشتراوس ورينان).[8]

٢- **المدرسة النقدية** : وغالبية أصحابها من أنصار النقد العقلى أو النقد العلمى (التاريخى) للنصوص.

---

[1] إيكهارن (١٧٨٣م) – اكتشف بنظريته "البحث عن مصادر الكتاب المقدس" أو "نظرية الوثائق القديمة" وجود نصين فى الكتاب المقدس ، لكل منهما أسلوبه المختلف عن الآخر، انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٣٢.

[2] جديس : هو "الكسندر جديس" الإنجليزى، أسس ما يعرف باسم نظرية الأجزاء، ومؤدى هذه النظرية أن التوراة عمل مؤلف من مجموعة أجزاء وفصول غير مترابطة وغير متناسقة. (انظر: اتجاهات نقد العهد القديم" ، ص١٦٠).

[3] فاتر : هو الذى نقل نظرية الأجزاء عن الكسندر جديس إلى ألمانيا فطورها ونشرها (انظر: "اتجاهات نقد العهد القديم" ، ص١٦٠).

[4] ف.م. دى . فته : هو أشهر تلاميذ فاتر، وهو الذى طور نظريته حتى وجد أن القوانين تمثل جوهر التوراة ، وبخاصة سفر التثنية (انظر: "اتجاهات نقد العهد القديم" ، ص١٦٠.

[5] فلهاوزن أو لهاوزن (١٨٨٠م) : صاحب النظرية التى يطلق عليها "نظرية النقد العالى"أظهر أصحابها أن المصدر اليهودى أقدم مصادر التوراة ، انظر : "اتجاهات نقد العهد القديم"، ص١٦٤.

[6] انظر : "فى مقارنة الأديان" ، بحوث ودراسات ، هامش ص٦٥ ، ٦١. وانظر : "رسالة فى اللاهوت والسياسة" ، ص١٨ ، ١٩، ومؤدى هذه النظرية وجود أربعة مصادر مختلفة تكون نص التوراة :

١- المصدر اليهوى. ٢- المصدر الألهيمى. ٣- المصدر الكهنوتى.

٤- سفر التثنية (انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٢٧).

[7] انظر : مقدمة د. حسن حنفى لترجمة كتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة، ص١٩.

[8] انظر : السابق ، نفس الموضع.

وفى العصر الحاضر نشأت أزمة التجديد بعد نشأة (المنهج الفينومولوجى)[١] وفلسفة الوجود واعتبار النص جزءًا من مؤلِّف وتعبيرًا عن تجربة حية للجماعة الأولى التى نشأ فيها النص.[٢]

"وعلى الرغم من أن علماء مقارنة الأديان كانوا يملكون شجاعة نادرة عندما ظهروا فى وسط يعجُّ بالعداء نحو الأديان غير المسيحية ليخاطبوا العلماء باسم الدين، ويخاطبوا أصحاب الكنيسة باسم العلم، ويحاولوا التوفيق بين العلم والدين، ثم وفوق هذا كله – يُصَرِّحُون أمام أرباب الكنيسة – الذين يَعْتبرون كل دين غير المسيحية ضلالاً وكفرًا وعملاً من أعمال الشيطان- بأن الأديان الأخرى أيضًا تستحق الدراسة والبحث بل الاستفادة منها، وأنها تشتمل مثل المسيحية على شئ من الحق."[٣]

أقول : على الرغم من امتلاك علماء مقارنة الأديان فى الغرب لشجاعة نادرة عندما ظهروا فى مثل هذا الوسط العدائى، وعلى الرغم من نجاحهم فى توفير الشرطين الأوَّلين من الشروط الثلاثة الأساسية لقيام علم الدين المقارن[٤] إلا أنهم لم يستطيعوا أن يوفروا الشرط الثالث (المنهج المقبول لدى الجميع) بل ظل الأمر – أمر المنهج المناسب- هو القضية الكبرى التى شغلت الباحثين فى مقارنة الأديان منذ البداية وإلى يومنا هذا، حتى أصبح البحث عن المنهج المناسب وتقويم المناهج

---

(1) والمقصود بالمنهج الفينومولوجى Phenomenological أو المنهج الظاهراتى ، هو ذلك المنهج الذى استحدث لدراسة الأديان لدى الغرب، ويقوم على دراسة الظاهرة الدينية فى الأديان المختلفة، بصرف النظر عن دراسة الدين من حيث مكان وجوده وهل هو دين سماوى أو غير سماوى. (انظر: "مناهج دراسة الأديان فى الغرب فى القرن العشرين" ، ص١٤٥ ، لصفية عبد الله برى، رسالة ماجستير، بمكتبة كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بباكستان سنة ١٩٩٤م ، بإشراف د. محمد الشرقاوى.

(2) انظر: السابق ، نفس الموضع. وانظر : "رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ص١٨، ١٩.

(3) "مشكلة المنهج فى علم الدين المقارن لدى الغرب" ، ص١٩٣، وفي الوقت الذي بدأ علماء يمتلكون فيه الشجاعة على النظر في الأديان غير المسيحية كان علم مقارنة الأديان لدى المسلمين قد استوى على سوقه ليكون قدوة لعلماء الغرب ينهلون من نبعه ويحذون فيه حذو علماء المسلمين الذي أسسوا هذا العلم منذ قرون مضت بكثير.

(4) انظر: "هذه الشروط فيما سبق" ، ص٢٠.

التى تستخدم فرعًا علميًا مستقلاً فى الجامعات الغربية فى أقسام مقارنة الأديان ألا وهو "مناهج البحث فى مقارنة الأديان" "Methodology in Comparative Religion" وحتى أصبح موضوع المنهج مشكلة المشاكل فى هذا المجال تعقد بسببه المؤتمرات ، وتنشر لأجله الكتب والأبحاث، وتصدر لأجل تنشيط البحث فيه الصحف والمجلات." (١)

واجه الغرب إذن مشكلة غياب المنهج المتفق عليه – أو المناهج المتفق – عليها منذ البداية فى مجال مقارنة الأديان فى الغرب. وهذا الغياب قد فتح الباب على مصراعيه لمناهج متعددة مختلفة فى طبائعها وأهدافها وماهياتها واتجاهاتها تحاول أن تثبت نفسها فى مجال الدين المقارن حتى دخل فيما دخل بين المناهج (المنهج التطورى) (٢) الذى أضحى له فيما بعد أكبر الأثر فى هذا المجال وإن لم يحظ بالإجماع(٣)، وفيما يلى من الصفحات نتحدث عن بعض هذه المناهج التى لم يحظ واحد منها على الإجماع من أهل هذا الفن.

****

(1) السابق ، ص١٩٥.

(2) وهو ذلك المنهج الذى نشأ متأثرًا بنظرية التطور عند "داروين" ، وتقوم هذه النظرية على أساس أن الإنسان مثل سائر الأنواع التى لابد أنها قد انحدرت من نوع مختلف سابق فى الوجود... ومن ثم فلابد أن الإنسان قد ظهر على الأرض نتيجة تطور سلسلة مجاورة من مملكة حيوانية. (انظر : "ما أصل الإنسان ؟ " ، د . موريس بوكاى ، ص١٥).

(3) انظر: "مشكلة المنهج فى علم الدين المقارن لدى الغرب" ، ص١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤.

* مناهج دراسة الأديان في الغرب :

هناك فارق جوهرى بين منهج مقارنة الأديان عند المسلمين وعند علماء الغرب، هناك أهداف أخرى لا تقل عن ذلك أهمية الحق كان الغربيون يهاجمون هذا الاتجاه فى صورة تمسكهم الشديد بالتوقف عن إصدار الأحكام، وتجنيب مقارناتهم صفة المعيارية، هذه النزعة الوصفية تمثل محور المنهج المقارن فى جميع عناصره ومكوناته فى الغرب، بله مناهج دراسة الدين بصفة عامة لديهم. (١)

ومع انتشار هذه النزعة الوصفية بين علماء الدين فى الغرب نجد أن بعض العلماء الغربيين البارزين فى حقل الأديان مثل "لويس جوردان" لا يرى ممانعة فى أن تهدف مقارنة الدين إلى التعرف على الأفضلية النسبية الموجودة بين الأديان عند اعتبارها أنماطًا!.

بيد أن رؤيته هذه لم تحظ بترحيب جمهور العلم والباحثين فيه واستوجبت انتقاداتهم. (٢)

ولقد اهتم الغربيون بتطبيق هذا المنهج - "التوقف عن إصدار الأحكام"- بغية تقرير أوجه الاتفاق والاختلاف والكشف عن المتوازيات الدينية، وتحديد العلائق القائمة فيها ، كما تطلَّع بعضهم إلى التوصل بواسطتهما إلى معرفة نقاط التأثير والتأثر بين الديانات المقارنة. (٣)

ونتيجة للسعي العام لدى علماء الغرب نحو التوقف عن إصدار الأحكام على الأديان تمحورت دراسات عدد كبير منهم للأديان حول عدد من المناهج منها :

أولاً: المنهج التاريخى :

وقد اعتمد هذا المنهج على الأدلة المادية فى دراسة الأديان مثل الحفريات والتأمل فى الآثار ودراستها ومحاولة استنباط واستنتاج النتائج منها، ولم يعتمد

---

(1) انظر: "مشكلة المنهج فى علم الدين المقارن فى الغرب" ، د. دين محمد ص٩٩، ٢٠٤ ، ٢٠٦.

(2) انظر : السابق ، ص٢٠٤.

(3) انظر: "مناهج دراسة الأديان بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين فى القرنين الرابع والخامس الهجريين وانظر أيضًا : "مشكلة المنهج فى علم الدين المقارن فى الغرب" ، ص١٩٧ ، ٢٠٣، والإسلام بين الأديان، د.كمال جعفر ص١٦٥ ، ومناهج دراسة الدين فى الغرب ، (المنهج المقارن) ص٥٣- ٥٦.

أصحاب هذا المنهج على الروايات كلية، الصحيحة منها أو الباطلة، ولم يضعوا الثقة التامة فى الكتاب المقدس وذلك لأنهم قرأوه قــراءةً جديــدةً ووجــدوا التنــاقض والاختلاف بينه وبين النسخ المتقدمة[1]. وقد ارتبط المنهج التاريخى لدراسة الأديان منذ نشأته فى الغرب وحتى وقتنا هذا بمعظم المناهج الأخرى التى استخدمها علماء الغرب فى دراسة الأديان حتى إنهم فى أغلب الأحيان يسمون علم الأديان أو مقارنة الأديان بتاريخ الأديّان ، ومن ثم ارتبط هذا المنهج بالمنهج الفلولوجى وأصبح يسمى المنهج التاريخى الفلولوجى **Philologicel Histotical Methed** ، وصار علمًا مستقلاً منذ القرن التاسع عشر، ومن أشهر رجاله العالم الفلولوجى الألمانى **Max Muller** الذى اشتغل بالدراسة التاريخية الفلولوجيــة لــبعض الكتــب المقدســة والأساطير الهندركية وخصوصًا "رج فيدا" فبحث أصل الكلمات ومعانيها ودلالاتهــا، وخاصة أسماء الآلهة وبعد ذلك كله خرج بنظريته المشهورة وهى أن الأديان نشأت حول عبادة الطبيعة وتشخيصها[2]، وقد نشأ هذا المنهج – فــى الغــرب – نتيجــة الابتعاد عن الاتجاه اللاهوتى، لأن لاهوتييهم درسوا الأديان المخالفــة لهــم، لأجــل هدمها لا لمعرفتها، فشعر علماؤهم بالحاجة الشديدة إلى معرفة هذه الأديان -لا عن طريق اللاهوتيين-، فظهر المنهج التاريخى وصار هدفه دراســة الأديــان دراســة وصفية تاريخية للحقائق الدينية والوقوف علــى نمــو ونشــأة وتطــور الأديــان المختلفة[3]، وقد نال المنهج التاريخي فى الغرب أهمية كبيرة كما يقول بعضــهم[4]،

---

(1) انظر: "جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هـ) فى دراسة الأديان" ، ص٧٨، وانظــر أيضًــا : "منــاهج دراسة الدين فــى الغــرب فــى القــرن العشــرين" ، ص٤٣ ، ٤٤ ، وانظــر : **Encyc. Brit anic a.Chicago p :95.**

(2) انظر : "جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هـ) فى دراسة الأدين" ، ص٧٩ ، وانظر أيضًــا : "منــاهج دراسة الدين فى الغرب" ص٤٧، وقارن : **E.James Comparative Religion. London 1961, P:24.**

(3) انظر: السابق ، نفس الموضع.

(4) انظــر : "جهــود القاضــى عبــد الجبــار (ت٤١٥هـــ)" ، ص٧٩ ، وانظــر: **Frank Whaling, "ed"contenmporary Approachest. To the study of Religion. Vol : 1 : pp : 36-37, Berlin, 1984.**
وصاحب هذا الكتاب من كبار علماء الأديان فى الغرب وهو يعمل بجامعة أدنبرة وقد أشرف على تحرير هذا الكتاب المنشور فى مجلدين بمدينة برلين الألمانية وراجع:"مناهج دراسة الدين فى الغرب"، ص٥٣،٥٥.

لأنه لا يمكن دراسة الأديان فى العالم وفهمها فهمًا صحيحًا دون الاستعانة بالدراسة التاريخية للنشأة والنمو والتطور الدائم لكل دين على حدة.

ثانيًا : المنهج المقارن :

وهو المنهج الأساسي فى دراسة الدين فى الغرب، وقد احتفى علماؤهم - عمومًا - بالمنهج المقارن واعتبروه منهجًا علميًا جديدًا ومفيدًا واستخدموه فى مجالات علمية عديدة فحقق نجاحًا واسعًا، ولذلك وظفه العلماء فى دراسة الأديان فأعطى نتائج هامة ، من بينها إحداث ثورة فى الآراء والربط بين حقائق دينية كثيرة كانت منعزلة عن بعضها.

وترجع أهمية دراسة العلوم بصفة عامة، ودراسة الأديان بصفة خاصة إلى اعتمادها على المنهج المقارن ، فهم يرون أن الاحتجاج من قبل وجهة نظر واحدة هو ابتعاد عن أصول العلم[١] "فالذى يعرف شيئًا واحدًا لا يعرف شيئًا "[٢]. وقد شجع أصحاب التطور - وعلى رأسهم دارون - على استخدام المنهج المقارن فى كثير من فروع العلم، مما أدى إلى استخدام العلماء لهذا المنهج فى دراسة الأديان، وافترضوا أنه يمكن - بهذا المنهج - الكشف عن أسباب ومعاني ونشأة الحقائق الدينية، ولشعورهم بأهمية هذا الافتراض أنشأوا كراسي فى بعض الجامعات لدراسة الأديان دراسة مقارنة ، وألزموا الطلاب بدراستها وامتحانهم فيها. [٣]

وقد ارتبط المنهج المقارن بعلاقة وثيقة مع المناهج الأخرى فى دراسة الأديان، حيث استعانت به من أجل الوصول إلى نتائج علمية سديدة، واعتبر العلماء أن مجال المقارنة هو مجال دراسة الدين ككل، فمثلاً استخدمه علماء الاجتماع فى إجراء مقارنات بين جماعات عديدة من حيث العبادات والعقائد الجماعية، وكذلك فعل علماء النفس فعقدوا مقارنات بين أحلام المرضى (عقليًا ونفسيًا) وبين الأساطير

---

[1] انظر: "جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هـ) فى دراسة الأديان" ، ص٨٠ ، و"مناهج دراسة الدين فى الغرب" ، ص٥٤ ، ٥٥.

[2] انظر: السابق، نفس الموضع، وانظر: Eric.J.Sharpe. Comparative Religion A history,P:31

[3] Louis Jordan. Comparative Religion – Its censis & Crowht Edin bouth. 1905P:59.

والأديان الشرقية ووجدوا – على حد قولهم – تشابهًا بينهما، وبنـاءً علـى ذلـك، اتجهوا إلى دراسة العقائد والعادات لدى الجماعات البشرية المتعددة، واعتمد علـى هذا المنهج أصحاب الفنومنولوجيا – وسيأتى الحديث عنها – حيث جمعوا الظواهر الدينية المقدسة فى الأديان المختلفة وعقدوا مقارنات بينها وخرجوا منها بنتائج عديدة.[١]

ثالثاً : المنهج الأنثروبولوجى والاجتماعى[٢]

Anthropological and . Sociological approach.

استخدم علماء الغرب فى القرن التاسع عشر المنهج الأنثروبولـوجي فـى دراساتهم للأديان، وقد اعتمد الأنثروبولوجيون أنفسهم فى دراسـة الأديـان علـى نظرية التطور الداروينية واستمدوا منها منهجًا يبنون عليه دراساتهم للأديان، لأنهم لم يعودوا يؤمنون بدين يستنيرون به فى تأسيس منهج ملائـم لدراسـة الأديـان، فأصبحوا ماديين لا يؤمنون بوحي أو كتاب، وصار الدين فى رأيهم – واعتمادًا على الداروينية – شيئًا كسائر الأشياء يخضع للتطور والارتقاء بعد أن كان دينًا منزلاً. [٣]

ومن ثم اتجه أصحاب المنهج الأنثروبولوجى فى دراسة الأديان إلى البحـث عن نشأة الدين وتطوره ، وكانت آراء ونظريات كثير منهم عن النشـأة والتطـور مؤسسة فى المقام الأول – على نظرية التطور – كما سبق.

وقد تعددت هذه الآراء والنظريات واختلفت فيما بينها، بل وصلت إلـى حـد التناقض أحيانًا، فلما رأى العلماء عدم التوصل إلى نظريات يقينية، غيَّـروا مسـار

---

[1] انظر: "جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هـ) فى دراسة الأديان" ، ص٨٠ ، وانظر أيضًـا : "منـاهج دراسة الدين فى الغرب فى القرن العشرين" ، ص٥٦ – ٥٧.

[2] الأنثروبولوجيا : تعنى (علم الإنسان) وهو علم يبحث فى أصل الجنس البشرى وتطوره وأعرافه وعاداته ومعتقداته وطقوسه ودياناته. (انظر : "المعجم الفلسفى" ، من إصدارات مجمع اللغة العربيـة بالقـاهرة ١٩٧٩م، ص٢٤) و Encye Britanica. Art. Anthropology : Chicago 1981

[3] انظر : "جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هـ) فى دراسة الأديان" ، ص٨١. وانظر أيضًـا : "منـاهج دراسة الدين فى الغرب" ، ص٦٣، و"مشكلة المنهج فى علم الدين المقارن فى الغرب" ، ص١٩٨. وقارن . Eric. J. Sharpe pp 47-48.

بحثهم إلى دراسة وظيفة الدين فى المجتمع أو الدور الذى يقوم به ومدى تأثيره على الأفراد والجماعات وهو الجانب الاجتماعي لهذا المنهج المركب. [١]

وقد استعان الأنثروبولوجيون فى دراستهم للأديان بالمنهج المقارن – كما سبق – خصوصًا فى بحثهم عن نشأة الدين، فقد أخذوا بيانات ومعلومات متفرقة من مجتمعات بشرية متعددة ونظموها ورتبوها فى ضوء افتراضاتهم المسبقة واستنتجوا سلسلة من التطورات ، فقرروا أن الدين بدأ من البساطة ثم تطور إلى التعقيد أو العكس بدأ من التعقيد وانتهى بالبساطة. وفى ذلك يقول أحد رجالهم "أخذت الأدلة من مجتمعات عديدة حيث أبعدت الدلائل من محتوياتها الأصلية ونظمتها حسب التطور[٢] وقد استُخْدِم أيضًا المنهج الاجتماعى فى دراسة الدين فى الغرب، ويلاحظ أن دراسة علماء الاجتماع الغربيين للدين تختلف عن دراسة اللاهوتيين للدين نفسه، لأن كثيرًا منهم ينكرون الوحي ويعتبرون الدين من صنع البشر، فعلماء الاجتماع يدرسون الدين من خلال دراسة المجتمعات لا من خلال النصوص المقدسة وينظرون إلى الدين بوصفه مظهرًا من مظاهر سلوك الجماعة ، وقد قرروا فى النهاية أن للدين دورًا فى حفظ الجماعات البشرية على مر العصور، كما درسوا – بأدوات المنهج الاجتماعى – المجتمعات البدائية والمتحضرة من أجل التوصل إلى النظريات حول نشأة الدين ووظيفته والتفاعل الذى ينشأ بين الدين والمجتمع وعمومًا فإن نظرياتهم تقوم على التفسير التعسفى المقللّ من شأن الدين ومكانته[٣]. فهم يرون

---

[1] انظر: "جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هـ) فى دراسة الأديان" ، نفس الموضع، وانظر : "مناهج دراسة الدين فى الغرب ص٧٢ – ٨٢يلاحظ أن المنظور الإسلامى للأنثروبولوجيا يختلف ويتناقض مع مفهوم الغرب لهذا العلم ،فالقرآن الكريم والسنة النبوية تحدثا عن أصل الإنسان وكيفية خلقه : قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة:الآية ٣٠) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (النساء : الآية ١)

[2] انظر : E. Nothing ham , Religion A Sociological View, London 1971 P :14 و"قارن مناهج دراسة الدين فى الغرب" ، ص٦٦.

[3] انظر : "مناهج دراسة الدين فى الغرب" ، ص٨٩، وانظر تفصيل الحديث عن هذه النظريات فى المرجع نفسه، ص٩٢ : ١٠٦.

مثلاً أن الدين – سواء من الناحية العقيدية أو من ناحية العبادات والسلوك – قد نشأ نتيجة الظروف العامة للجماعة ، كالبيئة والحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكما يتطور الناس من حال إلى حال فكذلك الدين. ومن ثم فإنهم يرون أن الأمم البدائية تبدو آلهتها بدائية وعقائدها ساذجة ، كعبادة الأسلاف، أما الأمم المتحضرة فآلهتها متحضرة – على حد قولهم – لأنها تميل إلى الوحدانية ، وتعتبر الإله خبيرًا عالمًا قادرًا وقد أصبح هناك ما يسمى بعلم الاجتماع الديني الذى يقوم أساسًا على دراسة العلاقات الاجتماعية الناتجة عن عقائد دينية وتطورها. (١)

وما ينبغي الإشارة إليه هو أنه ليس هناك حد يفصل ما بين المنهج الأنثروبولوجي والمنهج الاجتماعي، فكلاهما متداخل فى الآخر، وكل منهما يفيد من الآخر، بل إن محاولة وجود فرق بينهما وحدٍّ يفصل بينهما هو عمل غير علمي. (٢)

رابعًا : المنهج النفسى : Psychological Approach

والسيكولوجيا – عامة – تقوم على دراسة السلوك الإنسانى، والتدين مظهر من مظاهر سلوك الإنسان، فصار التدين والتجارب الدينية موضوع دراسة وبحث فى علم النفس فى القرن التاسع عشر فى الغرب، وظهرت نظريات سيكولوجية أثرت إلى دراسة الأديان وتفسير أسباب نشأة الدين والتجارب الدينية، فذهب البعض إلى أنها نشأت نتيجة عن الشعور بالخوف أو الرغبة أو الرهبة أو الرعب أو الإحباط أو المنفعة أو جميع ذلك معًا، ومن أشهر علماء السيكولوجية الدينية (فرويد– Freud) (والفيلسوف الذرائعي وليم جيمس W.James) (٣) وقد وظف Freud هذا، علم النفس ومناهجه ووسائل التحليل النفسي فى خدمة اليهودية والترويج لعبقرية شعوبها وشموخ عنصرية معتقداتها وليِّ الحقائق التاريخية ليصل بها إلى نتائج تخدم اليهودية

---

(1) انظر : " جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هـ) فى دراسة الأديان" ، ص٨٢.

(2) انظر : جهود القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ)، وقارن En. of Britanica. Art . Releigon.

(3) انظر: "جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هـ)" ، ص٨٣. وانظر: Encyc. Of religion . Art "Study of Religion" Eric. Sharpe P: 68 وللتوسع راجع : "مناهج دراسة الدين فى الغرب"ص١٠٩ –١٢٠ وقد وجهت إلى هذا المنهج انتقادات عنيفة، منها أنه لا يقوم على أسس علمية صحيحة وأن نتائجه ونظرياته ضرب من الظنون التى لم تثبت ثبوتًا يقينًا، (انظر: السابق ، ص١١).

والقضية الصهيونية ويهاجم الإسلام فى نفس الوقت – بترديـد مـا سـبق أن ردَّده المستشرقون. [(١)]

خامسًا : المنهج الفنومينولوجي :

وآخر هذه المناهج هو المـنهج الفنومينولـوجي **Phenomenological Approach** أو "المنهج الظاهراتى" وهو من أحدث المناهج التى تناولت الأديان فى الغرب، ويقوم هذا المنهج على دراسة الظاهرة الدينية فى الأديان المختلفة فيـدرس مثلاً – الصلاة – باعتبارها ظاهرة دينية فى جميع الأديان بصرف النظر عن دراسة الدين من حيث مكان وجوده وهل هو دين سماوي أو غير سماوي؟ وبصرف النظر أيضًا عن الزمن الذى ظهر فيه هذا الدين، فهو – يعنى فى المقام الأول – بجـوهر الدين وأهميته وبهذا اكتسبت الفنومنولوجيا الدينية عالميـة لا تصـل إليهـا بقيـة المناهج الأخرى – فى الغرب – حتـى المـنهج التـاريخي نفسـه[(٢)]. ولا تبحـث الفنومنولوجيا الدينية أو المنهج الظارهراتي أصل وتطـور الـدين مثـل المـنهج التاريخي والأنثروبولوجي، ولكنها تجمع الظواهر الدينية المتشابه وتقارن بينها بحثًا عن جوهر الدين وتستمد مصادرها من نتائج تاريخ الأديان وهدفها الأول والأخيـر هو فهم الدين فحسب دون إصدار أحكام تجاه دين ما من الأديان[(٣)] والظواهر الدينية تشمل كل شيء مقدس، فقد يكون هذا المقدس أنهارًا أو جبالاً أو حجارة أو أوثانًـا، أو إنسانًا مثل الرسول والنبى أو الملك أو القسيس أو الراهب أو غير ذلك، أو بعض الأماكن، وكذلك الإيمان بإله واحدٍ أو آلهةٍ متعددةٍ ، أو أفكار الديانات المختلفة عن خلق العالم والبعث والحياة بعد الموت. [(٤)]

---

(1) جاء ذلك فى كتابه المترجم "موسى والتوحيد .. اليهودية فى ضوء التحليل النفسى"، ترجمة د.عبد المنعم الحفنى ، ط٢، ١٩٨٧م ، مطبوعات الدار المصرية للطباعة والنشر، راجع (مقدمة المترجم ص٤ –٢٢).

(2) انظر: "جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هـ) فى دراسة الأديان" ، ص٨٣. وانظـر أيضًـا : "منـاهج دراسة الدين فى الغرب" ، ص١٤٥.

(3) انظر: السابق ، نفس الموضع.

(4) انظر: السابق ، نفس الموضع ، وانظر: تفصيل المنهج الظاهراتي وأسسه ونشأته وأهـم رجالـه فـى الغرب فى المرجع نفسه ص١٤٨ – ١٦٤.

ويذكر أصحاب هذا المنهج أنهم يدرسون الظاهرة الدينية من جانب التــدين بها نفسه أو ما يقوم به المتدينون من أفعال وأقوال وشعائر ولا يبحثون فيما وراء ذلك فهم يدرسون ما يبدو ويظهر من الدين فقط أو ما يمكن دراسته ووصفه. (١)

تعددت مناهج دراسة الأديان لدى الغرب – على النحو الذى مر – ولكن يبقى السؤال الأكثر أهمية وهو ما هى إذاً نقاط اهتمام النشاط الفكري المســمى بمقارنــة الأديان ؟ وما هى أوجه نشاطاته فيما يتعلق بالأديان ؟ هذا إذًا فى الحقيقة سؤال عن ماهية علم الدين المقارن، فما هو هذا العلم ؟

"لا نستطيع أن نعثر على إجابة واحدة محددة واضحة لهذا السؤال فى كتابات الباحثين المرموقين فى هذا المجال فى الغرب، وقد تشعبت بهم الطــرق، واختلفــت بينهم المشارب، وتكاثرت بينهم الاتجاهات حتى بقي اصطلاح "الدين المقارن" بدون هوية واضحة تتصارع حوله الاتجاهات وتتجاذبه التيارات." (٢)

ومن ثم لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الدين المقارن فى الغرب لا تُعْــرف لــه ماهية، ولا يعرف له هدف. وكل ما قدم بشأن تحديد المفهوم أو تقريــر الهــدف أو تعريف الموضوع إما غير مقبول للجميع، أو مبهم غير واضح، وهذا بطبيعة الحــال وضعٌ خطير يجعل الباحثين يرتابون فى القيمة الوجودية نفسها لهذا العلم. (٣)

****

---

(1) انظر: "جهود القاضى عبد الجبار (ت٤١٥هــ) فى دراسة الأديان" ، ص٨٤ ، وانظــر أيضًــا : W.R Comstoch; Approaches to the study of Religion; New York , 1971, P.11.

(2) "مشكلة المنهج فى علم الدين المقارن" ، ص٢٠٢.

(3) السابق : ص٢٠٥.

جـ) التعريف بشخصيتي الدراسة

أولاً: التعريف بالدكتور "موريس بوكاي" Maurice Bucaille.

مولده ونشاته وعلاقته بالأديان :

ولد "موريس بوكاي" من أبوين فرنسيين فى منطقة من مناطق الريف الفرنسي فى عام ١٩٢٠م، وأنهى دراسته الثانوية، ثم تخرج فى كلية الطب وتدرج فى مناصب جامعة باريس حتى أصبح رئيسًا للعيادة الجراحية. [١]

كان "موريس بوكاي" من المهتمين جدًا بالمساجلات بين تعاليم الكتاب المقدس والمعرفة العلمانية التى أثمرها العصر الحديث فى أوروبا. [٢]

وكان من الناقمين على الإسلام وأهله لدرجة جعلته يدخل فى مجادلات عنيفة – فى بعض الأحيان – مع مرضاه من المسلمين الذين يترددون عليه أثناء عمله بالطب.

وحدث أن اتفق مجموعة من العلماء المعاصرين له على القيام بمحاولة هدم الأديان المحرفة من خلال ما توصلوا إليه من العلوم الحديثة، حتى قالوا إننا نستطيع القضاء على الإسلام كما قضينا على خرافات المسيحية واليهودية، وكان من بين هؤلاء العلماء الدكتور "موريس بوكاي" الذى فرَّغ نفسه لدراسة الآيات الكونية فى

---

[1] انظر : Moise et Pharon ,Les Hebreux En Egypte, P: 1 ,press, New York, 1990

[2] انظر : السابق ، نفس الموضع، وانظر له أيضًا : "مساوئ الترجمات المتداولة للقرآن الكريم" ، مقال بمجلة الفيصل ، ص٥٨ ، العدد (٢٠٤) جمادى الآخرة ١٤١٤هـ / نوفمبر – ديسمبر ١٩٩٣م، ترجمة وتعليق د.محمد خيرى البقاعى، وانظر أيضًا : مجلة وكالة الأنباء الإسلامية (بلاد العرب) العدد (٣٧) إبريل – نيسان ١٩٨٤م ص٧٧، وانظر : "ربحت محمدًا ولم أخسر المسيح" ، للدكتور عبد المعطي الدالاتي ، ص٥٣، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر – دمشق ، بدون تاريخ.

القرآن الكريم من أجل المساعدة فى هدمه والقضاء عليه. [١] وطرح الشبهات حول القرآن الكريم، والقول بأنه من وضع محمد وليس من عند الله ، وأنه متناقض. [٢]

سبب إسلام "موريس بوكاي"

يوضح لنا "بوكاي" أن عمله كمنصر كان سببًا – بفضل الله – في تحوله إلى الإسلام فيقول : كنت أضع الشبهات التى أخبرنا بها المستشرقون حتى أقتنص من المسلمين رجالاً أدخلهم فى النصرانية ، وذلك لعقيدة دينية عندي بأهمية تنصير المسلمين، وصرفهم عن دينهم بما لدينا من شبهات رسخت فى أذهاننا منذ الطفولة، ونريد تحقيقها بعدما كبرنا. [٣]

---

(1) انظر : مقال للدكتور "عبد الجواد الصاوي" (وكان صديقًا للدكتور "بوكاي" ومديرًا لهيئة الإعجاز العلمي فى القرآن والسنة ، بالهيئة العامة لرابطة العالم الإسلامي بعنوان : الإعجاز العلمي فى القرآن والسنة، بمجلة البيان ، ص١٣ ، عدد السبت ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ ، الموافق ٤ سبتمبر ١٩٩٩م.

(2) انظر: "الملك فيصل وموريس بوكاي" ، مقال بمجلة الجزيرة ، للدكتور محمد بن سعد الشويعر، ص٩، الجمعة ٢٠ جمادى الثانى سنة ١٤٢٥هـ ، ٦ أغسطس ٢٠٠٤م.

(3) انظر : "الملك فيصل وموريس بوكاي" ، مقال سابق بمجلة الجزيرة ، ص١٠، ومن الجدير بالذكر أن بعض من ترجموا للدكتور "موريس بوكاي" ادعوا أن سبب إسلامه أنه شارك فى معالجة مومياء فرعون التى سافرت إلى فرنسا عام ١٩٨١م لأنه وجد بجثمان فرعون بعض آثار الملح العالقة به، فبينما هو يعدّ تقريرًا عن احتمالية هذه الجثة فى البحر إذ همس فى أذنه أحد أصدقائه قائلاً : لا تتعجل فإن المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياء.. وإن قرآنهم الذى يؤمنون به يروي قصة عن غرقه وعن سلامة جثته بعد الغرق..! فما كان من "بوكاي" إلا أن جهز أمتعته وسافر إلى المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر طبي فيه جمع من علماء التشريح المسلمين، وبدأ يتحدث معهم عن نجاة جثة فرعون بعد الغرق ..فقام أحدهم وفتح له المصحف وأخذ يقرأ قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [سورة يونس : آية ٩٢]، فما كان من "بوكاي" إلا أنه وقف أمام الحضور وصرخ بأعلى صوته : "لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن" وهذه الرواية نتوقف عند إصدار الحكم عليها بالصحة، إذا نظرنا فيها إلى عدة وجوه :

أولاً : أن الدكتور "بوكاي" ذكر الفريق الطبي الذى قام بفحص المومياء فى مصر وفرنسا ولم يذكر أنه كان واحدًا منهم (القرآن والتوراة والإنجيل ص ٢٧٤ ، ٢٧٥).

ثانياً : أن الدكتور "بوكاي" صرح أن نتائج الأبحاث الخاصة بالمومياء لم تكتمل فى اللحظة التى ينتهى فيها من تحرير كتابة "القرآن والتوراة والإنجيل" ، (انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٢٧٥).

ثالثاً: أن مومياء فرعون سافرت من مصر إلى فرنسا فى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٦م، فى حين أن دراسته المقارنة للأديان خرجت للنور فى أوائل سنة ١٩٧٦م(انظر: Mommies of the Pharaons, P.8).

وكان "بوكاي" يتخذ لذلك الهدف، وتلك الأغراض منهجًا معينًا ارتضاه لنفسه فيقول : كنت أعالج المرضى من المسلمين، وكان كل من شفى أقول له : ماذا تقول فى القرآن ؟ هل هو من الله تعالى ؟ أنزل على محمد أم هو من كلام محمد ؟ نسبه إلى الله افتراء عليه ؟ فيجيبني بقوله : هو من الله ، ومحمد صادق ، فأقول له : أنا أعتقد أنه ليس من الله ، وأن محمدًا ليس صادقًا ، فيسكت، ومضيت على ذلك زمنًا.[1]

غير أن الله رب العالمين أجرى – بقدره – على الدكتور "بوكاي" أن كان من مرضاه الذين يترددون عليه ويقوم على أمر معالجتهم "الملك فيصل بن عبد العزيز" (ملك المملكة العربية السعودية الأسبق، ت١٩٧٥م) فحدثت "بوكاي" نفسه قائلة له: إن دخول فيصل أو تشكيكه فى دينه ، أكبر نصر لى وللتبشير كله، فجمعت أمرى عندما دخلت عليه غرفته بعد العملية التى أجريتها له ... ورأيت أن الجو مهيأ لكي أدخل معه فى حوار.[2]

ثم قام "بوكاي" بإتباع المنهج الذى رسمه لنفسه فى طريقة تنصيره فطرح على "الملك فيصل" ذات الأسئلة السابقة.

يقول "بوكاي" : فأجابنى "الملك فيصل" بهدوءه قائلاً : إن القرآن كلام الله حقًا وإن محمدًا (ﷺ) رسول الله صادق ولاشك فى ذلك ، فقلت له : أنا لا أعتقد صدقه، فقال لي "الملك فيصل" : هل قرأت القرآن ؟ فقلت : نعم قرأته مرارًا وتأملته ، فقال لي: هل قرأته بلغته أم بغير لغته ؟ (أى بالترجمة)، فقلت أنا ما قرأته بلغته، بل قرأته بالترجمة فقط.

فقال لي : إذن أنت تقلد المترجم، والمقلد لا علم له، إذ لم يطلع على الحقيقة، لكنه أخبر بشيء فصدقه، والمترجم ليس معصومًا من الخطأ أو التحريف عمدًا.

فعاهدني على أن تتعلم اللغة العربية، ثم اقرأ القرآن بها، وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك هذا الخاطىء.

قال "بوكاي" : فتعجبت من جوابه ، فقلت له : سألت كثيرًا قبلك من المسلمين، فلم أجد الجواب إلا عندك، ووضعت يدي فى يده، وعاهدته على ألا أتكلم فى القرآن،

---

(1) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(2) انظر : السابق ، ص١٠.

ولا فى محمد إلا إذا تعلمت اللغة العربية، ثم أقرأ القرآن بلغته، وأمعن النظـر فيـه، حتى تظهر لي النتيجة بالتصديق أو بالتكذيب. (١)

راح "بوكاي" – من يومئذ – يسعى إلى تحقيق العهد الذى قطعه على نفسـه، فيقول : فذهبت من يومى ذلك إلى الجامعة الكبرى بباريس، إلى قسم اللغة العربيـة، واتفقت مع أستاذ بالأجرة أن يأتيني كل يوم إلى بيتي لتعليمي العربية ساعة واحدة كل يوم حتى يوم الأحد الذى هو يوم الراحة، ومضيت على هذا سنتين لم تفتنـي سـاعة واحدة ، فتلقيت منه ٧٣٠ ساعة (كل ساعة درس)، وقرأت القرآن بإمعان ووجدته هو الكتاب الوحيد المثقف بالعلوم العصرية، ومن يؤمن به يؤمن أنه منزل من الله لا يزيـد ولا ينقص، أما التوراة والأناجيل ففيها كذب كثير لا يصدقها العالم فأسلمت ولله الحمد.(٢)

ولم يكتف الدكتور "بوكاي" بذلك، بل هاجر إلى الجزائر ومكث بها عشر سنوات عاكفًا على تعلم اللغة العربية ، ودراسة الآيات الكونية فى القرآن الكريم. (٣)

وذلك لشعوره بالحاجة الملحة لتعلم اللغة العربية التى لم يكن يعرفها من قبل، ويذكر "بوكاي" أن دافعه من وراء ذلك أن يكون قادرًا على التقدم فى دراسة هذا الدين الذى يجهله الكثيرون كما كان هدفه الأول هو قراءة القرآن ودراسة نصه جملة بجملة مستعينًا بمختلف التعليقات اللازمة للدراسة النقدية. (٤)

---

(1) انظر : السابق ، ص١١، وقد كانت تلك المقابلة في نهاية عام ١٩٧٤م، إذ أنه عكف سنتين على تعلـم اللغة العربية بعد مقابلة الملك فيصل مباشرة، ثم بعد ذلك شرع يقابل بـين الكتـب المقدسـة، فخرجـت دراسته في أواسط سنة ١٩٧٦م، فيكون بذلك مرَّ عامان على مقابلته الملك – أى في سنة ١٩٧٤م.

(2) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر : الإعجاز العلمي في القران والسنة ، ص١٣ ، مقال سابق.ويترجح أن ذلك قد تم بعد كتابة بوكاي لكتابه "التوراة والإنجيل والعلم" فى عام ١٩٧٦م ، وذلك لأنه بعد إجراء المقارنة بين الكتب الثلاثة بـدأ يشرع فعلياً فى الدخول فى الإسلام فأراد أن يكون ذلك عن إلمام كامل بلغته.

(4) انظر : د . موريس بوكاي ، "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٥١، وانظر أيضًا : "مقدمة كتابـه ما أصل الإنسان " ، ص١١، ترجمة مكتبة التربية لدول الخليج العربى سنة ١٤٠٦هـ ، سنة ١٩٨٢م، وقد أتقن الدكتور "موريس بوكاي" اللغة العربية إلى حد جعله يراجع بنفسه ترجمة كتابه الثالث "ما أصل الإنسان" الذى صدر مترجمًا عن مكتب التربية للخليج العربى، والذى صدر باللغة الفرنسية سنة ١٩٨١م عن دار النشر الفرنسية (Seghers) بل وكتب مقالات كاملة فى مجلات عربية منها :

١- أخطاء الترجمات والتفاسير حول بعض الآيات القرآنية ، مجلة الفكر الإسـلامى بلبنـان – العـدد الأول للسنة الحادية عشرة ، ربيع الأول كانون الثانى سنة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٢- أفكار أوحت بها تجربة شخصية ،مجلة الأصالة، الجزائر ، العدد ٨٥ ، ص٩٢.

وعرفانًا من الدكتور "موريس بوكاي" بالخير الذى أجراه الله له عـن طريـق "الملك فيصل" يقول : سأظل مدينًا بالعرفان وبشكل لا حد له للمغفور له جلالة "الملـك فيصل" (ت سنة ١٩٧٥م) الذى أحي ذكراه باحترام عميق، سيظل محفورًا فى ذاكرتي دائماً أن كان لِيَ الشرف الأثير أن أستمع إليه يتحدث عن الإسلام، وأذكر فى حضرته بعض مشاكل تفسير القرآن فى ارتباطها مع العلم الحـديث، إن كـوني قـد تلقيـت معلومات قيمة من جلالته نفسه، ومن حاشيته ليشكل بالنسبة لي امتيازًا خاصًا. [١]

توفىً "موريس بوكاي" سنة ١٩٩٧م[٢] بعد أن وفَّىَ بالعهد الذى قطعـه علـى نفسه مع "الملك فيصل" ، وقدم للبشرية كلها أبحاثًا عظيمة النفع يهتدي بها الحيـارى فى دينهم من أبناء الغرب والشرق.

وفى النهاية يوجه الدكتور "بوكاي" نداءً إلى غير المسـلم يحثـه فيـه علـى ضرورة النظر إلى الإسلام بعين الإنصاف، والتجرد من الأهواء؛ والنزعات الموروثـة فيقول : لا يجبرك أحد على اعتناق ما لا تفهمه وتقتنع به !.

ولكنَّ العار – كل العار – على إنسان مثقف مثلك أن تحرم نفسك مـن مجـرد المحاولة للبحث عن الحقيقة!.

لقد أنعم الله علينا بنعمة العقل، حتى نستخدمه فى التفكير والتأمل ؛ لنحكم على الأشياء حكمًا موضوعيًا منظمًا !. [٣]

ثم يوجه إليه نداءً آخر بقوله :

أنا لا ألحُّ عليك أن تتعجل قبول مباديء الإسلام ، فالإسلام نفسه يقرر حريـة الفكر والاختيار.

قال تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [٤]

---

(1) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٥١.

(2) انظر : "الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة" ، مقال سابق ، ص١٣.

(3) انظر : "القرآن والعلم الحديث" ، للدكتور "موريس بوكاي" ، ص٦١.

(4) سورة البقرة : آية ٢٥٦.

وليس هذا فحسب، بل إنك إن اهتديت فعلاً إلى صدق رسالة الإسلام، لا يعني ذلك أن يُكْرِهَك أحد مباشرة على اعتناقك إياه، والعمل بما جاء فيه.

– ولكني أنصحك– قبل الحكم على مدى صدق رسالة الإسلام – أن تسأل ضميرك : هل تعرف عن الإسلام قدرًا كافيًا يسمح لك بالحكم الموضوعي عليه ؟

وهل تلقيتِ مفاهيمك ومعلوماتك تلك عن مصادر يُعْتَدُّ بها ؟ أم ركنت إلى ما يقوله ويكتبه غير المسلمين، أو المتظاهرون بالإسلام، والجهلاء بدينهم من المسلمين؟!، وكثير من هؤلاء لم يدرسوا القرآن حق دراسته، ولم يقرأوا فى الإسلام إلا قشورًا وادّعاءات ، ثم يتباهون بأنهم رسل التنوير والعقلانية والفهم الصحيح لجوهر الدين (دون البحث فى نصوصه) [1].

****

[1] انظر : "القرآن والعلم الحديث" ، ص٦٢.

- **جهود الدكتور "موريس بوكاي" العلمية وأهم مؤلفاته :**

منذ انصراف همَّة الدكتور "موريس بوكاي" إلى الاهتمام بالمقابلة بين الكتب المقدسة مع معطيات العلم الحديث[1]، وهو شغوف بالكتابة والتأليف فى هذا الباب، ومهتم كذلك بالمشاركة الفعالة فى المؤتمرات العلمية العالمية ، وقد بدأت هذه الرحلة منذ تأليفه لكتابه الأول "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم". ثم جاءت مؤلفات الدكتور بوكاي – تترى – بَعْدُ متوالية كالتالي :

١ـ الكتاب الأول : "القرآن والتوراة والإنـجيل والعلم"

La Bible Le Coran et La Scince Les Ecritures Saintes examinees a la lumiere des connaissances modernes.

صدر هذا الكتاب للدكتور "موريس بوكاي" عام ١٩٧٦م، عن دار النشر الفرنسية (Seghers) سيغرز، وقد ترجم إلى عشر لغات حية وحصل على جائزة الكتاب الذهبي فى عام ١٩٨٦م.

ولنفاسة هذا الكتاب فى بابه، بلغ عدد طبعاته فى لغته الأصلية حتى عام ١٩٨٩م ، أربع عشرة طبعة. [2] ومثلها فى اللغة العربية.

يقول "بوكاي" عن هذا الكتاب : "القرآن هو الكتاب الوحيد من نوعه بين أيدينا الذى جاء بمعارف تسبق عصر تدوينه بقرون ، وقد دفعني ذلك أيضًا إلى مقارنة النص القرآني بنصوص (الكتاب المقدس) : "العهد القديم والعهد الجديد" المتعلقة بمعارف ومفاهيم لم يكتشفها العلم إلا فى العصر الحديث، وتمخضت هذه الدراسة عن إصدار

---

[1] وذلك بعد تعلمه شيئًا كبيرًا من اللغة العربية على مدار سنتين – كما سبق وأن ذكرت.

[2] انظر : "بيبلوجرافيا عن مؤلفات بوكاي فى كتابه" -Mummies of the Pharaons, P:V-1. وانظر أيضًا : مجلة الفيصل ، العدد (٢٠٤) ص٥٨، مقال بعنوان "مساوىء الترجمات المتداولة للقرآن" لـ "موريس بوكاي" ، ترجمة د . محمد خير البقاعي، وفيه يعرض المترجم للتعريف بالدكتور "موريس بوكاي" ، كما يعرض لبيبلوجرافيا لأهم أعماله ، وقد وردت هذه المعلومات أيضًا بشريط مسجل بصوت الدكتور"بوكاي" نفسه مع الشيخ "عبد المجيد الزنداني" ، الرئيس السابق لهيئة الإعجاز العلمى، وقد حصل عليه الباحث بعد الاتصال بالدكتور "محمد التركي" العضو بالهيئة، والصديق الشخصي للدكتور "موريس بوكاي".

كتابي "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" الذى صدرت طبعته الأولى باللغة الفرنسية فى مايو ١٩٧٦م. [1]

ولعل أهمية هذا الكتاب تتضح أكثر لو ذكرنا ما يقوله فى حقــه ألــدّ خصــوم الدكتور "بوكاي" وأشد منتقديه [2] ، إذ يقول عنه :

"إنه كتاب تجده تقريبًا فى كل مكتبة فى المشرق والمغرب العربيين، كما تجده بيد أى شاب مصري فى أمريكا، يستخدمه ليؤثر فى الفتاة التى يريد أن يــرتبط بهــا وهو الكتاب الذى يلي كتب القرآن والحديث فى جامع "ريجنت" بلندن".[3]

ومن أهم اللغات التى ترجم إليها هذا الكتــاب : اللغــة العربيــة والإنجليزيــة والأندونيســـية والفارســـية والصـــربكرواتية والتركيـــة والأرديـــة والكجوراتيـــة[4] والألمانية.[5]

٢ـ القرآن والعلم الحديث Quran , and Modern Science

هذا الكتاب هو نص محاضرة ألقاها الدكتور "موريس" أمام معهد الكومنولــث البريطاني فى لندن حول "علوم الأجنة ووظائف الأعضاء فى القرآن الكريم" وذلك فى التاسع من نوفمبر ١٩٧٦م. [6]

ويحكي الدكتور "بوكاي" أن الدافع وراء إعداد هذه المحاضرة : انبهــاره بمــا جاء فى القرآن الكريم من إشارات إلى معارف ومفاهيم لم يكتشفها العلم إلا فى العصر الحديث. [7]ولأهمية كتاب القرآن والعلم الحديث طبع عدة طبعات وقامت بترجمته عدة

---

[1] انظر : "القرآن والعلم الحديث" للدكتور "موريس بوكاي" ، ص١٥، ترجمة مؤسسة أم القــرى للترجمــة النشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

[2] وهو الدكتور "وليم كامبل" سيأتى تفصيل الحديث عنه قريبًا إن شاء الله.

[3] انظر: "القرآن والكتاب المقدس فى نور التاريخ والعلم" للدكتور "وليم كامبل" ، ص٧، الطبعــة الأولــى، مكتبة الحياة والنور بألمانيا، سنة ١٩٩٦م.

[4] هى لغة باكستان وبنجلاديش وأجزاء كبيرة من الهند.

[5] انظر : السابق ، ص٧ ، وانظر أيضًا : "القرآن والعلم الحديث " ، ص١٠.

[6] انظر:"القرآن والعلم الحديث" ، ص١٤ ، وانظر : "ما أصل الإنسان" للدكتور ، موريس بوكاي" ، ص٢١.

[7] انظر : السابق ، نفس الموضع.

جهات ، من ذلك : "القرآن والعلم الحديث" ترجمة مؤسسة أم القرى للترجمة والنشــر والتوزيع ٢٠٠٤م – والقرآن والعلم الحديث – ترجمة نبيل عبــد الســلام هــارون، وترجمة د.مهندس محمد الدحروج ،مكتبة جامعة الملك عبد العزيز ١٩٧٨م.

٣ـ ما أصل الإنســان ؟ إجابات العلم والكتابات المقدسة عن ذلــك **L' Homme dou vient – il les reponses de La science et des Ecrits Saintes.**

صدر هذا الكتاب عن دار النشر (Seghers) سيغرز عام ١٩٨١م، وهو كتاب يجمع بين الأدب والعلم والدين، وقد نجح الدكتور "بوكاي" فى هذا الكتاب في أن يقدم العلم الصحيح فى إطار الفكر الديني السليم، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربيـــة، وقد قام بترجمته ونشره مكتب التربية العربي لدول الخليج ، وقد شارك المؤلف بنفسه فى ترجمته إذ إنه تعلم اللغة العربية ليَلَمَّ من خلالها بأسرار القرآن الكريم ثم تتابعــت طبعاته وترجماته إلى العربية بعد ذلك عدة مرات ، ومن أشهرها : ما أصل الإنســان، ترجمة فوزى شعبان، طبع دار الكتب العلمية ، سنة ١٩٨٥م ، كما قامت جامعة الملك عبد العزيز بتلخيصه تحت عنوان: "الكتب المقدسة والعلم وأصل الإنســان" ، ترجمــة الــدكتور قاســم فــؤاد الســحار، طبــع جامعــة الملــك عبــد العزيــز – جــدة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.[١]

وقد طبع هذا الكتاب فى لغته الفرنسية تسع طبعات ، وترجم أيضًا إلى التركية والإندونيسية والعربية، وبلغ عدد طبعاته فى الإنجليزية ست طبعات.[٢]

٤ـ مومياء الفراعنة والطب : رمسيس الثانى فى باريس ، فرعون موسى

Mummies of the Pharaons

صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية **Et la Medecine – Rases II a Paris**، عن دار النشر (Seghers) سيغرز عام ١٩٨٧م.

---

(1) انظر : "ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة ، للدكتور "موريس بوكاي" ، ص١١، الطبعــة الأولى ، مكتب التربية العربى لدول الخليج سنة ١٩٨٢م.

وانظر أيضًا : مجلة الفيصل – مقال سابق عن مساوئ الترجمات المتداولة للقرآن للدكتور "موريس بوكاي" – ترجمة د . محمد خير البقاعى.

(2) انظر : **Mummies of the Pharaons , page : V – 1 -** .

ولأهمية هذا الكتاب فى تاريخ التوفيق بين المعارف البشرية والكتب المقدسة نال جائزة المجمع الفرنسي للتاريخ فى عام ١٩٨٨م.[1] وتتمثل أهمية هذا الكتاب فى معالجته لكثير من القضايا الهامة بين التوراة والقرآن وخاصة الحقبة الزمنية التى تتحدث عن تاريخ العبرانيين فى مصر، وموسى وخروجه ببني إسرائيل ، وقد قام بوكاي بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية بمشاركة صديقه (الاستير دى بانيل) Alastair D- Pannell. ، وقد استفاد البحث من هذا الكتاب فى لغته الإنجليزية.[2]

٥ـ موسى وفرعون : Moise et Pharaon

صدر هذا الكتاب عن دار النشر الفرنسية Seghers عام ١٩٩٥م[3]. وتتمثل أهمية هذا الكتاب فى أنه يتناول كثيرًا من القصص الخاصة باليهود، والتى ذكرت فى كل من التوراة والقرآن، ويبين أهم الاختلافات بينهما فى ضوء معطيات التاريخ[4]، ثم بيان مدى تطابق أيهما مع الواقع التاريخي[5] ، والتركيز على أهم العوامل التى أسهمت فى اختلاف القصة التوراتية مع الواقع التاريخى[6]، وخصائص القصة فى القرآن الكريم. وهذا الكتاب يقع فى ثمان وستين وثلاثمائة صفحة من القطع الصغير.[7]

٦ـ نظرات فى القرآن : Reflexions sur Le Coran

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات التى كتبها "موريس بوكاي"، ثم ضمَّها بين دفتين. وقد اشترك معه فى تأليفه الدكتور محمد الطالبي[8] – ولذلك جاء الكتاب فى قسمين : القسم الأول : ويضم ما كتبه د. محمد الطالبى.

---

(1) انظر : "موريس بوكـاي" , Mummies of the Pharaons , press by , st, Martin , S press New York – 1990 ، وانظر أيضًا : "مساوئ الترجمات المتداولة للقرآن " – مقال بمجلة الفيصل – العدد (٢٠٤) ص٨٥، ترجمة وتعليق د. محمد خير البقاعى.

(2) انظر : "موريس بوكاي" Mummies of The Pharaons , page : 125 – 139 .

(3) انظر : "مساوئ الترجمات القرآنية المتداولة" ، ص٨٥ ، مقال سابق.

(4) انظر : "موريس بوكاي" Moise et Pharaon , page : 287 , 356.

(5) انظر : السابق ، 288,289.

(6) انظر : السابق ، 227.

(7) انظر : السابق ، 275,368.

(8) أحد علماء المغرب المقيمين فى فرنسا ، ومن الأصدقاء المقربين لدى "موريس بوكاي".

القسم الثاني : ويضم ما كتبه الدكتور "موريس بوكاي" مـن مقـالات خاصـة بالقرآن الكريم ، يعقبها بعض المقالات التى يرد فيها بأسلوب علمي على منتقديه.

وقد صدر الكتاب عن دار النشر سيغرز Seghers فى باريس ١٩٨٩م تحـت عنوان Reflexion sur le Coran . (١)

وقد قام الدكتور. محمد خير البقاعي بترجمة القسم الخاص بمقالات الـدكتور بوكاي فى هذا الكتاب إلى اللغة العربية فى مجلة الفيصل السعودية فى صورة مقالات متفرقة مشيرًا إلى موضعها بأرقام صفحاتها من الكتاب.(٢)

٧ـ المؤتمـرات العلميـة :

شارك الدكتور "موريس بوكاي" فى كثير من المؤتمرات العلمية، والتى أثراها بكثير من المعلومات عن القرآن الكريم أيدها العلم الحديث، ومن أهم هذه المؤتمرات:

١ – **المؤتمر العلمى الدينى بالجزائر** : شارك الدكتور "موريس بوكاي" فـى مـؤتمر بالجزائر عن الأديان الثلاثة فى عام ١٩٨٣م حضره كثير من منتقديه من الديانات الأخرى، وأجاب فيه على كثير من أسئلتهم وبخاصة مجادله العنيد "وليم كامبـل". وقد قامت بتنظيم هذا المؤتمر إحدى المؤسسات الدينية النصـرانية، وقـد ذكـر الدكتور "موريس بوكاي" فى كتابه "نظرات فى القرآن" إجابات لأهم الأسئلة التـى وجِّهت إليه من قِبلَ منتقديه فى هذا المؤتمر.(٣)

٢ – **مؤتمر الندوة العالمية حول ترجمات معاني القرآن الكريم** : وقد قام بتنظيم هذا المؤتمر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستنبول بتركيـا فـى الفترة من ٢١ إلى ٢٣ / ٣ /١٩٨٦م.

شارك "بوكاي" فى هذا المؤتمر ببحث قيم جدًا تحت عنوان: "تأملات حول أفكـار خاطئة يروجها المستشرقون من خلال ترجمات خاطئة للقرآن الكريم". (٤)

---

(1) انظر: "مساوئ الترجمات المتداولة للقرآن" ، ص٥٩ ، ترجمة د. محمد خير البقاعى ، مقال سابق.

(2) انظر: الأعداد رقم ٤٣ ، ٢٠٣ ، ٢٢٣، مجلة الفيصل السعودية.

(3) Reflexionx sur le Coran, Page : (256 – 280)

(4) وقد نشر هذا البحث بمجلة الأصالة الجزائرية فى العدد (٨٥) تحت عنوان : بخصوص تفاسير القـرآن وترجماته الحديثة، "أفكار أوحت بها تجربة شخصية".

٣- المؤتمر السادس للإعجاز العلمى (باندونج - أندونيسيا) : وقد عقد هذا المؤتمر فى الفترة من ٢٩ أغسطس إلى ٢ سبتمبر ١٩٩٥م، وقد كان الدكتور "بوكاي" من كبار العلماء الحاضرين، وقدم محاضرة نفيسة بعنوان : "حول عودة بلاد العرب مروجًا وأنهارًا".[١]

****

---

[1] انظر: حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ص٧٨، ص٤٢٣. رسالة دكتوراه منشورة للباحث ، د. توفيق محمد علوان بإشراف الدكتور أحمد على الإمام ، الطبعة الأولى، دار المنار الحديثة ٢٠٠٣م ، وأصل هذا البحث يدور حول حديث النبى (ﷺ) الذى رواه أبو هريرة ، والذي يقول : إن رسول الله (ﷺ) قال: "لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله ، فلا يجد أحدًا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا (صحيح مسلم ، كتاب : "الزكاة ، باب : الترغيب فى الصدقة برقم (١٦٨١).

دوافع دراسة الأديان لدى "بوكاي" :

إن بعض الاعتبارات التي المعطيات الموضوعية لتاريخ الأديان توجب وضع العهد القديم والأناجيل والقرآن على مستوى واحد ، من حيث إنها مجموعات للوحي المكتوب، غير أن هذا الموقف الذى يقول به المسلمون مبـدئيًا لـيس هـو نفـس الموقف الذى يقبله مؤمنو بلادنا الغربية التى تنتشـر بهـا المـؤثرات اليهوديـة المسيحية، والتى تَرفض إعطاء القرآن صفة الكتاب المنزل. [١]

ويذهب الدكتور "بوكاي" إلى أن مقابلة نصوص الكتب المقدسة بحقائق العلوم موضوع تفكير الإنسان فى كل العصور. ففي البدء قيل إن اتفـاق العلـم والكتـب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس. وإن القديس (أوغسطين) [٢] قد حدد هـذا المبدأ بشكل حاسم وذلك فى خطابه الثاني والثمانين. ولكنَّ تطور العلم كشـف عـن وجود نقاط خلاف بين الاثنين ، وبهذه الطريقة خُلِقَ ذلك الوضع الخطير الذى جعـل اليوم مفسري التوراة والأناجيل يناصبون العلماء العداء[٣]. وإن الإسلام قد اعتبـر دائمًا – كما فعل القديس أوغسطين بالنسبة للتوراة – أن هناك اتفاقًا بين معطيـات الكتاب المقدس والواقع العلمي، وإن دراسة نص القرآن فى العصـر الحـديث لـم تكشف عن الحاجة إلى إعادة النظر فى هذا. [٤]

ولقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقـة فـى البداية.. ولم يكن لي أى إيمان بالإسلام.

---

[1] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل"، ص٩.

[2] ظهر القديس أوغسطين (٣٥٤- ٤٣٠م) كشخصية ريادية فى العالم المسيحي، وقد آمـن بـأن الحيـاة الاجتماعية مقدسة، ولذلك فإن الدولة هامة فى حياة الناس للحفاظ على المجتمـع وأن علـى الملـك أن يكون فى خدمة الإله، وقد رأى بأن الطغيان من الحكام لا يبرر الثورة عليهم ودعى أوغسـطين لوحـدة الكنيسة وعالمية سيطرتها على العالم المسيحي، وقال بأن النور (الوحي) الإلهي هو الذى يعطي الإنسان الحقائق، وآمن بأن هناك مدينة الله ومدينة الشيطان ، وأن مدينة الله لا يمكن معرفتهـا إلا مـن خـلال سلطة الكنيسة المقدسة وغير القابلة للنقاش ، ("مقدمة فى علم الاستغراب" ، د.حسن حنفـى، ص١٣٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ص١٩٩٢ – بيروت).

[3] انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص١٥.

[4] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٦.

وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحــررة مــن كــل حكــم مســبق وبموضوعية تامة.

وإذا كان هناك تأثير ما قد مُورس فهو بالتأكيد تأثير التعاليم التي تلقيتها فى شبابى، حيث لم تكن الغالبية تتحدث عن المسلمين ، وإنما عن المحمــديين لتأكيــد الإشارة إلى أن الْمَعْنِيَّ به دين أسسه رجل، وبالتالي فهو دين عديم القيمة تمامًا إزاء الله.

وككثيرين كان يمكن أن أظل محتفظًا بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام، وهى على درجة من الانتشار، بحيث إنني أدهش دائمًا حين ألتقي خارج المتخصصــين، متحدثين مستنيرين فى هذه النقاط. (١)

ولأن الدكتور "بوكاي" يدرك خطورة هذه النظرة ، كان مــن أهــم الــدوافع لدراسة الأديان لديه ما يلى :

أولاً : دعوة الفاتيكان لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين. (٢)

---

(1) انظر : السابق ، ص١٥٠.

(2) توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمســلمين" ، **Orientations un dialogue entre Chretiens et Musulmans** عنوان الوثيقة التى دعت إلى الحوار مع المسلمين، وقد طبعت عام ١٩٦٥ باللغة الفرنسية ثــم ترجمت إلى اللغة العربية عام ١٩٧٠ بعنوان "من أجل حوار إسلامي مسيحي: موقف المسيحية من الإسلام كمــا حدده الفاتيكان" وقد دعى الفاتيكان فى هذه الوثيقة إلى ضرورة الحوار من أجل فهم الآخر والتعرف على حقيقته ، للتخفيف من حدة التوترات والسعي لتحديد بعض إمكانات اللقاء.. لكنه وهَّن من التركيز على الحــوار العقائــدي الذى كان هو السائد فى العلاقة بين أصحاب الأديان بل حاول العزوف عنه تمامًا. وهذه الدعوة لا تحمل فى طياتها مقومات الصدق والدليل على ذلك:

١- أن الفاتيكان عام ٢٠٠٠ أصدر قرارًا حصر فيه الخلاص فى اليوم الآخر بالكنيسة الكاثوليكية وحدها دون باقى الكنائس الأخرى وعليه فاستبعاد المسلمين يكون من باب أولى.

٢- أن البابا يوحنا بولس السادس فى عام ٢٠٠٥م وقبل وفاته قدم اعتذارًا رســميًا لليهــود -علــى لســان النصارى- عن اتهامهم لهم على مدار السنين أنهم صلبة المسيح وقتلته.

٣- محاضرة البابا بندكت السادس عشر في جامعة رجنسبورغ بألمانيا في سبتمبر ٢٠٠٦ بعنــوان "الإيمــان والعقل والجامعة: ذكريات وتأملات"، وذكر فيها أن دعوة محمد (ﷺ) قامت على العنف فقط، ولــم تقــم على العقل والإيمان والاقتناع، هذا ولا ننفي أن هناك بعض الغربيين في عالمنا المعاصر أصــبحوا يطلقون على نبينا محمد (ﷺ) قائلين: "النبي محمد" وقد كان الغرب قبل – فيمــا مضــى– باســم "محمد" أو الزعيم أو الملك إلى غير ذلك من الألفاظ .

انظر فى التعريف بهذه الوثيقة ومبادئها والتعليق عليها، الدراسة التي قام بها الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور بعنوان : الحوار المسيحي الإسلامي ، دراسة لإحدى الوثائق، ضمن فعاليــات المــؤتمر الــدولى الخامس للفلسفة الإسلامية "الإسلام وحوار الحضارات" فى كلية دار العلوم عام ٢٠٠٠م ص١٠١-١٤١ وتحديدًا ص ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٣٣، ١٣٥، كما قام الشيخ محمد مهدى استانبولى بتفنيد ما جــاء فى هذه الوثيقة موجهًا خطابًا إلى الفاتيكان تحت عنوان " إلى البابا بولس السادس عظيم أهــل ملتــه" – بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – العدد (١٧) رجب سنة ١٣٩٢هــ ، بالصفحات من ٣٩ :٤٥.

يرى الدكتور "بوكاي" أن من الأمور التي تدفع لدراسة الأديان هو أن هنـاك تغيرًا جذريًا يتحقق اليوم على أعلى مستوياته فى العالم المسيحي وذلك من خـلال دعوة الفاتيكان للمسيحيين أن يستبعدوا الصورة التى يصوِّرون المسـلمين عليهـا، "تلك الصورة البالية التى ورَّثهم الماضي إياها أو شـوهتها الافتـراءات والأحكـام السابقة.[١]

كما يرى الدكتور "بوكاي" أن هذه الدعوة من قِبلَ الفاتيكان تنتقد أيضًا مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن الحتمية الإسلامية، وحرفية الإسلام، وتعصبه، وغير ذلك.[٢] كما دعت الوثيقة المسيحيين منذ عام ١٩٦٧م إلى تقديم تهـانيهم إلـى المسـلمين بمناسبة عيد الفطر (انتهاء شهر الصوم)، فهو يمثل "قيمة دينية أصيلة".. كما أتْبَـعَ ذلك الزيارة الرسمية التى قام بها الكاردينال بنيودولي **Pignedoli** رئيس سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين إلى جلالة "الملك فيصل" عاهل المملكـة العربيـة السعودية فى الرابع والعشرين من إبريل عام ١٩٧٤.. وخاصـة عنـدما نعلـم أن الكاردينال قد سلم للعاهل السعودى رسالة من البابا "بولس السادس" مـدفوعًا إلـى ذلك بإيمانه العميق بوحدة العالمَيْن الإسلامي والمسيحي اللذين يعبدان إلهًا واحـدًا، ومعبرًا فيها قداسته عن تقديره لجلالة "الملك فيصل" باعتباره الشخصية العليا فـى العالم الإسلامي.[٣]

ويذهب الدكتور "موريس بوكاي" إلى أن وثيقة الفاتيكان تؤكد على عدد مـن المعطيات المهمة فى علاقة المسلمين بالمسيحيين منها :

١ – ترى الوثيقة أن من الباطل التمسك بأن الله لـيس هـو إلـه حقيقـةً ... وأن المسلمين الذين يؤمنون بإبراهيم يعبدون معنا إلهًا واحدًا هـو الـرحيم، ديَّـان البشر فى اليوم الآخر.[٤]

---

(1) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص١١.

(2) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر: السابق ، ص١٢.

(4) انظر : السابق ، ص١٤٣.

٢- انتقدت الوثيقة بعض الأحكام الخاطئة لدى الغرب عن الإسلام مثل "جبرية الإسلام" ذلك الحكم واسع الانتشار، (فدرسته) الوثيقة بذكر آيات من القرآن وتعارضه بالمفهوم القائل بالإخلاص فى الإيمان، وذلك بذكر ما ظل يجهله الغربيون عن عبارتي القرآن :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[١] ، وأيضًا : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢]

كما تدحض الوثيقة الفكرة التى نشرها كثير من اليهود والمسيحيين عن "تعصب الإسلام" ، وقد علَّقت على ذلك بقولها : الواقع أن الإسلام عبر التاريخ لم يكن أكثر تعصبًا من المدينة المسيحية عندما كانت المسيحية تكتسب بشكل أو بآخر، فى هذه المدينة قيمة سياسية. [٣]

ولقد كان لتلك المبادرة من قبل المسيحيين – فى رأى "موريس بوكاي"– صدىً للتقارب بين الهيئة البابوية والإسلامية، حيث تلى ذلك استقبال البابا "بولس السادس" لكبار علماء المملكة العربية السعودية سنة ١٩٧٤م استقبالاً رسميًا. هنا نرى بجلاء أكثر الدلالة الروحية العظيمة لاستقبال غبطة الأسقف الشنجر **Elchonger** للعلماء بكاتدرائيته **Surasbourug**. ففي تلك الزيارة دعا الحبر العلماء لأداء فريضة الصلاة ببهو كاتدرائيته ، وقد أدى هؤلاء الصلاة أمام المذبح متوجهين إلى القبلة.. وإذن فإذا كان ممثلو العالَمَيْنِ المسلم والمسيحي على أعلى المستويات يتفاهمون بهذه الكيفية فى إخلاصهم لرب واحد ، وفى احترامهم المتبادل لاختلافهم، ويتفقون على إقامة حوار ديني.

أليس طبيعيًا ، والحال هذه ، أن تقام المقابلات بين مختلف جوانب الكتب المقدسة [٤]؟

---

[1] سورة البقرة : آية ٢٥٦.

[2] سورة الحج : آية ٨٧.

[3] انظر : السابق ــ ص١٤٤.

[4] انظر : السابق ص١٤٦.

ثانياً : ضرورة مطابقة الدين الصحيح لنظريات العلم الحديث :

إن المواجهة بين حقائق العلم فى القرن العشرين وبين بعض الموضـوعات التى تعالجها الكتب المقدسة تهم الأديان الثلاثة معًا، وليس دينًا واحدًا على حدتـه، ونظرًا لما يتهدد الأديان الثلاثة من طغيان المادية فى هذه الأيام، فمن الواجـب أن نتقارب تجاه هذا الطغيان، ففي الأوساط العلمية ذات المؤثرات اليهودية المسـيحية، وكذلك الإسلامية يقال إن الدين والعلم لا يتفقان. (١)

ولم تكن العلاقات بين الأديان والعلوم متماثلة فى كل الأماكن..ولكن علميًـا علينا أن نعترف بأن العلماء قد لاقوا مصاعب جمَّة من السلطات الدينية فى بعـض الأديان. (٢)

ففى الوسط المسيحي وعبر قرون كثيرة بادرت سلطات مسـئولة، – ودون الاعتماد على أى نصوص حقيقية للكتب المقدسة– بمعارضة تطور العلم. واتخـذت هذه السلطات ضد العلماء – الذين كانوا يحاولون تطوير العلوم – الإجراءات التـى نعرفها، تلك التى دفعت بعض العلماء إلى المنفى تلافيًا للموت أو إلى طلب المغفـرة لتعديل مواقفهم والتماس العفو. (٣)

أما فى الإسلام فعمومًا كان الموقف إزاء العلم مختلفًا إذ ليس هناك أوضـح من ذلك الحديث المشهور للنبي (ﷺ)الذى يقول فيه :{طلب العلم فريضة علـى كـل مسلم}.(٤) وهناك أمر رئيس فى القرآن ، فإنه يدعوا إلى المواظبة علـى الاشـتغال بالعلم، ويحتوي أيضًا على تأملات عديدة خاصة بـالظواهر الطبيعيـة، وبتفاصـيل

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص١٣ ، غير أن هذه الرؤية بالنسبة للإسلام غير صحيحة، والدليل على ذلك دراسة "بوكاي" نفسه للأديان الثلاثة، والتي أثبتت بشكل قاطع المطابقة بين الدين والعلـم فـى الإسلام.

(2) انظر : السابق ، ص١٤٦.

(3) انظر : السابق ، نفس الموضع، ولتفصيل القول فى هذه النقطة انظر : ما كتبته فى التمهيد فـى هـذه الدراسة من ص١٦ إلى ص١٨

(4) أخرجه العلامة الشيخ "الألبانى" فى السلسلة الصحيحة برقم ٣٩١٤ ، وذكره "ابن ماجة" فى مقدمة سننه، "فضل العلماء والحث على طلب العلم" برقم (٢٢٠).

توضيحية تتفق تمامًا مع معطيات العلم الحديث، وليس هناك ما يعــادل ذلــك فــى التوراة والإنجيل. [١]

كما أن الدارس للإسلام يعرف أن العلم والدين فيه توأمان حتــى فــى هــذا العصر الذى قطع العلم فيه أشواطًا تبدو مذهلة لم يصطدم أبدًا الدين مع العلم... وقد ساعدت الكشوف والحقائق العلمية على إثبات ما فى رسالة الإسلام والنص على ما فيه من إعجاز علمي يؤكد صدوره من قوى خارقة للطبيعة، أي من وحي الخــالق الأعظم.[٢]

ويرى الدكتور "موريس بوكاي" أن هذا التلازم بين الدين والقرآن فى كثيــر من الآيات نستطيع أن نكشف من خلاله عن غرور وتهافت كثيــر مــن النظريــات الحديثة. فأصبح من العسير علميًا أن تتقدم فكرة (الصدفة) فى ضوء قــول القــرآن الكريم: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [٣]ووصــف أصــحابها وصفًا دقيقًا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [٤]

وفى النهاية يطرح "بوكاي" سؤاله الذى دفعه لدراسة الأديان فيقــول : هــل يمكن لشخص يؤمن بالله أن يجد توافقًا بين أفكاره الدينية واكتشافات العلم فى هــذا المجال ؟ ليست هناك سوى طريقة واحدة لفهم الموضوع : يجب أن نضفي أكبر قدر ممكن من الدقة على المعطيات الثابتة للمعارف العلمية، ثم نعقد مقارنة منطقية غير متحيزة مع تعاليم الكتب المقدسة، التى جاءت بها كل الأديان الثلاثة، وهذا هو مــا حاولت أن أفعله. [٥]

---

(1) القرآن والتوراة والإنجيل، ص١٤٦ – ١٤٧.

(2) انظر: "القرآن والعلم الحديث" للدكتور "موريس بوكاي" ، ص١٥.

(3) انظر: سورة الواقعة ، الآيتان (٥٨ ، ٥٩)

(4) انظر : سورة الأعراف ، الآية ١٧٩.

(5) انظر : "ما أصل الإنسان ؟" ،إجابات العلم والكتب المقدسة ، ص٢١٥.

ثانياً: التعريف بالدكتور وليم كامبل William F Compbell . M.D

هو الدكتور وليم كامبل William F Compbell، ولد في ولاية بنسلفانيا[1] بالولايات المتحدة الأمريكية وهو نصراني الملة ، كاثوليكي المذهب ، ولد سنة ١٩٢٦م، تخرج فى كلية الطب من جامعة (ووستر) المشيخية بأمريكا فى سنة ١٩٤٦م[2] ، كانت مهنة وليم كامبل الأساسية الطب ، حيث إنه كان يعمل أستاذا بكلية كليفيلندا أوهايو Cleveland Ohio بجامعة Cosewestren ، ومارس الطب أيضا حين كان مقيما بدول المغرب العربي ، إذ إنه قضى بها عشرين عاما ، قضى منها سبعة أعوام أخرى منصرفا إلى تعلم اللغة العربية ودراسة القرآن الكريم في تونس[3].

تفرغ وليم كامبل لدراسة الأديان تماما حتى صار علما من أعلام اللاهوت في أمريكا فصار منصرا مشهورا ، حتى أصبح يلقب بلقب " **المبشر الصلب**"[4]. إذ إنه مهتم بالد فاع عن قضية تحريف الإنجيل والتوراة منذ اهتمامه بالدراسات اللاهوتية ، حيث إنه أفرد مؤلفا خاصا لإثبات كذب إنجيل برنابا[5] ثم مؤلفا آخرَ كبيرًا يفنّد فيه آراء المسلمين في قضية تحريف التوراة والإنجيل ، بل إنه من اهتماماته الدينية لم يفته أن يطعن في القرآن الكريم وأن يشكك كذلك في نبوة محمد ﷺ.[6]

لم يزل كامبل جبًّا ينافح عن النصرانية إلى وقت قريب، غير أن كبر سنه أقعده عن المناظرات، وأوقفه كذلك عن ممارسة نشاطاته التنصيريه فى الدول الإسلامية.

---

(1) ولاية بنسلفانيا Penssylvania : هى ولاية أمريكية تقع شرق الولايات المتحدة الأمريكية وعاصمتها مدينة فلاديلفيا.

(2) انظر : "القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم لـ وليم كامبل" ، ص٧٣.

(3) انظر : "نص مناظرة بينه وبين بعض علماء المسلمين ففي الملاحق من هذه الدراسة ، ص١ ، وسيأتى التعليق على أهم ما ورد في هذه المناظرة في موضعه من هذه الدراسة – بإذن الله.

وانظر كذلك : "القرآن والكتاب المقدس فى نور التاريخ والعلم " ص١٩.

وانظر : Le Coran et la Bible a la Lumiere de histoire et de la science.P.1 Edition revue et corrigee.

(4) انظر: السابق ، ص٣ ، وانظر أيضًا : ص١ من الملحق الأول قسم الملاحق والوثائق من هذه الدراسة.

(5) سيأتى الحديث عما ورد في مؤلفات "وليم كامبل" بالتفصيل إن شاء الله.

(6) انظر : "القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم" ، ص (٥٨ : ٦٤).

وقد احتفى النصارى جدا بلاهوتيه الدكتور وليم كامبل ، فافردوا له ولمؤلفاته صفحة خاصة باسمه في موقعهم على شبكة المعلومات الدولية [١]. ويبدو أن الدكتور كامبل لم يفتأ يدافع عن النصرانية، حتى وهو يمارس مهنة الطب ، وقبل أن يتفرغ تماما لها ، إذ أنه يحكي في ثنايا مؤلفاته عن كثير من المجادلات والحوارات التي كانت تدور بينه وبين مرضاه من المسلمين ، حين كان يعمل طبيبا في بلاد المغرب[٢] وكان يمتد تأثير هذه المجادلات أحيانا إلى أن يزور بعضهم في بيته ليتم معه ما بدأ من مجادلة دينية[٣].

ويحكي كامبل أيضا أنه كانت تجري حوارات دينية بينه وبين أساتذته، أثناء دراسته للطب في المرحلة التمهيدية، إذ يقول عن نفسه وهو يتجادل مع أحد أساتذته للدين والذي كان يدرس له في جامعة وستر المشيخية بأمريكا : والذي كان يخبره هو وزميل له بأنه ينبغي لنا أن نؤمن بنظرية الوثائق ، التي تثبت أن موسى ، لم يكتب التوراة وأنه لم تجر له معجزات . فيحكي كامبل هذا الموقف قائلا عن نفسه : ولما لم أكن وقتها أمتلك حقائق تدحض ما قاله الأستاذ من أن موسى لم يكتب التوراة، قبلت ما قال ، مما زعزع ثقتي في التوراة كوحي إلهي ، فرفضت المسيحية، وأصبحت من غير إرادة ، ولم أكن ملحدا ، لكني لم أكن أدري ماذا أعتقد في الله ؟ [٤] ثم يذكر كامبل أنه لم يزل فترة طويلة على هذا الحال، إذ إن الله الذي يريد أن يجعل

---

(1) قام النصارى بعمل موقع على شبكة المعلومات الدولية ، وهو عبارة عن نشر كتب اللاهوتيين من النصارى يردون فيها على ما يكتبه الكتاب المسلمين في تحريف التوراة والإنجيل، وهذا الموقع عبارة عن مجموعة صفحات كل منها باسم مؤلف نصراني يدافع عن القضية ذاتها وعن صحة عقائد النصارى – انظر الموقع على شبكة المعلومات الدولية: WWW.Http/answering-islam.org وترجمته بالعربية (الرد على الإسلام) وقد اختص النصارى الدكتور كامبل بصفحة خاصة بها مؤلفاته وتعريف مبسط به.

(2) انظر : "القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم " ، ص١٢.

(3) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(4) انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ص٧٤.

جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقْبِلون ، لم يتركني في جهلى ، بل قادني إلى من علموني الحقائق، التي تثبت صحة كتب التوراة والأنبياء.(١)

كما يصور لنا كامبل تأسيه وحزنه العميق ، عند سماعه تهمة المسلمين للنصارى بأنهم حرفوا كتابهم، وخاصة حين كان يمارس الطب في شمال إفريقيا، من كثرة ما كان يسمعها ، وما إن استراح منها حتى فوجئ بكتاب الدكتور موريس بوكاي يعيد عليه هذه التهمة مرة أخرى.

فيصور كامبل حالته النفسية اللاهوتية بعد قراءته للكتاب فيقول . " زرت المتحف البريطاني بلندن سنة ١٩٨٣م لأرى واحدة من أقدم مخطوطات الكتاب المقدس، وهي السينائية التي ترجع إلى عام ٣٥٠م وما إن رأيتها حتى خيل لي أنني أسمع أصوات من قالوا لي مئات المرات : حرفتم كتابكم ! صارخين بذلك في وجهي ، فانفجرت باكيا، وأنا إلى الآن وأنا أكتب هذه الكلمات تدمع عيناي ... ولقد كان أمامي برهان ملموس على أن الإنجيل باق كما هو بغير تغيير.(٢)

****

(1) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(2) انظر : " القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم " ، ص٨.

- جهود كامبل اللاهوتية وأهم مؤلفاته الدينية ومناظراته.

*** أهـم مؤلفاته :-**

تفرغ الدكتور وليم كامبل لدراسة الأديان، والانتصار للنصرانية مـدة طويلـة أثمرت هذه المدة عن مؤَلَّفَيْنِ للرد على شبهات المسـلمين حـول تحريـف الكتـاب المقدس.

- **أحدهما** بعنوان : " القرآن والكتاب المقدس فـي نـور التـاريخ والعلـم " **The Quran and the Bible in the light of history scince .**

ألف الدكتور كامبل هذا الكتاب في ست وخمسين وثلاثمائة من الصفحات وقـد طبع هذه الكتاب عدة طبعات ، أولها في عام ١٩٨٦ وقد طبعته مؤسسة مكتبة مصادر الشرق الأوسط **Middle east Recourses** باللغة العربية ، ثم ترجم إلى ست لغات منها الإنجليزية والفرنسية والصينية القديمـة التقليديـة **Traditional Chinese** وكذلك إلى الصينية الحديثة السهلة **Simplified Chinese** .

*** أهمية هذا الكتاب :-**

اهتمت المؤسسات النصرانية اهتمامًا بالغا بالدكتور كامبل، فكانت كـل منهـا تسارع إلى نشر وطبع كتابه عدة طبعات ، لحاجتها إليه واستخدامه وسيلة من وسائل التنصير بالنسبة لها . فقد وصلت طبعاته في ألمانيا وحدها إلى ست طبعات متتالية ، وكذلك الحال توالت طبعاته في باكستان وغيرها من بلاد المسلمين .

١) كتب الدكتور وليم كامبل هذا الكتاب محاولة منه للرد على أهم ما جاء في دراسـة الدكتور موريس بوكاي " القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثـة **The Bible The Quran and Science** ولكـن أهمية الكتاب لم تقف عند هذا الحد ، بل إنها تمتد إلى أكثر من ذلك كمـا يقـول كامبل نفسه : إنها محاولة لدراسة المواجهة بين الإسلام والنصرانية على مستوى عميق عقليا وعاطفيا. [١]

---

[١] انظر : "القرآن والكتاب المقدس " ، ص٨.

ولأن كامبل ممن أدركوا قوة هذه المواجهة بين الإسلام والنصـرانية جـاءت دراسته متناولة كثيرًا من القضايا التي هى محل حوار بين الديانتين. ويحاول كامبـل كنصراني لا هوتي أن يناقشها وينتصر فيها للنصرانية.

ولم يقف في دراسته عند حد الانتصار لصحة الإنجيل والتوراة فقط – كما سيتضح ذلك – إن شاء الله – عند الحديث عن منهجه في موضعه من هذه الدراسة.

٢) كما تتمثل أهمية هذا الكتاب أيضا في أنه حرص حرصا شديدا علـى أن يكتبـه باللغة العربية تلك اللغة التي انتشر بها كتاب خصمه الدكتور "بوكاي" انتشارًا كبيرًا جدًا – كما حرص أيضا على توالي طبعاته كذلك باللغة العربية ، ثم ترجم الكتـاب بعدها إلى عدة لغات.

وقد تحقق لدي الباحث أن هذه الدراسة كتبت باللغة العربية ، وتأيد هذا التأكيد بعدة أمور أهمها ما يلى :

أولاً : صرح الدكتور "كامبل" نفسه في النسخة المكتوبة باللغة العربية وكذلك النسخة المكتوبة باللغة الفرنسية ، كما صرح أنه عند استعداده وتجهزه لكتابـة هـذا الكتاب اعتمد على نسخة "موريس بوكاي" العربية والتي طبعت في مصر سنة ١٩٨٢م. (١)

ثانياً : أن النسخة الأصلية التى حصل عليها الباحث من هذا الكتاب اسـتقدمها مـن ألمانيا فجاءت مكتوبة باللغة العربية، ومكتوب عليها أن هـذا الكتـاب تمـت ترجمته إلى الألمانية والإنجليزية ، كما صرح بذلك في مقدمة مناظرتـه مـع علماء المسلمين. (٢)

ثالثاً : أن الكاتب نفسه قضي من حياته ما يزيد عن عشرين عامًا منصرفًا إلى تعلم اللغة العربية فى بلادها (٣) ، مما يُمكّن له أن يقوم بمثل هذه الدراسة.

---

(1) انظر : "القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم" ، ص٣ ، وانظر أيضـًا : Le Coran et la Bible a' la lumiere de l'historie et de La scienece (P.1)

(2) انظر ص١ من الملحق الأول من قسم الملاحق والوثائق.

(3) انظر : "القرآن والكتاب المقدس " ص٨ ، ٩.

رابعًا : حرص "كامبل" على أن يُخْرِج كتابه بذات اللغة التى انتشر بها كتاب خصمه "موريس بوكاي" ، حتى يكون أدْعَى للانتشار والذيوع ، وخاصة إذا كان العرب قد احتفوا بكتاب "بوكاي" احتفاءً شديدًا – حسب رؤية كامبل–

الكتاب الثاني : إنجيل برنابا وقيمته الحقيقية :

. The Gospel of Bernabas, Its true value

ألف كامبل هذا الكتاب عام ١٩٨٩م واهتمت به مراكز التنصير في العالم، وقام بنشره مركز الدراسات المسيحية بباكستان[1] .**Christian study center** **Rwalpindi Pakistan** وبلغ عدد طبعات الكتاب ست طبعات في شتى أنحاء أوروبا خاصة. [2]

حاول "كامبل" في هذا الكتاب أن ينتصر للقضية المهمة لدى النصارى وهي تزييف إنجيل برنابا وأنه من عمل المسلمين، متكئًا في ذلك على ظهور أولى مخطوطات هذا الإنجيل في فترة متأخرة واهتمام المسلمين بنشره ، والاتفاق كذلك بين ما جاء في هذا الإنجيل وبين بعض الآيات القرآنية. [3]

ومن أهم الجهود الدينية لدى الدكتور "كامبل" أيضا، أنه أحد المنصرين المهتمين بالكتابة في مجلة المعهد الكاثوليكي بالفاتيكان ، حتى إنه قَبْلَ أن يكتب كتابا منفردًا للرد على الدكتور "بوكاي" جرت بينهما مجادلات حول موضوع الكتاب(تحريف التوراة والإنجيل وصحة القرآن الكريم)من خلال مجلة المعهد الكاثوليكي بالفاتيكان.[4]

*** أهم المناظرات الدينية للدكتور"وليم كامبل" مع علماء المسلمين .**

تحدثت في الصفحات السابقة عن ميول الدكتور "كامبل" اللاهوتية طوال فترة دراسته الطبية ، والتي أثمرت عن قراءات كثيرة له في مجال الأديان السماوية مما

---

(1) إنجيل برنابا بين المؤيدين والرافضين ، ص١٣ لـ د/فريز صموئيل ، الطبعة الثالثة ، مطبعة أوتو برنت بالقاهرة ، سنة ٢٠٠٤م.

(2) انظر : إنجيل برنابا بين المؤيدين والرافضين لـ فريز صموئيل ، ص١٣.

(3) : انظر : **William F.Compbell. The Gospel of Banabas. Page**

(4) : انظر: **Le Coran et la Bible a' la lumiere de l'historie et de La scienece (P.2)**

أهَّلته بَعْدُ حين صار طبيبا أن يجري محاورات ومجادلات مــع كثيــر مــن مرضـــاه المسلمين الذين كانوا يترددون عليه لمعالجتهم ، والتي كانت تمتد أحيانا إلى زيارتــه لهم في بيوتهم – كما يقول هو – ليُتمّ معهم ما بدأه من حوار[١]. غير أن هــذا يُعــدُّ شكلاً صغيرًا من أشكال الحوار في فترة من فترات حياة "كامبل" ، تطور هــذا الشــكل فيما بَعْدُ حتى صار "كامبل" يمثل الديانة النصرانية في مناظرات ومحاورات مع علماء من المسلمين، على نطاق واسع يحضرها العلماء من المسلمين وجمع من القساوسة النصارى وجمع من الجماهير من أهل الديانات الثلاث ويلقب فيها "كامبل" بلقب"**منصر بنسلفانيا الشهير**"[٢]ومن أشهر الألقاب التي خلعت عليه أيضًا لقب "**المبشر الصلب**" كما سبق.

ومن أهم مناظرات "وليم كامبل" ، تلك التي أجريت بين مجموعة مــن علمــاء النصارى يتَقَدّمُهم الدكتور "وليم كامبل" في مقابل مجموعة مــن العلمــاء المســلمين يتحدث عنهم الدكتور ذاكر عبد الكريم نعيق. [٣]

وقد قام بتنظيم هذه المناظرة الدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية **The Islamic circle of north America** في إطار الحوار الإسلامي النصراني ، وذلك في يوم السبت ٤ الأول من إبريل سنة ٢٠٠٠م من ميلاد المسيح عليــه الســلام ، بمدينــة شيكاغو الأمريكية ، وكانت بعنوان : "القرآن والتوراة في ضوء العلم".

---

(1) انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص١٢.

(2) انظر : ص١ من نص المناظرة فى قسم الملاحق والوثائق.

(3)هو العالم الهندي الشهير الدكتور / ذاكر عبد الكريم نعيق رئيس مؤسسة البحث الإسلامية في بومبــاي الهند ، وهو طبيب – محترف مهنة الطب : كما أنه معروف بأنه خطيب دولي نشط في مقارنة الأديان ، دعاه الشيخ أحمد ديدات عدة مرات لحضور مناظرات معه أو إلقاء مجموعة من المحاضرات. حتــى إن الدعوات التي وصلته من الدول الإسلامية وغير الإسلامية بلغت حوالي ٦٠٠ دعوة لزيارتهــا وإجــراء حوارات دينية بها ، زار كثيرا من الدول الإسلامية كالسعودية وقطر والبحرين والإمارات وغيرها ، أمــا الدول الأوروبية فهي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا وهونج كونج وتايلند وغيرهــا. ومــن أشهر كتبه المطبوعة فى مصر كتاب له بعنوان : "القرآن والعلم الحديث" ، ترجمــة /فــاتن الزلبــانى ، الناشر مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هــ /٢٠٠٣م ، وانظر أيضًا : ص١ من الملحق الأول.
وانظر موقعه على شبكة المعلومات الدولية :

Http://WWW>irf.net/drzakirnaik/middle/introduction.ntn:

بدأت المناظرة بعد التقديم –من قبل الدائرة المنظمة – بإعطاء فرصة الحديث للدكتور/ وليم كامبل الذي يمثل الاتجاه النصراني[1].

حرص كامبل في بداية كلامه على تقعيد قاعدة ينبنى بقية كلامه على أساسها وهى:

يجب معرفة معنى الكلمة أو العبارة ، وما الذي تعنيه هـذه الكلمـة أو هـذه العبارة بالنسبة لكلٍ من السامع والمتكلم، [2] وما هو الذي فهمه المستمع حين استمع للقرآن والتوراة والإنجيل. ونضيف إلى ذلك أهمية السياق، والشعر، ووسـائل ذلـك القرن الذي كُتِب فيه كل من التوراة والإنجيل والقرآن. كما ينبغي أن نفهم هذه الكتب في ظل معاني القرن الأول لكل منهما ، ولا نضيف عليهما معاني معاصرة، وفي ضوء ذلك لا يكون هناك مجال للأكاذيب والاختلاف.[3]

وفي ضوء هذه القاعدة يبدأ "كامبل" في إثارة عدة شبهات حول القرآن ونبيـه على النحو التالى :

1- الشبـهة الأولى: يرى "كامبل" في ضوء قاعدته السابقة أن القرآن عندما يخاطـب أهل مكة عن مراحل الخلق في كل من سورة القيامة – الحج – المؤمنون – العلـق- غافر. [4] فإنهم لابد قد فهموا ما الذي يقصده القرآن بالعلقة والمضغة. وهذا يدل على أنهم كانوا على علمٍ بهذه المراحل قبل أن يخبرهم بها. ومن يتتبـع أحـوال جزيـرة العرب يجد أن لهم علاقات سياسية واقتصادية وطبية. [5] وكلنا يعلم أن أبو قـريطس (٤٦٠ق.م) وأرسطو (٣٦٠ق.م) ، وجالينوس (١٣١ق.م) قد ذكـرت عنـدهم فـي مؤلفاتهم هذه المراحل التي ذكرها القرآن ، وهؤلاء أسبقوا عهدا من محمد. [6]

(1) أعطت اللجنة المنظمة الفرصة لكل من المتناظرين ٥٥ دقيقة ، ثم بعد أن ينتهى ثانيهما من حديثه يعطى الأول ٢٥ دقيقة للرد عليه ..وهكذا.

وقد حرص كامبل عند بداية كلامه على أن يوجه تحية خاصة للإله "يهوه" وجموع اليهود الحاضرين (انظر: ص١من الملحق الأول).

(2) انظر : ص١ ، ٢ من الملحق الأول.

(3) انظر : ص٢٥ من الملحق الأول.

(4) والآيات التي يقصدها "كامبل" هى سورة القيامة (من ٣٤ :٣٩) وسورة الحـج (آيـة :٥) ، وسـورة المؤمنون (من ١٢ :١٤) ، وسورة العلق (من ١ :٧) وسورة غافر (٦٧).

(5) انظر : ص٤ من الملحق الأول.

(6) انظر : ص٥ من الملحق الأول.

ومن المعروف أن جالينوس قد أنشأ كلية طبية بها كثير من الأطباء البـــارزين في الإسكندرية ومصر. كما أنه من المعروف أن كثيرًا من الكتب الطبية لجالينوس قد وصلت إلى اليمن في غضون سنة ٥٠٠م.

وكانت قوافل اليمن التجارية في الماضي تمر خلال مكة المكرمة والمدينة فـــي هذا الوقت ذاع خبر الطبيب ابن الحارث (الذي ولد بالطائف) [١] ودعي لعـــلاج ملـــك اليمن وأغدقه عليه المال الكثير.

وجاء بعد هذا الرجل ابنه (لادن ابن الحارث) الذي يدين له محمـــد بمعرفتـــه للطب، فكان محمد يعالج المرضي، ويرسل الحالات الصعبة إلـــى لادن ابـــن الحـــارث ومعروف أن هذا الرجل لم يكن متعاطفًا مع محمد ، فقتله محمد فى معركة بدر. [٢]

يرى "كامبل" أن كل هذا يوضح لنا أن القرآن لم يكن أول مصـــدر يـــذكر لنـــا مراحل الخلق، ولكنه سُبِق بعدة قرون ، ولم يزد القرآن إلا أنه عَدّل كثيرًا في مســـار المراحل التي جاءت عنه كل من أبوقريطس وجالينوس وأرسطو وهذا لأن الناس قـــد أصبحوا مألوفين بالطب. [٣]

٢- **الشبـهة الثانيـة** : يَّدعي المسلمون أن القرآن هو أول من أخبر بأن القمر يبعث ضوءًا منعكسًا من الشمس وليس يبعث ضوءًا من نفسه.

يرى "كامبل" أن هذا قد عرف تقريبًا في عهد أرسطو وقبل عصر محمد بـــألف سنة[٤] كما أن من يتتبع وصف القرآن للقمر والشمس يجد أن القرآن أحيانًا يصـــف الشمس بأنها سراج[٥] ويصف الشمس أحيانًا أخرى بأنها مصباح.

---

[1] لم أستطع الوقوف على خبره.

[2] انظر : ص٥ من الملحق الأول.

[3] انظر : الملحق رقم ١ من ص٢ : ٥.

[4] انظر : ص٧ من الملحق الأول.

[5] يشير "كامبل" إلى قول الله رب العالمين فى سورة النور : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً ﴾ (الفرقان : آية ٦١)

ووردت كلمة منير في القرآن ٦ مرات ، ومن يتتبعها يجد أن ٤ مرات منهـا تصف القرآن بأنه الكتاب الذي يشع بضوء المعرفة.[١] ، ولا يدل ذلك على شئ من الانعكاس.[٢] وهناك وصف آخر لكلمة – فى ذات الجذر – الله ، إذ يقول : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣] وهذا يدلنا على أن القرآن استخدم كلمة "نور" لكل من الله والقمر ، فهل يمكننا أن نقول بأن الله سيبعث ضوءًا منعكسًا كما قلنا فى القمر؟![٤]

****

[1] والآيات التى يشير إليها "كامبل" هنا هى : آية ١٨٤ من سورة آل عمران ، وآية ٨ من سورة الحـج ، وآية عشرين من سورة لقمان ، وآية ٢٥ من سورة فاطر.

[2] انظر : ص٧ من الملحق الأول.

[3] سورة النور : آية ٣٥.

[4] انظر : ص٧ من الملحق الأول.

د) التعريف بالكتب السماوية الثلاثة :

أـ التعريف بالكتاب المقدس :

تطلق كلمة الكتاب المقدس على كل من العهد القديم والعهد الجديد وكل منهما يتكون من مجموعة من الأسفار.

والتسمية بالعهد القديم قد أطلقها النصارى على مجموعة من الأسـفار التـى اعتمدوها لأنفسهم من بين عشرات الكتب التى وُضِعَت وزُعَم لها القداسة والعصـمة، وقد أطلق النصارى على أسفارهم الخاصة بالعهد المسيحي : "العهـد الجديـد New Testament " أى الميثاق الذى واثق الله به الناس فى العهد العيسوى[1] ومجمـوع العهدين يسمى : (بيبل) Bible وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب. [٢]

ويؤمن اليهود – على اختلاف بين فرقهم – بأسفار "العهد القديم" ويزعمون أن هذه الأسفار قد وصلت إليهم بواسطة أنبيائهم الذين بُعِثوا إليهم قبل عيسى بن مـريم عليه السلام ، فهي عندهم وحىٌ وتنزيل، يستمدون منها عقيدتهم وشريعتهم ونظمهم وأخلاقهم، ويستندون إليها فى معرفة تاريخهم وأيامهم. [٣]

القسم الأول : العهد القديم Old Testament :

العهد القديم نسختان: نسخة اليهود عامة ومعهم طوائف النصـارى، ونسـخة السامرة (إحدى طوائف اليهود) ، ويختلف تكوين العهد القديم باختلاف النسخة :

<u>١– نسخة اليهود والنصارى</u>:

وهذه النسخة مكونة من أربعة وعشرين سفرًا طبقًا للأصل العبراني، وتسـعة وثلاثين سفرًا طبقًا للنسخة البروتستانتية، وثلاثةٍ وأربعـين سـفرًا طبقًـا للنسـخة

(1) انظر: "فى مقارنة الأديان" ، بحوث ودراسات ، ص١٣.

(2) انظر: "إظهار الحق" لـ رحمة الله الهندى، جـ١، ص٩٨، وانظـر : "قـاموس الكتـاب المقـدس" ، ص٦٤٤، بإشراف الدكتور. جون طمسون ، والدكتور. بطـرق عبـد الملـك وإبـراهيم مطـر ، ط٧ ، دار الثقافة سنة ١٩٩١م.

(3) انظر : "فى مقارنة الأديان" ، ص١٣.

الأرثوذكسية، وستة وأربعين سفرًا طبقًا للنسخة الكاثولوكية، قسمها علمــاء الأديــان إلى أربع مجموعات" : [1]

المجموعة الأولى : التـوراة Torah، أو الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موســى عليــه السلام، وتسمى أيضًا : البنتاتيك (Pentateach) وكلمة التوراة تعنــي الشــريعة أو الناموس.

وكلمة (البنتاتيك) : هى كلمة يونانية نسبة إلى "بنتــا" وتعنــي خمســة، أ الأســفار الخمسة[2] وهذه الأسفار هى :

١- **سفر التكوين ويسمى الخليقة (Genesis)** : ويتحدث عــن خلــق الســماوات والأرض وآدم والأنبياء بعده إلى موت يوسف عليه السلام.

٢- **سفر الخروج (Exodus)**: ويتحدث عن قصة بني إسرائيل من بعد موت يوســف عليه السلام إلى خروجهم من مصر، وما حدث لهم بعد الخروج مع موسى عليــه السلام.

٣ـ **سفر اللاويين أو سفر الأحبار (Leviticus)**: وهو نسبة إلى ســبط بنــى لاوي بــن يعقوب الذى من نسله موسى وهارون عليهما السلام ، وأولاد هارون هم الــذين فيهم الكهانة (أى القيام بالأمور الدينية) وهم المكلفون بالمحافظة على الشــريعة وتعليمها الناس، ويتضمن هذا السفر أمورًا تتعلق بهم وببعض الشعائر الدينية الأخرى.

---

(1) انظر : "إظهار الحق"، رحمة الله الهندى، جـ١ ، ص١٠٢ ، وانظر أيضًا : د. علي عبد الواحد وافــي، "الأسفار المقدسة" ، ص١٣ ، دار نهضة مصر، بدون تاريخ، وانظر : فــى "مقارنــة الأديــان" ص١٣، وانظر أيضًا : "مدخل إلى العهد القديم فى ترجمــة الكاثوليــك للتــوراة، ص٤٦ ، ٤٧، منشــورات دار المشرق، بيروت سنة ١٩٨٤م، و"دراسات فى الأديان" ، د. سعود عبد العزيز الخلف، ص٧٤ ، مكتبــة أضواء السلف، الطبعة الأولى. ويقول أستاذنا الدكتور. محمد عبد الله الشرقاوى أن هناك تقسيمًا ثلاثيــا لمجموعات أسفار العهد القديم أوردته دائرة المعارف البريطانية على النحو التالى :

أ- التوراة. ب- أسفار الأنبياء. جـ- المكتوبات.

ويسجل تاريخ بني إسرائيل، وقد أخذ كثير من العلماء المتخصصين بهذا التقسيم الثلاثــي ، انظــر فــى مقارنة الأديان ، ص١٤.

(2) انظر : "دراسات فى الأديان" ، ص٧٤.

٤- **سـفر العـدد** Numbers: وهو مَعْنِيّ بعدد بني إسـرائيل، ويتضـمن توجيهـات وحوادث حدثت من بني إسرائيل بعد الخروج.

٥- **سفر التثنية أو الاستثناء** Deuteronomy: ويعني تكريـر الشـريعة ، وإعـادة الأوامر والنواهى عليهم مرة أخرى، وينتهى هذا السفر بذكر موت موسى عليـه السلام وقبره.[1]

٢ـ **المجموعة الثانية : الأسفار التاريخية أو أسفار الأنبياء** Prophets : وهذه الأسـفار تحكي قصة بنى إسرائيل من بعد موسى عليه السلام إلى ما بعد العودة من السبي البابلي إلى فلسطين، وإقامتهم للهيكل مرة أخرى بعد تدميره، ما عدا سفري أخبار الأيام الأول والثاني فإنها تعيد قصة بني إسرائيل وتبتديء بذكر مواليد آدم علـى سبيل الاختصار، إلى السنة الأولى لملك الفرس "قورش"[2].

وهى اثنا عشر سفرًا كما يلى :

١) سفر يوشع بن نون.(Dosha – Josue) ٢) سفر القضاة. (Dudges)

٣) سفر راعوث.(Puth) ٤) سفر صموئيل الأول. (Samuel.I)

٥) سفر صموئيل الثاني.(Samauel.2) ٦) سفر الملوك الأول. (Kings)

٧) سفر الملوك الثاني. (Kings.2) ٨) سفر أخبار الأيام الأول. (Chronicles)

٩) سفر أخبار الأيام الثاني.(Chronicles) ١٠) سفر عزرا. (Esdra – Esra)

١١) سفر نحميا ويسمى السفر الثاني لعزرا.(Nehmea)

١٢) سفر أستير. (Esther)[3]

المجموعة الثالثة : الأسفار الشعرية ، أو أسفار الأناشيد ، وعددها خمسة أسفار هى:

١) سفر أيوب.(Job) ٢) مزامير داود. (Psalms)

٣) أمثال سليمان.(Proverbs) ٤) الجامعة من كلام سليمان. (Ecclesiastes)

---

(1) انظر: "دراسات فى الأديان" ، ص٧٤ ، ٧٥.

(2) انظر: السابق ، ص٧٦.

(3) انظر: "فى مقارنة الأديان" ، بحوث ودراسات ص١٨.

٥) نشيد الإنشاد لسليمان. Song of Sclomon

وتتحدث هذه الأسفار عن مواعظ وأناشيد بعضها ديني وبعضها غزلي وهـي مصوغة صياغة منظومة. (١)

٤ـ المجموعة الرابعة : أسفار الأنبياء ، وعددها سبعة عشر سفرًا وهى :

١) سفر إشعيا.(Isaiah – Isaias) ٢) سفر إرميا. (Jeremips – Jermiah)

٣) سفر مراثي إرميا. (Lamentaions) ٤) سفر حزقيال. (Ezechiel – Ezekiel)

٥) سفر دانيال.(Danial) ٦) سفر هوشع. (Hosea – Osee)

٧) سفر يوئيل. (Joel) ٨) سفر عاموس. (Amous)

٩) سفر عوبديا.(Obadiah – Abadias) ١٠) سفر يونان. (Jonah – Jonas)

١١) سفر ميخا. (Micah – Micheas) ١٢) سفر ناحوم. (Nahum)

١٣) سفر حبقوق. (Habacuc – Habakkuk)

١٤) سفر صفنيا. (Zephaniah – Sophonias)

١٥) سفر حجاي. (Haggai – Aggeus) ١٦) سفر زكريا. (Zechariah)

١٧) سفر ملاخيا أو ملاخي. Malachi.

هذه الأسفار التسعة والثلاثون تشكل ما يسمى بالعهد القـديم طبقًـا للأصـل العبراني، وهى التى ارتضاها جمهور البروتستانت من النصارى.

٣ـ نسخة السامرة :(٢)

وتتكون من سبعة أسفار فقط من ضمن كل الأسفار السابقة، وهذه الأسفار السبعة هى :

١) التكوين. (Genesis) ٢) الخـروج. Exodus

٣) الأحبـار.(Leviticus) ٤) العـدد. (Numbers)

٥) التثنيـة.(Deuteionomg) ٦) يوشـع. (Joshua – Josue)

٧) القضـاة. (Judges)

---

(1) انظر: "فى مقارنة الأديان" ، ص١٨ : ١٩.

(2) السامرة : إحدى فرق اليهود ، وتضم أسباط بني إسرائيل عدا سبطيْ يهوذا وبنيامين وبعض بنى لاوي، وكانوا يسكنون فلسطين، وهم ينكرون سائر أنبياء بنى إسرائيل عدا موسى وهارون ويوشع بـن نـون، ويختلفون فيما بينهم فى الإقرار بالثواب والعقاب فى الآخرة، وكانت قبلتهم إلى جبل يسمى "غريذيم" بين بيت المقدس ونابلس. انظر: ابن حزم، "الفصل فى الملل والأهواء والنحل" (٨٢/١).

كما أنها تَعْتَبُر سفرى (يوشع ، القضاة) سفرين تاريخيين فحسب[1]، وتختلف أيضًا نصوص أسفار تلك النسخة عن نسخة اليهود والنصارى اختلافًا بيِّنًا.[2]

وهناك مجموعة أسفار يهودية أخرى تسمى : "الأسفار الخفية" بعضـها زادت به الترجمة اليونانية السبعينية عن الأصل العبراني أو العبري وأقر بها الكاثوليك وأقر ببعضها الأرثوذكس.

والأسفار التى زادت بها الترجمة السبعينية عن الأصل العبري هى :

١) سفر طوبيا. (Tobias) ٢) سفر الحكمة. (Wisdom)

٣) سفر المكابيين الأول.(Machabees "The first")

٤) سفر المكابيين الثانى. (Machabees "The Second")

٥) سفر المكابيين الثالث. "Machabees "The Third)

٦) سفر المكابيين الرابع.(Machabees "The forth")

٧) سفر يهودت.Judith

٨) سفر الكهنوت أو سفر الحكمة. Ecclesiasticu

٩) سفر الأطفال الثلاثة. ١٠) سفر سوزان.

١١) سفر بل والتنين. ١٢) أسفار ثلاثة منسوبة إلى عزرا.

١٣) بعض الزيادات فى سفر دانيال.

ويطلق اليهود على الأسفار التى تزيد بها الترجمة السبعينية عـن الأصـل العبري، –وعلى أسفار أخرى غيرها– : "الأسفار الخفية" وهى لا تدخل عندهم فـى العهد القديم وإن كان بعضها – رغم أنه خفـي – مقدسًـا مُعتمـدًا عنـد الأحبـار والربانيين.[3]

---

[1] انظر: "فى مقارنة الأديان" ، ص٢٣.

[2] "إظهار الحق" ، جـ١ ، ص١٠٢ ، وانظر أيضًا : د. على عبد الواحد وافي "الأسفار المقدسة" ، ص٦٦.

[3] الربانيين : هم أحبار الفريسيين وهى أخطر وأكبر فرق اليهود ، وهـم الـذين وضـعوا التلمـود متنًـا وشروحًا.

- صحة وتحريف التوراة :

١) نبذة عن الحالة الدينية والسياسية لبني إسرائيل :

إن التحليل الدقيق للحالة السياسية والدينية لبني إسرائيل، والتفاعل الشديد بينهما -خاصة بعد موت موسى (عليه السلام)- من الأمور الواجب معرفتها، لأن دراسة هاتين الحالتين لابد أنه منعكسًا على حالة التوراة نفسها، كما أن حالة بني إسرائيل بعد موسى من الفترات الفاصلة في تاريخ بني إسرائيل .

وموسى (عليه السلام) لما أعطاه الله التوراة موعظة وتفصيلا لكل شيء. أفرز (سبط لاوي) [١] الذى هو منهم لحمل التوراة ، يَعْرِفُونها ويُعَرِّفُونَها. [٢]

إن بني إسرائيل دخلوا الأردن وفلسطين، وبعض ما جاورها من بلاد ، مع "يوشع بن نون" [٣] إثر موت موسى (عليه السلام) ، ومع "العازر بن هارون"[٤] صاحب السرادة (خيمة الرب) ، وكان هو الحافظ للتوراة دون غيره ، فدبر أمرهم "يوشع" على الاستقامة والتزام الدين إلى أن مات ، وامتد ذلك زهاء واحد ثلاثين عاما.[٥]

---

(1) سبط لاوي : انحصرت فيهم رتبة الكهنوت ، وأول كاهن خصص للخدمة الكهنوتية في خيمة الشهادة التي أعدها موسى هو هارون وأبناء هارون الأربعة ...حيث احتفل موسى بتنصيبهم كهنة وألبسهم اللباس الخاص بهم ، ثم توارثها أبناؤهم من بعدهم ، فكان كل ذكر من ذرية هارون كاهنًا بشرط أن لا يكون فيه أى عيب أو تشويه جسدي ، ويعتقد أهل الكتاب أن سر اختيار اللاوين للخدمة الكهنوتية : أنه عندما نقض بنو إسرائيل العهد مع الرب فعبدوا العجل الذهبي ، رجع اللاويون وحدهم دون غيرهم إلى عبادة الرب ونبذوا عبادة العجل من تلقاء أنفسهم. (انظر :"قاموس الكتاب المقدس" ، ص٧٩١ ، ٨٠٧ ، ٩٩٥).

(2) انظر : "مقدمة كتاب تاريخ اليهود وآثارهم للمقريزى " ، تحقيق د / عبد المجيد دياب ، ص٢٣ ، دار الفضيلة للنشر ، بدون تاريخ.

(3) يوشع بن نون : الأصل هوشع، ويهوشوع ، ثم دعاه موسى بعد ذلك يشوع. وهو خليفة موسى عليه السلام ، وابن نون أى من سبط أفرايم ، ولد في مصر. كان أول الأمر خادمًا لموسى (عليه السلام) ، ثم صار بعد ذلك خليفته على بني إسرائيل. (انظر : "قاموس الكتاب المقدس" ، ص١٠٠٦) والموسوعة الميسرة ، ص٤٢٨.

(4) من أبناء هارون (عليه السلام) ، نقل إليه ثياب الكهنوت بعد موت أبيه ، ثم صار رئيس اللاويين ("قاموس الكتاب المقدس" ، ص١٠٤ ، ٧٠٥).

(5) انظر : "الفصل في الملل والأهواء والنحل" ، المجلد الأول ، ص١٨٧ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت.

تمكن "يوشع بن نون" من الدخول ببني إسرائيل إلى أرض كنعان، وكانت تلك الأحداث قبل ١٢٠٠عامٍ من ميلاد عيسى بن مريم (عليه السلام) ودخل معه التابوت الذي فيه التوراة. [1]

غير أن بني إسرائيل منذ أن فتح "يوشع بن نون" الأرض المقدسة وقسَّمها على أسباط بنى إسرائيل، – وجعل لهم جميعاً قاضياً يحتكمون إليه فيما شجر بينهم – تأرجحوا بعد موته بين الإيمان والكفر من واقع اعتقاد حكامهم وولاتهم فى هذه الفترة.[2]

كما تعرضوا لسلسلة من الغزوات والاضطهادات بعد موت يوشع، وكان من أهم النتائج التى ترتب على هذه الغزوات هو تحول بني إسرائيل إلى عبادة ملوك الغزو. [3]

كل ذلك بالإضافة إلى انقسام مملكة إسرائيل إلى مملكتين بعد عهد الملوك. [4]

وقبل أن نسأل هل كانت هذه الظروف والأحداث ملائمة لبقاء التوراة التي أنزلها الله على موسى (عليه السلام) ، متصلة السند، باقية على حالتها ، دون تبديل أو تحريف ؟ ولابد من توضيح أمر آخر وهو : هل قراءة التوراة والإطلاع عليها كان

---

(1) انظر : "التوراة والقرآن والإنجيل " ، محمد الصوباني ، ص١٠ ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ، وانظر أيضًا : "هل العهد القديم كلمة الله ؟ " للدكتور / منقذ السقار ، ص٩ ، مكتبة النافذة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م.

(2) انظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، (١/١٨٧-١٨٩).

(3) انظر تفصيل هذه الغزوات وهذه الاضطهادات التى وصل عددها إلى ٦ غزوات فى : "تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، د. محمد عزة دروزة ، ص١٢٢ :١٢٩، ، المكتبة العصرية للطبع والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٦٩م. وانظر أيضًا : "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" د/يحيى محمد ربيع ، ص٩٤ ، ٩٥. دار الوفا للطباعة والنشر – طبعة أولى ، سنة ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(4) وعهد الملوك هو العهد الذي بدأ فيه الحكم مَلَكيًا ، وقد قَصَّ الله علينا خبر أول ملوكهم في قوله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(البقرة ، الآية ٢٤٦). فجعل الله عز وجل عليهم طالوت ملكًا ، فقبلوه على كُره منهم، ويسمونه في كتابهم (شاؤول). وملك عليهم بعده داود عليه السلام ، ثم ابنه سليمان (عليه السلام). وبموته انقسمت مملكته إلى قسمين ، كون بنو يهوذا و"بنيامين" مع أبناء سليمان مملكة يهوذا (حكام بيت المقدس) ، وكون الأسباط العشرة مملكة إسرائيل، وقد سكنت "نابلس" على مسافة ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس ، إلى أن قضى عليها ملك بابل. وكونت كلٌ منهما دولة مستقلة عن الأخرى.

متاحا للملوك والكهان، وغيرهم، أم كانت من اختصاص شخص معين يقوم بحفظها وقراءتها ، والقيام على أمرها ؟

جاء في سفر التثنية **[فعِندَمَا كَمَّل مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هذِهِ التَّوْرَاةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تمَامِهَا أَمَرَ مُوسَى اللاوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ: خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَاةِ هذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِداً عَلَيْكُمْ.]** (١)

ونص هذا السفر أن القائم بحفظ التوراة هو الكاهن الأكبر، وهو من أولاد هارون من سبط لاوي وهم أحبار بني إسرائيل وسدنة هيكلهم ، (٢) ومصحف التوراة إنما كان في الهيكل فقط تحت تابوت العهد وفي التابوت فقط عند الكَوْهن الأكبر وحده، لأنه بإجماعهم لم يكن يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه.(٣) وذلك لأن موسى (عليه السلام) عندما أمر بوضع التوراة في التابوت أمر أيضا بعدم إخراجها إلا مرة كل سبع سنين لتلاوتها على بني إسرائيل كما جاء في سفر التثنية.(٤)

وبعد أن دلنا هذا النص على أن الإطلاع على التوراة وقرأتها كان من حق الكاهن الأكبر فقط ، نعود إلى السؤال : **هل يمكن للتوراة في ظل هذه الأحداث وهذه التشتت والانحراف الاحتفاظ بكيانها ككتاب مقدس لم يحرف ، أم صاغت التوراة ؟**
في الحقيقة نفسها أننا نجد أن التوراة نفسا تخبرنا أنها ضاعت ثلاث مرات :

المرة الأولى لضياع التوراة :

ضاعت التوراة وفقدها بنو إسرائيل، وأخبرت التوراة بذلك في سفر صموئيل الأول، حين تتحدث على لسان رجل حضر معركة بين بني إسرائيل والفلسطينيين

---

(1) انظر :سفر التثنية (الإصحاح ٣١ ، فقرات ٢٤-٢٦).

(2) انظر : الفصل ١/١٩٨.

(3) انظر : الفصل ١/١٩٨.

(4) يقول هذا النص وهو يرى ما كان من سليمان ، لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود (صهيون) :**[لَمْ يَكُنْ فِي التابوتِ إلاّ لوْحاتُ الحَجَرِ اللّتَانِ وضَعَهُمَا مُوسَى هُنَاكَ فِي حُورِيبَ حِينَ عَاهَدَ الرَّبُّ بَنِي إسرائيلَ مُنذُ خُروجِهِم منْ أرْضِ مِصْرَ]** سفر التثنية (الإصحاح ٣١ ، الفقرة ٩).

وهرب من الصف ثم جاء إلى "عالي" [1] – قاضي بني إسـرائيل سـاعتها – وكـان "عالي" ابن ثماني وتسعين سنة ، فقال الرجل لعـالي :[«أنا جِئتُ مِنَ الصَّفِّ، وَأنا هَرَبْتُ اليَوْمَ مِنَ الصَّفِّ». فَقالَ: «كَيفَ كَانَ الأمْرُ يَا ابنِي؟» فَأجَابَ المُخَبِّرُ: «هَرَبَ إسْرَائِيلُ أمَامَ الفِلِسْطِينِيِّينَ وَكَانَتْ أيضاً كَسْرَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الشَّعْبِ، وَمَاتَ أيضاً ابْنَاكَ حُفْنِي وَفِينحَاسُ، وَأخِذَ تابُوتُ اللهِ». كَانَ لَمَّا ذَكَرَ تابُوتَ اللهِ أنَّهُ سَقَطَ عَنِ الكُرْسِيِّ إلَى الوَرَاءِ إلَى جَانِبِ البَابِ، فَانْكَسَرَتْ رَقَبَتُهُ وَمَاتَ - لأنَّهُ كَانَ رَجُلاً شَيْخاً وَثَقِيلاً. وَقَدْ قَضَى لإسْرَائِيلَ أرْبَعِينَ سَنَةً][2]

إذن خسر بنو إسرائيل التوراة بخسارة التابوت ، وبهذا صاروا بدون التوراة، وبدون تابوت العهد ، وهذه هي المرة الأولى التي ضاعت فيها التوراة. [3]

المرة الثانية للضياع :

لما فقد بنو إسرائيل التوراة ، صار الناس بحاجة إلى كتاب سماوي جديد فكـان أن أنزل الله كتابا سماويا على داود (عليه السلام)، وهو الزبور بعد أن تـولى أمـور بني إسرائيل بموت طالوت.

وكان ذلك قبل زمن " يوشيا " ، غير أن الزبور تعرض هو الآخر للضياع ، لأن تواتر التوراة منقطع من قبل زمان "يوشيا بن أمون"[1]. والنسخة التي وجـدت بعـد

---

[1] اسم عبري معناه [مرتفع] ، وكان رئيس الكهنة من عائلة إيثامار ، ظل قاضيًا على بني إسرائيل مـدة ٤٠ سنة ، لما سمع أن الفلسطنيين أخذوا تابوت العهد وقع إلى الوراء فانكسرت عنقه، وأخذ الكهنـوت من بنيه بعده. ("قاموس الكتاب المقدس" ، ص ٥٨٩)

[2] انظر : سفر صموئيل الأول (الإصحاح الرابع – الفقرات من ١٦ : ١٨).

[3] انظر :" ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية ؟ " ، ص٩٢ ويدعم ضياع التوراة في هذه المرحلـة ما قاله القرآن الكريم ، حيث روى لنا المحادثة بشكل واضح . قال تعـالى :﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة : آية ٢٤٨) الآية تدل على عودة التابوت تحمله الملائكة وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون ولكم لم يذكرا القرآن أن التوراة عادت مع التابوت. (انظر : "ما بين موسى وعـزرا كيف نشأت اليهودية ؟ " لعبد المجيد همـو ، ص٨٦ ، مراجعـة إسـماعيل الكـردي، الطبعـة الثانيـة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، دار الأوائل – سوريا.

ثماني عشر سنة من جلوس " يوشيا بن آمون " على السلطة لا اعتماد عليها ، ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النسخة أيضا غالبا قبل حدوث حادثة " بختنصر " وفي حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم رأسًا.(٢)

ومما يدل على ضياع توراة موسى ما وجد في سفر " يوشع " [**حِينَئِذٍ بَنَى يَشُوعُ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ فِي (جَبَلِ عِيبَالَ)** (٣) ، **كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ تَوْرَاةِ مُوسَى مَذْبَحَ حِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ، لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ عَلَيْهَا حَدِيداً، وَأَصْعَدُوا عَلَيْهِ مُحْرَقَاتٍ لِلرَّبِّ، وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ ، وَكَتَبَ هُنَاكَ عَلَى الْحِجَارَةِ نُسْخَةَ تَوْرَاةِ مُوسَى الَّتِي كَتَبَهَا أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَشُيُوخُهُمْ وَالْعُرَفَاءُ وَقُضَاتُهُمْ**]. (٤)

والآن ، نتساءل : ما مقدار توراة موسى، إذا كتبت على حجارة المذبح غير منحوتة ؟ (٥) وإذا كانت منحوتة على الصخرة ويوشيا الحاكم أفلا يستطيع العودة إليها وقراءتها وتطبيقها وأحكامها ؟ (٦)

ومما يؤكد هذا الشعور بنسيان موسى وتوراته بين بني إسرائيل قرونًا طويلة أنه يندر ذكرها – أي التوراة – في كتب الأنبياء إلى عهد يوشيا هذا.(٧)

المرة الثالثة :

ذكرت فيما سبق، أن اليهود قاموا بثورات كثيرة بعد أن أصبحوا تحت قيادة الرومان وكان الرومان يجتهدون في استئصال اليهود(٨) والفتك بهم. في هذا الوقت

---

(1) انظر:"إظهار الحق" لرحمة الله ، جـ١ ، ص١١٢ ، ويوشيا بن آمون من أولاد داود عليه السلام وقد كان في السلطنة قبل ميلاد المسيح بستمائة وإحدى وأربعين سنة (قاموس الكتاب المقدس،ص١١١٩ ،١١٢٠).

(2) انظر : السابق ، ١/١١٢.

(3) جبل عيبال : هو اسم جبل مجاور ومواز لجبل جرزيم. وقف عليه بنو إسرائيل بعد أن عبروا الأردن، وأقاموا عليه مذبحًا من الحجارة بأمر موسى (عليه السلام) ، ليكتبوا كلمات الناموس. ("قاموس الكتاب المقدس"، ص ٦٤٨)

(4) سفر يشوع (الإصحاح الثامن – الفقرات ٣٠ ، ٣٣).

(5) انظر : "ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية؟ " ص٨٨، لعبد المجيد همو، مراجعة إسماعيل الكردى، الطبعة الثانية، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) دار الأوائل – سوريا – دمشق.

(6) انظر : "ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية" ؟ " ، ص٨٨.

(7) انظر : السابق ، ص٨٨.

(8) انظر : ما سبق كتابته ، ص٧٧

قامت آخر ثورة لليهود بزعامة "شمعون"[1] الذي ادعى أنه المسيح ضـد "هادريـان" وذلك لأنه أصدر مرسوما بتحريم الختان ،وتعليم الشريعة اليهودية بل حرم الإسـبات، والاحتفال بأي عيد من الأعياد اليهودية علنًا ، وأحرق كل صحف التوراة، وأحرق كل من وجد معه صحفا توراتية ، ولم يبق أي أثر من آثار التوراة.[2]
وكانت هذه هي المرات الثلاث التي ضاعت فيها التوراة ، أو قُضي عليها.

والآن إذا كانت التوراة التي قد نزلت على موسى (عليه السلام) قد ضاعت وفقدت.

فما حقيقة التوراة التي بأيدي اليهود ؟

إن أكثر النقاد للعهد القديم يرون أنه بعد ضياع التوراة أعاد بنو إسرائيل كتابتها أكثر من مرة ، ويرى "ول ديورانت" أن سبب تأليف التوراة وكتابتها هـو ردَّة بنـي إسرائيل عن عبادة الإله يهوه إلى عبادة الآلهة الأجنبية، وأن الكهنة أخذوا يتساءلون ألم يئن لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون بها تدهور العقيدة اليهودية ؟ ولهذا ، قرروا أن يبلغوا الناس رسالة الله في صورة كتاب، يصور السنن الإلهية والتي تبعث النشاط والقوة في عقيدة الأمة وأخلاقها.[3] هذا الكتاب الذي قصده "ول ديورانت " لم يكتـف اليهود أن يكتبوه مرة واحدة ولكن اضطروا لكتابته عدة مرات من ذلك:

١) توراة الكاهن حلقيا [4] :

في عهد الملك " يوشيا " ٦٢٩ ق . م – ٥٩٨ ق . م مـال إلـى العـودة إلـى الإيمان وإتباع التوراة ، رجاء أن يكون في هذا إنقاذ للمملكة من الفوضى والـدمار، وكان يعاصره كاهن اسمه حلقيا ، انتهز فرصة هذا الميل فادعى بعد سبعة عشر عاما من حكم يوشيا أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس ، وأعطاها (لشـافان الكاتـب)[5]، يقول سفر الملوك الثاني : **[فَقَالَ حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ الْعَظِيمُ لِشَافَانَ الْكَاتِبِ: [قَدْ وَجَدْتُ سِفْرَ الشَّرِيعَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ]. وَسَلَّمَ حِلْقِيَّا السِّفْرَ لِشَافَانَ فَقَرَأَهُ. وَجَاءَ شَافَانُ الْكَاتِبُ**

---

(1) شمعون : اسم عبراني معناه (سماع) ، وهو الذي قاد الثورة ضدها دريان الروماني سنة ١١٦م، فتعامل معه هادريان هو والثوار بقسوة شديدة (انظر : "قاموس الكتاب المقدس" ، ص ٥٢١)

(2) انظر : "ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية؟ " ، ص٩٧.

(3) انظر : "قصة الحضارة" ، ول ديورانت ، جـ١ ، ص٣٥٧.

(4) هو رئيس الكهنة المعاصر ليوشيا ، الذي ساعد الملك في إصلاحه الديني ، وادعى اليهود أنه وجد سفر الشريعة بينما كان يحسب الفضة المدخلة إلى الهيكل. (انظر : "قاموس الكتاب المقدس" ، ص ٣١٤)

(5) كلمة عبرية معناها "وبر" أو "أرنب الصخر" ، وقد عاش في عهد يوشيا الملك وكـان يجمـع تعهـدات الشعب لإصلاح الهيكل ، ويقدمها لحلقيا الكاهن. (انظر : "قاموس الكتاب المقدس" ، ص٥٠١)

يقول سفر الملوك الثاني : [**فَقَالَ حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ الْعَظِيمُ لِشَافَانَ الْكَاتِبِ: [قَدْ وَجَدْتُ سِفْرَ الشَّرِيعَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ]. وَسَلَّمَ حِلْقِيَّا السِّفْرَ لِشَافَانَ فَقَرَأَهُ. وَجَاءَ شَافَانُ الْكَاتِبُ إِلَى الْمَلِكِ وَقَالَ: [قَدْ أَفْرَغَ عَبِيدُكَ الْفِضَّةَ الْمَوْجُودَةَ فِي الْبَيْتِ وَدَفَعُوهَا إِلَى يَدِ عَامِلِي الشُّغْلِ وُكَلاَءِ بَيْتِ الرَّبِّ]. وَأَخْبَرَ شَافَانُ الْكَاتِبُ الْمَلِكَ: [قَدْ أَعْطَانِي حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ سِفْراً]. وَقَرَأَهُ شَافَانُ أَمَامَ الْمَلِكِ. فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلاَمَ سِفْرِ الشَّرِيعَةِ مَزَّقَ ثِيَابَهُ.**][1]

٢) توراة عذرا[2] (٤٤٢ ق.م) .

وأما المرة الثانية التي أعيد تدوين التوراة فيها – كما يدعى اليهود – هي تلـك التي يقر اليهود فيها بأن عزرا قد أعاد كتابتها لهم بإلهام.

---

[1] سفر الملوك الثانى (الإصحاح ٢٢ ، الفقرات من ٨ :١١) وأخبار الأيام الثاني (الإصحاح ٣٤ ، الفقرات من ١٤ : ١٩). وانظر : "إظهار الحق" ، جـ١ ، ص١١٢. وانظر أيضًا : "الكتب المقدسة بين الصحـة والتحريف " ، ص٩٨.

[2] عزرا : معناها في العبرية (عون) ، وهو كاهن ابن سرايا لقب بالكاتب، وقد قام عزرا ، بمجرد عودتـه إلى القدس ، بقراءة ناموس أمام اليهود ، وتنصيره لهم بمعونة اللاويين ، مسـتعينًا أيضًـا بالترجمـة الآرامية للأصل العبراني، وكان اليهود يقبلون على الاستماع لشريعتهم ويعلنون ولاءهم لها. وهـذا مـا جعل اليهود يعتبرونه زعيمًا لهم بعرموس. (انظر : "قاموس الكتاب المقدس" ، ص٦٢٢)، ولكن هنـاك خلاف هل عزرا هذا هو عزير الذى أخبر عنه القرآن الكريم ؟

هنـاك رأيـان :

الأول : أنه هو الذى ذكره القرآن الكريم ويستدل أصحابه بما ورد من روايات عن ابن عساكر عـن ابـن عباس أنه سـأل عبـد الله بـن سـلام عنـد قـول الله تعـالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (سورة التوبة: الآية٣٠) لم قالوا ذلك ؟ فذكر له ابن سلام ما كان من كتابته لبنى إسرائيل التوراة من حفظه، وقول بنى إسرائيل لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا فى كتاب، وأن عزيزا قد جاء بها من غير كتاب، فرماه طوائف منهم وقالوا عزيز ابن الله (انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤٤/٢).

الثانى : يرفض أصحابه القول بأنه عزيزاً هو عزرا معتمدين أيضاً على بعض الروايات التى ترفـع مـن مكانة عزيز عند الله، والتى منها ما قاله وهيب بن منبه : "أمر الله ملكاً فنزل بمغرفة من نور فقذفها فى عزير، فنسخ التوراة حرفاً بحرف حتى فرغ منه".

كما أن أقوال المفسرين مجمعة على أنه النبى الذى قال الله فيه: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : ٢٥٩)، مما جعل أصحاب هذا الرأى يعتمدون على أن عزرا لو كان بهذا المكانة عند الله فلماذا يكذب على الله فى توراته التى كتبها ويورد فيها أشياء تخالف ما أمر الله به، بـل ويسب الأنبياء – صلى الله عليهم وسلم – .

جاء في سفر عزرا : [**عَزْرَا هَذَا صَعِدَ مِنْ بَابِلَ وَهُوَ كَاتِبٌ مَاهِرٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى الَّتِي أَعْطَاهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ**] (١)

وعذرا هذا الورّاق الهاروني الذي كتب التوراة بعد نحـو أربعـين عامًـا مـن رجوعهم إلى بيت المقدس ، بعد السبعين عامًا التي كانوا فيها مسبين ببابل ، ولم يكن فيهم نبي ولا القبة ولا التابوت. (٢)

وقيل إنه كان قد أُخِذ مسبيا بالعراق ، فلما عاد مع بنـي إسـرائيل إلـى بيـت المقدس بدأ يبكى ليلاً ونهارًا ، وانفرد عن الناس ، فبينما هو كذلك حزين إذ أقبل إليه رجل وهو جالس ، فقال يا عزيز : ما يبكيك ؟ فقال : أبكي لأن كتاب الله وعهده كـان بين أظهرنا فعدم قال : أفتريد أن يرده الله عليكم ؟ فقال نعم ، قال : فارجع ، وتـيمم وتطهر ، والميعاد بيننا غدًا هذا المكان . ففعل عزيز ، ذلك وأتى المكان ، فـانتظره ، وأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء ، وكان ملكا بعثه الله في صورة رجل ، فسقاه من ذلك الإناء ، فتمثلت التوراة في صدره ، فرجع إلى بني إسرائيل ، فوضـع لهـم التـوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها." (٣)

ونتساءل هل الكتاب الذي قرأه عزرا هو نفس الكتاب الذي قرأه يوشيا في القرن الثامن أم لا ؟

والجواب واضح وهو أن سفر الشريعة الذي قرأه يوشيا قد قرأه عزرا في نصف يوم ، بينما الأمر الذي دعا عزرا إليه احتاجت قراءته لمدة أسبوع كامل. (٤)

---

(1) سفر عزرا (الإصحاح ٧ ، الفقرة ٦).

(2) انظر : الفصل ١٩٧/١ وتاريخ بنى إسرائيل ، ص٢٧٣ ، وفي مقارنة الأديان ، للـدكتور الشـرقاوى ، ص٨٦.

(3) انظر : "ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية " ، ص٩١ ، وانظر أيضًا : "الكامل فـي التـاريخ" ، لابن الأثير ، جـ١ ، ص٢٧٠.

وانظر : "قصة الحضارة" ، ول .د يورانت ، المجلد ٢ ، ص٣٣٦.

(4) انظر : "قصة الحضارة " ، لـ ول .د يورانت ، جـ١ ، ص٣٦٦.

ضرورة التفريق بين الكتابين :

والآن نستطيع جازمين أن نفرق بين كتابين ، كل منهما أطلق عليه اسم التوراة، فأما الأولى فتلكم التوراة التي نعني بها : الكتاب السماوي الذي أنزل علــى موســى (عليه السلام) ، والذي ضاع ولم يَبْقَ منه إلا بقية من وحي إلهي قليل.

وأما التوراة الثانية فتلكم التوراة التي أعاد اليهود كتابتها زاعمين أنهم أُلْهِمُوها من غير سند يرجعون إليه فيها.

****

ب) التعريف بالعهد الجديد : New Testment.

يتكون العهد الجديد من "سبعة وعشرين" سفرًا أقرها علماء النصارى من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لها فى القرن الخامس الميلادي، وتنقسم هذه الأسفار إلى أربع مجموعات كما يلى :

أ- الأنـاجيل الأربـعة Gospels:

١ - إنجيل متى.St.Mattaw ٢- إنجيل مرقس. St. Mark

٣- إنجيل لوقا.Luke ٤- إنجيل يوحنا. St. John

ولفظ الإنجيل مختصّ بهذه الأسفار الأربعة ، وقد يطلق مجازًا علـى مجمـوع أسفار العهد الجديد، وهذا اللفظ معرب من أصل إنكليوس اليونانى "إنكليوس" بمعنـى البشارة والتعليم. (١)

ب- أعمال الرسل : وهو سفر واحد ينسب إلى "لوقا" صاحب الإنجيل.

ج- الرسائل المقدسة: وهى إحدى وعشرون رسالة منهـا أربـع عشـرة رسـالة Episies كتبها بولس ، كما يلى :

١ - رسالة بولس إلى أهل رومية.Romans

٢- رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.Corinthions

٣- رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس."Second" Corinthians"

٤- رسالته إلى أهل غلاطية. Galatian .

٥- رسالته إلى أهل أفسس. Ephsins

٦- رسالته إلى أهل فيلبى. Philippians.

٧- رسالته إلى أهل كولوسي.Colossians

٨- رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي."Thess alonians "The First

٩- رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي."Thess alonians "The Second

---

(1) انظر: "إظهار الحق" ، جـ١، ص١٠٣.

١٠- رسالته الأولى إلى تيموثاوس."Temothy "The First

١١- رسالته الثانية إلى أهل تيموثاوس."Temothy "The Second

١٢- رسالته إلى تيطس. Titus.

١٣- رسالته إلى فيلمون. Philemon

١٤- رسالته إلى العبرانيين. Hebrews

وتوضع هذه الرسالة الأخيرة الرابعة عشرة فى ذيل قائمة رسائل بـولس، لأن بعض علماء اللاهوت النصارى يتشككون فيها ولا يقرون بصحتها، ورسـالة بـولس هذه لم يقرها مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م. (١)

والرسائل السبعة الباقية يطلق عليها : "الرسائل الكاثوليكيـة" Catholic Episles وهى كما يلى : (٢)

١- رسالة يعقوب.James.

٢- رسالة بطرس الأولى. "Peter "The first

٣- رسالة بطرس الثانية. "Peter "The Second

٤- رسالة يوحنا الأولى. "John "The First

٥- رسالة يوحنا الثانية."John "The Second

٦- رسالة يوحنا الثالثة. "John "The Third

٧- رسالة يهوذا.Jude.

د- سفر "رؤيا يوحنا" ويطلق عليه كذلك : "مشاهدات يوحنا" أو الأبوكاليبس. (٣)
Revelation to John, or Apocalypse

---

(1) انظر : السابق ، ص٣٠.

(2) وسوف يأتي – إن شاء الله – تفصيل القول في موقف بقية طوائف النصارى من هـذه الرسـائل فـي موضعه من هذه الدراسة.

(3) انظر : "فى مقارنة الأديان" ، ص٢٤ : ٣٠.

* صحة وتحريف الإنجيل.

الإنجيل عند النصارى – كما سبق – كلمة يونانية تعني الخبز الطيب (البشارة) أو الخبر المفرح والذى معناه : أن المسيح مات مصلوبًا ليدبر وسيلة مغفرة خطايا كل من يؤمن أنه المخلّص المتألم لأجله [1]. وكان المسيح يعظ الناس في أماكن تجمعهم، وإذا رأى مرضى يشفيهم، وكان يتجول في سائر المدن اليهودية ، وفي هذه الفتــرة المبكرة من دعوته التحق به من أطلق عليهم فيما بعد "حوارى المسيح" [2] وتــابعوه في رحلاته، ثم أرسل تلاميذه اثنين اثنين إلى القرى لنشر دعوته ومــا إن انتشــرت دعوة المسيح حتى شعر رؤساء اليهود بالخطر الذي سيحيق بهم ، من جراء دعوة المسيح.

أخذ اليهود يكيدون للمسيح ويُوَسْوِسُون للحاكم بشأنه، ويحرِّضــون الرومــان عليه، ولكن الرومان كانوا لا يلتفون إلى المسائل الدينية، بل تركوها لليهود يُسَوُّونها فيما بينهم ، فبثَّ اليهود العيونَ حَوْلَ المسيح يرصدونه، ويتســقَّطون قولــه بشــأن الحكومة والحكام ، عساهم يجدون لكماته يتعلقــون بهــا ، وينقلــون بهــا للحــاكم الروماني، فلم يجدون لأن المسيح ما كان يدعو إلاَّ على إصــلاح الجانــب النفســي الخلقي. [3] كما أن المسيح (عليه السلام) لم يؤسس ديانة جديدة ألبتة ، بــل يلتــزم بشريعة موسى (عليه السلام)، ويدعو إلى الالتزام بها، ويُحرِّم الخروج عليها ، وبهذا أيضا وصَّى تلاميذه الذين أرسلهم إلى الدعوة في القرى. [4]

---

[1] انظر: "قاموس الكتاب المقدس" ، ص١٢٠، وانظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص١٠٠، وهذا مفهومه الإنجيل لدى النصارى بينما عندنا نحن المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى (عليه الســلام) هدى ونورًا ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وقد دعى المسيح (عليه الســلام) بنــى إســرائيل للأخــذ بالإنجيل والإيمان به، وهو ابن ثلاثين عاما.

[2] التحوير: التبييض، والحواريون : هم القصّارون ؛ لأنهم يحَــورون الثيــاب أى يــدقونها بالقصــرة أو (المقصرة التى هى قطعة من الخشب) ويبيضونها، ثم غلب حتى صار يطلق علــى كــل حمــيم وناصــر حواريًا ، فكأن الحواريين هم الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب، فصاروا صــفوة الأنبيــاء وخلصــائهم وأنصارهم، وسمى أصحاب عيسى بالحواريين ، لأنهم كانوا قصارين يغســلون الثيــاب ويبيضــونها، أو لأنهم خلصاؤه وأنصاره ورفقاؤه، وقد تتلمذوا عليه وتعلموا منه. (قاموس الكتــاب المقــدس، ص٤٠٣، لسان العرب، مادة : حور).

[3] انظر: "محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة"، ص٢٨.

[4] انظر: "دراسات فى الأديان" ، ص١٧٥.

ولكن هل ترك اليهود المسيح ينعم بحصاد دعوته ؟

تُجْمِعُ المصادر شرقية وغربية ، دينية وغير دينية على أن المسيحيين نزل بهم بلايا وكوارث جعلتهم يتخفّونَ بديانتهم، ويفرّون بها أحيانا. وذلك منذ عصر المسيح نفسه، لأن اليهود لما ضاقت بهم الحيل مع المسيح كذبوا عليه، وانتهى الأمر على أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني ، على أن يصدر الأمر بالقبض عليه وحكم عليه بالإعدام صلباً [1] بزعمهم.

وبالرغم من أن سفر أعمال الرسل يخبرنا بأنه لم يكن في دعوة المسيح تصريح بألوهيته، ولا بُنُوّته لله، وقد أعلن ذلك بطرس كبير تلاميذ المسيح أمام اليهود عامة قائلا : **[يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ]**[2] إلا أن اليهود قد أغروا صدر الحاكم الروماني عليه قائلين بأنه يدعى أنه إلاهًا، ويدعى أيضًا أنه ابن الله.

تلك السنوات الأولى الهامة والحاسمة في تشكيل العقيدة المسيحية قد اتسمت من قبل السلطات المسئولة سواء كانت دينية يهودية ، أو دنيوية رومانية – باضطهاد دموي، ومطاردات، وتشريد مما يساعد على صد الطائفة المسيحية عن الاهتمام بالكتابة وقعدت تنتظر الخلاص الوشيك. [3] ومثلت هذه الطائفة الجيل الأول للمسيحيين.

ولكن لما أوشك الجيل الأول الذي عاصر المسيحيين على الانقراض ، وتباعد الأمل في تحقيق المجئ الثاني ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين الذكريات، وكان هذا العمل من نصيب الجيل الثاني في المسيحية ، وهكذا بدأت كتابة الإنجيل بعد عشرات السنين من رحيل صاحب الدعوة ، وقتل وتشريد أغلب تلاميذه ومريده وسط أجواء تغلبها الكآبة ويسودها الاضطراب. [4]

ولكن قبل أن نبدأ الحديث عن الجيل الثاني وتدوين الأناجيل هناك عدة نتائج مهمة تمخضت عن تلك السنين العجاف والتى تجرع مرارتها المسيحيون يجب تدوينها أولاً.

---

(1) انظر: "محاضرات فى النصرانية" ، ص٢٨.

(2) انظر: "سفر أعمال الرسل"، (الإصحاح ٢، الفقرة ٢٢).

(3) انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص١٨١.

(4) انظر : "المسيح فى مصادر العقائد المسيحية" ، لواء مهندس/ أحمد عبد الوهاب، ص٥١.

ب) أهم النتائج المترتبة على اضطهاد المسيحيين :

أولا : ظهور شخصية بولس (المدعو رسول) .

لابد للباحث في النصرانية الإحاطة بشخصية (بولس)، لأنه اشتهر بين الباحثين بتحويل مجرى عقائدها وعبادتها عمّا جاء به المسيح (عليه السلام) إلى ديانة أخرى مخالفة تمامًا.[(١)]

ويقتضي البحث عن شخصية بولس أن يجيب على عدة تساؤلات ، من أهمها : من هو بولس ؟ وأين ولد ؟ وهل كان نصرانيًا ؟ وما دوره في النصرانية ؟ وما النتائج المترتبة على ظهوره في النصرانية ؟.

فأما الإجابة عن من هو بولس ؟ وأين ولد ؟ فقد كفانا "لوقا" فى سفر أعمال الرسل وبولس في رسائله مشقة البحث عن ذلك، يقول "لوقا" فى أعمال الرسل أن اسم بولس الأول هو (شاؤول) ، وإنه من مواليد (طرسوس) [(٢)] من أعمال كيليكة، من أبوين يهوديين من سبط بنيامين من أسرة شديدة الحرص على تقاليده ويهوديتها. [(٣)]

بينما يذكر بولس وهو يتحدث عن أصله [**أَنَا أَيْضاً إِسْرَائِيلِيٌّ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ**] [(٤)] إلا أن هذا النص مختلف عن سابقه إذ أن لوقا يجعل بولس من مدينة طرسوس البعيدة عن القدس والواقعة في آسيا الوسطى في حين أن بولس لا يرغب في أن يعرف قراء رسائله أن أصله من هذه المدينة البعيدة عن القدس. [(٥)]

إن السبب الجوهرى فى أن بولس أراد أن يلح فى سيرته الذاتية على أنه ليس بدعاً وعلى أن مسيحيته التى جاء بها ليست إلا استمراراً لليهودية وتتمة لها.

---

(1) انظر: "الإسلام والأديان" ، د/ مصطفى حلمى ، ص٢٠٧.

(2) تقع فى شرقى آسيا الصغرى، واتخذها الرومان فى سنة (٦٤ ق.م) مقرًا للحكم ويدعى النصارى أنها مسقط رأس بولس. (قاموس الكتاب المقدس، ص٥٧٥ ، ٥٧٦).

(3) انظر: "سفر أعمال الرسل" (الإصحاح ٢٢، الفقرة ٣) ، وانظر أيضًا: "رسالته إلى أهل رومية"، (الإصحاح ١١، الفقرة ١).

(4) "رسالة إلى أهل رومية"، (الإصحاح ١١، الفقرة ١).

(5) انظر: "بولس وتحريف المسيحية" ، ص١٧، تأليف هيم ماكس. ترجمة سميرة عزمى الزينى ، منشورات المعهد الدولى للدراسات الإنسانية، بدون تاريخ .

ولأن اسم الفريسيين كان يطلق على اليهودي، وكان بولس يريد أن يقول إنـه حين كان فريسيًا كان يرى أن المسيحيين قد خرجوا عـن الجـادة فـأثموا وكفـروا (باليهودية)، وأنه حين اعتنق المسيحية آمن بأنها هى اليهودية الحقة. [١]

لقد أراد بولس أن يلح على أن كل تربيته الفريسـية، وكـل دراسـاته للكتـاب المقدس هي التي أوصلته إلى الإيمان بأن عيسى (عليه السلام) هو المسيح الذي أشار إليه أنبياء العهد القديم. [٢]

حين قدَّم "بولس" نفسه للحواريين بعد أن زعم أنه دخل في دين المسـيح، لـم يقبله أحد من الحواريين أول الأمر ، لمعرفته بعداوته وبطشه بهم، ولكن "برنابا" أحد الحواريين توسط له عندهم فقبلوه. غير أن الجميع كانوا يخافونه غير مصدقين أنـه تلميذ. [٣] غير أن "برنابا" لم يلبث أن تشاجر مع "بولس" ثم افترقا بعد أن تبين أن لكل منهما آراءه الخاصة في التعاليم المسيحية والدعوة إليها. [٤] " فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحـدهما الآخـر. و"برنابـا" أخـذ "مـرقس" وسـافر فـي البحـر إلـى "قبرص"[٥]، وأما "بولس" فاختار "سيلا"[٦] **[وَخَرَجَ مُستوْدعاً مِنَ الإِخْوَةِ إِلَى نِعْمَةِ اللهِ. فاجْتَازَ فِي سُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ يُشَدِّدُ الْكَنَائِسَ]**. [٧]

احتدم الصراع بين حواريى المسيح وبين جماعة بولس الجديدة. وقد أدى ذلـك إلى حدوث أهم نزاع ديني بين اتجاهين :

---

(1) انظر: السابق، ص٢١.

(2) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر: أعمال الرسل (٩/ ٢٦ ، ٢٧).

(4) انظر: "فى مقارنة الأديان" ، ص١٥٧.

(5) قبرص : جزيرة فى شرقى البحر المتوسط ، تقع على مسافة ٤٠ ميلاً جنوب (كيليكية) (انظر: "قاموس الكتاب المقدس" ، ص٧١٣).

(6) سيلا : اسم يونانى مأخوذ من أصل آرامى لفظة (شائيلا) ومعناه المسئول ، وقد خدم مع بولس (المدعو رسول) وأحد أعضاء كنيسة أورشليم. (انظر: "قاموس الكتاب المقدس" ، ص٤٩٦).

(7) انظر: أعمال الرسل (الإصحاح ١٥ ، الفقرة ٤٠).

الاتجاه الأول :المسيحية البولسية تلك التي تولدت من تبشير بولس بالمسيحية الجديدة.

الاتجاه الثاني: اليهودية المسيحية تلك التي حافظت على دعوة المسيح ، وحافظت كذلك على الممارسات الدينية، ومراسم المعبد، وكانت رسالتها طيلة القرن الأول منتشرة في كل مكان، على الساحل السوري الفلسطيني من غزة حتى أنطاكية، وفي آسيا الصغرى كذلك، وكانت روما مركزًا مهمًا لهما. [١] وانتهى الأمر بهذه الجماعة (اليهود المسيحيين إلى اعتبار بولس خائنا ، ولديهم وثائق تتصفه وتتهمه (بالازدواجية المداهنة) وكان رئيس الجماعة إذ ذاك (يعقوب قريب المسيح) ، وذلك لأن بولس قد أسقط الختان والسبت، ومراسم المعهد بالنسبة لليهود، وقد كان على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسي الديني إلى اليهودية لتنفتح على الوثنيين.[٢]

ظل الصراع بن الاتجاهين طيلة أكثر من قرن انتهى إلى انتصار المسيحية البولسية على اليهودية المسيحية ولكن بشكل شديد التدرج. [٣]

وهذا الانتصار ظهر بعده كثير من الادعاءات في المسيحية لم تكن موجودة أيام المسيح وتلاميذه. من هذه الادعاءات :

الدعوى الأولى : ادعاء بولس أن المسيح ابن الله. [٤]

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٧٣.

(2) انظر: السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر : السابق ، ص٧٣.

(4) هذه من الدعاوي التي أطلقها بولس وروج لها لوقا في أعمال الرسل. حيث قال: **[وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرِزُ فِي الْمَجَامِعِ بِالْمَسِيحِ «أَنْ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ»]**. (أعمال الرسل: ٩/ ٢٠). ، ويقول في غلاطية :**[وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ]** (غلاطية:٤/٤).
وهذا كله خلاف ما صرح المسيح عليه السلام به مرارًا من أنه رسول لبني إسرائيل، وأنه إنسان ، وابن إنسان ، وابن داود ، وغيرها من الألقاب التي تؤكد أنه بشر ابن بشر ، ومن ذلك قوله: **[فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ]**(متى:٨/ ٢٠)
وفي يوحنا يقول: **[وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ]** (يوحنا : ٨/ ٤٠).

الدعوى الثانية : الغاية من مجيء المسيح هى الصلب وتكفير الخطايا.[١]

الدعوى الثالثة : ادعاؤه أن دعوة المسيح (عليه السلام) كانت عامة لجميع بني البشر.[٢]

الدعوى الرابعة : إلغاؤه لشريعة موسى (عليه السلام) ودعواه أن الإنســان ينجــو بالإيمان المجرد بدون عمل [٣].

---

[1] وقد جاء الترويج لهذه الدعوى في رسائل كثيرة على لسان "بولس" من ذلك : مـا يقولـه بـولس فـي رسالته إلى أهل رومية : **[لأنَّ المَسيحَ إذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ مَاتَ في الوَقتِ المُعَيَّنِ لأجلِ الفُجَّارِ. فإنَّهُ بالجَهْدِ يَمُوتُ أحَدٌ لأجلِ بَارٍّ. رُبَّمَا لأجلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أحَدٌ أيضاً أنْ يَمُوتَ. وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لنا لأنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ المَسيحُ لأجلِنا.]** (رومية:٥/٦) وفي رسالته الثانية إلى كورنثـوس يقـول : **[لأنَّهُ جَعَلَ الَّذي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً خَطِيَّةً لأجلِنا، لِنَصيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فيهِ]**.(كورنثوس:٥/٢١) ، فهـذه الدعوى التي علل بها بولس حياة المسيح وموته هي التي قامت عليها النصرانية بعد ، ولم يكن لهـا فـي الحقيقة شيء من الصدى في حياة المسيح ولا كلامه. بل ورد عن المسيح (عليه السلام) التصـريح بأنـه جاء ليدعوا إلى التوبة والإنابة. ويقول في متـى قولـه : **[لأنِّي لَمْ آتِ لأدْعُوَ أبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إلَى التَّوبَةِ]**.(متى:٩/١٣) وفي مرقس يقول : **[وَبَعْدَ مَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إلَى الجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ فَتُوبُوا وَآمِنُوا بالإنْجِيلِ»]** (مرقس:١/١٥،١٤)

[2] ادعى "بولس" أن المسيح (عليه السلام) رسول لجميع الأمم، ثم زعم لنفسه بأنه مرسل إلى جميع البشر، وفي هذا يقول فـي روميــة: **[فَإنِّي أقُولُ لَكُمْ أيُّهَا الأمَمُ: بِمَا أنِّي أنَا رَسُولٌ لِلأمَمِ أُمَجِّدُ خِدْمَتِي]** (رومية:١١/١٣) وفي غلاطية يقول : **[وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأمَمِ]**(غلاطية:١/١٥ ،١٦) وفي أفسس يقـول : **[أُعْطِيَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ أنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الأمَمِ]**(أفسس:٣/٨) وهذه الدعوى منه تخالف ما ذكره المسيح عن نفسه وما وصى أيضـا بـه تلاميذه حيث يقول عن نفســه فـي إنجيـل متـي : **[لَمْ أُرْسَلْ إلاَّ إلَى خِرَافِ بَيْتِ إسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ]** (متى:١٥/٢٤) ووصى تلاميذه بقوله في إنجيل متـي أيضـا : **[إلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا وَإلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بالحَرِيِّ إلَى خِرَافِ بَيْتِ إسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ]** (متى:١٠/٦، ٧).

[3] وهذا على العكس مما دعا إليه المسيح (عليه السلام).

لأن بولس ألغى شريعة موسى (عليه السلام وفي هذا يقول في رومية: **[إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ، بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بإعمال الناموس لأنه بإعمال الناموس لا يتبرر جسد ما ... فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان ، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي لست أبطل نعمة الله ، لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب]**. وإلغاء بولس للعمل بشريعة موسى (عليه السلام) خلاف ما أكده المسيح (عليه السلام)، ودعا إليه فقد ورد متى أنه قال : **[لاَ تَظُنُّوا أنِّي جِئْتُ لأنْقُضَ النَّامُوسَ أو الأنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإنِّي الحَقَّ أقُولُ لَكُمْ: إلَى أنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى=**

الدعوى الخامسة : إلغاؤه للختان. [١]

ثانيا : ظهور المذاهب المختلفة حول المسيح وديانته :

ترتب على ظهور بولس الرسول وانتشار دعوته إفرازات خطيرة جـدا فـي الديانــة النصرانية حيث ظهرت المذاهب والأقوال المختلفة والمتباينة في المسيح وديانته. [٢]

= **يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ فَهذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ]** (١٧/٥: ١٩) فهذه تأكيدات واضحة من المسيح على التزام شريعة موسى (عليه السلام) وتحريم الخروج عليها فإلغاء العمل بشـريعة موسى هو في الحقيقة هدمه لديانة المسيح تماما ، لأن مما هو ظاهر من دعوة المسيح (عليه السلام) أنه لم يأت بتعاليم جديدة تذكر ، وإنما ركزَّ تركيزًا خاصا على التوبة والتخلص من الخطايا.

(1) اختتن المسيح (عليه السلام) ، والتزم به ، لأنه من شريعة موسى فقد ذكر اليهود فـي كتـابهم أن الله تعالى قال لإبراهيم (عليه السلام) كما في التكوين : **[يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. يُخْتَنُ خِتَاناً وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْداً أَبَدِيّاً. وَأَمَّا الذَّكَرُ الأَغْلَفُ الَّذِي لاَ يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي»]** (التكوين: ١١/١٧ : ١٤] ومع هذا التأكيد على الختان ، فقد ألغاه بولس من ضمن ما ألغى من شريعة موسى عليه السلام ، وفي هذا يقول في روميــة : **[لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيّاً وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَاناً بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ]**. (رومية : ٢٢/٢).

وقد أثمر الصراع بين الطائفتين ظهور المذاهب المختلفة حول المسيح وديانته وكان هذا من أهم الإفرازات الخطيرة فى الديانة النصرانية، لأن الخلاف بين هذه المذاهب جميعاً كان منصباً حول المسيح وديانته.

(2) نذكر منها :

١- **الغنوصية:** وهو اسم يطلقه النصارى على فرق عديدة ، تجمع فى عقيدتها بين إلهين اثنين أو أكثر، وتبنى مطالبها على المعرفة. ٢- **المارسيونية أو الماركونية** : وهم أتباع مارسيون الذي ولد في آسيا سنة ٨٥م وبعضهم يقول ١٢٠م ، ومن معتقداته القول بإلهين : أحدهما إله اليهود وهو فـي زعمه إله قاسٍ شرس ، وهو الذي خلق هذا العالم المادي. ومع ذلك فهو أقل مسـتوى مـن الإلــه الآخر الذي هو إله الرحمة والمحبة حيث هو الإله الحقيقي المحتجب، والذي ظهـر فـي شـخص المسيح. ٣- **المونتانية :** وهي تنسب إلى رجل اسمه "مونتانس" ادعى النبوة بعد منتصف القرن الثاني الميلادي ، وزعم أن الروح القدس يتكلم إليه، وتنبأ معه أيضا امرأتان أعلنتـا قـرب نهايـة العالم، ورجوع المسيح (عليه السلام).

٤- **البنويون :** وقولهم : أن المسيح إنسان ولد من مريم بطريقة إعجازية وأن الله عز وجل في وقـت تعميد المسيح تبناه ووهبه قوة العمل المعجزات، واستمر بشرا إنسانا إلى أن صلب ثم مات ، وقـام=

ومما ينبغي أن يؤكد عليه في هذا المقام عدة أمور :

الأول : أن النصارى بعد أن أحسوا بأن المسيح صلب – بزعمهم – ولم يكتب الإنجيل؛ –في ظل هذه الظروف– راحوا يجتمعون ليتشاوروا فيما يعتاضون به عن هذا الإنجيل، فقرروا كتابة إنجيل آخر يذكر فيه كل واحد ما حفظه من روايات من محتوى الإنجيـــل المفقود[١]، "وبمرور الوقت بدأ المسيحيون يطلقون علـــى هـــذه الروايـــات الأربـــع: (الأناجيل الأربعة) وهذه التسمية توحى بأن لكل واحدٍ منهم إنجيلاً." [٢]

ولعل أهم مؤتمر عقد لذلك هو مؤتمر بيت المقـــدس ، الـــذي عقـــده بـــولس وأتباعه ، وحواريوا المسيح ، فقد ذهب "بولس" بعد تَنَصرُّه بأربع عشرة ســـنة إلـــى القدس ومعه "برنابا" وعرض عليهم إنجيله كما يصرح هو بذلك في قولـــه : [ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدتُ أَيضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ بَرنَابَا، آخِذاً مَعِي تِيطُسَ[٣] أَيضاً. وَإِنَّمَا

=من الموت ورفع إلى السماء ، وهم ينتظرون مجيئه ليخلص أتباعه من العار الذي أصـــابهم بســـبب صلبه ، وهم يتمسكون بالشريعة الموسوية. ٥– **الانـتحالية أو الوحدويـة** : وهي عدة مذاهب نصرانية نادت بأن الله واحد وليس ثلاثة ولها مذاهب وأقوال منها :–

- **السابليوسية** : نسبة إلى الكاهن سابليوس المتوفي سنة ٢٦١م.
- **بولس السميساطي** : وهو أسقف أنطاكية الذي رُسِّم أسقفا لها سنة ٢٦٠م.
- **الأريوسية** : نسبة إلى الأسقف الليبي "آريوس" الذي درس على تلميذ بولس السمبســـاطي وهـــو "لوقيانوس" . فهذه المذاهب والأقوال المتباينة كانت منتشرة بين النصـــارى فـــي ذلـــك الوقـــت ولإتباعها نشاط قوي أيضًا ، وكانت المواجهات القوية كثيرا ما تحدث بينهم وبين من يخـــالفهم ، وخاصة أتباع مذهب "بولس" الذي كان له تلميذ وأتباع فيما يظهـــر أقويـــاء وذوي نشـــاط فـــي دعوتهم، وقد استطاعوا أنه يترأسوا المراكز الدينية في ذلك الوقت ، بعد سقوط عاصمة الديانـــة الأولى، وهي بيت المقدس ، وتلك المراكز تمثلت في أنطاكية والإسكندرية ، وروما ، وكانت فـــي الغالب في يد أتباع بولس ، وقد كان من أتباع بولس.

(1) انظر : "تثبيت دلائل النبوة"، للقاضى عبد الجبار، جـ١ ، ص٢٥٣، تحقيق دكتور عبد الكريم عثمـــان، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت ، سنة ١٩٦٦م، وانظر : "القرآن والكتاب المقدس"، ص١٠١.

(2) القرآن والكتاب المقدس، ص١٠١.

(3) تيطس : سبق التعريف به.

صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، وَلكِنْ بِالانْفِرَادِ عَلَى الْمُعْتَبَرِينَ، لِئَلاَّ أَكُونَ أَسْعَى أَوْ قَدْ سَعَيْتُ بَاطِلاً].[1]

ويبدو من الكلام التالي لهذه الفقرة أن تلاميذ المسيح لم يوافقوه، أو لم يقروه على إنجيله الجديد الذي بَّشر به ، حيث يقول : **[وَأَمَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ، مَهْمَا كَانُوا، لاَ فَرْقَ عِنْدِي: اَللهُ لاَ يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ - فَإِنَّ هؤُلاَءِ الْمُعْتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ.]**[2]

الثاني : أن تدوين رسائل بولس أسبق تاريخيا من تدوين الأناجيل الأربعة الرئيسية عند النصارى، حيث إن إنجيل "بولس" تم تدوينه خلال سنة ٥٠م إلى ٦١م ، في حين أن أناجيل "مرقس" و"متي" و"لوقا" ويوحنا دُوِّنَت ما بين ٧٠م إلى عام ١١٠م كما أنه لا شك أن بولس قد مات قبل انتهاء تدوين إنجيل "مرقس" بعدة سنوات.[3]

على الرغم من أن النصارى يعترفون أن بولس لم يرَ المسيح، ولم يتتلمذ عليه، وبالتالي لابد أنه لم يسمع منه، فكيف يكون أوّل السابقين لتدوين إنجيل المسيح؟! ثم تلاه مرقس الذي لم يكن هو الآخر من تلاميذ المسيح؟!.

والإجابة عن هذا السؤال يقودنا إلى الأمر الثالث الذي نريد تقريره وهو ...

الثالث : أنه ينبغي علينا بعد هذا التتبع للأحداث الدينية التي تعرض لها الإنجيل الصحيح الذي أنزل على عيسى (عليه السلام)، أن يكون لزامًا علينا أن نفرق بين إنجيلين :

فأما الأول : فهو الكتاب السماوي الذي نزل من عند الله على قلب نبيه عيسى (عليه السلام). وعلمه بني إسرائيل وحاول نشره بينهم من غير أن ينقص شريعة موسى (عليه السلام).

---

(1) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (الإصحاح ٢ ، فقرة ١ ، ٢).

(2) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (الإصحاح ٢ ، فقرة ٦ ، ٧). وانظر أيضًا : "مناهج دراسة الأديان بين المتكلمين والفلاسفة" ، ص٣٦٤.

(3) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٧٥.

والثـاني : تلكم الأناجيل المتعددة التي دُوِّنت بعد انتهاء فترة المسيح وتلاميذه على يـد مذاهب وطرائق قددا من غير أن يتفق فيما بينها على صيغة واحدة ، وعلـى أيـدي أشخاص لم يروا المسيح ، بل كانوا أعداء لدعوته طوال هذه السـنين بعـد غيـاب المسيح (عليه السلام) ولكي نزيد تأكيد هذه النتيجة (التفرقة بين إنجيلين) نورد طرفا من المعلومات المتفرقة لدى الباحثين عن التعريف بأصحاب هذه الأناجيـل ، وكيـف كتبوها، ومتى كتبوها ؟ وعمن تلقوها ؟ وهل هؤلاء الأشخاص معـروفين بـالتعيين، ومتصلين بأشخاص آخرين رأوا المسيح وسمعوا ثم نقلوا عنه أم لا ؟

****

ج) تدوين الأناجيل :

متى تم كتاب الأناجيل ؟

لقد كتبت الأناجيل الأربعة القانونية على مدى فترة زمنية تقدر بأكثر من ٦٠عامًا والأخطر من هذا أنَّ أقدمها لم يكتب في عهد المسيح، ولا عقب رفعه مباشرة أو حتى بعد ذلك ببضع سنين ، لكنه كتبت بعد ٣٥ عاما مضت منذ رفع المسيح.[١] وليس هناك إجماع – لا من النصارى ولا غيرهم – أن نسبة كل إنجيل إلى صاحبه نسبة صحيحة، كما أن الترجمة المسكونية للعهد الجديد رأت أن الأناجيل التي أصبحت فيما بعد قانونية لا تعرف إلا في عصر متأخر ، وقد تم تحريرها في بداية القرن الثاني الميلادي ... كما أنه لا توجد – على أية حال– شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠م.[٢]

1) إنجيل متى :

إن إنجيل متى يشغل المكانة الأولى بين الأناجيل الأربعة ، في ترتيب تقديم كتب العهد الجديد، وهذا مثبت تماما لأن هذا الإنجيل في صورته ليس إلا امتدادا للعهد القديم.[٣]

ولكن هل كان متى تلميذا من تلاميذ المسيح ؟

"إن الكاتب معروف بتبحره في الكتب المقدسة والتراث اليهودي ، وأنه يعرف ويحترم رؤساء شعب اليهود ... وهو معلم حاذق يخرج من كنزه جديدًا وقديمًا ، ولكن مع كل هذا فإن "متى" بَعِيْد كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطي بكفر ناحوم الذي يطلق عليه "مرقس ولوقا" اسم (ليفي) والذي أصبح واحدًا من حواريى المسيح الاثنى عشر.[٤] كما يقول "جون فيتون" مؤكدا أن مؤلف الإنجيل متى شخص مجهول نسب علمه إلى متى.[٥]

---

(1) انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص١١٦ ، وانظر أيضًا : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ، ص٤٧.

(2) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٧٧ – ٧٩.

(3) انظر: السابق ، ص٨٠.

(4) انظر : السابق ، ص٨١.

(5) انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص١٢٣.

إذن – بناء على ما سبق – ليس متى من تلاميذ المسيح ، فمتى استطاع متى أن يكتب إنجيله ؟ وهل هناك إجماع من أحدٍ على تاريخ معين لكتابة هذا الإنجيل ؟

- يقول جرجس زوين اللبناني : "إن متى كتب بشارته في أورشليم سنة ٢٩م.[1]
- بينما يقول صاحب "منيرة الألباب" : "أن القديس متى كتب إنجيله في السنة ٤١ للمسيح. [2]
- ويقول هورن – من أشهر مفسري النصارى – أنه كتب سنة ٣٧ أو سنة ٣٨ أو سنة ٤١ أو سنة ٤٣ أو سنة ٤٨ أو سنة ٦١ أو سنة ٦٢ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦١ من الميلاد. [3]
- وأما جون فنتور فيري أنه قد حرر في الفترة من ٨٠ إلى ١٥٠ميلادية. [4]

بينما أكثر العلماء يميلون إلى أنه كتب في الفترة المحصورة بين عامي ٨٥ ، ٩٠ . [5]

وكل هذا التضارب لا يمكننا من تحديد التاريخ الحقيقى للإنجيل مما يؤدى بدوره إلى الشك فى كل المعلومات الواردة فيه، إن لم يؤد بنا إلى الشك فى هذا الإنجيل نفسه، وهذا التضارب – وللأسف– مطردٌ فى كل الأناجيل الأربعة.

****

[1] انظر: "محاضرات فى النصرانية" ، ص٥١ ، ص٥٢.

[2] انظر: السابق ، نفس الموضع.

[3] انظر: "محاضرات فى النصرانية" ، ص٥٢، وانظر أيضًا : "مقارنة الأديان ، د. الشرقاوى، ص٧٤.

[4] انظر: "دراسة فى مقارنة الأديان" ، ص١٧٤.

[5] انظر: "محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن" ، لإبراهيم خليل أحمد ، ص١٣٤ ، مكتبة الوعى العربى.

٢) إنجيل مرقس :

هل كان مرقس من تلاميذ المسيح ؟ وهل هو كاتب هذا الإنجيل ؟

يقول القس (أنسلم كورميدا) : وأما مرقس فما رأى – عيسى عليه السلام – قط وكان دخوله في دين النصارى كذلك بعد رفع المسيح، وتنصرَّ على يد بطرس الحواري. (١)

كما ينقل-لنا "موريس بوكاي" عن أ/ كولهان في كتابه أنه لا يعتبر مرقس تلميذًا للمسيح ، ويذكر إشارات كثيرة في العهد الجديد تتحدث عن رجل اسمه "يوحنا ويلقب بمرقس". ويزيد "بوكاي" قائلا : "إن الفقرات لا تذكر أنه مؤلف إنجيل ، وحتى نص مرقس نفسه لا يشير إلى ذلك. (٢)

ويقول الأستاذ دنيس أريك تينهام مؤلف تفسير إنجيل مرقس، وأستاذ اللاهوت بجامعة لندن، ورئيس سلسلة بليكان لتفسير الإنجيل : "ولقد حدث أن مرقس لم يكن قد سمع يسوع ، ولا كان تابعًا شخصيًا له ، لكنه في مرحلة متأخرة "وقد تابعه في ذلك القول الأستاذ الدكتور فريدرك كلفن جرانت أستاذ اللاهوت في الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادي بنيويورك. (٣)

كما يذكر صاحب "مرشد الطالبين" أن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١م لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته ، وقرر الكاتب القديم "أرنيوس"(٤) : "أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس".(٥)

---

(1) انظر: "تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب" ، ص٧٦ ، للقس (أنسلم كورميدا) الذى كان نصرانيا فأسلم وتسمى بـ عبد الله الترجمان ، تقديم وتحقيق : د. محمود حماية ، دار المعارف سنة ١٩٨٤م.

(2) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٨٤.

(3) انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص١٣٩ ، وانظر أيضًا : "فى مقارنة الأديان" ، ص١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦.

(4) أرينوس : من أشهر مؤرخى المسيحية وقد عاش فى سنة ٢٠٩م (انظر: "دراسات فى الأديان" ، ص١٨٤).

(5) نقلاً عن : "محاضرات فى النصرانية" ، ص٥٤- ٥٥.

وإذا كان مرقس لم يرى المسيح ولم يتتلمذ على يديه ، فهل يمكن تحديد تاريخ تدوينه لإنجيله ؟

في الحقيقة ليس هناك رأي جازم يحدد لنا بالضبط تاريخ كتابة مرقس لإنجيله.

فبينما يحدده "هورن" المفسر الشهير في سنة ٥٦م وما بعدها إلى سنة ٦٥م، والأغلب سنة ٦٠م أو سنة ٦٣م. [١] نرى "تينهام" يقول: "وقد ألفه على أرجح الأقوال حوالي سنة ٦٣م أو سنة ٦٥م. [٢]

كما نجد صاحب "مرشد الطالبين" يذكر لنا أنه كتب سنة ٦١م ويذكر لنا العـالم (س ، س تورى) أنه كتب فيما بين سنة ٣١م، ٤٠م. ويقول "هارنيك" : "إنه كتب في الخمسينات". [٣]

- وإذا كنا لم نستطع أن نحدد – وسط هذا الخلاف– تاريخ كتابة إنجيل "مرقس" مضبوطًا، فهل يمكن أن نحدد أين كُتب هذا الإنجيل ؟
- يقول لنا قاموس الكتاب المقدس : "إن إنجيل مرقس كتب باليونانية ، وشـرح فيه بعض الكلمات اللاتينية ، وأخذ من ذلك أنه كتب في روما". [٤]

بينما نرى "كريستوستم" يقرر أنه كتب في مصر ، ويقرر "تينهام" مفسر إنجيل مرقس أن أنطاكية من الأماكن المطروحة.

وهناك رأي آخر يقول بكتابته في أنطاكية ، ويؤيد رأيه بظهور بعض الكلمات الآرامية بالإنجيل. [٥]

من ذلك يتضح أنه لا أحد من النصارى يعرف منْ مرقس كاتب الإنجيل ؟ وأين كتبه بالضبط في روما أم في مصر أم في أنطاكية ؟!

---

[1] انظر: "الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام" ، ص٨٧ ، للدكتور . عبد الواحد وافـى ، مكتبـة النهضة مصر ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.

[2] انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص١٤٢.

[3] انظر: "محاضرات فى النصرانية " ، ص٥٤.

[4] انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص١٤٤.

[5] انظر : السابق ، نفس الموضع.

٣) إنجيل لوقا.

من هو لوقا ؟ وهل كان من تلاميذ المسيح ؟ وهل هناك معلومات نوثق صحة نسبة هذا الإنجيل إليه ؟

يذكر الشيخ أبو زهرة أن الباحثين متفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذِ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه.[١]

كما أنه لا توجد معلومات لدى النصارة عن لوقا سوى أنه أمميٌ رافق بولس في بعض تنقلاته،حيث ورد اسمه في رحلاته في ثلاث رسائل واصفًا إياه بأنه رفيقه.[٢]

ولندرة المعلومات عنه – أيضا – اخْتُلِف في مكان مولده، فيقول القس عزيز فهيم : إنه ليس أنطاكيا ، بل هو فيلبيًا. [٣]

غير أن بعض المؤرخين على أنه من أنطاكية.

ولكن يذكر لنا "بوست" أن الذين ذكروا أنه من أنطاكية قد وَهِمُوا ذلك. [٤]

وإذا كانت المعلومات عن لوقا – محدودة بهذا القدر ، فلابد أن هناك خلافا أيضا على زمن تدوين هذا الإنجيل.

يقول الدكتور " بوست " قد كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم، ويرجح أنه كتب في قيصرية بفلسطين، في المدة التي كان بولس فيها أسيرًا ما بين عام ٥٨ – ٦٠م من الميلاد. [٥]

---

(1) انظر: "محاضرات فى النصرانية " ، ص٥٨– ٥٩ ، وانظر : "الإسلام والأديان" ، د. مصطفى حلمى، ص٢١٥.

(2) انظر: "دراسات فى الأديان" ، ص٢٢٠ ، وانظر أيضًا: "رسالة بولس إلى كولوس (الإصحاح الرابع، الفقرة١٤) ، ورسالة بولس الثانية إلى تيموتاوس (الإصحاح الرابع ، الفقرة ٤، الفقرة ١١، ورسالته إلى فليمون ، الفقرة ٢٤.

(3) انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص١٤٦.

(4) انظر: السابق، نفس الموضع.

(5) انظر : السابق ، ص١٤٩ ، "محاضرات فى النصرانية"، ص٥٧ ، وانظر أيضاً: "فى مقارنة الأديان"، ص١٨٥–١٨٧ ، وانظر أيضًا : "الإسلام والأديان" ، ص٢١٥.

وقد حقق العالم " لادون " أن لوقا قد حرر إنجيله بعد موت بطرس وبولس. [١]

غير أن "هورن" – المفسر النصراني – يقول : "أن الإنجيل الثالث أُلِّف سـنة ٥٣م أو سنة ٦٣م أو سنة ٦٤م.[٢]

٤) تدوين إنـجيل يوحنا :

لقد اختلف المسيحيون في تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافا بينا ، والدكتور "بوسـت" يرجح أنه كتب سنة ٩٢م أو سنة ٩٨م وقيل : سنة ٩٦م. [٣]

- ويقول "هورن" في تاريخ تدوين هذا الإنجيل : "ألف الإنجيل الرابـع سـنة ٦٨م أو سنة ٦٩م أو سنة ٧٠م أو سنة ٨٩ م أو سنة ٩٨م"[٤]
- كما زعم بعض علماء النصارى أنه كتب في سنة ٦٥م قبل خراب أورشليم ، وزعم آخرون أنه كتب في سنة ٩٨م بعد رجوعه من النفي. [٥] ويرجع القس فهيم عزيـز زمن كتابة هذا الإنجيل إلى ما بين قبل ٧٠م إلى ما بعد ١٦٠م أو ١٧٥م. [٦]
- وأما عن الإجابة عن السؤال : أين كتب إنجيل يوحنا ؟ فمن قائل إنـه كتـب فـي الإسكندرية، نظرا لوجود أوراق البردي في مصر ، ولأن فيلو الفيلسوف الإسكندرى هو الذي تكلم بإفاضة عن "اللوغرس" أي الكلمة. وظن آخرون أن الإنجيل كتب في جنوب اليهودية في فلسطين ، نظرا لمَّا في الإنجيل من عناصر يهوديـة بـارزة ، وخصوصا لمجابهة الإنجيل معهم، وربط بعض علماء النصارى بين إنجيـل يوحنـا وبين أفسس وذلك لأن التقليد يقول إن "يوحنا" رسول عاش في أفسس ، ولكن هناك من لم يقتنع بهذا الرأى ، وبدأوا يفترضون أمكنة أخرى ، فمن قائل : أنه كتب فـي أنطاكية سورية ، وذلك لأنهم وجدوا بعض التشابه بين رسالة أغناطيوس والإنجيل وأغناطيوس هذا أنطاكي. [٧]

---

[1] انظر : السابق ، نفس الموضع.

[2] انظر: السابق، نفس الموضع.

[3] انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص١٦٠.

[4] انظر: "مقارنة الأديان" ، ص١٤٨ ، وانظر أيضًا : "محاضرات فى النصرانية" ، ص٦١.

[5] انظر: "الفارق بين المخلوق والخالق" ، ص٣٤١.

[6] انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص١٦١.

[7] انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص١٦١.

وبعد : فإنه من هذه النظرة العجلى على الأناجيل الأربعة يتضح لنا الحقيقة التى لابد من الإلحاح عليها وهي : يجب وجوبًا لازمًا التفرقة بين الإنجيل الأول؛ ذلكم الكتاب السماوي الذي نزل وحيًا إلهيًا على المسيح (عليه السلام) ؛ وبين هذه الأناجيل التي طرأت عليها الاختلافات ، والتي عرضنا طرفا منه في هذه الصفحات.

****

ج) التعريف بالقرآن الكريم :

القرآن كلام الله – حروفه ومعانيه – منه بدأ وإليه يعود، منزل غير مخلـــوق، تكلم الله به حقاً، وأوحاه إلى جبريل – عليه السلام – ، فنزل به على محمد (ﷺ).

أنزله الحكيم الخبير بلسان عربي مبين، ونقل إلينا بالتواتر الذى لا يرقى إليـــه شك ولا ريب ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (1)

أسماء القرآن الكريم :

ورد أسماء كثيرة للقرآن الكريم – غير لفظ قرآن – أشهرها الفرقان.

والفرقان : مصدر سمي به النظم الكريم ، تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل، أو مفروق بعضه عن بعض فى النزول، أو فى السور والآيات. (2)

قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (3)

---

(1) الوجيز فى عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، إعداد عبد الله بن عبد الحميد الأثرى، ص٥٥.

(2) انظر: "مناهل العرفان فى علوم القرآن" ، جـ١ ، ص١٥.

(3) سورة الفرقان : آية ١. وقد أطلق على القرآن أسماء كثيرة ورد معظمها وصف للفظة قرآن، من ذلـك اسم "كريم" وقد ورد هذا الاسم فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة الواقعـة: ٧٧] ورد منهـا أيضًا لفظ "ذكر" ، ولفظ "مبارك" أخذًا من قوله تعالى : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠].ومن أسماءه أيضًا : الكتاب ،والذكر ،والتنزيل. وقد أخذت جميعها مما جاء فـى القـرآن : ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [الدخان : ١، ٢] ، وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخـرف: ٤٤] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٢] وهناك أسماء كثيرة للقرآن – غير التى مرّ ذكرها – بلغت خمسة وخمسين اسمًا عند بعض أهل العلم من أهل علوم القرآن ، بل بلغت عنـد بعضـهم نيفـا وتسعين اسمًا. [انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، ص٣٤].

لغة القرآن:

تدل آيات القرآن الكريم فى الكثير من المواضع، أنه نزل بلسان العرب، يقول رب العالمين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١) وقوله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ (٢)، وقال : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (٣) ، وقال: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٤)

وقـال : ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٥)، وقـال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (٦)،وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (٧) ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (٨)

---

(1) سورة التوبة : آية ١٢٨.

(2) سورة فصلت : آية ٤٤.

(3) سورة النحل : آية ١٠٣.

(4) سورة الزمر : آية ٢٨.

(5) سورة الزخرف : الآيات (١- ٣).

(6) سورة الشورى : آية ٧.

(7) سورة الرعد : آية ٣٧.

(8) سورة الشعراء : الآيات (١٩٢ ، ١٩٥).

ويقول العلامة الشيخ محمد رسلان[١] : ... فإن قال قائل : ما الحجة فـي أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره ؟

فالحجة فيه كتاب الله قال الله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[٢] ، فإن قال قائل : فإن الرسل قبل محمد كانوا يُرْسلون إلى قومهم خاصة، وإن محمـدا بعث إلى الناس كافة : فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة، ويكون علـى الناس كافة أن يتعلموا لسانه وما أطاقوا منه ، ويحتمل أن يكون بعث بألسـنتهم : فهل من دليل على أنه بُعِث بلسان قومه خاصة دون ألسنة العجم ؟ [٣].

ويجاب عن هذا بأنه : إذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضـهم مـن بعض: فلابد أن يكون بعضهم تبعًا لبعض، وأن يكون الفضل فى اللسان المتبع على التابع. وأولى الناس بالفضل فى اللسان مَنْ لسانه لِسَان النبى، ولا يجـوز – والله أعلم – أن يكون أهل لسانه إتباعًا لأهل لسان غير لسانه حرف واحد ، بل كل لسان تبعٌ للسانه ، وكل أهل دين قبله فعليهم إتباع دينه. [٤]

---

(1) هو العلامة الشيخ الدكتور "محمد سعيد رسلان" السلفى ، صاحب التصانيف فى علم الحديث خاصة، منها "ضوابط الرواية عند المحدثين الرواة المبدعون فى الكتب الستة"، و"فضل العلـم وآداب طلبتـه وطـرق تحصيله وجمعه" ، و"ضوابط الكتابة عند المحدثين"، و"الوضع فى الحديث" كما أن الشيخ – حفظه الله – صاحب فضل – بعد الله – عليَّ وعلى أهلي وذريتي من بعدي.

(2) سورة إبراهيم : آية ٤.

(3) انظر : "فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين" ، للدكتور محمد سعيد رسلان ، ص٢٠. دار العلوم الإسلامية ودار البخارى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(4) انظر: "فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين" ، ص٢٠ : ٢١.

* **سور القرآن الكريم :**

وردت كلمة سورة فى القرآن الكريم عدة مرات ، يقــول الله رب العــالمين: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[1] وقوله: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ ، وقوله : ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾[2] وهذا دليل على أن تسوير القــرآن وأســماء ســوره أمــر توقيفى.[3]

وقد أورد الإمام السيوطى أن سور القرآن الكريم "مائة وأربع عشرة ســورة بإجماع من يُعْتَدُّ به[4]

وينقسم القرآن بحسب سوره إلى أربعة أقسام :

١ـ القسم الأول : السبع الطوال :

والسبع الطوال : أولها البقرة بالإجماع ؛ لأنها أطول ســورة فــى القــرآن، واختلف فى آخرها، فذهب جماعة إلى أن أخرها براءة، لأنهم كانوا يعدُّون الأنفــال وبراءة سورة واحدة ، ولذلك لم يضعوا بينهما البسملة؛ لأنهما نزلتا فــى مغــازي رسول الله(ﷺ) وروى مجاهد وسعيد بن جبير أن السبع الطــوال هــي : البقــرة ، وآل عمران، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس.[5]

---

[1] سورة هود : آية (١٣).

[2] سورة النور : آية (١).

[3] "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف" ، ص٣٦.

[4] انظر: "الإتقان للسيوطى" ، جـ١ ، ص٨٧ ، الطبعة الرابعة ، عيسى الحلبــى، ســنة ١٩٧٨م، يقــول السيوطي : إن الحكمة فى تسوير القرآن سُورًا تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله، والإشارة إلى أن كل سورة نمط مستقل، فسورة يوسف تترجم عن قصته، وسورة بــراءة تتــرجم عــن أحوال المنافقين وأسرارهم إلى غير ذلك، والسور سور طوال وأوساط وقصار، تنبيهًا علــى أن الطــول ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات ، وهى معجزة إعجاز سورة البقرة، ثــم ظهــرت لذلك حكمة فى التعليم وتدريج الأطفال فى السور القصار إلى ما فوقها تيسيرًا من الله على عباده لحفظ كتابه..

[5] انظر: "المصحف الشريف أبحاث فى تاريخه وأحكامه" ، للشيخ عبد الفتــاح القاضــى، ص١٥٦، مقــال بمجلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – العدد ٣٥ – ١٩٦٨م.

القسم الثانى : المئون :

وهى ما ولي السبع الطوال ، سميت بذلك ؛ لأن كل سورة فيها تزيد على مائة آية أو تقابلها، وهى من أول يونس، أو من أول هود – بناءً على الخلاف السابق فى النوع الأول – إلى آخر سورة السجدة.

القسم الثالث : المثاني :

وهى ما ولي المئين ، قال السيوطي : لأنها ثَّنتها ، أي كانت بعدها فهي لها ثوان والمئون لها أوائل. وقال الفراء: هي السور التى آياتها أقل من مائة ؛ لأنها تثني أكثر مما تثنى الطوال والمئون.

وقيل : هى السور التى ثنيت فيها القصص، وقد تطلق على القرآن كله: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ (١)

القسم الرابع : المفصل :

ما ولي المثاني من قصار السور، سُمِّي بذلك ، لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة، وقيل : لقلة المنسوخ منه ، ولهذا يسمى بالمحكم أيضًا كما روى البخاري عن سعيد بن جبير قال : "إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم وآخره سورة الناس بلا نزاع. واختلف فى أوله على أقوال كثيرة، قيل: أوله سورة (ق) قال الزركشي : وهو الصحيح عند أهل الأثر. وصححه الإمام النووى أن أوله سورة الحجرات وقيل غير ذلك. (٢)

****

---

(1) سورة الزمر : آية ٢٣.

(2) انظر : "الإتقان فى علوم القرآن" ، جـ١، ص٨٤.

صحة وتحريف القرآن الكريم.

القرآن الكريم هو ثالث الكتب التى قام الطرفان المتجادلان (موريس بوكـــاي – وليم كامبل) بتناولها، واختلفت آراؤهما أيضًا حول مدى صحته وتحريفـــه كســـابِقَيْه (التوراة والإنجيل).

ورغبة الباحث فى التزام الموضوعية التى تدعو إليها الدراسات الأكاديمية لزم على الباحث أن يطرح على القرآن الكريم ذات الأسئلة التـــى طرحهـــا البحـــث علـــى الكتابين (التوراة والإنجيل).

من هذه الأسئلة متى نزل القرآن على محمد (ﷺ) وما الكيفية التى تم بها هذا النزول ؟ وهل دُوِّنَ هذا القرآن عند نزوله ؟ وهل كان نبي القرآن يقرأ ويكتب أم كان أميًّا ؟ وإذا كان أميًّا فهل كانت الجزيرة العربية التى نزل بها القرآن بها مـــن يعـــرف القراءة والكتابة حتى يُدوِّن القرآن الذي يخرج من فيِّ النبى(ﷺ)؟ وإذا كان هذا القرآن قد دُوِّن فور نزوله فهل تهيأ له من الأسباب والظروف الدينية والسياسية ما يجعلـــه يحتفظ بوحيته الإلهية حتى يكون جديرًا بأن يُتَعَّبَد به وألا يُتَّهَمَ بتحريف أو تبديل ؟

فأما عن القرآن فهو كتاب المسلمين المقدس، الذي يتمسكون به في مشـــارق الأرض ومغاربها، وهو عندهم لم يدع شأنًا من شئون الحيـــاة البشـــرية والأخـــلاق، والاجتماع والاقتصاد والسياسة إلا قد تناوله بالصراحة، أو بالإشارة، وعيّن له حكمًـــا أو حدَّد له حدًّا بحيث لم يفته شيء.

وأما عن نبي القرآن فلم يُعْرف عنه (ﷺ) أنه سجد لصنمٍ قطُ من تلك الأصـــنام التى كان يعبدها قومه. وعن تعبده وحبه للخلوة تروى لنا السيدة عائشة (رضـــى الله عنها) ما كان من أمره فى ذلك فتقول: "كان النبى (ﷺ) يأتى حراء، فيتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع على خديجة فتزوده لمثلها، حتى فَجَأه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال، اقرأ فقال رســـول الله (ﷺ) فقلـــت : مـــا أنـــا بقارئ، فأخذنى فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ، فقلت : مـــا

أنا بقارئ؛ فأخذنى فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلنى فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ حتى بلغ ما لم يعلم رجع بها رسول الله (ﷺ) ترجف بوادره".(١)

ويؤرخ علماء المسلمين لهذه الواقعة ببداية نزول الوحى على محمد (ﷺ).

ثم تتابع نزوله بعد ذلك منجمًا حسب الحوادث على مراحل – بعكس ما كان النزول دفعة واحدة في التوراة والإنجيل. (٢)

ويبقى السؤال : إذا كان القرآن قد نزل على قلب محمد (ﷺ) منجمًا بحسب الحوادث فما الطريقة التي استطاع أن يحفظ بها محمد (ﷺ) القرآن وأن يُلقنه لأصحابه بها ؟

---

(1) صحيح البخارى – كتاب تفسير القرآن، وكتاب التعبير – باب أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحى رقم (٦٤٦٧)، وصحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بدء الوحى برقم (٢٣١).

(2) إن المشهور عند علماء علوم القرآن من المسلمين أن للقرآن الكريم ثلاث مراحل عند نزوله :

المرحلة الأولى : نزوله إلى اللّوح المحفوظ وذلك، بإخبار القرآن الكريم نفسه حيث يقول:﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (البروج : ٢١،٢٢) وكان هذا الوجود فى اللوح بطريقة وفى وقت لا يعلمه إلا الله، وكان جملةً لا مفرقًا، لأنه الظاهر في اللفظ عند الإطلاق، ولا صارف عنه"

المرحلة الثانية : من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا، وكان هذا التنزيل فى شهر رمضان، فى ليلة القدر المذكورة في القرآن، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة :١٨٥) وقال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (الدخان :٣) كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر:١) فهذه الآيات الثلاث مجتمعة، تفيد أن القرآن الكريم أُنْزِل دفعة واحدة فى شهر رمضان لليلة القدر الموصفة بأنها ليلة مباركة.

المرحلة الثالثة : وهى التي نزل فيها القرآن الكريم بطريقة التنجيم والتفريق آية فآية، أو سورة فسورة، على حسب الحوادث والأسباب المقتضية للنزول. غير أن نزول القرآن منجمًا كان مثار اعتراض المشركين الذين رفضوا الدخول فى الإسلام الذي دعا إليه محمد (ﷺ) قائلين: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ كما قال أيضًا: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾.

بُعث محمدٌ (ﷺ) في بيئة يغلب عليها طابع الأمية،ولا يُحْسن كثير منهم القراءة والكتابة ، ولهذا خاطبهم الله رب العالمين بقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

وأمة هذا شأنها فإن المعوّل عليه لديها في الحفظ هو صدرها، وكذلك كانت الأمة على عهد نزول القرآن متمتعة بخصائص العروبة الكاملة التي منها سرعة الحفظ، وسيلان الأذهان، حتى كانت قلوبهم أناجيلهم، وعقولهم سجلات أنسابهم وأيامهم، وحوافظهم دواوين داوية شعرهم ومفاخرهم، حتى جاء القرآن بقوة بيانه، وأخذ عليهم مشاعرهم بَسْطوةِ سُلطانه، واستأثر بكريم مواهبه في لفظه ومعناه فخلعوا عليه حياتهم حين علموا أنه روح الحياة".[2]

إذا كان النبي أميًا والأمة التي بُعث إليها أمَّةً أمية، إذن فالوسيلة الأولى في النقل هي الكلام الذي لا يأتي إلا بعد الحفظ، ولهذا قال القرآن بعد قوله: ﴿ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (يتلو عليهم آياته) والتلاوة لا تكون إلا عن حفظ ووعي، فلم يقل: يكتب، لأن الحفظ والتلاوة – كما سبق – هما الأساس.[3]

كما أن الناظر في الأوامر القرآنية يجدُ أن المُوجّه منها لرسول الله (ﷺ) يحثه على كثرة تلاوة القرآن وحفظه ووعيه.

يقول الله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[4] ويقول تعالى : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾[5] ويقول تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[6]

---

(1) سورة الجمعة : آية ٢.

(2) انظر: "مناهل العرفان"، جـ١، ص٢٤٠.

(3) انظر: "الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف"، ص١٩٥.

(4) سورة العلق: آية ١.

(5) سورة الكهف : آية ٢٧.

(6) سورة المزمل : الآيتان ٤ ، ٥.

بلغ من حرص النبي(ﷺ) وحفظه للقرآن أنه كان يحرك به لسانه في أشد حالات شدته، وهو يعاني ما يعانيه من الوحي وسطوته، وجبريل في هبوطه عليه لقوته، ويفعل الرسول كل ذلك استعجالاً لحفظه وجمعه في قلبه، مخافة أن تفوته كلمة أو يفلت منه حرف، وما زال (ﷺ) كذلك حتى طمأنه الله بأنّ وعده أن يجمعه له في صدره، وأن يسهل له قراءة لفظه وفهم معناه.[1] فقال له: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2]

بل إن الله وعده بعدم نسيانه له، وبأنه سيجمعه في قلبه وسيقرئه إياه، يقول تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴾[3] ويقول الله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[4] ومن إقراء الله لنبيه (ﷺ) أن كان جبريل يأتي محمدًا (ﷺ) ليعرض عليه القرآن في رمضان من كل عام.

ومن تمام وعد الله لنبيه (ﷺ) ما روته عائشة عن فاطمة رضي الله عنهما: أسرَّ إليَّ رسول الله (ﷺ) "أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي.[5]

إذا كان الله قد تكفل لنبيه (ﷺ) بأن يقرئه القرآن فلا ينساه، وكان يرسل له جبريل يراجعه معه كل عام. فما هو حال صحابة محمد (ﷺ) من حيث حفظهم للقرآن؟ كان صحابة محمد (ﷺ) من أشد الناس حرصًا على ملازمته ليتعرفوا أوّلاً بأول على ما جاء به الوحي، وهناك أحاديث كثيرة تدل دلالة واضحة على مدى اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بالقرآن الكريم واعتنائهم بحفظه وتلاوته عن ظهر قلب، فهناك ما

---

(1) انظر: "مناهل الفرقان"، جـ١، ص٢٤٠.

(2) سورة طه : آية ١١٤.

(3) سورة الأعلى : آية ٦.

(4) سورة القيامة : الآيات من ١٦ إلى ١٩.

(5) الحديث رواه البخاري، "كتاب المناقب"، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٣٥٣).

ذكره الإمام البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "والله الذي لا إله إلا غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلة آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم منِّي بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه.[١]

ولقد خطب عبد الله بن مسعود يومًا فقال : "لقد أخذت فــيِّ رســول الله (ﷺ) بضعًا وسبعين سورة"[٢] أما عن أبي رضي الله عنه، فيحكي عنه البخاري أنه يقــول: "أخذته من فيِّ رسول الله (ﷺ)[٣]، كما اشتهر بحفظ القــرآن مجموعــة كبيــرة مــن الصحابة واشتهروا بإقراء القرآن من بينهم سبعة (عثمان، وعلى، وأبي بــن كعــب، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو موســى الأشــعري" كلهــم جمعوا التنزيل بين حنايا صدورهم، وأقرءوه لكثير غيرهم.[٤]

وفي صحيح البخاري أيضاً أن النبي (ﷺ) قال: لأبي بن كعب: "إن الله أمرنــي أن اقرأ عليك القرآن"، قال: "الله سمَّاني لك ؟ قال: "نعم وقد ذكرت عند رب العــالمين" قال : فذرفت عيناه.[٥] واشتهر بين القوم قوله (ﷺ) : "أبَيُّ أقرؤكم".[٦]

وقد سأل النبى (ﷺ) الرجل الذي أراد أن يتزوج المرأة التي وهبت نفسها للنبي (ﷺ) قائلاً له: "فما معك من القرآن ؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا، لسور عــدها قال: "أتقرأهن عن ظهر قلب؟ قال : نعم قال كذا وكذا، قال : قد ملكتها بما معك مــن القرآن.[٧]

---

(1) صحيح البخاري، "كتاب فضائل القرآن"، باب القراء من الصحابة، برقم (٤٦١٨) وصحيح مسلم، كتــاب "فضائل الصحابة"، باب من فضائل عبد الله بن مسعود برقم (٤٥٠٣).

(2) الحديث ورد في البخاري، كتاب "فضائل القرآن" – باب القراء مــن أصــحاب رســول الله (ﷺ) بــرقم (٤٦١٦) وصحيح مسلم – كتاب "فضائل الصحابة"، باب من فضائل عبد الله بن مسعود برقم (٤٥٠٢).

(3) الحديث ورد في البخاري – كتاب "فضائل القرآن" – باب القراء من أصحاب النبي رقم (٤٦٢١).

(4) انظر: "مناهل العرفان"، جــ١، ص٢٤٥.

(5) والحديث في صحيح البخاري، كتاب "تفسير القرآن" برقم (٤٥٧٩)، وصــحيح مســلم، كتــاب صــلاة المسافرين وقصرهم – باب استحبا قراءة القرآن على أهل الفضل برقم (١٣٣٠).

(6) وهذا جزء من حديث عن النبي ذكره ابن حجر في "فتح الباري"، جــ٢، ص١٧١.

(7) سنن النسائي – كتاب النكاح – باب التزويج على سور القرآن برقم (٣٢٨٧)، وحسنه العلامة الألبــاني في صحيح الجامع برقم (٨٦١) والجامع الصغير برقم (٨٦٣).

١) التعبـد بالقـرآن :

لما كان صحابة محمد (ﷺ) أحرص الناس عليه، وعلى إتباع شرعه الذي جاء به من عند الله رب العالمين، ولما كانت الصلاة من شرعه (ﷺ) الذي جاء به من عند ربه على نحو توقيفى معروف عند المسلمين، وهو أداؤها خمس مرات فرضاً كل يوم. وهذه الصلاة لا تؤدى إلا بقرآن يتلى خمس مرات كل يوم. بل من واجباتها أن تؤدى خلف إمام من أدق شروطه أن يكون من أكثرهم حفظاً للقرآن. [١]

ولم يكن أمر الصلاة موقوفًا على الخمس المفروضة، بل كان على الصحابة أن يؤدوا صلاة السنن النوافل والتهجد بالليل مقتدين بنبيهم (ﷺ)، ولما كانت الصلاة التي عماد الدين الإسلامي لا تؤدي إلا بالقرآن، حرص النبي(ﷺ) على أن يَحْفَظ القرآن كل من يدخل في الإسلام لتوّه.

قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه : كان الرجل إذا هاجر دفعه النبـي (ﷺ) إلى رجل منا نعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله (ﷺ) ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله (ﷺ) أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا".[٢]

كما أرسل رسول الله (ﷺ) جماعة من القراء إلى المدينة لتعليم القـرآن، روى البخاري عن البراء قال : أوّل من قدم علينا من أصحاب النبي(ﷺ) مصعب بن عميـر وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد"[٣]، ولما فـتح (ﷺ) مكة ترك معاذ بن جبل للتعليم، وكان الرجل إذا هاجر إلى المدينة دفعه النبى (ﷺ) إلى رجل من الحفظة ليُعلّمه القرآن. [٤]

وفى عهد النبي (ﷺ) زاد عدد الحفاظ للقرآن الكريم جداً حتـى إن الروايـات التاريخية تقول إنه في عهد النبي (ﷺ) قُتِل سبعون من القرّاءِ في بئر معونة. [٥]

---

[1] جاء على لسانه (ﷺ) من شروط الإمام، قوله (ﷺ) "إذا كنتم ثلاثة في سفر، فليؤمكم أحـدكم وأحقكـم بالإمامة أقرؤكم" (صحيح ابن حيان برقم "٢١٣٢" وإسناده صحيح على شرط مسلم).

[2] انظر: "مناهل العرفان"، جـ١، ص٢٤٧.

[3] جزء من حديث صحيح البخاري، كتاب "تفسير القرآن"، برقم (٤٥٦٠).

[4] انظر: "مناهل العرفان" ، جـ١، ص٢٤٦.

[5] انظر: "مناهل العرفان"، جـ١، ص٢٢٢، وقد ذكر خبر هؤلاء القراء في كثير من الكتب الستة، انظـر: صحيح البخاري، كتاب المغازي برقم (٣٧٧٠) وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضـع الصـلاة بـرقم (١٠٨٥) ومسند الإمام أحمد برقم (١/٦٢١).

٢) معرفة الصحابة للكتابة وتدوينهم للقرآن فور تنزيله :

إذا كانت الغالبية العظمى ممن بعث فيهم محمد (ﷺ) أُمّيين اعتمدوا على صدورهم فى حفظهم – كما سبق – فهل هذا معناه أن الجزيرة العربية لم تكن تعرف الخط والقراءة ؟

في الحقيقة إن المصادر التاريخية تمدنا بالمعلومات عن أن العرب قبل الإسلام كانوا يعرفون الخطِ، بل كان لهم خطّهم الخاص والمعروف بالخط الحجازي، وقد أخذوه من أهل الحيرة.[1] وأهل الأنبار[2].

اشتهر كثيرٌ من الصحابة بكتابة القرآن الكريم (الوحى) خلف النبي(ﷺ)، منهم عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبى طالب، وطلحة وأبو عبيدة الجراح، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، ومعاوية بن أبي سفيان وأبان بن سعيد. [3]

---

(1) الحيرة : مدينة بالعراق كانت تقع على ثلاثة أميال من الكوفة، وسموها بالحيرة البيضاء لحسنها، وقيل: سميت بالحيرة لأن ** لما قصد خراسان خلف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم : حيروا بـه، أى : أقيموا، وقيل فى تسميتها غير ذلك، نزلها المسلمون بعد بناء الكوفة سنة ١٧ هـ _انظر: معجم البلدان، جـ٢، ص٣٢٨).

(2) الأنبار : مدينة على نهر الفرات غربي بغداد، كانت الفرس تسميها فيروز سابور. أول من عمرها سابور ذو الأكتاف، وسميت كذلك لأنه كان يجمع فيه أنابير الحنطة والشعير والقت والتبـة، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها وقيل في تسميتها غير ذلك، وقد فتحت الأنبار في خلافة أبي بكر سنة ١٢هـ فتحها خالد بن الوليد صلحًا (انظر: "معجم البلدان"، جـ١، ص٢٥٧). ، وأجمع مؤرخو العرب أن هذا الخط قد دخل إلى مكة بواسطة حرب بن أمية بن عبد شمس[2]، وكان قد تعلمه في أسفاره من عدة أشخاص، منهم بشر بن عبد الملك أخو أكيدِر صاحب دومة الجندل[2]، وقد حضر بشر إلى مكة مع حرب بن أمية وتزوج الصهباء ابنته، وعلّم جماعة من أهل مكة، ثم ارتحل، وفيه يقول الشاعر من كندة يَمنُّ على قريش :

ولا تجحدوا نعماء بشر عليكم	فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتموا	من المال ما قد كان شتى مبعثرا
واغتنموا عن مسند القوم حمير	وما زبرت في الكتب أقلام حميرا[2]

[انظر: "المزهر" للسيوطي، ٢/٣٤٦، ٣٤٧. و"تاريخ القرآن" للزنجاني، ص٢٥، وهذه الأبيات من بحر الطويل]

(3) انظر: "تاريخ القرآن" ، ص٣٦. وانظر أيضًا : "مناهل العرفان"، ج١، ص٢٤٦. وانظر كذلك : "إلى الدين الفطري الأبدي"، ج٢، ص٩٩. وانظر: "المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية"، ص٥٥ – ٥٦، لأبى الوفاء نصر الوفائى الهوريى، تحقيق وتعليق د/ طه عبد المقصود، الطبعة الأولى بمكتبة السنة، بالقاهرة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م.

وقد اتخذ الرسول (ﷺ) من هؤلاء كُتّابًا للوحي، كلما نزل شيء مـن القـرآن أمرهم بكتابته مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادةً في التوثيق والضبط والاحتياط فـى كتاب الله تعالى، حتى تُظَاهرُ الكتابة الحفظ، ويعاضد النقشُ اللفظ، وكان هؤلاء الكُتاب من خير الصحابة.[١]

** **كيفية تدوين القرآن :**

إذا كان هناك من يكتب الوحي من الصحابة خلف النبي(ﷺ) فكيف كان يتم لهم ذلك ؟

أجمع المؤرخون على أن كتبة الوحي كانوا يدونون من في النبي (ﷺ) ويكتبون فيما يسهل عليهم من العُسُب[٢] واللخاف[٣] والرقاع[٤] وقطع الأديم[٥]، وعظام الأكتاف والأضلاع، ثم يُوضع المكتوب في بيت رسول الله (ﷺ) .[٦] كما كانوا يكتبـون كـذلك على رقع الجلود وعلى الأحجار الملائمة للكتابة، ثم يعرضون المكتوب على رسول الله للتثبت من صحة الكتابة. [٧]

وقد وردت الآثار أن بعض آيات القرآن الكريم جيء بها مكتوبة علـى هـذه الوسائل المذكورة عند جمع القرآن الكريم.

في البخاري لما نزلت آية : ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨]، قـال عليـه السلام للبراء ابن معرور: "ادع لي زيدًا، وليجيء باللوح والدواة والكنف فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال النبي(ﷺ) اكتب : ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ

---

(1) انظر: "مناهل العرفان"، ج١، ص٢٤٦.

(2) العُسُب : بضم العين والسين – جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشفون الخـوص ويكتبـون فـي الطرف العريض.

(3) اللخاف : بكسر اللام – جمع لخفة – بفتح اللام وسكون الخاء – وهى الحجارة الرقيقة.

(4) الرقاع : جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق.

(5) قطع الأديم : وهو الجلد.

(6) انظر: "الإتقان في علوم القرآن" ، ج١، ص٧٦.

(7) انظر: " إلى الدين الفطري الأبدي"، ج٢، ص٩٩.

(8) سورة النساء : آية ٩٥.

في سَبِيلِ اللهِ ﴾ وخلف النبي (ﷺ) ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله : أنا ضرير، فنزلت مكانها : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ (١).

كما روي أيضًا أن عثمان بعث إلى أبي بن كعب بكتف شاة مكتوب عليها بعض قرآن ليصلح بعض حروفه. وفي بعض روايات البخاري أن الرسول - صلوات الله عليه وسلامه- قبل موته بأربعة أيام – كان ذلك يوم الخميس –، قال لهم :"ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي".(٢)

وأخرج الحاكم بسنده على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت، قال : كنا عند رسول الله (ﷺ) نؤلف القرآن من الرقاع.(٣)

****

(1) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن – باب كُتَّاب النبي (ﷺ) رقم (٤٩٩٠)، وفي كتَاب الجهاد، باب قول الله عز وجل ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ رقم ٢٨٣١، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأمارة باب سقوط فرض الجهاد عَن المَعذورينَ (رقم ١٤١/١٨٩٨).

(2) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجزية – باب إخراج اليهود من جزيرة العرب (رقم ٣١٦٨) من حديث ابن عباس، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه (رقم ٢٦٣٧) بلفظ "ائتوني بالكتف".

(3) جزء من حديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه، باب فضل الشام واليمن برقم (٣٨٨٩) ومسند الإمام أحمد برقم (٢٠٦٢٢).

٣) جمـع القـرآن الكـريم :

لما توفى النبي (ﷺ) زادت فتوحات المسلمين، وزادت الأفواج من الناس دخولاً في دين الله، فكان منهم العربي والعجمي، كما طرأت كثيرٌ من الحوادث التي لم تكـن موجودة في عهد النبي (ﷺ).

هذه الحوادث دفعت بالكبار من الصحابة إلى أن يجمعوا القرآن المـدوَّن فـي عهد النبي (ﷺ) – على وسائل مختلفة – في مصحف واحد، وكان هذا جمعًـا ثانيًـا للقرآن الكريم، ولكن هذا الجمع مرّ بمرحلتين :

المرحلة الأولى: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق.

لما جلس أبو بكر الصديق خليفة للمسلمين حضر عمر بن الخطاب مجلس أبي بكر (رضى الله عنهما) بعد سنتين من خلافاته فدار بينهما حوار يرويه لنا زيـد بـن ثابت (رضى الله عنه) فيقول: "إن عمر أتاني فقال: أرسل إليَّ أبو بكر بعد مقتل أهـل اليمامة[1]، فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر (رضي الله عنه) : "إن عمر أتـاني فقال : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يسـتحر القتـل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمـع القـرآن، قلـت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله (ﷺ)؛ قال عمر: هذا والله خير، فلـم يـزل عمر يراجعني، حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبـع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمراني به من جمع القرآن قلت : كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله (ﷺ)؛ قـال : هـو والله خيرٌ فلم يزل أبو بكر يراجعني، حتى شرح الله صدري للذي شُرح له صدر أبي بكـر

---

[1] اليمامة : مدينة بأرض عمان من جهة الشمال الغربي، وكان اسمها (جوا) وقد فتحت صلحاً سنة ١٢هـ في خلافة أبي بكر الصديق على يد خالد بن الوليد – رضي الله عنهما – بعد أن قتل مسيلمة الكذاب دجال بن حنيفة (معجم البلدان، ج٥، ص٤٤٢) ، والحديث عن معركة اليمامة مشهور في كتب التاريخ.

وعمر (رضي الله عنهما) فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما".[2]

واتسمت هذه المرحلة بالحيطة الشديدة، والحذر من قبل الخليفة الصديق أبي بكر رضي الله عنه، فقد أخرج أبو داود أن أبا بكر قال لعمر ولزيد اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه[3]، ومن حيطة أبي بكر (رضي الله عنه) أيضًا أن اختار زيد بن ثابت دون غيره من الصحابة لأنه كان من كُتاب الوحي وكان ممن شهدوا العرضة الأخيرة للقرآن الكريم على النبي (ﷺ).

المرحلة الثانية: جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان:

مر بنا في المرحلة الأولي من التدوين للقرآن فى عهد الصديق أبي بكر أنه حين الانتهاء من تدوين القرآن أودع الصحف المكتوبة عند عمر بن الخطاب، ثم أودعها عمر حفصة بنت عمر رضي الله عنهما إحدى زوجات النبي (ﷺ).

ولمَّا جاءت خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) زادت فتوحات المسلمين وانتشر الإسلام، واختلط العرب بالعجم، كما انتشرت أيضًا قراءات القرآن بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن على النبي(ﷺ)، حتى أصبح الناس يُخَطِّيءُ بعضهم بعضًا.

---

(1) سورة التوبة : الآية رقم ١٢٧.

(2) الحديث أخرجه البخاري، في كتاب تفسير القرآن باب قوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) برقم (٤٣١١) وباب جمع القرآن برقم (٦٤٠٣).

(3) انظر: "فتح الباري"، لابن حجر، ج٩، ص١٤.

ورد أنه في سنة ثلاثين من الهجرة كان حذيفة بن اليمان مأمورًا بغزو الري[1] ثم صُرِف عن ذلك إلى غزو الباب[2] ممدًا لعبد الرحمن بن ربيعة[3]، وخرج معه سعيد بن العاص، فبلغ معه أذربيجان[4] فأقام حتى عاد إليه حذيفة، وقال له: لقد رأيت لقد رأيت في سَفرتي هذه أمرًا لئن تُرِك الناس عليه ليختلفُنّ في القرآن، ثم لا يقومون عليه أبدًا قال : ولِمَ ذلك ؟ قال : رأيت ناسًا من أهل حمص[5]، يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن من المقداد[6]، ورأيت أهل دمشق يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على ابن مسعود، وأهل البصرة يقولون مثله، وأنهم قرأوا على أبي موسى ويسمون مصحفه "الباب القلوب".

فلما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف، فوافقه أصحاب رسول الله (ﷺ)، وكثيرٌ من التابعين، وقال له أصحاب ابن مسعود : ما تنكر، ألسنا نقرأ على قراءة ابن مسعود، فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا، إنما أنتم أعراب

---

(1) وهي مدينة كبيرة أقرب إلى خراسان من بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخًا وإلى قزوين ٢٧ فرسخًا، فتحت على يد عروة بن زيد الطائي سنة ٢٠ هـ في خلافة عمر (رضي الله عنه) (انظر: "معجم البلدان" ، مجـ٣، ص١١٦).

(2) باب الأبواب : مدينة تقع على بحر طبرطستان، وكان لها حائط بناه (أنوشروان) بالصخر والرصاص وجعل عليها أبوابًا من حديد، وفتحت في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٢ هـ ("معجم البلدان" ، مجـ١، ص٣٠٣-٣٠٤).

(3) عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلي، صحابي يلقب (ذا النور) ولاه عمر بن الخطاب قضاء الجيش الذي وجهه إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص، وعهد إليه بقسم الغنائم ثم ولاه الباب وقتال الترك، وظل كذلك حتى استشهد في سنة ٣٢هـ (الإصابة فى تمييز الصحابة، مجـ٢، ص٣٠٤ - ٣٠٥).

(4) أذربيجان وقزوين وزنجان : كوَرٌ تلي الجبل من بلاد العراق فتحت سنة ٢٢ هـ في عهد عمر بن الخطاب (تاريخ الطبري، ج١، ص١٥٣).

(5) المقداد بن عمرو، ويعرف باسم (ابن الأسود الكندي) الهمزاني الحضرمي، صحابي جليل شهد بدرا وغيرها، وروى أحاديث عن النبي (ﷺ)، مات قريبا من المدينة فدفن فيها ("الإصابة في تمييز الصحابة"، ج٦، ص٢٠٢).

(6) حمص: مدينة مشهورة بالشام – سميت باسم رجل من العماليق هو أول من نزلها، فتحها أبو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد (معجم البلدان ، ج٢، ص٣٠٢).

فاسكتوا فإنكم على خطأ وقال حذيفة : والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين ولأشيرن عليه أن يَحُولَ بين الناس وبين ذلك فأغلظ له ابن مسعود، فغضب سعيد وقام، وتفرق الناس، وغضب حذيفة، وسار إلى عثمان بالمدينة وأخبره بالذي رأى، وقـال : أنـا النذير العُريان يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة من قبل أن يختلفـوا فـي القـرآن اختلاف اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل، ففزع لذلك عثمان فجمـع الصـحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعًا ما رأى حذيفة، فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر (رضي الله عنهما) أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها ثم نردها إليك. [١]

وبعد أن نسخ عثمان الصحف، ثم ردها إلى حفصة، نسخ أربعة مصاحف أبقى عنده واحدًا منها في المدينة، وأرسل عثمان الثلاثة للبصرة والكوفة والشام، عين زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدني، وبعث عامر بن قيس مع البصري، وأبا عبـد الـرحمن السلمي، مع الكوفي، والمغيرة بن شهاب مع الشامي، وقـرأ كـل مصـر بمـا فـي مصحفه. [٢]

وقد راعى عثمان فى هذه النسخة التي نسخ منها نسخ الأمصار عدة أمور، من أهمها ما يلى:

١- أنه اعتمد فى النسخ لهذا المصحف خِيرَة الصحابة وثقات الحفاظ، وهم عبـد الله بن الزبير، وزيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بـن الحـارث ابـن هشام، بل جاء في بعض الروايات أن الذين نُدبوا لنسخ المصاحف كـانوا اثنـي عشر رجلاً. [٣]

٢- لم يكتف عثمان بأن يرسل نسخة من المصحف إلى كل مَصْرٍ من الأمصـار بـل أرسل مع كل مصحف من يقرئ به، فأبقى زيد بن ثابت ليقرئ في المدينة، وبعث عامر بن قيس ليقرئ في البصرة، وأبا عبد الرحمن السلمي ليقرئ فـي الكوفـة والمغيرة بن شهاب ليقرئ أهل الشام. [٤]

---

[1] انظر : "تفسير الطبري" ، ج١، ص٥٩-٦١.

[2] انظر: "كتاب تاريخ القرآن"، ص٦٧.

[3] انظر: "مناهل العرفان"، جـ١، ص٢٥٧.

[4] انظر: "تاريخ القرآن"، ص٦٧.

٣- تحري عثمان عند جمعه للمصحف أن يقتصر، من سائر اللغات على لغة قريش محتجًّا بأنه نزل بلغتهم. (١)

حيث قال للقرشيين من الصحابة الذين اشتركوا مع زيد بن ثابت في جمع المصحف : "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم. (٢)

٤- راعى عثمان في المصاحف التى نسخها أن تكون مشتملة على الأحرف السبعة التي أقرأ جبريل بها النبي(ﷺ) لأن عثمان لم يكن قصده مثل قصد أبي بكر في جمع نص القرآن بين لوحين – وإنما قَصَدَ جمعهم (أي المسلمين) على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي (ﷺ)، وإلغاء ما ليس كذلك. (٣)

٥- جَرَّد عثمان مصاحفه من كل ما ليس قرآنًا مما كتبه بعض الصحابة كأن يكون بيانًا لناسخ ومنسوخ، واقتصد فيها على ما ثبت بالتواتر دون ما كانت قراءته آحادًا. (٤)

٦- حرص عثمان أن يكون جمعه للمصحف وتوزيعه على الأمصار نابعًا من إجماع الصحابة (رضوان الله عنهم).

فعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال : أيها الناس: "الله الله إياكم والغلو في أمر عثمان، وقولكم حرَّاق المصحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله (ﷺ)، جمعنا وقال : ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها: يلقي الرجل الرجل فيقول قراءتي خير من قراءتك، وهذا يجر إلى الكفر فقلنا بالرأي، قال أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان مَنْ بعدكم أشد اختلافًا، فقلنا: نِعْمَ ما رأيت، فأرسل إلى زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص

(1) انظر: "الإتقان في علوم القرآن"، ج١، ص٨٠.

(2) انظر: "مناهل العرفان"، ج١، ص٢٥٨، وانظر هذا الحديث في صحيح البخاري، "كتاب المناقب" ، نزل القرآن بلغة قريش برقم (٣٢٤٤).

(3) انظر: "الإتقان في علوم القرآن" ، ج١، ص٢٥٨.

(4) انظر: "مناهل العرفان" ، جـ١، ص٢٦٠.

قال: يكتب أحدكما ويملي الآخر، فلم يختلفا في شيء إلا في حرف واحد في سورة البقرة، فقال أحدهما: (التابوت) وقال الآخر: (التابوه) واختار قراءة زيد بن ثابت لأنه كتب الوحي.[١]

كما روى أيضًا أن عليًّا رضي الله عنه لما قدم الكوفة، قام إليه رجل فعاب عثمان لجمع الناس على مصحف واحد فصاح به وقال (اسكت : فعن ملأ منًّا فعل ذلك، فلو وُلّيتَ منه ما ولىّ عثمان لسلكت سبيله).[٢]

****

---

[1] انظر: "كتاب تاريخ القرآن" ، ص٦٨.

[2] انظر: "الكامل في التاريخ" ، جـ٣، ص٩٠٨:

الباب الأول

الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث لدي بوكــاي

ويشتمل على ثلاثة فصول كالتالي :

- الفصل الأول : أدلة تحريف التوراة.
- الفصل الثانى : أدلة تحريف الإنـجيل.
- الفصل الثالث : صحة القرآن الكريم وصدق نبوة محمد (ﷺ)لدى بوكاي

الفصل الأول

أدلة تحريف التوراة لدي بوكاي

ويشتمل على مبحثين كما يلى :

المبحث الأول : النقد الخارجي للتوراة.

المبحث الثانى : النقد الداخلي للتوراة.

المبحث الأول : النقد الخارجي للتوراة

مدخل :

وقد دأب النقاد المحدثون للكتاب المقدس – وخاصة فى الغرب – على الربط بين تدوين نص الكتاب المقدس، وبين معرفة الكتابة وانتشارها زمن تدوينه، فإن هم تأكدوا من وجود كتبةٍ قادرين على تدوين وحي إلهي منذ نزوله انصرفوا إلى التأكد من مطابقة الأحداث المدونة فيّه مع ما اشتهر به العصر من أحداث، فإن كانت مطابقة لما هو مسطور فى الكتب ، راحوا بعد ذلك يبحثون عن الكيفية التى تم بها نقل هذه الكتب حتى وصلت إلى أهلها وصاروا يقدّسونها ويتعبدون بها، وذلك لأن الظروف التاريخية والدينية عاملاً من العوامل الرئيسة فى نقل النص الديني خاليًا من أي تحريف أو تبديل.[1]

وهذه الطريقة فى تَتَبُّعِ سيرة النص الديني منذ نزوله إلى ساعة وصوله بين أيدينا قد سار على نهجها القدماء والمحدثون من النقاد. غير أن بعض المحدّثِينَ من النقاد – فى هذا العصر – يبحثون طرقًا أخرى للتأكد من صحة النص الديني. وكان من أهم هذه الطرق، ما اتّبعه الدكتور "موريس بوكاي" فى وجوده لبعض الإشارات العلمية فى ثنايا النص المفترض أنه موحىً به، وحُفِظَ من التغيير والتحريف والتبديل، غير أن هذا النص لم يَسْلَمْ من توجيه سهام النقد إليه.

فراح "بوكاي" يستغل وجود بعض هذه الإشارات العلمية ويضعها تحت مجهر العلم الحديث، فإن هي توافقت مع معطياته صارت بذلك سالمة مما وُجِّه إليها من نقد.

أما إذا لم تتوافق الحقائق العلمية التى قُطِعَ بصحتها – وليست قابلة للشك مطلقًا – مع ما ورد فى هذا النص، فإنه لابد من أن هذا النص قد طالته يَدُ التحريف، وذلك لأن الله الذى نَزّل هذا النص مُحَالٌ أن يخبرنا بشئ غير الحقيقة. وقد طبق الدكتور "بوكاي" هذا المنهج على الكتب السماوية الثلاثة، وخرج من دراساته بالعديد من النتائج التى سيتعرض لها هذا الفصل – إن شاء الله –

---

(1) وهذه الطريقة سار عليها القدماء والمحدثون من النقاد، وقد سبقت الإشارة إليها عند تتبع مناهج علماء المسلمين، واتباع كثير من المحدثين لها – من أمثال اسبينوزا – (انظر: ما سبق من هذا البحث ، ص ٢١-٢٢ وانظر: "منهج البحث بين التنظير والتطبيق" ، ص١٣٩ ، للدكتور حامد طاهر، دار النصر، القاهرة ، سنة ١٩٩٤م.

ـ النقد الخارجي للتوراة :

سبق أن ذكرنا أن كثيرًا من النقاد القدماء والمحدثين قد ساروا على طريقة معينة فى تتبع سيرة النص الديني منذ نزوله إلى ساعة وصوله بين أيدي مَنْ يقدسونه ويتعبدون به، وهذه الطريقة فى تتبع النص كان لعلماء السنة النبوية من المسلمين قصب السبق فيها؛ إذ إنهم قد تولد على أيديهم منهج علمي صاغوا قواعده وأصوله، ليدرسوا به دراسة متعمقة حديث رسول الله (ﷺ)، هذا المنهج هو المعروف بمنهج دراسة الحديث رواية ودراية، وهو الذى تأسس عليه علم مصطلح الحديث النبوي.

ولقد أوْلَوهُ اهتمامهم البالغ، فوضعوا له الضوابط والشروط التى ينضبط بها فى نفسه، ويقوم عليها قبوله أو ردُّه، مؤسسين بذلك علمًا مستقلاً بذاته هو علم الجرح والتعديل الذى قدموا فيه – بمنهجية دقيقة– الجرح على التعديل ، أو الشك على اليقين، حيث رأوا أن الشك هو الأصل حتى يثبت عكسه، تلك القاعدة المنهجية الهامة فى قبول الخبر أو رفضه. (١)

وذلك لأن الوضع فى الحديث، والكذب على رسول الله (ﷺ) من أهم الأسباب التى دفعت العلماء إلى تقعيد القواعد ؛ وتأصيل الأصول، والتفتيش ، والتنقيب والتحرى لإثبات الأصيل ونفي الدخيل. (٢)

وقد وجدنا عند دراستنا لمناهج علماء المسلمين للأديان أنهم ساروا وفق ضوابط هذا المنهج ففرقوا بين السند والمتن.

ومن يتتبع بدقة دراسات الدكتور "بوكاي" التى أجراها حول الكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد) يجد عنده أصول هذا المنهج متوفرة مرعية، إذ إنه لم يكتف بأن يقابل بين الإشارات العلمية الموجودة فى الكتاب المقدس ومقابلتها مع نظريات العلم الحديث؛ بل إنه تتبع سيرة النص التوراتي أو الإنجيلي منذ نزوله وحيًا حتى وصوله إلى مرحلة التقديس والتعبد به فى صورة كتب مسطورة مدونة، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه – إن جاز – السند كما يمكن أن نسميه أيضًا النقد الخارجي.

---

(1) منهج السلف بين العقل والتقليد ، ص٢٥ ، ٢٦ ، القاهرة ، سنة ١٤١٥ – ١٩٩٤م.

(2) انظر: الوضع فى الحديث وجهود العلماء فى مواجهته ، د / محمد سعيد رسلان ، ص، مكتبة البلاغ ، الطبعة الثانية ، س١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

كتابة النص التوراتي : (أسفار موسى الخمسة).

إن النقد الخارجي لأي وثيقة يتضمن نقد مصدر الوثيقة والتاريخ الذي كتبت فيه والطريقة التى حفظت بها، وكيفية روايتها ، وتاريخ انتقالها عبر العصور، وكيفية وصولها إلينا، وحالتها التى وصلت بها، أى الاضطلاع بالإجابة على الأسئلة أين ومتى كتبت ومن كاتبها ؟ (١)

ولقد جاءت رؤى بوكاي حول كتابة النص التوراتي متضمنة فى معظمها لأصول القاعدة السابقة.

يقول الدكتور "موريس بوكاي" : ظلت اليهودية والمسيحية قرونًا طويلة تعتبر أن موسى نفسه هو كاتب التوراة، والقائلين بتلك الدعوى، قد اعتمدوا على عدة نصوص ورد بعضها فى العهد القديم، وبعضها الآخر فى العهد الجديد ، فمما جاء فى العهد القديم: **[اكْتُبْ هذَا تِذْكَاراً فِي الْكِتَابِ]**(٢) والمقصود بهذا هنا هزيمة موسى للعماليق.

وجاء فيه أيضًا : **[وَكَتَبَ مُوسَى مَخَارِجَهُمْ بِرِحلاتِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ]**(٣)

وجاء فى العهد الجديد على لسان بولس فى رسالته إلى أهل رومية: **[وَكَتَبَ مُوسَى هذِهِ التَّوْرَاةَ]**(٤)

وجاء فى العهد الجديد على لسان بولس فى رسالته إلى أهل رومية : **[لأَنَّ مُوسَى يَكْتُبُ فِي الْبِرِّ الَّذِي بِالنَّامُوسِ]**(٥)

أما يوحنا فإنه يجعل المسيح يقول تلك العبارة : **[لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي.فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كيف كُتُبَ ذَاكَ فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كلاَمِي]**(٦)

---

(1) انظر: "منهج البحث بين التنظير والتطبيق" ، د. حامد طاهر ، ص١٣٩.

(2) انظر : سفر الخروج (الإصحاح ١٧ ، الفقرة ١٤).

(3) انظر : سفر العدد (الإصحاح ٢٣ الفقرة ٢).

(4) انظر : سفر التثنية (الإصحاح ٣١ الفقرة ٩) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٣٠.

(5) رسالة بولس إلى أهل رومية ، الإصحاح ١٠ ، فقرة ٥.

(6) انظر : إنجيل يوحنا (الإصحاح ٥ ، الفقرات ٤٦ ، ٤٧).

يقرر الدكتور "بوكاي" أن الفرض القائل بأن موسى قد كتب الأسفار الخمسة كلَّها قد هُجِرَ تمامًا ، وأن هناك عناصر كثيرة للبرهنة على ذلك منها ما قدمه الأب ديفو [1] لترجمة لسفر التكوين سنة ١٩٦٢م، وهذه المقدمة تحتوي على حجج قَيِّمَة تناقض الدعاوى الإنجيلية الخاصة بأبوة موسى للأسفار الخمسة.

من هذه الحجج :

أولاً : فى القرن السادس عشر أشار كارلتشارد Carlshard إلى استحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات. [2]

ثانياً : يؤكد ريتشارد سيمون (١٦٧٨م) Richard Simon De Iqratoire على الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب فى أسفار موسى الخمسة، كما أكد سيمون على أن مراجع العصور القديمة فى كتب التاريخ فى بداية القرن الثامن عشر كثيرًا ما تستعين بما كتب موسى. [3]

ثالثاً : إن البرهان الحاسم فى هذه القضية ما قدمَّه الطبيب "جان استروك" (١٧٥٣م) Gean Strouc حيث أكد على تعدد المصادر فى تحرير سفر التكوين كما أكد على وجود نصَّين جنبًا إلى جنب فى سفر التكوين يحتوي كلٌّ منهما على خاصية مختلفة فى تسمية الرب : إذ يسميه أحدهما بيَهْوه ويسميه الثاني بأولوهيم. [4]

ثم جاء إيلجن Ilgen (١٧٩٨م) ولاحظ أن أحد النصين اللذين ميَّزهما جان استروك ، وهو (النص الذى يُسَمَّى فيه الربُّ بأولوهيم) ينقسم أيضًا إلى قسمين. وبهذا تفتت تمامًا كتب أسفار موسى الخمسة. [5]

---

[1] الأدب ديفو R.P. De Vaux مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس.

[2] جاء فى سفر التثنية : [فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ وَلَمْ تَكِلَّ عَيْنُهُ وَلا ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ] (سفر التثنية ، الإصحاح ٣٤ ، الفقرات (٥-٧).

[3] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٣١ ، وانظر: "ما أصل الإنسان" ، ص١٥٣.

[4] انظر: السابق ، ص٣٢ ، وانظر: "ما أصل الإنسان" ، ص١٥٣.

[5] السابق ، نفس الموضع، وانظر: "ما أصل الإنسان " ، ص١٥٤.

رابعاً : كرَّس باحثو القرن التاسع عشر جهدهم فى البحث عن مصادر أكثر دقة، حتى كان عام ١٨٥٤م، فكانت هناك أربعة مصادر مقبولة وتسمى بالأسماء التالية :

أ) الوثيقة اليهودية. ب) الوثيقة الأولهيمية.

ج) سفر التثنية. د) النص الكهنوتى.

وقد أفلح الباحثون فى إعطاء هذه المصادر الأربعة أعمارًا على النحو التالي:

١ – تقع الوثيقة اليهودية فى القرن التاسع قبل الميلاد (وقد حُرِّرَتْ فى مملكة الجنوب).

٢ – أما الوثيقة الألوهيمية فهي أقرب تاريخًا بقليل (وقد حُرِّرَتْ بإسرائيل).

٣ – وأما سفر التثنية فينتمي إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، وهناك بَحَّاثة آخرون يرون أنه ينتمي إلى عصر "جوزياس" (أى القرن السابع قبل الميلاد).

٤ – وأما النص الكهنوتي فينتمي إلى عصر النفي أو ما بعد النفي، أى القرن السادس قبل الميلاد.

بهذا إذن يمتد تحرير نص أسفار الخمسة على ثلاثة قرون بأقل تقدير. [١]

خامسًا : فى عام ١٨٤١م استطاع أ. لودز أن يميز فى الوثيقة اليهودية ثلاثة مصادر، وفى الوثيقة الإليهمية أربعة مصادر، وفى سفر التثنية ستة مصادر وفى النص الكهنوتي تسعة مصادر. وهذا دون حساب الإضافات الموزعة بين ثمانية محررين وبذلك صارت المشكلة أكثر تعقيدًا. [٢]

سادساً : منذ فترة أكثر قربًا وصل التفكير إلى أن كثيرًا من نواميس أو قوانين أسفار موسى الخمسة كان لها ما يوازيها خارج التوراة ، كما أن عددًا من روايات أسفار موسى الخمسة يَفْتَرِض وجود مصدر آخر أكثر قدمًا من ذلك الذي يفترض أن هذه الوثائق قد خرجت منه. [٣]

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٣٢، ٣٣ انظر أيضًا : "ما أصل الإنسان" ، ص١٥٥،١٥٠.

(2) انظر: السابق ، ص٣٣.

(3) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم"، ص٣.

وبهذا يتضح تكون كتاب أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة مختلفة جمعها محررون وضعوا تارةً ما جمعوا جنبًا إلى جنب ، وطَورًا غَيَّرُوا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أمورًا غير معقولة ، وأخرى متنافرة كان من شأنها أن قادت الْمُحَدثين إلى البحث الموضوعي عن المصادر. [١]

وإذا كان الدكتور "بوكاي" – على حد قوله – لا يقبل الفرض القائل بأن موسى قد كتب الأسفار الخمسة فإن علماء المسلمين ممن تناولوا دراسة الكتاب المقدس دراسة تحليلية قد أكدوا تأكيدًا جازمًا منذ قرون أن هذا الكلام لا يمكن قبوله ببداهة العقل، لأن فى التوراة نصوصًا تقطع بأن موسى لا يصح بالقطع أن يكون كاتبها؛ مثل الإخبار عن وفاته، ومكانها، ووصف حالته الجسدية قبل الوفاة، وقطعها بأن لا أحد يعرف قبره إلى اليوم، ومثل حكاية تاريخ وأحوال بني إسرائيل، والإخبار عن النبوة فيهم بعد مماته، وغير ذلك.[٢]

وقد أورد ابن حزم هذا النص كاملاً : "فقد جاء فى سفر التثنية : [**فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ.وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ وَلَمْ تَكِلَّ عَيْنُهُ وَلا ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ. فَبَكَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ ثَلاثِينَ يَوْماً. فَكَمُلَتْ أَيَّامُ بُكَاءِ مَنَاحَةِ مُوسَى.**][٣] ويعلق ابن حزم على النص قائلاً : "هذا آخر توراتهم وتمامها، وهذا شاهد عدل ، وبرهان تام، ودليل قاطع، وحجة صادقة، فى أن توراتهم مبدلة، وأنها تاريخ مؤلف، كتبه لهم من تخرص بجهله أو تعمد بكفره، وأنها غير منزلة من عند الله .. على موسى فى حياته .. وهذا هو محض الكذب. وقوله لم يعرف قبره آدمي إلى اليوم، بيان لما ذكرنا كاف، وأنه تاريخ أُلِفَّ بعد دهر طويل، ولابد.[٤]

---

(1) انظر : السابق، نفس الموضع.

(2) انظر : "مناهج دراسة الأديان" ، ص٣٨٠. وقارن المغنى فى أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، (١٣٦/١٦)، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، بمراجعة د. إبراهيم مدكور ، وإشراف الدكتور. طه حسين ، والفصل، ابن حزم، ١٨٥/١-١٨٦.

(3) سفر التثنية ، ٥/٣٤ – ١٠.

(4) انظر : الفصل ١٨٦/١.

كما يذكر القاضى عبد الجبار معقبًا على ذات النص السابق بقوله : "وكل ذلك يبين أنه (كتاب التوراة) منْ كلام من جاء بعد موسى، وأن ذلك يقتضى القدح فى كونه حجة. [١]

كما قرر ذلك أيضًا غير واحد من أهل الكتاب أنفسهم ومن أشهرهم الفيلسوف اسبينوزا وابن عزرا الغرناطي فهذان قد أشارا إلى نفس الملحوظات التى فطن إليها علماء المسلمين؛ من تضمن التوراة الحالية قصة موت موسى ودفنه وعدم معرفة قبره، وأنه فاق جميع الأنبياء، وورود أماكن بها لم تُطْلَقَ عليها الأسماء التى عرفت بها فى زمن موسى، بل أطلقت عليها بعده بأزمان متطاولة، علاوة على أن في النص التوراتي ما يدل على أن كتاب موسى كان أقل حجمًا بكثير من الأسفار الخمسة الحالية، إذ كان من الممكن قراءته كله فى مجمع عام بحيث يفهمه الجميع.[٢]

ثم يقطع اسبينوزا بأنه "من هذه الملاحظات كلها يبدو واضحًا وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة.[٣] ، ويضيف " نستنتج إذن أن سفر توراة الله هذا الذى كتبه موسى، لم يكن من الأسفار الخمسة، بل كان سفرًا مختلفاً كليّة. [٤]، "وأخيرًا لما كانت توجد نصوص كثيرة فى الأسفار الخمسة، لا يمكن أن يكون موسى هو كاتبها، فإن أحدًا لا يستطيع أن يؤكد عن حق، أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل على العكس، يُكَذِّبَ العقل هذه النسبة. [٥]

وإذا كان باحثو الدكتور "بوكاي" – على حد قوله – قد أفلحوا فى إثبات أربعة مصادر غذّت كتاب التوراة[٦]، بما توفر لديهم من تراث نقدي على مدى قرونٍ متطاولة فإن علماء المسلمين _ وخاصة ابن حزم _ منذ ما يزيد على ألف سنه ذكروا

(1) انظر : المغنى ١٣٦/١٦ .

(2) انظر : رسالة فى اللاهوت والسياسة لاسينيوزا ، ص ٢٦٧-٢٧٣ .

(3) السابق : ص٢٧١.

(4) السابق ص ٢٧٢ .

(5) السابق ص ٢٧٣ .

(6) انظر ما سبق من هذا البحث ص ١٢٩-١٣٠

أن مملكة بني إسرائيل بعد موت سليمان عليه السلام قد انقسموا إلى مملكتين منفصلتين متباعدتين، كانت لكل منها أحوالا دينية تختلف عن الأخرى، غير أنهما اشتركتا فى أن كلاً منهما ترددت أحواله بين الكفر والإيمان بل ووصلت أحياناً إلى سبع (ردَّات)، فارقوا فيها الإيمان، وأعلنوا عبادة الأصنام. [١]

ولعل هذه المصادر الأربعة التى أشار إليها "بوكاي" ترجع إلى ما ذكره علماء المسلمين من أنه كانت هناك نسخ متعددة للتوراة، فبينما كان لدى اليهود نسخة التوراة العبرانية التى هى الأصل المعوَّل عليه، كان هناك نسختان أُخْرَيان هما التوراة السامرية ونسخة التوراة السبعينية.[٢] التى تؤمن بها النصارى، وقد يتأكد هذا الكلام إذا ما علمنا من شواهد التاريخ اليهودى نفسه أن السامرية، يختلفون منذ بدايتهم عن باقي اليهود، فى الجنس والمكان (هم من بقايا نسل أهل أشور الذين نقلهم ملكها بعد سبى بنى اسرائيل)، وفي العقائد(فلا يقولون بفضل بيت المقدس المدينة المقدسة، ولم يستحلّوا الخروج من البلاد التي سكنوها ولم يؤمنوا ببنى بعد موسى) فهذا ميَّز عقائدهم بطابع لا يتفق وعقائد سائر اليهود.[٣]، وعليه " فأمر توراة أولئك أضعف من توراة هؤلاء، لأنهم لا يرجعون إلى نبي أصلاً، ولا كانوا هنالك أيام دولة بني إسرائيل، وإنما عملها لهم رؤساؤهم. [٤]

****

(1) انظر الفصل ١٨٩/١.

(2) انظر: تعد هذه الترجمة أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم من نسختها الأصلية العبرية إلى اليونانية السائدة فى مصر، وقد تمت فى الإسكندرية بأمر من الحاكم بطليموس فيلادلف سنة ٢٨٢ ق.م، وقد سميت كذلك، لأنه قام ترجمتها سبعون أو اثنان وسبعون حبرًا. (انظر: "فى مقارنة الأديان"، د. محمد الشرقاوى ، ص ٢٠.)

(3) انظر: الفصل ١٢٥/١، ١١٧، والآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢١ ، وقارن منهج البحث بين التنظير والتطبيق، ص١٤٨ .

(4) الفصل ١٩٥/١ .

المبحث الثاني: النقد الداخلي للتوراة :

ركَّز الدكتور "بوكاي" نقده الداخلي على بعض الموضوعات التى يطرحها العهد القديم، وتسمح بالمقابلة مع معطيات العلوم الحديثة. وفى رأي الدكتور "بوكاي" أن أهم الموضوعات التى جاءت متناقضة تناقضًا صارخًا مع العلم الحديث ثلاث نقاط جوهرية :

١- خَلْقُ العالم ومَراحله.

٢- روايَةِ الطوفان.

٣- تاريخُ خَلْقِ العالم، وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض.

وسنكتفى هنا بإيراد مثالين فقط لأنهما اللذان وردا مقارنتهما بما جاء في القرآن الكريم عند بوكاي على النحو التالى :

أولاً: خلق العالم (الرواية الأولى: الكهنوتية) :

جاءت قضية خلق العالم بسفر التكوين فى روايتين ، رواية كهنوتية وأخرى يهودية كل منهما تتحدث عن خلق العالم، وكل منهما يتعارض ما جاء فيها مع معطيات العلم الحديث؛ وخاصة الرواية الكهنوتية (الأولى) لأنها تبدو كبناءٍ خالٍ مُبتكر كان يهدف إلى شيء آخر غير التعريف بالحقيقة. (١)

ومن أهم التناقضات فى رواية خلق العالم وألحَّ الدكتور "بوكاي" على إظهارها أمران: (٢)

الأول : خلق الله للنُورِ فى اليوم الأول من أيام الخلق.

الثانى: راحة الله فى اليوم السابع بعد الانتهاء من خلق السماوات والأرض فى ستة أيام محددة.

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٤٤ ، وانظر أيضًا :"ما أصل الإنسان" من ص١٥٩ :١٦٦.

(2) وهذه التناقضات سيقوم الدكتور بوكاي بيان توافقها واتساقها في القرآن الكريم في مكانه من هذه الدراسة – إن شاء الله – [انظر من هذا البحث من ص١٧٩ إلى ص١٨١]

١- تقول الرواية الأولى فى الفقرات من ٣ إلى ٥ من الإصحاح الأول : [**«لِيَكُنْ نُورٌ» فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَاراً وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْماً وَاحِداً**](١)

يوجه "بوكاي" نقده العلمي إلى هذه الرواية بقوله : "إن الضوء الذى يقطع الكون هو نتيجة عملية معقدة تحدث فى النجوم، ولكن النجوم حسب قول التوراة لم تكن قد تشكلت بَعْدُ فى هذه المرحلة، حيث إن أنوار السماوات (النجوم) لا تذكر فى سفر التكوين إلا فى الآية ١٤؛ باعتبارها مما خلق الله فى اليوم الرابع. ومن غير المنطقي أن تذكر النتيجة الفعلية (أى النور) فى اليوم الأول؛ على حين تذكر وسيلة إنتاج هذا النور فى اليوم الرابع. كما أن وضع الليل والنهار فى اليوم الأول هو أمر مجازي صرف، فالليل والنهار باعتبارهما عنصران ليومٍ غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت ضوء نجمها الخاص بها : أى الشمس. (٢)

٢- وأما عن راحة الله فى اليوم السابع بعد الانتهاء من عملية الخلق، فى الآيات الثلاثة الأولى من الإصحاح الثانى : [**أُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا. وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقاً.**](٣)

يلفت "بوكاي" الأنظار فى هذه الرواية – على هذا النحو – إلى عدة أمور منها:

١- بمقارنة هذه الرواية الكهنوتية مع الرواية اليهودية نجد أن النص اليهودي لا يشير إطلاقًا إلى راحة الله الذى تعب من عمله طوال الأسبوع. (٤)

---

(1) انظر: سفر التكوين ، الإصحاح الأول ، الفقرات من (٣ –٥).

(2) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٤٤، وانظر: "ما أصل الإنسان" ، ص١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، وانظر أيضًا : "القرآن والعلم والحديث ص٤٧ : ٥٠.

(3) انظر : سفر التكوين ، الإصحاح الثانى ، الفقرات من (١–٣).

(4) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٤٨ ، وانظر توافق القرآن في هذه النقطة من ص ١٧٩ إلـى ص ١٨٩ من هذه الدراسة.

٢- أن هذه الرواية الكهنوتية كتبها الكهنة بعد النص اليهودي بعدة قرون، ومعروف عن هؤلاء الكهنة أنهم أعادوا صياغة الروايتين (الرواية اليهودية والرواية الألوهيمية) على مشيئتهم وحسب اهتمامهم الخاص حتى يضعوا محور الرواية على السبت وهى العلة التى يعللها الكاتب الكهنوتي أمام المؤمنين بقوله : "إن الله هو أول من احترمها".[(١)]

٣- إن إدراج مراحل الخلق المتعاقبة فى إطار أسبوع لا يقبل الدفاع من وجهة النظر العلمية ، لأنه من المعروف تمامًا فى أيامنا أن تَشَكُّلَ الكون والأرض قد تم على مراحل تمتد علي فترات زمنية شديدة الطول ؛ لا تسمح المعطيات الحديثة بتحديد مدتها ولا حتى تقريبًا. [(٢)]

٤- إذا سلمنا بأن النص الكهنوتي المقصود منه فِعْلاً فترات غير محددة وليس أيامنا المعروفة، فإن النص الكهنوتي أيضًا يظل غير مقبول علميًا، حيث إن تعاقب أحداث الخلق فيه يناقض المعلومات العلمية الأصيلة. [(٣)]

*** خلق الله للعالم : الرواية الثانية (اليهوية).**

يرى الدكتور "بوكاي" أن ما جاء فى هذه الرواية عن خلق العالم يتناقض أيضًا مع معطيات العلم الحديث، ولكن بقدرٍ أقلٍ ممًا جاء فى الرواية الكهنوتية ، ويعلق "بوكاي" ذلك على أن خلق العالم لم يأت فى الرواية اليهودية إلا في بضعة أسطر قليلة وهى الآيات من الرابعة إلى السابعة فى الإصحاح الثانى وتقول : **[كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الأَرْضِ وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ لأَنَّ الرَّبَّ الإِلَهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ. ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ. وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً.]**[(٤)]

---

(1) انظر : السابق ، ص٤٨.

(2) انظر: السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٤٦-٤٧ ، وانظر أيضًا : "القرآن والعلم الحديث" ، للدكتور "بوكاي" ، ص٢٢-٢٣.

(4) انظر : سفر التكوين ، الإصحاح الثانى ، الفقرات من (٥-٧).

يرى الدكتور "بوكاي" أن هذه الرواية عن خلق العالم على قِصَرِها تتعارض مع معطيات العلم الحديث، لأن هذه الرواية تذكر أن وقت ظهور النبات على الأرض كان هو نفس وقت ظهور الإنسان عليها، وهذا علميًا خطأ، لأن الإنسان قد ظهر على الأرض وكانت حاملة للنبات منذ زمن بعيد.[١]

ومما يتصلِ بظهور الإنسان على الأرض فى التوراة ويتناقض تناقضًا صارخًا مع ما توصل إليه العلم الحديث ما ذكرته التوراة عن تاريخ خلق العالم وتحديده بسبعة وثلاثين قرنًا قبل الميلاد.[٢] إذ من العسير معرفة ما يتعلق بخلق الكون، وكل ما يمكن تحديده على وجه التقريب هو تكون النظام الشمسي تقريبًا بأربعة مليارات ونصف من السنوات[٣] ، وقد ثبت أن هذه التقديرات الوهمية من عمل الكهنة اليهود فى القرن السادس قبل الميلاد ، وتتعارض مع المكتشفات العلمية التى حددت تاريخ الخلق بعصر سابق بكثير[٤] ، ولا أحد يستطيع أن يحدد وبشكل دقيق تاريخ ظهور الإنسان، ومع ذلك فيمكن التأكيد بوجود أطلال الإنسانية مفكرة وعاملة ويُحَسب قدمها بوحدات تتكون من عشرات من ألوف السنين.

وعلى أي حال فإن المعطيات العلمية تسمح بتحديد تاريخ الإنسان أبعد بكثير من العصر الذى يحدده سفر التكوين لأوائل البشر.[٥]

ونستطيع القول بأن حقائق العلم الحديث المقطوع بصحتها، وما أتيح معها من أدوات قد مكنت للدكتور "بوكاي" من أن يستخرج هذه الوجوه النقدية للتوراة وبيان مدى تعارضها مع قوانين الطبيعة التى خلقها الله على هذا النحو الذى مر.

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٤٩، وانظر الحديث عن ما جاء في القرآن الكريم في هذه الدراسة من ص١٧٩ إلى ص١٨١

(2) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٥٠ ، وانظر:" سفر التكوين" ، الإصحاح الرابع والخامس والسادس.

(3) السابق : ص٥٠.

(4) السابق : ص٥٢.

(5) السابق : ص٥٣.

– وقد عُرِف هذا المسلك عند القدماء من ناقدي التوراة من علماء المسلمين، ولكن يظل الاختلاف بينهم وبين "بوكاي" متمثلاً فيما يتيحه عصر كلٍ منهم من أدوات مكّنته من معرفة أوجه التعارض بين النص التوراتى وقوانين الطبيعة.

وقد سجلت لنا كتب علماء المسلمين كثيرًا من الوجوه التى تناقض معطيات العلوم الجغرافية والقوانين الطبيعية ومُسَلَّمات العقول، من ذلك مثلاً ما ذكره الإمام ابن حزم حول تناقض نصوص التوراة مع قوانين الطبيعة حين تحكي لنا قصة تحويل موسى وهارون مياه مصر وأنهارها ومروجها وجناتها إلى دم؛ فصار الماء فى جميع أرض مصر دمًا وفعل السحرة بِرُقَاهم مثل ذلك. (١)

أثار هذا النص تَعَجُّبَ ابن حزم فقال : "هذا نص كتابهم ..فأي ماء بقي حتى تقلبه السحرة دمًا، كما فعل موسى وهارون..فإن قالوا : قلبوا ماء الآبار التى حفرها المصريون حول النهر، قلنا لهم : فكيف عاش الناس بلا ماء أصلاً ؟.. إن هذا من توليد ضعيف العقل أو زنديق مستخف، لا يبالي بما أتى من الكذب"(٢) هذا فضلاً عن أن قلبهم الماء دمًا أمر يناقض قوانين الطبيعة؛ لأن الطبيعة لا تستحيل أبدًا، ولا يمكن تبديلها عند كل ذي عقل"(٣)

ومما آثار تَعَجُّبَ ابن حزم أيضًا "حديث التوراة عن الأنهار الأربعة التى تخرج من جنة عدن وهي كما تقول التوراة : "وكان نهره يخرج من عدن..ينقسم فيصير أربعة رؤوس ، فيشون (النيل) وهو المحيط بجميع أرض الحويلة(٤) حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد، وجيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش، والثالث حدَّاقل، والرابع الفرات. (٥)

---

(1) الفصل ٥٦/١ ، وسفر الخروج ١٩/٧ –٢٢.

(2) الفصل ١٥٦/١–١٥٧.

(3) السابق : ١٦/٥.

(4) حويلة : هى مقاطعة فى وسط بلاد العرب، كان يسكنها الكوشييون ، واليقطانيون، والبعض يرى أنها منطقة فولان شمالى اليمن، والبعض يجعلها تمتد إلى شمال اليمامة (انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٣٢٩ – ٣٣٠).

(5) الفصل ١١٨/١.

فالتوراة فى هذا النص تتحدث عن الأنهار الأربعة التى تخرج من جنة عدن وهي : النيل، وهو المحيط بجميع بلاد حويلة التى بها الذهب الجيد، وجيحون ومحيط بجميع بلاد الشام، ودجلة سائر شرق الموصل ، والفرات. وهذا خطأ لأن جيحون الذي يخرج من بلاد الروم – لا من الحبشة – ويصب فى البحر الشامي، على أربعة أميال من المصيصة، وليس فى أرض السودان ولا الحبشة نهر إلا النيل بفروعه، أما وجود اللؤلؤ ببلد "حويلة" فهو خطأ ؛ إذ اللؤلؤ فى بحر فارس وبحر الهند، وأنهار بالهند والصين. ثم يعقب بقوله "هذه فضائح لاخفاء بها، لم يقلها الله تعالى قط، ولا إنسان يهاب الكذب...ولو لم يكن فى توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت فى بيان أنها موضوعة، لم يأت بها موسى قط ، ولا هي من عند الله تعالى، فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر؟!".[١]

كما يرى ابن حزم فى هذا النص أن واضع التوراة لم يدع للقارىء فرصة للتأويل، بل بين أنه عنى النيل (المحيط بأرض حويلة) ، بالذهب الجيد ، ودجلة بشرق الموصل، وجيحون المحيط ببلاد الحبشة... فلم يدع لصاحب تأويل لكلامه حيلة ولا مخرجًا. [٢]

ومن الأمور العلمية الواردة في التوراة وتتعارض مع ما اكتشفه العلم الحديث ما ذكره رحمة الله الهندي من حكاية التوراة عن الحرب بين يوشع والأموريين، حين قاد "يوشع" بن إسرائيل فى حربهم مع الأموريين[٣] تحكي التوراة تفاصيل هذه الحرب فتقول: (حينئذ تكلم يوشع أمام الرب فى اليوم الذى دفع الأموريين فى يدي بني إسرائيل وقال أمامهم أيتها الشمس مقابل حيعون لا تتحركي والقمر مقابل قاع

---

[1] انظر : السابق : ١١٩/١ –١٢٠ ، وسفر التكوين ٢/ ١٠– ١٥.

[2] السابق : ١١٩/١.

[3] الأموريون : إحدى قبائل فلسطين الذين كانوا يسكنون بلدة إيلون وكانت لهم حروب مع بنى إسرائيل (قاموس الكتاب المقدس : ص١٤٦).

إيلون"[١] فوقف الشمس والقمر حتى انتقم الشعب من أعدائهم، أليس هذا مكتوبًا فـي سفر الأبرار[٢] فَوَقَفت الشمس فى كبد السماء ولم يكن تعجل إلى الغروب يومًا تامًا.[٣]

فالأقوال الواردة على لسان "يوشع" فى هذا النص يـورد عليهـا رحمـة الله الهندى اعتراضات مهمة ، منها[٤] :

الاعـتراض الأول : أن قول يوشع : "أيتها الشمس لا تتحركي" وقوله : "فوقفـت الشمس" يدلان على أن الشمس متحركة والأرض ساكنة، وإلا كان عليه أن يقـول : (أيتها الأرض لا تتحركي، فوقفت الأرض) ، وهذا الأمر باطل بحكم علـم الهيئـة[٥] ، الجديد الذى يعتمد عليه حكماء أوروبا كلها الآن، ويعتقدون ببطلان القـديم.[٦] لعـل "يوشع" ما كان يعلم هذه الحال، أو هذه القصة الكاذبة.[٧]

الاعتراض الثانى : أن قوله : "فوقفت الشمس فى كبد السماء يدل على أن هـذا الوقت كان نصف النهار، وهذا مخدوشٌ أيضًا بوجوه :

---

[1] إيلون : اسم بلدة فى فلسطين، تقع على بعد ٢٠ كيلو متر شمال غربى القدس بجوار وادى سليمان الذى هزم فيه بنو إسرائيل الأموريين (قاموس الكتاب المقدس : ص١٤٦).

[2] من أسفار العهد القديم المفقودة باعتراف علماء أهل الكتاب، حيث ورد ذكره باسم (الأبرار، المسـتقيم، ياصار، ياشر) ولا ورود له (انظر : إظهار الحق، جـ٤ ، ص١٠٣٢).

[3] سفر يشوع، الإصحاح العاشر، الفقرات (١٢-١٤).

[4] ومن اللافت للنظر هنا أن نذكر أن النبى (ﷺ) قد ذُكر فيما صحَّ عنه (ﷺ) قوله: "إن الشمس لم تحـبس لبشر إلا ليوشع لبالي سار إلى بيت المقدس" [مسند الإمام أحمد، فى مسند المكثـرين، بـرقم (٧٩٦٤) والسلسلة الصحيحة للعلامة الألباني برقم (٢٢٢٦) طبعة مكتبة المعارف – الرياض، بدون طبعة] غيـر أن اعتراض رحمه الله الهندي على التفصيل الذي ذكرته التوراة نفسه إذ إنه متعارض مع بداهة العقـل مع ذكر رحمة الله عليه.

[5] علم الهيئة : هو علم يعرف منه أحوال الأجرام البسـيطة العلويـة والسـفلية وأشـكالها وأوضـاعها ومقاديرها، وحركات الأفلاك والكواكب ومقاديرها (انظر : كشف الظنون عن أسـامى الكتـب والفنـون لحاجى خليفة ١/٥٠، طبعة دار الفكر، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م).

[6] لأن علم الهيئة القديم كان يقول بثبوت الأرض ودوران الشمس حولها ، وعلـم الهيئـة الجديـد يقـول بدوران الأرض حول الشمس.

[7] انظر : "إظهار الحق" ، جـ٤ ، ص١٠٣٣.

أما أولاً : فلأن بني إسرائيل كانوا قتلوا من المخالفين ألوفًا وهزموهم، ولمَّا هربوا أمطر الرب عليهم حجارة كبارًا، وكان الذين ماتوا بالحجارة أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل، وهذه الأمور حصلت قبل نصف النهار على ما هو مصرح به في هذا الباب[1]. فلا وجه لاضطراب يوشع عليه السلام في هذا الوقت؛ لأن المظفرين من بني إسرائيل كانوا كثيرين جدًا، والباقون من المخالفين قليلون جدًا، وكان الباقي من النهار مقدار النصف فَقَتْلُهُم قبل الغروب في غاية السهولة. [2]

أما ثانيًا: فلأن الوقت لما كان نصف النهار فكيف رأوا القمر في هذا الوقت؟! على أن توقيفه لغوٌ على قواعد الفلسفة[3].

وأما ثالثًا : فلأن الوقت لما كان نصف النهار، وكان بنو إسرائيل مشتغلين بالمحاربة والاضطراب- وما كان شكٌ في المقدار الباقي من النهار، وما كانت الساعات عندهم في ذلك الزمان - فكيف علموا أن الشمس قامت على دائرة نصف النهار بمقدار اثنتي عشرة ساعة، وما مالت إلى هذه المدة إلى جانب المغرب ؟! [4]

الاعتراض الثالث : قال جان كلارك : "إن الله كان وعد أن جميع أيام الأرض زرع وحصاد، برد وحر، صيف وشتاء، ليلٌ ونهار، لا تهدأ[5]، فإذا لم تغرب الشمس إلى المدة المذكورة هدأ الليل في ذلك الوقت. [6]

****

(1) جاء في سفر يوشع ١١/١٠ (ويتمناهم هاربون من أمام إسرائيل وهم في منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى عزيقة فماتوا والذين ماتوا بحجارة البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف.

(2) انظر : "إظهار الحق" ، جـ٤ ، ص١٠٣٤.

(3) وذلك لأن ضوء النهار مرتبط بالشمس لا بالقمر، فلا فائدة لبني إسرائيل من وقوف القمر.

(4) السابق ، نفس الموضع.

(5) انظر : سفر التكوين ، ٢٢/٨.

(6) انظر : "إظهار الحق" ، جـ٤ ، ص١٠٣٤ ، ١٠٣٥.

ثانيًا : طوفان نوح عليه السلام:

من أوجه النقد الواضحة للتوراة لدى "بوكاي". ذِكْرُ التوراة "لحادثة طوفان نوح (عليه السلام)".

يشير الدكتور "موريس بوكاي" إلى أن الإصحاحات ٦، ٧، ٨ من سفر التكوين جاءت مخصصةً لرواية الطوفان، ولكنها تتضمن روايتين منفصلتين فى مقاطع متداخلة، كلٌ في الآخر، مما يجعلها تتناقض مع بعضها البعض تناقضًا صارخًا وتقود دراسة روايةٌ الطوفان على حسب العهد القديم إلى الملاحظات التالية :

١- ليس فى التوراة رواية واحدة فقط عن الطوفان ، بل هناك روايتان ولكنهما حُرْرِتا فى عصور مختلفة :

أ) الرواية اليهودية التى ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

ب) الرواية الكهنوتية التى ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، والتى أَخَذَتْ هذا الاسم لأنها مؤلف لكهنة ذلك العهد. [1]

ويوضح الدكتور "بوكاي" مدى تناقض هاتين الروايتين مع معطيات العلم الحديث، وأنهما غير مقبولتين فى إطارهما العام مُقَدِّمًا لذلك الأسباب والحجج فى النقاط الآتية :

أولاً : الاختلاف بين الروايتين فى عدد أزواج الطيور التي حملها نوح (عليه السلام) معه فى السفينة.

١- فبينما يشير النص الكهنوتي إلى أن نوحًا (عليه السلام) قد أخذ زوجًا من كل نوع، يحدد المقطع الذى يليه (وهو فى الأصل اليهودي) أن الله قد أمر بأخذ سَبْعةٍ من كل نوع من ذكر وأنثى من الحيوانات المسماة بالطاهرة، وزوجًا واحدًا من

---

[1] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٢٤٨ ، وانظر: "ما أصل الإنسان؟ " ، ص١٥٩، وانظر أيضًا : "القرآن والعلم والحديث" ، ص٥٠ : ٥١.

الحيوانات المسماه بغير الطاهرة ، ولكن بعد ذلك يتحدد أن نوحًا لم يدخل إلى السفينة فعلاً إلا زوجًا من كل نوع من الحيوانات.[١]

٢- يشير النص اليهودي إلى أن عامل الطوفان هو ماء المطر، بينما يشير نص الكهنوتي أن عامل الطوفان مزدوج، أى ماء المطر والينابيع الأرضية.[٢]

٣- يشير النص اليهودي إلى أن مدة الطوفان أربعين يومًا فيضانًا ، بينما يشير النص الكهنوتي إلى أن مدته مائة وخمسون يومًا.[٣]

٤- تحدد التوراة مولد إبراهيم (عليه السلام) بثلاثة قرون بعد الطوفان، وتبين كذلك أن الطوفان قد عمَّ كل الجنس البشري وكل الكائنات التى خلقها الله تعالى قد فنيت.[٤]

وهذا التحديد من التوراة على هذه الصورة يتناقض مع العلم الحديث لعدة أسباب منها – على سبيل المثال – :

أ- أن المعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف الحديثة، وذلك لأن عصر إبراهيم يُحَدَّدُ بالسنوات (١٨٠٠ – ١٨٥٠ ق.م تقريبًا) فإذا كان الطوفان قد حدث قبل عصر إبراهيم (عليه السلام) بثلاثة قرون ، فإنه يقع فى القرن ٢١ أو ٢٢ ق.م، وذلك هو العصر الذى ظهرت فيه في نقاطٍ مختلفة من الأرض حضاراتٍ انتقلت أطلالها للأجيال التي تلتها. ففي مصر مثلاً يقابل التاريخ

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٤٤ : ٥٥ ، وانظر أيضًا : تعليق أستاذنا الدكتور مصطفى حلمي على هذا الكلام فى كتابه "الإسلام والأديان" ص١٧٠ : ١٧١ ، دار الدعوة للطبع والنشر – الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م. وقد سبق علماء المسلمين "بوكاي" فى هذا الاستدلال، من ذلك مثلاً ما ذكره العلامة رحمة الله الهندي فى "إظهار الحق" ، جـ٢ ، ١٧٤.

(2) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٥٥.

(3) انظر: السابق نفس الموضع، وانظر أيضًا : تعليق أستاذنا الدكتور مصطفى حلمى فى (الإسلام والأديان) ص١٧١ ، ١٧٢.

(4) انظر: السابق ، نفس الموضع، وسوف يأتي ذكر الرأي الراجح والصحيح عند مناقشة ما ذكره القرآن عن الطوفان من ص١٨٦ إلى ص١٨٤ من هذا البحث.

(٢٠٠١ق.م) الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشر وفى بابل أسرة أور الثالثة. (١)

وعلى ذلك يتضح أنه لم يحدث انقطاع فى هذه الحضارات، وبالتالي لم تفن البشرية كلها كما تقول التوراة. (٢)

ب- إن المدة التى تحددها التوراة بين الطوفان وإبراهيم عليه السلام (ثلاثة قرون) تنزع عن النص أيَّة معقولية، لأنه لا يمكن لإنسانية أن تكون قد أعادت تكوين نفسها فى هذا الزمن القليل. (٣)

وفى الحقيقة إن هذه الأمور التى أنكرها الدكتور "بوكاي" فيما يخص حادثة الطوفان الواردة فى التوراة وما يتعلق بها من أمور(٤) ، يشترك معه فى إنكارها كل أصحاب الديانات من غير أهل الكتاب.

ينقل لنا صاحب إظهار الحق (رحمة الله الهندى) صور هذا الإنكار عند غير واحد من أصحاب الديانات المختلفة فيقول: "ولا يوجد هذا الحال (أى الطوفان على صورته فى التوراة) فى تواريخ مشركي الهند وكتبهم، وهم ينكرون هذا الأمر إنكارًا بليغًا، ويستهزيء به علماؤهم كافة ويقولون : ... لا مجال لصحة هذه الحادثة العامة: لأن الأمصار العظيمة الكثيرة من ذلك العهد إلى هذا الحين معمورة، وثبت بشهادة تواريخهم أنه يوجد من ذلك الحد إلى هذا الحين فى إقليم الهند مليونات كثيرة فى كل زمان من الأزمنة. (٥)

---

(1) انظر : السابق ، ص٥٦.

(2) انظر : السابق ، ص٥٥ : ٥٦ ، وانظر أيضًا : "الإسلام والأديان" ، ص١٧٢.

(3) انظر : السابق ، ص٥٥.

(4) أعني بالأمور هنا ما ذكره "بوكاي" من عدم انقطاع الحضارات البرية، ومن أن أزواج الطيور المختلف فى عددها فى روايات التوراة المختلفة، كما ذكر بوكاي (انظر: ما سبق من هذا البحث ، ص١٣٤)

(5) "إظهار الحق" ، جـ٤، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠).

وقال "ابن خلدون" فى تاريخه : واعلم أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان، وبعض الفرس يقولون : كان ببابل فقط[1]، وقال العلامة "المقريزي" : الفرس وسائر المجوس والكلدانيون. [2] وأهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الأمم المشرقية ينكرون الطوفان ، ولم يعم العمران كله ولا غرق إلا بعض الناس، ولم يجاوز عقبة حلوان[3]، ولا بلغ إلى ممالك المشرق. [4]

ونقل رحمة الله الهندي أيضًا عن بعض القساوسة إنكارهم لحادثة الطوفان على هذا النحو الوارد فى التوراة منهم (جان كلارك) الذى قال : "هذا – يعني الطوفان– غير صحيح على شهادة علم الفلسفة وأنا أتعجب أماتت الحيتان فى ماء هذا الطوفان ؟! ولما كان بحكم الآية الخامسة من الباب السادس من سفر التكوين[5] أفكار قلوب الإنسان ذميمة، فلماذا أبقى الله ثمانية أشخاص ؟ لِمَ لمْ يخلق الإنسان مرة أخرى بعد إهلاك الكل ؟ ولماذا أبقى الله بضاعته القديمة التي بقيت الأفكار الذميمة باقية بسببها ؟ لأن الشجرة الرديئة لا تثمر ثمرة جيدة. [6]

ومما يستدل به بوكاي على صحة ما ذهب إليه من أن الطوفان كان منحصرًا في قوم نوح ويؤكده تأكيدًا لا مرية فيه أن القرآن الكريم عند إشارته إلى حادثة الطوفان خصص قوم نوح فحسب ، قال الله رب العالمين : ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [7]

---

(1) السابق : ص١٠٣٠ ، وانظر : "تاريخ ابن خلدون " ، ٣/ ١٠ ، دار الكتاب اللبنانى، سنة ١٩٨٢.

(2) الكلدانيون : هم الذين كانوا يسكنون (الجلديا) أو (كلدانيا) فى القسم الجنوبى الأقصى من وادي دجلة والفرات ، جنوبي بابل، ولذلك سميت مملكة بابل الثانية بالإمبراطورية الكلدانية (قاموس الكتاب المقدس، ص٧٨٥) ، (الموسوعة الميسرة ، ص١٤٧٢).

(3) عقبة حلوان : هى غير حلوان التى تقع جنوب القاهرة ، وهى تقع فى شمال الجزيرة بالعراق، فتحها جرير بن عبد الله البجلي سنة ١٦ أو سنة ١٩هـ صلحًا (معجم البلدان ٢/ ٩٢).

(4) "إظهار الحق" ، جـ٤ ، ص١٠٣٠.

(5) ففى سفر التكوين ٦/ ٥ " **[وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ]**

(6) "إظهار الحق" ، جـ٤ ، ١٠٣١.

(7) سورة الفرقان : آية ٣٧ ، وانظر ما سيأتي من هذا البحث ، ص ١٨٤ لتفصيل القول في مسألة الطوفان عند علماء المسلمين عند دراسة الطوفان في القرآن الكريم.

يمكن من خلال كل ما سبق أن نقرر بأن علماءنا الأولين من المسلمين ممن درسوا التوراة قد وضعوا أيديهم على أهم المتناقضات الواردة فى العهد القديم؛ غير أن الفارق بينهم وبين الدكتور "بوكاي" هو أنهم كانوا يرفضون هذه الأخطاء من منطلق تناقضها مع العقل السليم، الذى لا يقبل أن يمرر الأشياء دون التثبت من صحتها؛ وخاصة إذا كانت هذه الأشياء منقطعة السند وغير متواترة، ومتنها كذلك غير متسقٍ مع العقل؛ خاصة إذا ما ظُنّ فيه أنه وحيٌ نزل من عند الله على نبيٍ من أدق أوصافه – المطردة فى كل الأنبياء – أنه لا ينطق عن الهوى، ولتوفر هذه الخصلة فيه اصطفاه الله رب العالمين من سائر خلقه ليبلّغ رسالة ربه إلى خلقه.

فلما كان السند منقطعًا غير متواتر، والمتن مضطربًا غير متسق، حرص علماء المسلمين على دراسة كل القضايا التى طرحها الدكتور "بوكاي" فى نقده للعهد القديم، ويبقى الفارق بينهما – أي الدكتور بوكاي وعلماء المسلمين – فى أن الدكتور بوكاي احتكم إلى حقائق علمية تُوصِّل إليها من خلال التجربة بمراحلها المختلفة بدءًا من الفرض وانتهاءً بالنظرية التى تواضع عليها العلماء – من أهل التخصص – أنها يقينٌ لا يُمارَى فيه.

ويضاف إلى هذا السبب أيضًا سببٌ آخر، وهو أن الدكتور بوكاي كان قبل أن يسلم نصرانيًا جرَّد نفسه من الهوى، لا لشيء إلا لأنه يبحث عن غايةٍ – وهى الحقيقة–، فلما وقع عليها وجّلاها كان وَقْعُهَا فى نفوس متلقيها الإيجاع أشدَّ وبخاصة لمن هم على ديانته، ودليلٌ ساطع للمسلمين على مجادليهم، إذ هم يحاجُّونهم بكلامٍ لواحدٍ من بنى جلدتهم، بل كان رأسًا فى ملتهم.

****

الفصل الثاني

أدلة تحريف الأناجيل لدى بوكاي

ويشتمل على ثلاثة مباحث كما يلي :

المبحث الأول : النقد الخارجي للأناجيل.

المبحث الثانى : النقد الداخلي للأناجيل.

المبحث الثالث : موقف مفسري الكتاب المقدس من التناقضات الواردة فيه.

المبحث الأول: النقد الخارجي للأناجيل

أ) انقطـاع السند.

مدخـل :

إن قضية انقطاع سند الأناجيل قد شغلت العلماء من المسلمين، وذلـك لأنهـم يرون أن أهل الكتاب يتعاملون مع هذه النصوص على أنها علمٌ يقينىٌ لا ريب فيه من رب العالمين، ولهذا حرصوا على ضرورة أن يتحقق التواتر فى سند النص الإنجيلـي غير أنهم خَلصُوا إلى قاعدةٍ مهمةٍ فى إثبات السند وهى : "أن الأربعة (رواة الأناجيل) لا يوجب عددهم التواتر فى النقل ، الموجب للعلم الضروري".[١]

فالباقلاني – مثلاً – يرى أنهم ليسوا أهل تـواتر، و"الأربعـة يجـوز علـيهم الكذب... والخبر لا يكون موجبًا للعلم، حتى تكون الناقلة قد اضطرت إلى ما أخبـرت عنه وزالت الشبهة فيه".[٢]

كما يذكر القاضي عبد الجبار أن مما هو مقرر عندهم، أن المسيح لما فُقِـدَ – أو صلب بزعمهم – ، لم يَبْق أحد يؤدي إليهم كتابه وشـرعه إلا هـؤلاء الأربعـة؛ فالمعلوم ضرورة أن الأربعة يجوز عليهم التغيير والتبديل والتهمـة بالاتفـاق علـى الكذب، فكيف يصح عنهم النقل فيما يجوز ومـا لا يجـوز علـى الله فـى الاعتقـاد وغيره.[٣]

وأما البغدادي فيقرر أن النصارى وإن تواتر نقلهم فى الأعصـار المتـأخرة، فإنهم يعزون خبرهم إلى أربعة نفر، ولا يوجب هذا العدد العلم الضروري.[٤]

---

(1) "مناهج دراسة الأديان" ، ص٣٦٩.

(2) "التمهيد فى الرد على الملاحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة" ، تحقيـق محمـود الخضـيرى ومحمد أبو ريدة، دار الفكر العربى ، ص١٣٩.

(3) انظر : المغنى ١٤٢/٥-١٤٣، وانظر : تثبيت دلائل النبوة ٢٠١/١.

(4) انظر : "أصول الدين للبغدادى" ، ص٢٠ – ٢١، دار الكتب العلميـة، بيـروت، ط٣، سـنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م، تحقيق د.سهير أبو وافية، إبراهيم هلال، ود.عاطف العراقي، دار النهضة العربية،ط١، ١٩٧٨م.

ويشير ابن حزم إلى أنه لو كان المنقول بواسطة أربعة فقط ومتضمنًا الفاحش من التناقض، فلا يدين به عاقل فى توحيده ، ولا يوجب علمًا، وإنما مثل ذلك يوجد فيما جرى مجرى الشهادات فيها "العمل" دون "العلم"[(١)]

وهذا أيضًا مما استرعى انتباه بوكاي عند حديثه عن الأناجيل، وعن صفات كُتَّابها ونَقَلَتِهَا.

فإن قضية صحة وإسناد الأناجيل إلى رواتها ونَقَلَتها شغلت "موريس بوكاي" جدًا، لدرجة علت فيه نبرة كلامه أعلى مما هو مألوف عند حديثه عن هذه القضية. ولعل ذلك يرجع إلى أن غالبية المسئولين والمعلقين من المسيحيين يقدمون صفة شهود العيان على محرري الأناجيل باعتبارها أمرًا بديهيًا. غير أن "بوكاي" يرى أن هذه الطريقة فى تقديم الأمور لا تتفق مطلقًا مع الواقعية. [(٢)]

ثم يشرع "بوكاي" فى التدليل على هذه النتيجة بدراسة صحة سند الأناجيل إلى رواتها.

١- انقطاع السند فى إنجيل "متى" :

يتسائل الدكتور "بوكاي" عن متى قائلاً :

" ما هى شخصية متى....؟ "

"إنه لم يعد مقبولاً اليوم القول إنه أحد حواري المسيح، ويرى "بوكاي" وجوب رفض ذلك، وإن أقره المعلقون والمفسرون فى كتبهم، وذلك لأنه لما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة فى إنجيل "متى" ومنها :

- أن الكاتب معروف بتبحره فى الكتب المقدسة والتراث اليهودي، وأنه يعرف ويحترم رؤساء شعب اليهود، وإنْ أغلظ فى خطابه لهم، كما أنه أستاذٌ فى فن

---

(1) انظر : "الأصول والفروع لابن حزم" ، ١/٢١٢-٢١٣.

(2) انظر : السابق ، نفس الموضع.

التدريس، وفى إفهام قول المسيح لمستمعيه، مع تأكيده الدائم على النتائج العلمية لتعاليمه، وأنه يتفق جيدًا مع ملامح يهودي متأدب اعتنق المسيحية، وهو معلق حاذق يُخْرِج من كنزه جديدًا وقديمًا. (١)

ويتفق مع "بوكاي" فى هذا الرأي الباحث اللاهوتي الدكتور جرانت(٢) الذى يقطع بأن مؤلف إنجيل متى يهودي ولاشك، وهو يختلف عن مرقس الذى لا يفهم اليهود ولا يتعارف معهم إلا قليلاً ، كما أنه يختلف عن "لوقا" الذى يفهم اليهود جيدًا ويعرف حسن إيمانهم وقوتهم لكن خلفيته الثقافية تأتى من العالم الواسع للإمبراطورية الرومانية والهلينية، إن متى يفهم اليهود ويتعاطف مع تطلعاتهم كرجلٍ يهودي المولد، إن حملته العتيقة ضد الفريسيين وديانتهم لا تحجب حقيقة موقفه تجاه الناموس (التوراة)، وهو أنه لا يزول حرفٌ واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل". (٣)

وينقل "بوكاي" عن كولمان قوله عن متى: تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهوديًا لحمًا ودمًا وعظمًا وهو يحمل آثار اليهودية، ويتسم بسماتها. (٤)

- ومع هذه الصورة التى يرسمها "موريس بوكاي" لمتى معتمدًا فى تكوينها على معطيات إنجيله ، يذهب إلى ترسيخ وتأكيد رأيه الرامي إلى أن "متى" ليس تلميذًا من تلاميذ المسيح (عليه السلام) ، فيقول : تلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطي بكفر ناحوم. (٥) الذى يُطْلِقُ عليه "مرقس ولوقا" اسم (ليفي) ، والذي أصبح واحدًا من حواريي المسيح (عليه السلام) – الاثنى عشر. (٦)

---

(1) انظر: السابق : ص٨٣ ، ٨٤ .

(2) لا هوتي شهير، من أشهر أعماله كتاب : "الأناجيل أصلها وتطورها".

(3) انظر: "فى مقارنة الأديان" ، ص١٧٢ ، ١٧٣.

(4) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم"، ص٨٢.

(5) كفر ناحوم : (بحيرة طبرية) اسمها بالعبرية كبرناؤوم ، وهى قرية واقعة على الشاطئ الشمالي لبحر الجليل ، وتبعد حوالى ٣٢ كم شمالي شرقي الناصرة ، لذلك كان المسيح يتردد عليها كثيرًا، ووقعت بعض معجزاته فيها ، انظر: "قاموس الكتاب المقدس" ، ص٧٨٢.

(6) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٨٧.

٣- انقطاع السند فى إنجيل مرقس :

ليس فى الأناجيل ما يُعَرِفّنا بشخصية "مرقس" ، ولا أحد يملك حجة قاطعة أو دليلاً على الآراء الشائعة عن كونه تلميذًا للمسيح. ويرى الدكتور "بوكاي" أن هناك كثيرًا من تراكيب الجمل (فى إنجيل مرقس) تَدْعَمُ الفرض القائل : بأن مؤلف هذا الإنجيل يهودي الأصل. [١] وأن الفقرات والإشارات الواردة فى العهد الجديد تتحدث عن رجل اسمه (يوحنا ويلقب بمرقس) ولا تذكر هذه الفقرات أنه مؤلف إنجيل، وحتى نص "مرقس" نفسه لا يشير إلى ذلك. [٢]

ولكي يؤيد "بوكاي" صحة ما ذهب إليه يقول: "إن فقر المعلومات الخاصة بفقد المعلومات عن "مرقس" هى التي قادت المعلقين إلى أن يأخذوا بتفاصيل وهمية، على أنها عناصر ذات قيمة. من ذلك: "أن التراث النصراني يرى فى مرقس رفيقًا لبطرس فى روما ، وذلك اعتمادًا على نهاية رسالة بطرس الأولى، (إذا كان هو كاتبها) !! إن "بطرس" قد كتب إلى من وجَّه إليهم رسالته قائلاً : **[تسَلِّمُ عَلَيْكُمُ الَّتِي فِي بَابِلَ الْمُخْتَارَةُ مَعَكُمْ، وَمَرْقُسُ ابْنِي]**[٣].

"بابل أو ربما روما" !!

يقول "بوكاي" : ذلك ما نقرأه فى التعليقات على الترجمة المسكونية، ومن هنا يعتقد البعض أن من حقه استنتاج أن "مرقس" الذى كان مع "بطرس" بروما هو المبشر!! كما يتساءل "بوكاي" قائلاً: "أسببٌ من هذا النوع هو الذى دفع بابياس Papias ، أسقف هيربولس ، فى نحو عام ١٥٠م، إلى أن ينسب الإنجيل إلى "مرقس" الذى يقول عنه : "إنه كان مترجمًا لـ "بطرس"، وإنه كان أيضًا مساعدًا لـ "بولس"؟!.

---

(1) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٨٤.

(2) انظر : السابق ، ص٨٦ ، وقد قال الدكتور "بوكاي" هذا الكلام ردًا على كلام للباحث اللاهوتى "كولمان" إذ إنه يرى أن "مرقس" لا يعتبر تلميذًا للمسيح، ثم يعود فيذكر أن "متى ولوقا" لم يكونا يستخدمان هذا الإنجيل ولا كانا يعرفان أنه مؤسس فعلاً على تعاليم أحد الحواريين.[القرآن والتوراة والإنجيل ، ص٨٦].

(3) انظر : رسالة بطرس الأولى ، الإصحاح الخامس ، (الفقرة ١٣).

ثم يجيب "بوكاي" : إن إنجيل "مرقس" – من هذه الزاوية – يكون قد تحرر بعد موت "بطرس" ، أى على أقل تقدير بين ٦٥م – ٧٠م. (١)

ويشارك بعض الباحثين الغربيين الدكتور "بوكاي" فى نظرته هذه إلى مرقس فى كونه مترجمًا لبطرس وأيضًا مساعدًا لبولس.

وقد نقل أستاذنا الدكتور الشرقاوى آراء غير واحدٍ منهم، من ذلك ما نقله عن ف.س.جرانت :

"أنه لا يزال ما يرويه ببياس نقلاً عن (مَنْ يدعي) الشيخ (الذى يقال إنه يوحنا)، هو نقطة البدء فيما يتعلق بالتحليل الكافي للنواحي التاريخية والأدبية فى إنجيل "مرقس" – إذ يقول : هذا ما اعتاد أن يقوله الشيخ : فى الواقع أن "مرقس" الذى كان ترجمانًا لبطرس، قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التى سمحت بها ذاكرته، ما قيل عن أعمال (يسوع) وأقواله – ولكن دون مراعاة للنظام.

ولقد حدث ذلك لأن مرقس لم يكن قد سمع (يسوع)، ولا كان تابعًا شخصيًا له، لكنه فى مرحلة متأخرة، كما قلت أنا (ببياس) من قبل قد تبع "بطرس"؛ الذى اعتاد التوفيق بين تعاليم (المسيح) والمطالب!.

ويتفق مع قول (ببياس) هذا، ما اقتبسه (إيرينيوس) فى قوله : بعد موت بطرس وبولس فى الاضطهاد الذى حدث فى روما تحت حكم نيرون، فإن مرقس – تلميذ بطرس وترجمانه – سلَّم إلينا كتابةٍ ما صرح به (بطرس) "(٢).

كما يُنْقَل عن د.أ نينهام – الأستاذ بمعهد اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة (بليكان) لتفسير الإنجيل قولُه :

"لم يوجد أحد بهذا الاسم عُرِف أنه كان على صلة وثيقة، وخاصة (بيسوع)، أو كانت له شهرةٌ خاصة فى الكنيسة الأولى... ومن غير المؤكد صحة القول المأثور، الذى يحدد مرقس كاتب الإنجيل، بأنه يوحنا مرقس المذكور فى أعمال الرسل

---

(1) انظر : " القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٨٧.

(2) انظر : "فى مقارنة الأديان" ، ص١٦٤، ١٦٥.

١٢: ١٢، ٢٥ ، أو فى رسالة "بطرس" الأولى ٥:١٣، أو فى رسالة بولس إلى كولوسي ٤:١٠ ، أو فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٤:١١.

ويعلق الأستاذ نينهام قائلاً : لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التى ترتبط باسم فرد ورد ذكره فى العهد الجديد ، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم !!.

ولكن إذا تذكرنا أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعًا فى الإمبراطورية الرومانية.. عندئذ نتحقق من مقدار الشك فى تحديد الشخصية فى هذه الحالة".(١)

من هذه الأقوال يقرر أستاذنا الدكتور الشرقاوى: أن أحداً من علماء النصرانية لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل، وإن كان الرأي الشائع أنه كان من تلاميذ بطرس وتابعيه.. ويرى د.جرانت أن هذا الرأى الشائع من الموروثات الغريبة، وهو يشبه – فى غرابته – استنتاج القديس أوغسطين الخاطيء بأن مرقس كان واحدًا من الذين اتبعوا متى ، واختصروا إنجيله. (٢)

وكما أن صاحب هذا الإنجيل ، مجهول الهوية فإن تاريخ كتابة هذا الإنجيل محل جدل وعدم اتفاق، يقول نينهام: "إنه غالبًا قد كتب فى الفترة ما بين ٦٥-٧٥م.. ويعتقد كثيِّر من العلماء أن ما كتبه مرقس فى الإصحاح ١٣ قد سُطِر بعد عام ٧٠م" ويقول هورن : "أُلِفَ الإنجيل الثانى سنة ٥٦م وما بعدها إلى سنة ٦٥م".(٣)

٣- انقطاع السند فى إنجيل "لوقا" :

اختلف الباحثون كذلك فى شخصية "لوقا" وفى صناعته ، وفي القوم الذين كتب لهم إنجيله ، وفى تاريخ تأليفه، واتفقوا على نقطتين، هما : أن "لوقا" ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه ، وأنه قد حَرَّر إنجيله باللغة اليونانية. (٤)

---

(1) انظر : السابق ، ص١٦٥.

(2) انظر : "فى مقارنة الأديان" ، ص١٦٥ ، ١٦٦.

(3) السابق : ص١٦٦.

(4) انظر: د . محمد الشرقاوى ، "فى مقارنة الأديان" ، ص١٨٢.

وكما يقول أستاذنا الدكتور "محمد الشرقاوى" : "وإنَّ لافتتاحية إنجيل "لوقا" أهمية كبيرة ، ذلك أنها تلقي ضوءًا ساطعًا على ما كان يحدث فى صدر المسيحية، فيما يتعلق بتأليف الأناجيل ، يقول "لوقا" : [**إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّاماً لِلْكَلِمَةِ**[1] **رَأَيْتُ أَنَا أَيْضاً إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ**][2].

ومن أهم الملاحظات التى تدون على هذه الافتتاحية ، أن "لوقا" يعترف بأنه لم ير المسيح ، ولم يتتلمذ على يديه ، لكنه كتب رسالته عن المسيح إلى "ثاوفيلس" بناء على المعلومات التى تسلمها من الذين عاينوا المسيح، وكانوا فى خدمته. [3]

ولما كان "لوقا" لم ير المسيح – باعترافه – ولم يتتلمذ على يديه، فمن هو "لوقا" فى نظر النصارى ؟!.

يقول الدكتور "موريس بوكاي" :

"لقد أراد بعضهم التعرف على هُويته فى شخصية الطبيب الذى يحمل اسم "لوقا"، والذى يذكره "بولس" فى بعض رسائله. كما تلاحظ الترجمة المسكونية أن "بعضهم قد رأى تأكيدًا لمهنة الطب التى كان المؤلف يمارسها، وذلك بسبب دقة وصفه للمرض". [4]

ويعلق "بوكاي" على هذا الكلام بقوله : "وهذا تقدير مبالغٌ فيه تمامًا ، فلوقا لا يعطي (أوصافًا) من هذا النوع إذا شئنا الدقة، و"المفردات التي يستخدمها هى مفردات أى إنسان مثقف فى هذا العصر". [5]

---

(1) الكلمة هنا يعنون بها المسيح (عليه السلام).

(2) انظر: السابق ، ص١٨٢. وانظر أيضًا : هذه الفقرة فى الإصحاح الأول من الرسالة الأولى من إنجيل لوقا ، الفقرات (١ : ٥).

(3) انظر: السابق ، ص١٨٣.

(4) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٩٠.

(5) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٩٠، ويتساءل بوكاي هل من ينسب إليه هذا الإنجيل هو من رافق بولس فى رحلاته أم أن هذا غير ذلك ؟!.

كما يتساءل "بوكاي" : لقد كان هناك "لوقا" الذي قد رافق "بولس" فى رحلاتـــه فهل هو نفس الشخص ؟. (١)

كما يرى "بوكاي" أن إنجيل "لوقا" عمل أدبى ...كُتِبَ بلغة يونانية كلاسيكية راقية تخلوا من حواشى الكلام. (٢)

وعن تاريخ كتابة "لوقا" لإنجيله ، ينقل د. موريس بوكاي أقوال النقاد الحـــاليين والذين يرون أنه كُتِب بين عامى ٨٠ ، ٩٠م. (٣)

٤- انقطاع السند فى إنجيل "يوحنا" :

يكاد يكون هناك اتفاق "بين دارسي الأديان على أن هناك شبه تقارب بين الأناجيل الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) بينما يوحنا يختلف عنهم فى تناول كثير من الحوادث زماناً ومكاناً.

تقول دائرة المعارف البريطانية : "إن هناك مشكلة هامة وصـــعبة تـــنجم عـــن التناقض الذى يظهر فى نواحٍ كثيرة بين الإنجيل الرابع والثلاثة المتشابهة، إن الاختلاف بينهم عظيم بحيث إنه لو قُبِلَت الأناجيل المتشابهة باعتبارها صحيحة وموثوق بها فـــإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا. (٤)

وعن هذا الاختلاف يقول بوكاي : "إن هذا الإنجيل يختلف فى الترتيـــب وفـــى اختيار الموضوعات والروايات والخطب، وبه اختلافات أسلوبية وجغرافيـــة وأخـــرى خاصة بالتعاقب الزمنى للأحداث. (٥)

وأدق من ذلك خلافًا ما يقوله عنه بوكاي من أن يوحنا يختلف عـــن المبشـــرين الثلاثة فى الآفاق اللاهوتية.

فبينما أقوال المسيح تساق فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة فى أسلوبٍ "قارع يقارب كثيرًا الأسلوب الشفهي" ، فإن كل شيء يخضع عند يوحنا إلى التأمل، إلى درجـــة أننـــا

---

(1) انظر: السابق ، ص٩٠.

(2) انظر: السابق، نفس الموضع.

(3) انظر : السابق ، ص٩٠.

(4) ENCYCE LOPAEDIA , BRITANNICA, 1960, (John)

(5) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٩٢.

نستطيع أن نتساءل أحيانًا ما إذا كان المسيح هو الذى ما زال يتحدث أم أن أقواله تمط بشكل غير محسوس بتأثير تأملات هذا المبشر"(١)

وإذا كانت دائرة المعارف البريطانية صرَّحت بأن إنجيل "يوحنا" لا مرية ولاشك فى أنه كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان: "يوحنا بن زبدى الصياد" ، و"متى".(٢)

كما وَصَفَتْ "يوحنا" أيضًا بأنه كاتب مزور ادَّعى فى متن كتابه أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح، مع أن صاحب هذا الإنجيل غير يوحنا (الحوارى) يقينًا ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه. (٣)

وإنكار علماء النصرانية لنسبة هذا الإنجيل إلى "يوحنا" الصياد الحواري، ليست وليدة هذه العصور المتأخرة فحسب، بل "ابتدأ فى القرن الثاني الميلادي، إذ أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى "يوحنا الحواري" وكان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميذ بوليكارب، تلميذ "يوحنا الحوارى")، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتمًا تلميذه بوليكارب، ولأعلم تلميذه أرينييوس، ولأعلن هذا الأخير تلك النسبة عندما شاع إنكارها. (٤)

ولقد اختلف الباحثون من النصارى حول تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافًا بينًا، فالدكتور (بوست) (وهو من المؤمنين المتعصبين بأن هذا الإنجيل قد كتبه "يوحنا الحوارى" يرجح أنه كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨، أو سنة ٩٦ ميلادية، ويقول: "هورن" فى تاريخ تدوين ذلك الإنجيل: ألفَّ الإنجيل الرابع سنة ٦٨ أو ٦٩ أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلادية. (٥)

---

(1) انظر: السابق ، ص٩٢ ، ٩٣.

(2) ENCYCE LOPAEDIA BRITANNICA (John)

(3) السابق ، نفس الموضع.

(4) انظر : "محاضرات فى النصرانية" ، ص٥٨.

(5) انظر : السابق ، ص٦١ ، ٦٢.

ويتفق هذا الرأي مع ما يذهب إليه الدكتور "موريس بوكاي" فيما نقلـه عـن (أ.كولمان) فى قوله : إن كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بـأن الـنص المنشـور حاليًـا [لإنجيل يوحنا] ينتمي إلى أكثر من مؤلّفٍ واحدٍ، فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذى نملكه اليوم، قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف، الذين أضافوا الإصحاح ٢١، كما أضافوا – ولا شك– بعض الحواشي [مثل ٢ ، ٤ وربمـا أيضًـا ٤ ، ١ ، ٤٤، ٧، ٣٧ ، ١١، ٢، ١٩، ٣٥]. أما فيما يختص بالمرأة الزانية [الإصحاح ٧، ٥٣ إلـى ٨ ، ١١] فالكـل يتفق على الاعتراف بأن هذا نص مجهول الأصل، أُلْحق فيما بعد [وإن انتمى بـرغم ذلك إلى الكتاب المقدس المعترف به كنسيًا]. (١)

كما يذكر "بوكاي" أن القيمة التاريخية لروايات "يوحنـا" موضـع نـزاع كثيـر. فالأمور التى تتنافر مع الأناجيل الثلاثة الأخرى صارخة ، وإن علَّلها بعض اللاهـوتيين بأن يوحنا له مرامي لاهوتية تختلف عن مرامي المبشرين الآخرين. (٢)

ويمكن إجمال القول فى يوحنا إذا ذكرنا ما قالـه **J.Marsh** تحـت عنـوان "استحالة التوكيد" لا توجد مشكلة حول التعريف بإنجيل يوحنا وكاتبه يمكن إيجاد حـل مؤكد لها، فمن كان هذا الـ"يوحنا" الذى قيل إنه المؤلف؟ وأين عـاش؟ ولمـن مِـنَ الجمهور كتب إنجيله ؟ وأي المصادر اعتمد عليها ؟ ومتى كتب مصنفه ؟ والإجابـات على هذه الأسئلة وعلى غيرها متباينة. (٣)

وأمام هذه الاختلافات بين الأناجيل الأربعة فى عـدم صـحة نسـبتها إلـى أصحابها، والتي هى على جانب كبير من الأهمية يتساءل "بوكـاي" : مَـنْ يجـب أن نصدق، أنصدق "متى" أم "مرقس" أم "لوقا" أم "يوحنا" ؟!. (٤)

ولعل الإجابة على هذا السؤال الذى حير الدكتور "بوكاي" نجدها فيمـا ذكـره البيروني حيث قال : إن كل واحدٍ من أصحاب الأناجيل ألف إنجيله على حسب دعوته

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم"، ص٩٤.

(2) انظر: السابق ، نفس الموضع.

(3) نقلاً عن : "مناهج دراسة الأديان" ، ص٣٧.

(4) انظر: السابق ، ص٩٦.

فى بلاده... وما في كل واحدٍ منها كثيرًا ما يخالف ما فى الآخر.[1] أو قد تكون هـذه الإجابة فيما ذكره القاضي عبد الجبار حين رأى أن كل واحدٍ منهم (أصحاب الأناجيل) كتب إنجيله ورآه الأولى بالدقة، لأن إنجيل غيره قد ضبط أشياء وأخلَّ بأخرى، وهـو أعْرف لها وأضبط؛ ولو كان مَنْ قبله قد ضبط وأصاب لما احتاج إلى أن يعمـل هـو إنجيلاً آخر غير إنجيل صاحبه.[2] ويتأكد حدس القاضى عبد الجبار بأنه ليس أحد هذه الأناجيل شرحًا للآخر، كما يشرح مَنْ تأخر كِتَابَ مَنْ تقدم، فيحكي كلامه على وجهـه ثم يشرحه، وإنما وضعه لأن غيره قد قَصَّه.[3]

****

(1) انظر : "الآثار الباقية عن القرون الخالية" ، ص٢٢.

(2) انظر: "تثبيت دلائل النبوة" ، ١/١٥٥.

(3) انظر: السابق، الموضع نفسه.

المبحث الثاني: النقد الداخلى للأناجيل :

إن التناقض الصارخ فى الأناجيل جعل هناك معضلات فادحة، ليس من السهل التغلب عليها، وذلك لأن هناك كثيرًا من التغييرات والتحريفات يتعذّر اجتنابها، ولأنها كذلك استرعت انتباه الدكتور "موريس بوكاي" ، فاستخرج منها كثيرًا من التناقضات التى جاءت متعددة الصور والأشكال على النحو التالي :

أولاً: التناقض بين روايات المبشرين بعضهم البعض :

أ- نسب المسيح عليه السلام :

إن من أوضح الأمثلة على التناقض بين مبشرٍ ومبشرٍ آخر، ما ورد عند كل من "متى" و "لوقا" فى إنجيليهما ، ويتمثل هذا التناقض فى عدة نقاط :

١- يقول "بوكاي" : "إن الأناجيل (كالقرآن) تعطينا نفس المعطيات عن أصول المسيح البيولوجية ، وأن نمو المسيح فى رحم أمه قد حدث خارج قوانين الطبيعة المشتركة بين كل الكائنات البشرية...فقد كانت أمه أمًّا عذراء. وقد احتفظت بعذريتها، ولم تلد أطفالاً غير المسيح ، إن المسيح استثناء بيولوجى.[(١)] ومع ذلك فإننا نجد كل من "لوقا" و"متى" يجعلان المسيح ينتسب إلى إبراهيم (عليه السلام) عن طريق داود، وينتسب إلى داود عن طريق يوسف النجار ابن يعقوب رجل مريم التى ولد منها عيسى الذى يُدْعى "المسيح".[(٢)]

بل إن الأكثر تناقضًا من ذلك أن شجرة نسب المسيح بين "لوقا" و"متى" فى الفترة التالية لداود (عليه السلام) تختلفان اختلافاً بيّنًا ، وذلك أن "لوقا" يجعل الفترة بين داود والمسيح تحتوى ٤٢ اسمًا ، بينما هى فى إنجيل "متى" تحتوى على ٢٧ اسمًا فقط، – وليس الأمر كذلك فقط – بل إن الأسماء نفسها مختلفة.[(٣)]

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم"، ص١٠٨.

(2) انظر: السابق ، ص١٠٩. وانظر أيضًا : ذكر نسب المسيح فى إنجيل "لوقا" ، الإصحاح الثالث، الفقرات من (٢٣-٣٨) وفى إنجيل "متى" ، الإصحاح الأول ، الفقرات من (١-١٧).

(3) انظر: السابق ص١١٨ ، ومن اللافت للنظر أن علماء المسلمين قد سبقوا الدكتور "بوكاي" فى تحديد هذه التناقضات. انظر مثلاً للإمام "ابن حزم" الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ٢، ص١٠، وما بعدها.

- وانظر : "مقامع هامات الصلبان بين الإسلام والمسيحية" ، للخزرجى، ص١٨٠ ، تحقيق د.محمد شامة، مكتبة وهبة ، سنة ١٩٧٩م.
- وانظر: "شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل" ، ص٤٢ ، للجوينى، تحقيق أحمد حجازى السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط١، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
- وانظر: "إظهار الحق" لرحمة الله الهندي ، جـ٢ ، ص١٨٧ – ١٩١.

وقد شغلت قضية الاختلاف والتناقض فى نسب المسيح كثيرًا من الصفحات عند نقاد العهد الجديد من القدماء والمحدثين؛ فقد نبه الإمام الجويني على وقوع الخطأ عند متى فى حساب الآباء(آباء المسيح) وفى نسب المسيح معًا، يقول: (فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً... "وهذه المباحثة وما ألزمناه من الغلط (يقصد فى حساب أجيال آباء يوسف النجار) يسير بالنسبة إلى ما سنذكره من أمره، وأمر صاحبه " لوقا " وذلك أنهما تباينا مباينة ناطقة بخطأ أحدهما أو خطأهما، والعجب أن كلاً منهما يزعم: أنه سمع ما وضعه فى إنجيله وتفوّه به، بعد أن نزلت عليه روح القدس، واقتضت له العصمة من الخطأ فى قوله وفعله".[١]

كما يُثْبت الجويني رحمه الله، شجرة نسب المسيح التى ذكرها متى وتلك التى ذكرها لوقا، ويعلق على الاختلاف بينهما بقولة:" هذا نسب يوسف (والد المسيح بزعمهم)، ساقه لوقا هذا المساق، وذكر آباءه شخصًا شخصًا، منه إلى آدم.

وقد سمعت حديث متى وما سلف منه من المباينة ، فإن كانا صادقين: لزم أن يكون ليوسف أبوان محبلان لأمه، وكذلك الكلام فى كل جد من أجداده. وإن كانا كاذبين : جاز وقوع التبديل منهما، إما عمدًا أو غفلة، وحينئذ تسقط الثقة بما نقلاه، معتقدين أنه الحق".!![٢]

كما ذكر صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ستة وجوه للاختلافات بين الإنجيلين. [٣] (متى ولوقا)، عند ذكر نسب المسيح عقَّب بعدها المؤلف قائلاً : " .. إذا كان الحال كذلك، فهل يؤمن على تلك الأناجيل أن يكون أكثر ما فيها من هذا القبيل، ثم إن المتأمل فى عنوان هذا الإصحاح وخاتمة النسب، يجد أن هذا الكاتب أحد رجلين، إما أن يكون رجلاً منافقًا وغاشًا للملة النصرانية، لأنه ابتدأ عنوان إنجيله بميلاد

---

(1) انظر: شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراه والإنجيل من التبديل ص٤٢ – ٤٥.

(2) انظر: السابق نفس الموضع .

(3) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، تأليف عبد الرحمن باجة جى زاده ، ص٤٢، تحقيق عصام فارس، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م.

يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم، ثم لم يلبث حتى ختم النسب بقوله(ماثان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها (يسوع) إذ بأدنى تأمل ترىَ أنه لا ارتباط بين المسيح ويوسف النجار حتى يأتى بنسب هذا الرجل، مع أنه عَنْون إنجيله بميلاد المسيح، وهو ليس بابن ليوسف النجار، كما أن هذه عقيدتنا فيه، فلعلَّ الكاتب أراد بهذا التمويه والتلفيق. وتأكيد ما أتى به من الخلط والتدليس، بما افتراه على المسيح عليه السلام من أنه حين وُلِدَ إلى أن جاوز ثلاثين سنة من عمره، يعتقد أنه ابن يوسف النجار.[1]

كما يقول الإمام ابن حزم عن شجرة نسب المسيح عند كل من لوقا ومتى: "فاعجبوا لهذه المصيبة الحالة بهم، ما أفحشها وأوحشها وأقذرها وأضرها وأرذلها وأنذلها !! متى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار، ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أبا فأبا، ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذي ذكر متى، حتى يُخْرِجَهُ إِلىَ ناثان بن داود أخي سليمان بن داود، ولابد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذبًا، فيكذب متى أو لوقا، أو لابد أن يكون كلا النسبين كذبًا، فيكذب الملعونان جميعًا، ولا يمكن البتة أن يكون كلا النسبين حقًا"!!.[2]

*** نموذج آخر على التناقضات بين روايات المبشرين بعضهم البعض (ظهور المسيح بعد قيامته).**

يقول "بوكاي" عن الأحداث التى تلت قيامة المسيح أنها قد جعلت مادة للروايات متناقضة؛ بل غريبة عند كل المبشرين.

وذلك لأن ذكر الأشخاص الذين رأوا قيامة المسيح – من حيث العدد – يختلف من إنجيل إلى إنجيل فى الأناجيل الثلاثة.[3]

---

(1) انظر: السابق ص ٤٣.

(2) "الفصل فى الملل والأهواء والنحل" ٢/١٠-١٦، وانظر أيضًا : مقامع هامات الصلبان بين الإسلام والمسيحية ص١٨٠، وانظر إظهار الحق لرحمة الله الهندى، جـ٢ ص١٨٧-١٩١ وانظر : تثبيت دلائل النبوة ٢٠١/١ وانظر : هل الكتاب المقدس كلام الله ص٢٠٧-٢١٤، والمسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، للواء : أحمد عبد الوهاب، ص٧٨-٧٩، وجواب أبى الوليد الباجى على راهب فرنسا ص٨٦، والآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى ، ص٢٢-٢٣.

(3) يقصد أناجيل "متى" ، و"يوحنا" و"لوقا" ، وذلك لأن مرقس لم يذكر هذه الحادثة.

فليس هناك إلا امرأةً واحدةً فى إنجيل "يوحنا" وهى مريم المجدلية[١]، ولكنها تتحدث بضمير الجماعة – كما لو كانت لها رفيقات. فهي تقول: "لا نعرف أين وضعوه؟" [٢]

بينما فى إنجيل "متى" فملاك هو الذى يعلن للنساء أنهن سيرين المسيح بالجليل ولكن المسيح بَعْدُ يقابلهن على مقربة من القبر. [٣]

أما "لوقا" فقد شعر بالصعوبة فعَّدل قليلاً فى مصدره ، فيقول الملاك:[**اُذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ**]. [٤]

كما أن ما جاء فى الأناجيل الثلاثة يتناقض مع ما جاء فى رسالة "بولس إلى أهل كورنثوس" ، إذ يقول إنه قد ظهر لأكثر من خمسمائة شخص فى وقت واحد، ولجاك، ولكل الحواريين دون أن ينسى نفسه. [٥]

كما يذكر د. بوكاي أن التناقض بين الروايات فى ظهور المسيح بعد قيامته ليس مقصورًا على التناقض بين الأناجيل حول عدد الأشخاص الذين رأوا المسيح فقط؛ ولكن التناقض والاختلاف بين الأناجيل ظهر أيضًا حول المكان الذى ظهر فيه المسيح.

---

(1) تعتبر مريم المجدلية من أكثر الشخصيات النسائية ذكرًا فى العهد الجديد لدرجة أن هناك إنجيلاً من الأناجيل الأبوكريفية (المنتصلة أو الملفقة أو غير الرسمية وغير المعترف بها من الكنيسة) يسمى باسمها ، وقد نسجت حولها أساطير كثيرة ، فقيل إن المسيح قد أخرج منها سبعة شياطين وأنها أكثر التلميذات تعلقًا بالمسيح، ويدعي النصارى أنها كانت أول من شاهد المسيح بعد قيامه من قبره، وهى غير مريم التى هى من بيت عنيا ، أخت العاذر ومرثا ، والتى دهنت المسيح بطيب ومسحت رجليه بشعرها. انظر: "قاموس الكتاب المقدس" ، ص٨٥٨، انظر: "إنجيل متى" الإصحاح ٢٦، الفقرات (٣-١٣) ، انظر: "إنجيل مرقس" ، الإصحاح ١٤، الفقرات (١-٩)، انظر: "إنجيل يوحنا" ، الإصحاح (١٢) ، الفقرات (١-٨)، انظر إنجيل "يوحنا" الإصحاح ٢٠، فقرة (١).

(2) يشير إلى الفقرة (٢) من إنجيل "يوحنا" ، الإصحاح (٢٠).

(3) وقد جاءت الرواية فى إنجيل "متى" فى الإصحاح ٢٨ ، الفقرات (٥- ١٠).

(4) انظر: إنجيل "لوقا" ، الإصحاح (٢٤) ، الفقرات (١-١٢).

(5) انظر: "رسالة بولس على أهل كورنثوس" ، الإصحاح ١٥، الفقرات (٥-٧).

فبينما يرى "لوقا" أن المسيح قد ظهر فى الناصرة.[1] فإن "متى" يرى أنه قد ظهر بالجليل[2]، على حين يرى "يوحنا" أن ظهور المسيح بعد قيامته على شاطيء بحيرة طبرية.[3]

ثانيًا : التناقض بين روايات المبشر الواحد.

لم يقتصر أمر توضيح التناقض فى الأناجيل – لدى "بوكاي" – على إظهار التناقض الصارخ بين المبشرين بعضهم البعض ، ولكن امتد ذلك التناقض إلى أن يقع فى رواية المبشر الواحد فى كتاباته التي يعتقد النصارى أنه هو الذى كتبها.

ومن صور ذلك التناقض ما يلى :

١ـ رواية صعود المسيح.[4]

وردت رواية صعود المسيح لدى كل من "مرقس" و"لوقا" دون غيرهما من المبشرين، فأما بالنسبة "لمرقس"، فإن المسيح قد رُفِعَ إلى السماء وجلس على يمين الله.[5] يعلق د. بوكاي على هذه الفقرة قائلاً :

"وهذا – أى الصعود – دون تحديد تاريخي بالنسبة لقيامته ، مع ملاحظة أن الأب روجي فى كتابه "مقدمة إلى الإنجيل" يرى أن هذه الجملة ليست نصًا صحيحًا، بل هي نص كتب وأضيف بعد ذلك.[6]

---

(1) انظر: إنجيل "لوقا" ، الإصحاح ٥ ، الفقرات (١-١١)، والناصرة هى بلدة تقع على سفح جبل السايح الذى يعانق قلعة الحصن الأثرية من جهة الشمال. (قاموس الكتاب المقدس ، ص٩٤٦).

(2) انظر: إنجيل "متى" ، الإصحاح ٢٨ ، الفقرات (٥-١٠) ، وجبل الجليل يقع على ساحل بحر الشام، ومن أسمائه جبل عاملة ، وأطلق عليه أيضًا جبل الخليل، (انظر: "قاموس الكتاب المقدس" ، ص٢٠٧).

(3) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٢٦ ، ١٢٧. وانظر: "رواية يوحنا" ، الإصحاح٢١، الفقرات (١ -١٤) وبحيرة طبرية : بحيرة تقع شمال فلسطين التاريخية ، غرب هضبة الجولان، ويخرج منها نهر الأردن ، يبلغ طول سواحلها ٥٣كم. (انظر: "قاموس الكتاب المقدس" ، ص٩٥٥).

(4) صعود المسيح عليه السلام : يعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام بعد صلبه قد صعد إلى السماء عن يمين الرب، ثم هو بعد ذلك نزل إلى الأرض فى صورة جسد، وقد حدث ذلك منه عدة مرات، منها لمريم المجدلية [يوحنا: ١٥/٢٠] وأيضًا لتلاميذه على بحيرة طبرية [يوحنا : ٧/٢١] ومنها أيضًا لبولس وهو في طريقه إلى دمشق [كورنثوس الأولى ١٥/٥٠-٥٣] غير أن النصارى اختلفوا في نزول المسيح وصعوده هل كان ذلك بالجسد دون الروح ؟ أم كان بهما معًا ؟!

(5) انظر: إنجيل "مرقس" ، الإصحاح (١٦) ، فقرة (١٩).

(6) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٢٧.

ثم يذكر د. بوكاي أن "لوقا" الذى يتحدث عن حدث الصعود يقول: "انفصل المسيح عنهم(١)، وحُمِلَ إلى السماء".(٢)

على حين يذكر "لوقا" – فى إنجيله – أن الصعود قد حدث يوم قيامته؛ ثم نجده فى أعمال الرسل – والكل يعتقد أنه كاتبها – يذكر مرات ظهور المسيح للحواريين بين الآلام والصعود بالألفاظ التالية [**اَلَّذِينَ أَرَاهُمْ أَيْضاً نَفْسَهُ حَيّاً بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ**](٣)

ثم يعلق د. بوكاي على هذا قائلاً :

"إن هذه الفقرة هي الأصل فى تحديد المسيحي للصعود بأربعين يومًا بعد الفصح...التاريخ إذًا مُحدَّد على عكس إنجيل "لوقا"...لأن المسيحي وقد عُرِفَ بهذا الموقف يشعر بالحيرة : فالتناقض واضح. (٤)

توصل البحث فيما سبق إلى أن كثيرًا مما وضع الدكتور بوكاي يديه عليه فى نقده للعهد القديم يكاد يكون متطابقًا مع ما وقف عليه القدماء من علماء المسلمين وينطبق الأمر نفسه على نصوص وأحداث العهد الجديد لِمَّا رأينا.

غير أن هناك أمرًا مهمًا أضافه الدكتور بوكاي، وهو ما ذكره أن آباء الكنيسة ومفسري الأناجيل يعلمون مواضع التناقض فى الأناجيل علم يقين، فكان هذا الأمر مسار تعجب الدكتور بوكاي، لأنه من خلال تَتَبُّعِهِ لهم وجد أنهم يبحثون –عن عمد– عن مخرج لكل تناقضٍ من هذه التناقضات، فوجد أن سعيهم وراء هذا الهدف كان يجعلهم يعمدون إلى حججٍ أوْ هَى وأكثر تناقضًا مما ورد فى الأناجيل ذاتها. كما أشار بوكاي أيضًا إلى أن وجود أخطاء صارخة فى الأناجيل حدا بباوات الكنيسة أن يثنوا الناس عن النظر فيها تجنبًا لأسئلة سيكون أمر الرد عليها محرجًا لهم. (٥)

---

(1) المقصود بهم الأحد عشر حواريًا ، لأن الحواري الثاني عشر (يهوذا) كان قد مات قبل قيامة المسيح وصعوده إلى السماء.

(2) انظر: إنجيل "لوقا" (الإصحاح ٢٤ ، الفقرة ٥١).

(3) انظر: "أعمال الرسل" (الإصحاح الأول ، الفقرة ٣).

(4) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص١٢٨.

(5) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٦٧.

المبحث الثالث: موقف مفسرى الكتاب المقدس من التناقضات الواردة فيه.

إن المفسرين والمعلقين على الكتاب المقدس – والعهد الجديد خاصة – كثيرًا ما يحاولون أن يلتمسوا الأعذار لما ورد من تناقض فى كثيرٍ من مواضعه.

ويقول "بوكاي": إن كتب التعليم الديني لم تكن تحتوي إلا على مقاطع مختارة من الأناجيل ، ولم يكن هناك تداول للنص بأكمله. وفى أثناء دراستي الثانوية بإحدى المدارس الكاثوليكية وقعت يدي على مؤلفات "لفرجيل وأفلاطون" ، ولكن لم يحدث أبدًا أن وقعت يدي على العهد الجديد... وبعد ذلك بفترة طويلة أدركت لِمَ لَمْ يعطنا مدرسونا واجبات ترجمة من الكتب المقدسة المسيحية. لأنه كان يمكن أن تقودنا هذه الكتب إلى أن نطرح على أساتذتنا أسئلة الرد عليها محرج. (١)

وليس هناك شك فى أن قراءة النصوص الكاملة للأناجيل قادرة على إثارة اضطراب عميق لدى المسيحيين. (٢)

وكثيرون من قراء الأناجيل يشعرون بالحرج؛ بل بالحيرة عندما يتأملون فى معنى بعض الروايات، أو عندما يقارنون روايات مختلفة لحدثٍ واحدٍ مروي فى كثير من الأناجيل. (٣)

وأن هذه الحيرة، وتلك الأسئلة –التى قد تكون محرجة– قادت الكنيسة إلى التدخل لمساعدة القراء للتغلب على حيرتهم....وسواء اختلف المرء أو اتفق مع التفاسير التى تعطيها الكنيسة ، فإن جدارة الكاتب كبيرة حقًا فى مواجهة المشاكل الحرجة.

ولذا نجد "موريس بوكاي" يقدم كثيرًا من النماذج التى يرى أن الكنيسة اقترحت لها مخرجًا أو مبررًا، ولكنه غير مقبول – أيضًا – لدى القراء.

ومن أوضح الأمثلة التى يقدمها الدكتور "بوكاي" فى هذا الشأن ما يلى :

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٦٧.

(2) انظر: السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر: السابق ، ص٦٧.

١ـ بداية ظهور نصوص الإنـجيل:

إن المسئولين يقللون بشكل مبالغ فيه من الفترة الزمنية الواقعة بـين نهايـة رسالة المسيح وبين ظهور النصوص، يريدون إيهام الناس بوجـود صـيغة واحـدة اعتمدت على تراث شفهي، على حين أثبت المتخصصـون أن هـذه النصـوص قـد أصابتها تعديلات كثيرة ، ويتحدثون هنا وهناك عن بعض مصاعب التفسير، ولكـنهم يغضُّون النظر عنِ المتناقضات البيِّنة التى تقفز إلى عَيْنَيْ من يتأمل. (١)

كما يلاحظ القاريء فى المعاجم الصغيرة الملحقـة بالمقـدمات المطمئنـة أن الأمور غير المعقولة أو المتناقضات؛ أو الأخطاء الصارخة كثيرًا ما تُتَجَنَّبُ أو تُخْنَـقُ بأساليب مديحية بارعة. وإنه لمما يروع القاريء هذا الحال من الأمور الـذى يُبَـيَّنُ بجلاء الطابعَ الخَدَّاع لهذه التعليقات. (٢)

٢ـ موقف المفسرين من روايات نسب المسيح :

حاول المفسرون أن يتجنبوا الصعوبة الواردة فى التناقض الصارخ الوارد فى سلسلة نسب المسيح بقولهم : إنه ليس المقصود هو شجرة نسب المسيح بتمامهـا، وأن المبشرين قد أسقطوا أسماء عن عمدٍ، وإنما يجب أن يدخل فى الحسبان فقط نية وضع الخطوط العريضة أو العناصر الجوهرية لنسب المسيح بالاعتماد علـى الواقـع التاريخى، غير أن هذا التأويل (أو هذه البهلوانية) – علـى حـد قـول بوكـاي – لا ترضيه؛ لأنه يرى أنه ليس فى النصوص ما يسمح بإقامة مثل هـذا الفـرض؛ ولأن نصوص الأنساب تُعَيِّن أن فلانًا ولد فلانًا. وأنَّ هذا ابن ذاك. (٣)

كما أن بعض المفسرين يعالجون المسألة بطريقة تثير الدهشة أكثر، فيلتزمون الصمت شبه التام على هذا الموضوع ؛ كأنهم لا يرون هذه الثغرة. والـبعض الآخـر

---

(1) انظر: السابق، ص٦٧.

(2) انظر: السابق ،نفس الموضـع. وانظـر أيضًـا : "مـا أصـل الإنسـان؟ " ،ص١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٥، ١٥٦،١٥٧.

(3) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١١٧. وهذا التفسير غير المقبول ذكـره (أ.تريكـو) فـى كتابه: **Petiti Dictionnaire die Nouveau Testament**

يقطع هذا الصمت بناءً على المديح والتبرير، فيقوم بإسقاط بعض الأسماء ليتجنب الثغرة، وبذلك ينهار ما أراد المبشر إثباته.[1]

٣- رواية صعود المسيح :

تباينت آراء المعلقين حول التناقض الصارخ الوارد حول رواية صعود المسيح، الواردة فى إنجيل "لوقا" وأعمال الرسل التى يفترض أن "لوقا" أيضًا هو الذى كتبها. فلوقا يذكر فى إنجيله بأن صعود المسيح محدد بيوم القيامة[٢]، بينما فى أعمال الرسل يحدده بأربعين يومًا[٣]، على حين يذكره "مرقس" فى إنجيله (دون أن يحدده بتاريخ)[٤].

نرى من المفسرين من لا يكرِّس أى مقال للصعود، ومنهم من يقول : إن التناقض عند "لوقا" بين إنجيله وأعمال الرسل يرجع إلى "حيلة أدبية" وليفهم من يفهم..[٥].

وبعض المفسرين كان أكثر صراحة عندما حدد أن المشكلة هى كما فى كثير من المشاكل المشابهة لا تبدو غير قابلة للحل إلا إذا أخذ المرء بحرفية دعاوى الكتاب المقدس ونسي دلالتها الدينية، وليس المقصود هو حل واقع الأمور برمزيةٍ مئنعة، وإنما المقصود هو البحث عن النية لدى هؤلاء (المبشرين) الذين يكشفون لنا الأسرار بتقديم أمور محسومة وعلامات خاصة بالجذور المادية لعقلنا.[٦]

غير أن هذا التفسير لا يرضي الدكتور "بوكاي" ؛ لأنه يرى أن مثل هذا التفسير لا يصلح إلا للمؤمنين بلا قيدٍ ولا شرطٍ.[٧]

---

(1) انظر: السابق ، ص١١٨.

(2) انظر : إنجيل "لوقا" ، الإصحاح ٢٤ ، الفقرات من (٥٠ – ٥٣).

(3) انظر : أعمال الرسل ، الإصحاح (١) ، الفقرات من (١-١٤).

(4) انظر: إنجيل "مرقس" ، الإصحاح ١٦ ، الفقرتان (١٩ – ٢٠).

(5) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٦٩.

(6) انظر: السابق ، ص٦٩.

(7) انظر: السابق ، نفس الموضع.

٤. رواية تأسيس القربان المقدس :

إن سرد المبشرين الثلاثة "لوقا ومرقس ومتـى" لروايـة تأسـيس القربـان المقدس[1] وهى التى تمثل إحدى ركائز الطقوس الدينية اليهوديـة؛ بـل وأصـبحت المنسك الرئيس فى طقوس الدين الجديد (المسيحية) ولم يعبأ "يوحنـا" بـذكرها فـى إنجيله؛ أثار مشكلة فى عقل "بوكاي" ، غير أن المفسرين قد أوجدوا لذلك أيضًا مخرجًا بهلوانيًا، –على حد قوله– كالمعتاد. فعلى الرغم من اعترافهم بوجـود هـذه الثغـرة الكبيرة في إنجيل "يوحنا" إلا أنهم يقدمون التبرير التالي: "إن يوحنا عمومًا لا يولي أي اهتمام بتقاليد مؤسسات إسرائيل القديمة. وربما كان هذا هو الذى جعله يحيـد عـن الإشارة إلى تأمل القربان المقدس فى طقوس عيد الفصح."[2]

غير أن هذا التفسير لم يُقْبَلْ لدى الدكتور "بوكاي" ، إذ كيف يمكن أن نصـدق أن عدم الاهتمام بالطقوس الفصحية اليهودية هو الذى قاد "يوحنا" إلى ألا يتحدث عن تأسيس المنسك الرئيسي فى طقوس الدين الجديد ؟! كما يرى الـدكتور "بوكـاي" أن المشكلة تحرج المفسرين إلى درجة أن علماء اللاهوت يحتالون فى البحث عن صور أوّلية أو معادلات للقربان المقدس فى أحداث حياة المسيح التي يسردها "يوحنا".[3]

ويرى أيضًا أن المفسرين يلتمسون العذر لما وقع من أخطاء بطـول الـزمن، وذلك لأن بعض مفسري النصارى يرى أن النص الديني الذى يرجع إلى القرن السابع الميلادي يتمتع بفرص أكبر للوصول إلينا دون تحريف من نصوص أخرى قـد يصـل

---

[1] والمقصود بالقربان المقدس لدى النصارى قيل إن المسيح كان يوم العيد بمحل وبيده خبز وقـدح خمـر فقال هذه قطعة من لحمى والخمر دمى، فيصنع القسيسون فى هذا اليوم أقراصًا وخمرًا فيقسـم علـيهم البابا قطعة قطعة باعتبارها هى المسيح فيأكلونها، وقصة العشاء مذكورة فى إنجيل متـى ٢٦/٢٠–٣٠ وفى إنجيل مرقس ١٤/١٧–٢٦ وفى إنجيل لوقا ٢٢/ ١٤– ٢٣.

[2] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٢٤، وعيد الفصح : يسمى أيضًا باسم عيد الفطير، وكان من أعياد اليهود ، وفيه خرج بنو إسرائيل من مصر إلى سيناء ،هرباً من فرعون ، ومدته سبعة أيام تبدأ فى ١٥ نيسان وتنتهى بنهاية يوم ٢١ نيسان الذى هو الشهر السابع فى التقويم العبـري ، ويسـمونه شهر أبيب، وقد جرت عادتهم على تقديم الذبائح الحيوانية فى مذبح الهيكل فى القدس، انظر: "الموسوعة الميسرة" ، ص١٢٤٧، وقاموس الكتاب المقدس ، ص٦٧٨.

[3] انظر: السابق ، نفس الموضع.

قدمها إلى خمسة عشر قرناً إضافيًا، وهذه الملاحظة تهدف إلى إيجاد العذر للتعديلات التى طرأت على النصوص اليهودية المسيحية عبر السنين.[١]

غير أن المجمع المسكوني استطاع أن يعلن بشأن العهد القديم أن الأسفار التى التي يتكهن منها تحتوي على "شوائب وشيئًا من البطلان" ، ولكن لم يضع أي تحفظات مثل ذلك بالنسبة للأناجيل.[٢] مع أنه لا يستطيع أحد أن يجزم بأنها تحتوي دائمًا على رواية أمينة لرسالة المسيح ، أو على رواية أمينة تتفق بدقة تامة مع الواقع.[٣]

****

[1] انظر : السابق ، ص١٥٨.

[2] انظر : السابق ، ص١٥٨ ، وانظر: "ما أصل الإنسان" ،ص١٥٥.

[3] انظر: السابق ، ص١٥٨.

الفصل الثالث

صحة القرآن الكريم وصدق نبوة محمد (ﷺ) لدي بوكاي

ويشتمل على أربعة مباحث كما يلي:

المبحث الأول: صحة تدوين القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أدلة صحة القرآن الكريم من العلم الحديث.

المبحث الثالث: موقف بوكاي من ترجمة الغرب للقرآن الكريم.

المبحث الرابع: نبوة محمد (ﷺ) لدي بوكاي

المبحث الأول : صحة تدوين القرآن الكريم :

مقدمة :

دأب المستشرقون والمنصرون – إلا قليلاً منهم – على الطعن في النص القرآني مستشهدين في ذلك ببعض الأفكار التي روج لها البعض، مستندين في ذلك على القول بـ : " اختلاف القراءات القرآنية ، والقول بأن مؤلف القرآن قد جمع ببساطة قصصًا من التوراة والإنجيل بشكل مختلف شيئا قليلاً، فأضاف بعض النصوص وحذف البعض الآخر، بينما كان يحدد مبادئ وقواعد الدين الذي أوجده بنفسه. وكما يقول الدكتور موريس "بوكاي" :

هذا الوصف لأصول النص القرآني – الذي لا صلة له بالحقيقة – يأتي من أولئك الذين لا يعرفون مكانة القرآن بالمقارنة مع التوراة والإنجيل ، أو أولئك الذين يظلون على غير علم بالظروف التي تم فيها تنزيل القرآن الكريم وتوصيله للإنسان[١] ... كما أن هذا الوصف قد يؤدي بالمرء أن يفترض على الفور أنه لابد من وجود أخطاء علمية في القرآن على غرار الأخطاء العلمية الموجودة في التوراة[٢].

ولذلك يرى "بوكاي" أنه إذا أردنا اليوم أن نشير إلى أي مواجهة بين الإسلام والمعارف الحديثة فإنه يبدو ضروريا ولازما أن نُقَدم عن الإسلام لمحة عامة مع التركيز على بعض المعلومات الخاصة بالنص القرآني وتاريخه ومحتوياته.[٣]

والتركيز على أن القرآن ليس كتابا يهدف إلى عرض بعض القوانين التي تتحكم في الكون " بل إن له هدفا دينيا جوهريا أسمى من ذلك" .وأن أوصاف القدرة الإلهية التي تزخر بها آيات القرآن هي المناسبة الرئيسة في توجيه الدعوات للبشر لكي يتأملوا في أعمال الخلق. وتصاحب هذه الدعوات إشارات إلى أمور يمكن للملاحظة الإنسانية أن تدركها ،أو قوانين عرَّفها الله. [٤]

---

(1) انظر : "ما أصل الإنسان" ، ص١٧٧.

(2) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر : "ما أصل الإنسان" ص١٧٧. وانظر أيضًا : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ص١٤١.

(4) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٥٣.

ـ صحة تدوين القرآن الكريم لدى "بوكاي":

يرى الدكتور "بوكاي" أن صحة القرآن الكريم أمر لا يقبل الجدل ، وهذا بدوره يجعل للنص القرآني مكانة خاصة بين كتب الوحي السماوية ولا يشترك مع نص القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد. [1] وذلك لسبب بسيط وهو أن القرآن قد ثبت في عصر النبي (ﷺ) ... ، ولأنه فور تنزيله وأولاً بأول كان النبي (ﷺ) والمؤمنون من حوله يتلونه عن ظهر قلب ، وكان الكتبة من صحبه يدونونه ... وظل الأمر هكذا حتى موت النبي (ﷺ) وذلك في عصر لا يستطيع فيه كل إنسان أن يكتب ، وإن كان يستطيع أن يحفظ عن ظهر قلب، حيث تصبح التلاوة ذات فائدة لا تقدر ، وذلك لإمكانياتها تحقيق الفوائد العديدة التي تعطيها ساعة التثبيت النهائي للنص .[2]

كما أن هناك نصوصًا تثبت صراحة أن ما قد أنزل على محمد (ﷺ) من القرآن قبل مغادرته مكة إلى المدينة كان مثبوتًا بالكتابة، كما أن من المعروف أن محمد (ﷺ) وصحبه من حوله قد اعتادوا تلاوة النص إلى أمور لا تتفق مع الواقع، على حين يمكن التحقق منها لدى كتبة النبي (ﷺ)، وهناك أربع سور في القرآن تشير إلى تسجيل القرآن قبل أن يغادر النبي (ﷺ) مكة عام ٦٢٢م . [3]

{ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ } [4]

{ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [5]

{ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[6]

{ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا }[7]

---

[1] انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٥٨.

[2] انظر : السابق ، ص١٥٩. وانظر: "ما أصل الإنسان؟" ص١٨١ : ١٨٢.

[3] انظر : السابق ، ص١٦٠.

[4] سورة عبس : الآيات من ١١ : ١٦.

[5] سورة البروج : الآيتان ٢١ : ٢٢.

[6] سورة الواقعة : الآيات من ٧٧ : ٨٨.

[7] سورة الفرقان : آية ٥.

والمقصود هنا في هذه الآية الأخيرة الإشارة اتهامات أعداء النبي (ﷺ) له بالكذب والادعاء . وقد أشاعوا أن أساطير الأولين كانت تملى عليه، وأنه بدوره اكتتبها، وهذه الكلمة يمكن أن تعنى أنه كاتب يكتب أو يستكتب ، وأيًا كان الأمر فالآية تشير إلى هذا التسجيل بالكتابة الذي ينوه به حتى أعداء محمد (ﷺ) .[١]

ولكن يبقى السؤال : إنَّ كان محمدًا (ﷺ) كان أميا فكيف تم تدوين القرآن؟

• تدوين القرآن الكريم :

يخبرنا القرآن الكريم نفسه بأنه سجل في حياة النبي (ﷺ).ومن المعلوم أنه كان حول محمد (ﷺ) كتبه عديدين ، ومنهم زيد بن ثابت المشهور الذي خلد اسمه[٢] وتجمع المصادر على أن النبي (ﷺ) كان يدعو واحدا من صحابته كلما أُنْزل جزءً من القرآن ليمليه ويحدد في الوقت نفسه مكان هذا الجزء الجديد بين مجموع ما نزل عليه سلفًا. وتحدد الروايات أن النبي (ﷺ) كان يطلب إلى كاتبه بعد الإملاء أن يقرأ له ما كتب حتى يستطيع أن يصحح ما قد يكون ناقصًا. [٣]

وهناك رواية أخرى مشهورة تقول بأن النبي (ﷺ) كان يتلو أمام جبريل في رمضان كل عام القرآن الذي أنزل عليه إلى حينذاك[٤]، وأن جبريل قد استقرأ النبي (ﷺ) إياه مرتين في شهر رمضان السابق على وفاته[٥] وهو ما يسمى عند المسلمين بالعرضة، ومعلوم أيضا أن المسلمين في عصر النبي (ﷺ) كانوا قد اعتادوا السهر في رمضان يسمعون القرآن كله في صلاة التراويح. [٦]

---

(1) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " ص١٦١ ، وانظر : "ما أصل الإنسان ؟ " ، ص١٨١.

(2) هو الصحابي الجليل : زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد أبو سعيد. ويقال أبو خارجة الأنصارى الخزرجى صحابي جليل. قدم رسول الله ﷺ المدينة وزيد ابن إحدى عشرة سنة. وكان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ وقد تعلم العبرانية فى سبع عشرة ليلة بأمر رسول الله ﷺ. وكان زيد مرجعًا للفتوى والقضاء والقراءة والفرائض ، توفى سنة ٥١هـ . وقيل سنة ٥٥هـ. (سير أعلام النبلاء، جـ٢ ، ص٢٢٠-٤٤١).

(3) انظر : السابق ، ص١٦١.

(4) انظر: صحيح البخاري، كتاب : بدء الوحي باب : بدء الوحي برقم (٥).

(5) انظر: صحيح البخاري، كتاب : فضائل القرآن الكريم، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ برقم (٤٦١٤).

(6) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص١٦١ – ١٦٣.

وتضيف مصادر عديدة أن زيد بن ثابت ، كاتب النبي (ﷺ) كان حاضرا عند آخر تجميع للنص ، وهناك مصادر تتحدث عن كتبة آخرين عديدين[١] ، هذا وقد استخدمت أشياء متنوعة لإتمام أول تدوين للقرآن مثل :

الرّق والجلد والألواح الخشبية وعظام لوح البعير [٢] وأحجار الحفر الطرية كما أن محمدًا(ﷺ) أوصى المؤمنين في الوقت ذاته بحفظ القرآن عن ظهر قلب، وذلك ما فعلوه بالنسبة لكل ما يتلى منه في الصلاة أو بالنسبة لجزء منه. وبهذا ظهر الحافظون الذين يعرفون القرآن كليه حفظًا؛ ويقومون بنشره بين الناس.

وهكذا تتضح القيمة الثمينة لذلك المنهج المزدوج في حفظ النص (بالكتابة والحفظ في الذاكرة). [٣]

- مراحل تدوين المصحف :

بعد موت النبي (ﷺ) (٦٣٢م) دعت الحاجة إلى القيام بتجميع وثائق المصحف ومقابلتها لجعل القرآن مصحفا واحدا ، وكان من أهم الأسباب التي دعت المسلمين إلى ذلك هو أن الإسلام قد انتشر بسرعة فائقة في العقود الأولى التي تلت وفاة محمد (ﷺ) . وقد تم هذا الانتشار وسط شعوب كانت تتحدث بلغات غير العربية . وكان لابد من الاحتياطات اللازمة لضمان انتشار النص في نقائه الأصلي . [٤]

وقد تمت هذه العملية على مراحل مختلفة :

١- بعد موت النبي (ﷺ)(٦٣٢م) بقليل طلب خليفته أبو بكر ، أول خليفة للمسلمين إلى زيد بن ثابت أول كاتب للنبي (ﷺ) أن يُعدَّ نسخة من القرآن ففعل. ثم قام زيد بن ثابت ، إتباعا لمشورة عمر (ولم يكن خليفة بعد) باستشارة كل من استطاع أن يجمع من وثائق بالمدينة ؛ من شهادات الحافظين إلى نسخ الكتاب المكتوبة على أشياء مختلفة وفي حوزة بعض الخاصة ، كل ذلك لتلافي أي خطأ ممكن من التسجيل . وهكذا أمكن الحصول على نسخة أمينة للكتاب.[٥]

---

[1] انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٦١. وانظر أيضًا : " ما أصل الإنسان؟" ، ص١٨١.

[2] الرَّقة بالفتح : ما يكتب فيه ، وهو جلد رقيق ، ومنه قوله تعالى : "فى رق منشور" (سورة الطور:آية٣) (انظر : مختار الصحاح : مادة رق).

[3] انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٦٢. وانظر أيضًا : " ما أصل الإنسان ؟" ، ص١٨١.

[4] انظر : السبق ، ص١٦٣.

[5] انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ص١٦٢. وانظر أيضًا : " ما أصل الإنسان؟" ، ص١٨٢،١٨١.

٢- تقول لنا المصادر إن عمر ، الذي ولى أبا بكر في الخلافة سنة ٦٣٤ ، هو الذي جعل من القرآن مصحفا واحدا . وقد احتفظ به وأعطاه عند موته إلى ابنته حفصة زوج النبي (ﷺ) . [١]

٣- كلف ثالث الخلفاء الراشدين ، عثمان ، الذي ولي الخلافة (من سنة ٦٤٤ إلى ٦٥٥ ميلادية) ، لجنة من الخبراء بعمل المقابلة الكبيرة ، التي تحمل اسمه.

رصدت هذه المقابلة صحة الوثيقة المقامة في عهد أبي بكر ، والتي كانت في حوزة حفصة في ذلك الوقت. وقد استشارت اللجنة مسلمين يحفظون النص عن ظهر قلب. وقد تمت عملية تحقيق صحة النص هذه بمنتهى الدقة. ورؤي ضرورة مطابقة الشهادات ، وذلك لضبط أقل آية تسمح بأي جدل. ومن المعلوم أن بعض آيات القرآن قد تنسخ آيات أخرى تخص الفروض ، وذلك أمر مفهوم تماما إذا تذكرنا أن رسالة محمد (ﷺ) تمتد إلى عشرين عاما تقريبا ، هكذا إذن انْتُهِيَ إلى نص تَتَبَعُ السور فيه – كما يعتقد اليوم – نفس النظام الذي اتبعه النبي (ﷺ) في تلاوته الكاملة له أيام شهر رمضان . [٢]

---

[1] انظر : السابق ، نفس الموضع.

[2] انظر: السابق نفسه، ومن الجدير بالذكر أن مسألة ترتيب آيات وسور القرآن الكريم أمر توقيفي ليس لأحد فيه رأي، وقد تضافرت الأدلة على ذلك، منها :

- أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير قال : قلت لعثمان : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة : ٢٣٤]، قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا ابن أخي لا أغير شيئًا من مكانه. [صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن، برقم (٤١٦٦)].
- وأخرج الإمام أحمد بن عثمان بن أبي العاص قال : كنت جالسًا عند رسول الله (ﷺ) إذ شخص ببصره ثم صوبه، ثم قال: "أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩] إلى آخرها [مسند الإمام أحمد برقم (١٧٢٤٠)].

وللتوسع فى هذه المسألة انظر:

- الإتقان في علوم القرآن، (١٩٦/١).
- البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٥٨/١ – ٢٥٩).
- نكت الانتصار لنقل القرآن، للباقلاني (ص٨٢ – ٨٣ – ٨٤).
- مناهل العرفان (٣٥٣/١).

وقد أرسل عثمان نسخا من هذا النص المحقق لمراكز الإمبراطورية الإسلامية، وتوجد اليوم "بطشقند" و"استنابول"[1] نسخ تنسب إلى عثمان.

وإذا نحينا جانبا ما قد يكون من أخطاء النسخ ، فإن أقدم الوثائق المعروفة في أيامنا ، والتي وجدت في كل العالم الإسلامي تطابق كل منها الأخرى تماما. وكذلك الأمر أيضًا بالنسبة للمخطوطات التي في حوزتنا في أوربا (توجد بالمكتبة الوطنية بباريس قطعة يرجع تاريخها – حسب تقرير الخبراء – (إلى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين) أي القرنين الثاني والثالث من الهجرة .[2]

*** رد بعض الاعتراضات على القرآن :**

يرفض الدكتور "بوكاي" المزاعم التي تتردد كثيرا لدى الغرب حول القرآن الكريم والتي منها أن هذا القرآن من تأليف محمد ؛ فيرد الدكتور "بوكاي" على هذا الزعم بقوله:

" إنه أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه النص القرآني لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة ، فهناك الخلق، وعلم الفلك، وعالم الحيوان ، والتناسل الإنساني . وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة لا نكتشف في القرآن أي خطأ . وهذا يدفع إلى التساؤل : لوكان كاتب القرآن إنسانا ، كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أن يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة؟ [3]

ليس هناك سبب خاص يدعو إلى الاعتقاد بأن أحد سكان شبه الجزيرة العربية... استطاع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية فيما يخص بعض الموضوعات .[4]

---

(1) طشقند : هى عاصمة جمهورية تركستان المستقلة ، وأما استانبول هى مدينة تقع فى تركيا وأصل اسمها (إسلام بول) من أشهر معالمها كنيسة أيا صوفيا وكانت استانبول حاضرة الدولة العثمانية منذ أن فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ.

(2) انظر : السابق ، ص١٦٣.

(3) انظر : السابق ص١٥٢.

(4) انظر : السابق ص١٥٢.

ومن الثابت فعلاً أن المعارف العلمية – في فترة تنزيل القرآن– كانت في مرحلة ركود وأن عصر الحضارة الإسلامية النشط كان لاحقا لنهاية تنزيل القرآن وهذا يجعلنا نفرض الاقتراح الغريب القائل بأنه : إذا كان في القرآن الكريم دعاوي ذات صفة علمية مثيرة للدهشة ؛ فسبب ذلك هو تقدم العلماء العرب على عصرهم، وأن محمدا (ﷺ) بالتالي قد استلهم دراساتهم. [١]

ويرفض "بوكاي" أيضا الزعم القائل بأن محمدا (ﷺ) كتب أو استكتب القرآن محاكيا التوراة ، وزاعمًا أن هناك أقوالاً قرآنية في التاريخ الديني تعيد أقوال التوراة والإنجيل.

يقرر "بوكاي" أن ذلك حكم بلا محاكمة ولا يضع مطلقا في اعتباره أن القرآن والتوراة والإنجيل قد تعطي عن نفس الحدث روايات مختلفة، كما أن أصحاب الرأي يفضلون السكوت على اختلاف الروايات . ثم يعلنون أنها متماثلة بالتالي يتحاشون تدخل المعارف العلمية . [٢]

كما أن الأخطاء العلمية الواردة في التوراة ويعالج القرآن نفس موضوعاتها لا يمكن القول أن مثل هذه الأخطاء تكون قد حذفت من القرآن منذ أول ظهورها ... كما أنه لو كان محمد قد ألف القرآن من التوراة فمن الصعب أن ندرك كيف أنه تمكن من كشف الأخطاء العلمية التي تعالج هذه الموضوعات المتنوعة ثم عمل على رفع كل واحدة منها عندما جاء ليؤلف نصوصه عن نفس الموضوعات.[٣]

ويضاف إلى كلام بوكاي السابق ما يلي :

- أن العرب إذا كانوا يألفون هذا الكلام من قبل من أهل الكتاب، فلماذا لم يكونوا هم أسبق من محمد (ﷺ) على أن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ من مثله أو بسورة واحدة قابلين بذلك تحدي القرآن الكريم لهم ووقفوا منبهرين مسلمين بإعجازه ؟

---

[1] انظر : السابق ، نفس الموضع.

[2] انظر : السابق ، ص١٥٦.

[3] انظر : " ما أصل الإنسان"، ص١٨٠.

- عرف محمد (ﷺ) أنه لم يكن يخرف في أسفار منفردًا ليلقي أحدًا من أهل الكتاب ليعلمه كل هذا القرآن الذي يحتاج إلى سنوات طوال لكي يُستكتب فيها، حتى يكون موافقاً لما يستكتب منه.
- عرفت العرب والعجم الأميين عن محمد (ﷺ) فكيف تمكن من كتابة كل هذا القرآن من غير أن يشعر به أحد؛ كما عرف عنه (ﷺ) أنه لم يكن يتلوا من قبل من كتاب ولا يخطه بيمينه كما حكى القرآن الكريم.
- إذا كان محمد (ﷺ) هو الذي استكتب القرآن، فما الذي يحمله على أن يترك الآيات التي يعاتبه فيها ربه سبحانه كـ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾[1] وكـ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[2].

****

[1] سورة عبس : الآية (١)

[2] سورة الأنفال: الآية (٦٧)

المبحث الثاني : أدلة صحة القرآن الكريم من العلم الحديث :

بعد أن قام الدكتور "بوكاي" بالرد على الزعم القائل بأن محمدًا قد استكتب القرآن من التوراة والإنجيل ، عمل على تأييد صحة ما ذهب إليه ؛ وذلك بذكر بعض الموضوعات العلمية التي جاء ذكرها في التوراة والقرآن ثم مقارنة ما جاء فيها من معلومات مع ما قُطِع بصحته من نظريات العلم الحديث . وسأكتفي هنا بذكر التفصيل في ذات النقطتين اللتين تناولناهما عند دراسة التوراة.

أولا : خلق العالم (السماوات والأرض)

أ) مراحل الخلق :

يختلف القرآن عن العهد القديم من حيث إنه يقدم رواية كاملة عن الخلق. فبدلا من الرواية الواحدة المستمرة نجد في أماكن متعددة من القرآن فقرات تذكر بعض جوانب رواية الخلق ، وعند الحديث عن الخلق في القرآن لابد من تجميع الفقرات المتناثرة في عدد هام من السور وسنجد أن : القول بأن رواية القرآن عن الخلق قريبة إلى حد كبير من رواية التوراة قول خاطيء لأن هناك اختلافات جليا . [١]

إن أيام الخلق الستة في التوراة تعادل الأيام الستة في القرآن ولكن المشكلة عند تمحيصها نجد ما يلي :

١- تذكر رواية التوراة وبدون أي غموض ، تمام الخلق في ستة أيام يتبعها يوم الراحة ، يوم السبت ، وذلك بالتجانس مع أيام الأسبوع . [٢]

٢- أما كلمة يوم في القرآن فلا تعني وحدات تتكون من أربع وعشرين ساعة بل قد تعني دهرا طويلا أو فترة من الزمن غير محدودة وإن طالت. [٣]

---

[1] انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٦٤.

[2] انظر : السابق ، ص١٦٦. وانظر أيضًا : "القرآن والعلم الحديث" ، ص٤٨ -٤٩. وانظر : "ما أصل الإنسان؟ " ، ص١٦٤ : ١٦٧.

[3] انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٦٦.

ومما يؤيد ذلك أن معنى "فترة زمنية" التي يمكن لكلمة أن تدل عليها موجود أيضا في القرآن في سورة السجدة نقرأ ما يلي: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [١]

ومما هو جدير بالملاحظة أن الآية السابقة على هذه الآية تذكر بالتحديد الخلـــق في ستة أيام. [٢] ويقول القرآن أيضا عن كلمة "يوم" : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [٣] فمن حقنا إذا أن نقبل – فيما يتعلق بخلق العالم – بقول القرآن ضـــمنا بفترات زمنية طويلة رقَّمَهَا بالعدد ستة.

كما أن العلم الحديث لم يسمح للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات المعقدة التي أدت إلى تشكل العالم هو ستة مراحل ، ولكنه قد أثبت بشكل قاطع أنهـــا فترات زمنية طويلة جدا . وأن هذا قد ذكره القرآن في واحدة مـــن أطـــول فقراتـــه واضعة جنبا إلى جنب رواية خاصة بأحوال دنيوية وأخرى سماوية.

يقول الله تعالى لنبيـــه (ﷺ) : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. [٤]

---

[1] سورة السجدة : آية ٥.

[2] والآية التي يقصدها "بوكاي" هنا قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ السجدة : آية ٤ .

[3] سورة المعارج : آية ٤.

[4] سورة فصلت : الآيات من ٩–١٢ ، وانظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ص١٦٧.

ب) القرآن لا يحدد ترتيبا في خلق السموات والأرض :

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن القرآن لا يحدد ترتيبا في خلق السموات والأرض .

فهناك آيتان في القرآن تشير إحداهما إلى خلق السماوات أولا [1] والأخرى تشير إلى خلق الأرض أولا . [2]

كما أن هناك عددًا صغيرًا من الآيات تشير إلى خلق الأرض أولا . [3] وعلى العكس من ذلك يوجد عدد أكبر من الآيات يشار فيها إلى خلق السموات قبل الأرض.[4]

يقرر الدكتور "بوكاي" أنه ليس في القرآن أي فقرة تحدد بشكل قاطع أي ترتيب بين خلق السموات والأرض باستثناء ما جاء في سورة النازعات في قوله تعالى : ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ .[5]

---

[1] يقصد "بوكاي" آية سورة الأعراف التي يقول الله تعالى فيها : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة الأعراف : آية ٥٤

[2] أما الأخرى فالمقصود بها آية سورة فصلت والتي يقول الله تعالى فيها : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ سورة فصلت : الآيات من ٩ : ١٢ .

[3] كما فى سورة البقرة آية ٢٩ ، وكما فى آية سورة طه رقم ٢٠.

[4] من ذلك ما جاء فى سورة الأعراف : آية ٥٤ ، وسورة يونس : آية ٣ ، وسورة هود : آية ٧ ، وسورة الفرقان : آية ٥٩ ، وسورة السجدة : آية ٤٤، وسورة ق : آية ٣٨ ، وسورة الحديد : آية ٤ ، وسورة الشمس : الآيات من ٥ : ١٠.

[5] سورة النازعات : الآيات من ٢٧ : ٣٣.

في هذه الآيات مجموعتان من الظواهر جزء منهما أرضي والآخر سماوي، وقد حدث كلاهما في اتصال مع الآخر . وبالتالي فذكر هاتين المجموعتين من الظواهر يعني أن الأرض كانت بالضرورة موجودة قبل أن تُمَدّ ، وعليه فقد كانت موجودة حين بنى الله السماوات.

وينتج من هذا فكرة المصاحبة الزمنية لنمو كل من السماوات والأرض بشكل تتداخل فيها الظاهرتان. (١)

كما يلاحظ على الوصف القرآني للشمس والقمر أنه دائما ما يصف القمر بالنور على حين يقرن الشمس بالسراج الذي ينتج الضوء. (٢) أما في التوراة يصف الشمس بأنها قد أصبحت نجما مضيئا بعد خلق الأرض.(٣)

والمعارف العلمية الحديثة لا تسمح لنا بالقول بأنه يمكن فصل أصول الشمس والقمر عن أصل الأرض . (٤)

ثانيا : رواية الطوفان :

يؤكد الدكتور "بوكاي" عند حديثه عن رواية الطوفان في القرآن الكريم ومدى تطابقها مع معطيات العلم الحديث أنه لابد أولا من ذكر أهم الملاحظات الرئيسة التي أثارتها التوراة عند تناولها لذات الحادثة (رواية الطوفان) فيذكر أهم هذه الملاحظات مطلقا أن رواية الطوفان في العهد القديم غير مقبولة في إطارها العام وذلك لسببين تظهرهما المعارف الحديثة :

---

(1) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٦٩.

(2) انظر : السابق ، ص١٧١.

(3) جاء ذلك فى سفر التكوين وهو يتحدث عن خلق الشمس والقمر فى اليوم الرابع بعد خلق الأرض فى اليوم الثالث ، وانظر أيضًا : سفر التكوين (الإصحاح الأول ، الفقرات من ١٤ : ١٩).

(4) انظر : " ما أصل الإنسان ؟ " ، ص١٦٥ ، وانظر : القرآن والعلم الحديث ، ص٤٨. وانظر أيضًا : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٤٤ : ٤٥.

أ) يعطي العهد القديم للطوفان طابعا عالميا .

ب) تنص التوراة على زمن للطوفان في عصر لم يكن من الممكن أن تقع به كارثة من هذا النوع.[١]

وإذا كان هذا الحال عند سرد رواية الطوفان في التوراة فإننا عند دراستها في القرآن لابد أن ننظر في مجرى الأحداث ... بالنسبة إلى السياق العام لعقوبات التي أنزلها الله على جماعات أذنبت بشكل خطير بتعديها على وصايا الله. لأنه إذا كانت التوراة تتحدث عن طوفان عالمي تعاقب به كل البشرية الكافرة كلها، نجد القرآن على العكس، من ذلك يشير إلى عقوبات عديدة نزلت على جماعات محددة تحديدًا دقيقًا. تشير إلى ذلك سورة الفرقان قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾[٢]

---

(1) والمقصود بذلك أن التوراة تصور أن الحادثة عالمية قد دمرت الحياة على كل سطح الأرض (باستثناء ركاب السفينة) ، فى القرن ٢١ أو ٢٢ ق.م ، وانظر : تفصيل هذه القضية فى الفصل السابق من هذه الدراسة.

(2) سورة الفرقان : الآيات من ٣٥ إلى ٣٩ ، وقد أشار الدكتور "بوكاي" أيضًا إلى ما جاء فى سورة الأعراف: من الآيات ٥٩ : ٩٣.

وعلى ذلك فالقرآن يقدم كارثة الطوفان باعتبارها عقابا نزل بشكل خاص على شعب نوح : وهذا يشكل الفرق الأساسي الأول بين الروايتين .[(1)]

أما الفرق الجوهري الثاني فهو أن القرآن – على عكس التوراة – لا يحدد زمن الطوفان ، ولا يعطي أية شارة عن مدة الكارثة نفسها .[(2)]

وإذا كانت روايات القرآن الكريم عن بعض الموضوعات المتعلقة بمعطيات علمية حديثة قد أثبتت صحة النص القرآني بلا ريب في ذلك عند الدكتور "بوكاي" خاصة إذا تمت المقارنة بين المعلومات الواردة في القرآن الكريم بنظيرها في الكتب المقدسة الأخرى . **فما هو موقف الدكتور "بوكاي" من ترجمة الغرب لهذا النص الصحيح الذى لا يأتيه الباطل من بيديه ولا من خلفه ؟**

---

(1) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٢٥٠، والحق أن هذا الكلام من بوكاي ليس محل اتفاق بين المفسرين من علماء المسلمين، وقد ورد ذكر الطوفان باللفظ صراحة مرة واحدة في القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : آية ١٤]، غير أنه قد أشير إليه بغير لفظة في قوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [سورة القمر: الآيتان ١١ – ١٢]، كما فصّلت لنا سورة هود قصد الطوفان عن نوح (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ هود : الآيات ٤٠ – ٤٤]، ومن هذه الآيات نجد رأيين لعلماء المسلمين حول هذه المسألة :

الأول : يرى بعض علماء التاريخ وبعض المفسرين أن الطوفان الذي أصاب قوم نوح لم يشمل كامل الكرة الأرضية، بل شمل منطقة معينة هى "وادي الرافدين" [انظر: الكامل في التاريخ (١/٧١ – ٧٣). وبعض أصحاب هذا الرأي استند في رأيه – أن النوع الإنساني لم يكن منتشراً في جميع أنحاء الكرة الأرضية [قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار، ص٣٦، مكتبة وهبة، ط٣، القاهرة د.ت).

الثاني: يرى أصحابه من أهل الكتاب وبعض المفسرين من المسلمين أن الطوفان حادثة كونية كبرى شملت أنحاء المعمورة ويؤيدون رأيهم بأن الجيولوجيون عثروا على أصداف وأسماك متحجرة في أعماق الجبال، وهي لا تكون عادة إلا في البحار [قصص الأنبياء ، ص٣٦ – ٣٧].

(2) انظر : السابق ، نفس الموضع.

المبحث الثالث: موقف "بوكاي" من ترجمة الغرب للقرآن الكريم :

مدخل :

إن إثبات "بوكاي" لمسألة صحة النص القرآنى – مقارنًا بغيره من الكتب المقدسة – جعلته يولي اهتمامًا كبيرًا بكثير من القضايا التى تخدم القرآن الكريم ، وبخاصة قضايا القرآن المتعلقة بعلاقة الغرب النصراني بذلك القرآن وبالأخص طائفة المنصرين منهم.

وكان على رأس هذه القضايا التي أولاها المنصرون اهتمامًا كبيرًا قضية تبنيهم لترجمة القرآن الكريم إلى لغاتهم ، حتى يَسْهُلَ عليهم التصدي والتنصير لطوائف المسلمين المنتشرة فى بلادهم.

وقبل أن نتحدث عن موقف "بوكاي" من نبى القرآن محمد (ﷺ) نشير أولاً إلى الجهود التي بذلها الدكتور "بوكاي" من أجل التوصل إلى منهج سديد فى ترجمة القرآن الكريم إلى الغرب ، وتحذير المسلمين من الأخطاء الفادحة والمتعمدة فى الترجمات التي يقوم على شأنها غير المسلمين.

وإبراز أهم الأهداف التى يسعى المنصرون من ورائها إلى ترجمة النص القرآني.

كان نشاط المنصرين في القرن التاسع عشر وخاصة في أواخره ومع بدايات القرن العشرين من أخصب الفترات الزمنية التي نشط فيها النشاط التنصيري ؛ وكان هذا النشاط ملحوظًا جدًا حتى إن القس "زويمر[1] قام بتوزيع الرسائل التنصيرية في صحن الأزهر الشريف وذلك في ضحى يوم ١٧ من إبريل لعام ١٩٢٨م حيث ذهب إلى الأزهر وبصحبته ثلاثة من المنصرين الأجانب من بينهم إمرأة، ودخلوا درس الشيخ

---

[1] القس زويمر : هو صموئيل زويمر ، مستشرق ومنصر أمريكى ، مؤسس مجلة (العالم الإسلامى) الأمريكية التبشيرية ، ورئيس إرسالية التبشير فى البحرين ، ورئيس جمعيات التنصير فى الشرق الأوسط، ورأس كثير من مؤتمرات التنصير في العالم ، ومن أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث، لدرجة أنه أسس معهدًا سمى باسمه وهو من أشهر المراكز والمعاهد التنصيرية معهد صموئيل زويمر في ولاية كاليفورنيا (انظر: الإستشراق والتبشير للدكتور مشاعل علي ص١٥٦).

سرور الزنكلوني[1] وهو يدرس لطلابه التفسير ، وقاموا بتوزيع الرسائل التنصيرية.[2]

فازدياد نشاط المنصرين تبعه – بلا شك – نشاطهم في إثارة الشبهات على القرآن الكريم ، ولعلَّ من الأسباب التي ساعدت المنصرين على فتحهم لباب الشبهات هو ترجمة القرآن الكريم إلى عدة ترجمات في العصر الحديث. ولهذا الأمر لم تأخذ خطوة تُرجمةِ القرآن الكريم في بدايتها موافقة إجماعية من علمائنا عليهم الرحمة فقد أفرد بعضهم دراسات مستقلة تحرم ترجمة القرآن العظيم، على حين رأى بعضهم الآخر أن المنصرين يفرضون بتحريم فقهاء المسلمين لترجمة القرآن فبهذا سيجد – أى المنصر – المسلمون غير العرب أنفسهم لا يعرفون العربية، ولن يجدوا ترجمة للقرآن بلغاتهم التي يعرفونها فتبقى الساحة فارغة للديانات الأخرى ، فعلى هذا الأساس أحل هؤلاء العلماء ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير لغته سدا لباب من الأبواب في وجوه المنصرين.[3] وبين الأخذ والرد بين علمائنا أصدر الأزهر الشريف فتوى بجواز ترجمة معاني القرآن الكريم – أي تفسيره – وذلك في مشيخة الشيخ

---

[1] الشيخ سرور الزنكلونى : هو الشيخ على سرور الزنكلونى من أبرز علماء الأزهر الوطنيين ، قاد مشايخ الأزهر مع المقاومة الوطنية ، سنة ١٩١٩م.

[2] انظر : "الجذور التأريخية لإرساليات التنصير الأجنبية فى مصر ، د / خالد محمد نعيم ص٢٠٢، دار المختار الإسلامي، القاهرة، سنة ١٩٨٨م.

[3] دراسات تحرم ترجمة القرآن الكريم : ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد ومنافاة الإسلام للشيخ محمد رشيد رضا.

- الفرقدان النيران في بعض المباحث المتعلقة بالقرآن محمد سعيد اليافى.
- حادث الأحداث في الإقدام على ترجمة القرآن للشيخ محمد سليمان القاضى بالمحكمة الشرعية العليا بمصر ١٣٥٥هـ.
- القول السديد فى حكمة ترجمةِ القرآن المجيد ، الشيخ محمد مصطفى الشاطر ، القاضى للمحكمة الشرعية لشبين الكوم ، سنة ١٣٥٥هـ ، سنة ١٩٣٦م.
- بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها للشيخ محمد مصطفى المراغى. نشرته مجلة الأزهر فى السنة ، عام ١٣٥٥هـ.
- ونشر قبلها فى سنة ١٩٣٦ الشيخ محمود شلتوت دراسة بعنوان "ترجمة القرآن ونصوص العلماء فيها " نشرته مجلة الأزهر أيضًا ١٣٥٥هـ فى السنة السابعة وما بعدها كلها فى تحريم القرآن.

المراغي[1] – رحمه الله – والشيخ عبد المجيد سليم[2] مفتي الديار المصرية ومعهم جبهة كبار العلماء ، وقيدت جبهة العلماء ذلك بأن تكون الترجمة مصحوبة بكتاب تفسير معاني القرآن الكريم باللغة العربية ، ولكن الشيخ المراغي رأى أن هذا الشرط لا داعي له.[3]

ولما كانت ترجمة القرآن الكريم إلى غير لغته عاملا من العوامل التي تُعَرِّف غير العربي بدستور الإسلام، ووسيلة من الوسائل المهمة لدعوة غير المسلمين إلى الله – لهذا السبب – لفتت نظر "موريس بوكاي" وغيره من علماء المسلمين ، وألح كغيره من المسلمين على ضرورة وجود منهج منضبط محكوم يخرج بها فى أحسن صورة قريبة مما هي عليه في لغته الأصلية ، أو تكاد تقترب منها قدر الطاقة ، وبذل "بوكاي" جهودًا مع بعض علماء المسلمين في الوصول إلى هذه الغاية ، ووضح بعض أوجه الفساد الموجودة في الترجمات المتداولة في الغرب ، وبين مدى تأثير هذا النوع من الترجمة تأثيرًا سلبيًا على العقلية الغربية، وأن ذلك مدعاة للصد عن القرآن الكريم وعن نبيه محمدٍ (ﷺ) ، وذلك لأن معظم الترجمات الموجودة والمتداولة قام على أمرها غربيون يهدفون من ورائها إلى أغراض دينية ضد الإسلام .

وقبل أن نستعرض جهود الدكتور "بوكاي" في بيان أهداف الغرب من وراء هذا النوع من الترجمات نذكر البدايات الأولى لهذه الترجمات القرآنية، وبيان بعض الأغراض لدى من قاموا بها.

---

(1) الشيخ المراغى : هو الشيخ محمد مصطفى المراغى الحفض ، ولد بمراغة من جرجا ، تولى مشيخة الأزهر الشريف عام ١٩٢٨م ثم استقال منها ١٩٣٠م ، ثم اختاره المشايخ والعلماء شيخًا للأزهر عام ١٩٣٥م ، وظل بها حتى توفًى عام ١٩٤٥م.

(2) الشيخ عبد المجيد سليم : من مواليد ميت شهالة ، مركز الشهداء بالمنوفية ، تولى مشيخة الأزهر عامى ١٩٥٠م ، ١٩٥١م.

(3) " المستشرقون وترجمة القرآن الكريم" ، ص٩٤ ، وما بعدها، د/محمد صالح البنداق، منشورات دار الأوقاف الجديدة، بيروت الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

**** أهمية ترجمة القرآن بالنسبة للغرب :**

إن القرآن الكريم يأتي في مقدمة الكتب التي ترجمت في العالم إلى لغات غير لغته وقد تعددت الأغراض والمقاصد وراء هذه الترجمات ، وخاصة عند غير المسلمين ، فمنها كان إرضاء الفضول لديهم عن القرآن ، وغالبها كان لأهداف استعمارية حاولوا من خلالها تجنيد طائفة من الدارسين الغربيين – الذين أطلق عليهم لفظ المستشرقين – وهؤلاء تنوعت الأغراض عندهم بين دينية وعلمية وسياسية ، تَقْدُمُ هذه الأغراض جميعها الأغراض الدينية، والتي من أهمها : [1]

أولا : محاولة تنصير المسلمين ، وذلك بنشر النصرانية بين المسلمين في البلاد الفقيرة أو تشجيعهم على اعتناق النصرانية .

ثانيا : حماية النصارى من خطر الإسلام ، وذلك بحجب حقائقه عنهم وتحذيرهم من الاستسلام لهذا الدين .

ثالثا : محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه وإبرازها ، والزعم أنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية ، والانتقاص من قيمته والحط من قدر نبيه(ﷺ).

رابعا : تشكيك المسلمين في أمور دينهم وزعزعة عقيدتهم عن طريق إثارة الشبهات واختلاق الأكاذيب حولها ، من أمثلة ادعائهم أن القرآن ليس من عند الله ، وإنما هو من صنع بشر هو محمد ، ومرة أخرى يقولون إنه من صنع (بحيري الراهب) [2] ، أو (بلعام).[3]

ومن الأغراض التي قد تضاف إلى ما سبق والتي ظهرت في الترجمات الحديثة هي:

---

[1] انظر كتابه : "المستشرقون والخلفية الفكرية للصراع الحضارى"، ص٧٢ ، وما بعدها.سلسلة كتاب الأمة، الدوحة ، المحاكم الشرعية بدولة قطر، سنة١٤٠٤هـ.

[2] بحيرى الراهب : هو راهب نصرانى كان يعيش فى صومعة له ببصرى فى أرض الشام ، ورد فى حديث مرسل ضعيف أنه رأى النبى (ﷺ) وهو ابن ثمانى سنوات فبشر عمه أبا طالب بنبوته ، (انظر صحيح السيرة النبوية ، ص٢٩، للعلامة الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان – الأردن – الطبعة الأولى).

[3] بلعام : ورد عند أصحاب السيَّر أن رسول الله (ﷺ) كان يعلم قينا بمكة وكان اسمه بلعام وكان أعجمى اللسان وكان المشركون يرون رسول الله (ﷺ) يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا : إنما يعلمه بلعام فأنزل الله هذه الآية : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ﴾ (سورة النحل : آية ١٠٣) انظر تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٦٠٣-٦٠٤ ، تحقيق سامى سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١- بيان تصادم القرآن الكريم مع معطيات العلم الحديث ، وذلك بترجمة الآيات العلمية بمصطلحات تخالف المعنى المقصود .[١]

٢- محاولة التركيز على إثارة بعض المشكلات الفكرية التي انشغل بها المسلمون في تاريخهم المجيد ، مثل قضية خلق القرآن ، وذلك من خلال محاولة الإشارة إلى ألفاظ القرآن الكريم إلى أنها عربية أو حتى قريشية.[٢]

٣- ومنها في العصر الحديث الترويج لفكرة أن القرآن الكريم هو سبب تأخر المسلمين ، وكانوا يصرحون بذلك عادة في مقدماتهم التي يقدمون بها لترجماتهم للقرآن الكريم.[٣]

****

[1] سيأتى إن شاء الله توضيح النماذج عند الحديث عن موقف الدكتور "بوكاي" من الترجمات الغربية للقرآن وأهم مساوئها.

[2] انظر : "ترجمات القرآن الكريم إلى أين ؟ " للدكتورة : زينب عبد العزيز ، ص١٧ ، دار الهداية ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

[3] "المستشرقون وترجمة القرآن" ص٩٥.

ومن أمثلة هذه المقدمات : مقدمة جاك بيرك لترجمته للقرآن الكريم ومقدمة جرجس سال والتي بعنوان : "مقالة في الإسلام" وكانوا ينشرون هذه المقدمات قبل الترجمات مستندين في إثارة الشبهات على المصادر اليهودية. انظر : "المستشرقون وترجمة القرآن " ص١٠٠.

*** * البدايات الأولى لترجمة القرآن الكريم لدى الغرب ومدى اهتمام الغرب بدراسة القرآن الكريم :**

لما تعددت الأهداف من ترجمة القرآن الكريم -على النحو الذي مرَّ ذكره- عند الغرب والتي بدت في أولها ذات أغراضٍ دينية ، حيث تطورت أيضا هذه الأهداف فيما بعد حتى صارت أهدافا جدلية الغرضُ منها المحاجة العقلية بين المسلمين والغرب. [١] إذ إن القرآن منذ عصر النهضة الأوربية تعرض لحملة شديدة من الفكر الغربي إذ أقبل العلماء والمفكرون والقساوسة والمستشرقون على ترجمات حوت عددًا غير قليل من الأخطاء والانتقادات. كما عنى علماء الاستشراق بتأليف دراسات متخصصة في تفسيره وتاريخه والرد عليه. [٢] وكان بعض هذه الترجمات يخرج تحت مسمى " قرآن محمد " وبعضها بعنوان " قرآن الترك" أو " كتاب نبي الأتراك " . [٣]

ومن أوائل الترجمات الغربية للقرآن الكريم بشكل عام تلك الترجمة التي كانت في دير " كليني " (Cluny) في جنوب فرنسا ، وهو من الأديرة التي كان بها مركز للدراسات العربية ، فقد أصدر راعي الدير (بطرس مونيوازبيه) Pierre Montboisier الملقب بالمبجل Venerable تعليماته الخاصة بوضع ترجمة للقرآن باللاتينية بغرض تفنيده ، وذلك في مقابل أجر طائل ، وقد اشترك في هذه الترجمة ثلاثة من الرهبان ، منهم إنجليزي يسمى " روبرتوس رتينسيس Robertos Retenesis ، وثانيهما ألماني ويسمى " هرمانوس الدلماس " Hermanusta Delma. والثالث أسباني عربي ، وقد استغرقت هذه المهمة ثلاث سنوات (١١٤١ – ١١٤٣ م) .

---

[1] "الإنتاج الفكرى حول القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والفرنسية فى القرن العشرين" ، ص٢٣ ، رسالة ماجستير بكلية الآداب، إعداد الباحثة : أماني زكريا الرمادي، بإشراف الأستاذ الدكتور: فتحي عبد الهادي، ومشاركة د/ محمد محمود السروجي – جامعة الإسكندرية ، سنة ١٩٩٣م.

[2] انظر : السابق ، ص٢٣.

[3] انظر : السابق ، نفس الصفحة.

خرجت بعدها الترجمة غير جديرة بالتسمية ، لكثرة ما فيها من حرية التبديل الذي لا يمكن تعليله ، والأخطاء التي لا حصر لها ، فضلا عن الحذف والإضافة حتى لم يبق بها من المشابهة للأصل إلا النادر الأقل . [١]

بقيت هذه الترجمة مخطوطًا ما لا يقل عن أربعة قرون ، طبعت بعدها على يد "ثيودور بلياندر" **Theodor Biliander** في مدينة بازل السويسرية.

وما كادت هذه الترجمة اللاتينية تنتشر – والتي ما كانت جديرة بأن تسمى ترجمة – حتى ترجمت إلى اللغات الحية : الإيطالية والألمانية والهولندية، وهذا دليل على مبلغ اهتمام الغرب الأوربي بالإطلاع على القرآن . [٢]

أما اللغة الأسبانية ، فقد قام "إبراهام الطليطلي" بأمر ألفونسو العاشر (١٢٥٢ – ١٢٨٤) بترجمة سبعين سورة إلى اللغة الأسبانية، وكانت هذه الترجمة نواة للترجمة التي قام بها " بونافنتور " **Bonnaventur** إلى الفرنسية. [٣]

أما بالنسبة للغة الإيطالية فقد كانت ترجمة " أندريا أريفابيني " **Andrea Arrivabene** المنشورة عام ١٥٤٧م أول ترجمة إلى لغة أوربية حديثة ، وقد كان هذا النص هو الذي اعتمدت عليه أول ترجمة ظهرت باللغة الألمانية ، والتي قام بها سولومون شفايجر **Solomon Schweigger** وطبعت عام ١٦١٦م في نورنبرج ، وكانت بدورها أساسا لأول ترجمة طبعت في هامبورج سنة ١٦٤١م . [٤]

وأما عن ترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية فقد كانت أول ترجمة لأندريه دي يور **A-du Ryer** ، وهو فرنسي عاش في اسطنبول ، وكان عنوان ترجمته هو : "قرآن محمد " (**Alcoran de Mohmet**) وقد نشرت في باريس ١٦٤٧م ثم أعيدت طباعتها مرات عديدة وكانت أساسا لترجمات أوربية كثيرة. [٥]

---

(1) "تحت راية القرآن " : للرافعى – مقال بمجلة الهلال ، ديسمبر ١٩٧٠م ، ص١٠٧ ، وما بعدها.

(2) انظر : المصدر السابق ، ص١٠٧ : ١١٧.

(3) "الإنتاج الفكرى حول القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والفرنسية" ، ص٢٤.

(4) انظر : السابق ، ص٢٤.

(5) انظر : السابق ، ص٢٤.

أما عن ترجمته إلى الإنجليزية والتي قام بها " ألكسندر روس Alexander Ross والذي نقلها عن ترجمة دي يور Du Ryer الفرنسية ، وطبعت أول مرة في لندن سنة ١٦٤٨م . [(١)]

وجدير بالذكر أن هناك ترجمات غير كاملة لبعض المختارات من القرآن الكريم ، من ذلك ترجمة عنونت باسم :

" هاهنا تبدأ رسالة صغيرة عن قانون الأتراك المسمى بالقرآن وهو يتحدث عن محمد الدجال المشعوذ [(٢)] – معاذ الله وتعالى النبي (ﷺ) عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا.

Here begynneth alytell tre tyse of the turkes law called Alcoran and Also it speketh of machamet the nygromancer .

وهذه الترجمة تنبئ تصريحا عن رسوخ الأهداف والنوايا منذ عهد قديم على سب الإسلام ونبيه ، وتوضح كذلك أن الغرض من الترجمة هو التشهير بالإسلام وأهله . " وجاءت هذه الترجمة في إحدى وستين صفحة بالإضافة إلى المقدمة التي سبقتها ".[(٣)]

****

(1) انظر : السابق ، ص٢٤.

(2) انظر : السابق ، ص٢٥ ، وانظر أيضًا : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٥٠.

(3) انظر : السابق ، نفس الموضع.

* أشهر الترجمات القرآنية في العصر الحديث :

في السطور القليلة الماضية حاول البحث أن يلقي الضوء على البدايات الأولى للترجمات القرآنية لدى الغرب ، وقد نشطت هذه الترجمات -فيما بعد- حدًا ، بلغت معه إلى أن وصلت إلى ما يزيد عن مائة وعشرين ترجمة ، وقعت في حوالي خمس وثلاثين لغة ما بين شرقية وغربية[1] وأكثر هذه الترجمات بالطبع هي الإنجليزية – الفرنسية – الألمانية – الإيطالية. ولكن يبقى السؤال : هل استمرت هذه الترجمات تحمل روح العداء القديم للإسلام والذي أذكت نيرانه البداياتُ الأولى للترجمة القرآنية؟

لعل استعراضنا لبعض النماذج الحديثة لأشهر الترجمات القرآنية وتوضيح رأي علماء المسلمين فيها ، يستطيع أن يجيب على هذا التساؤل، وخاصة إذا كان الْحَكَمُ على هذه اللغة المترجم إليها النص رجل من أهلها ، وصار بعد يعرف اللغة العربية (المترجم منها) فأصبح يملك أداة المقارنة ، ويصبح كذلك قادرا على تمييز الخبيث من الطيب وينبيء عن كثير مما تخفيه صدور كثير منهم نحو الإسلام وأهله من حقد دفين للإسلام وأهله ونبيه(ﷺ) خاصة.

****

(1) انظر: "حول الإعجاز العلمى للقرآن الكريم" ، جـ٢/١٩١ ، مرجع سابق.

**** نقد "بوكاي" لترجمة الغرب للقرآن الكريم :**

حاول البحث في الصفحات السابقة أن يلقي الضوء على بعض مناهج المستشرقين في ترجمتهم لمعاني القرآن وحاول – كذلك – لفت الأنظار إلى بعض الأغراض الدينية وراء اهتمامهم بترجمة النص القرآني والتي كان من أولاها أهمية عندهم هي تشويه الإسلام ونبيه ، والتركيز على أن هذا القرآن إنما هو كلام من عند محمد . ولا يخفىَ على أحد من المسلمين خطورة ذلك في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام . ولخطورة هذه القضية فقد لفتت انتباه الدكتور "موريس بوكاي" في أوائل حياته الإسلامية وهو يخط أول سطور له في الإسلام إذ يرى أن المادي الملحد لا يرى في المسيحية الكلاسيكية إلا نظاما إتبناه البشر منذ حوالي ألفي عام لإرساء سلطة لأقلية قليلة على بشر مثلها ... وإذا ما حدثوه عن الإسلام فإنه يبتسم بغرور لا يماثله إلا جهله بالموضوع وكمعظم المثقفين الغربيين ، فإنه يملك عن الإسلام كما هائلا من الأفكار الخاطئة.(١)

ثم يبين الدكتور "بوكاي" أسباب ذلك فيقول : علينا أن نسمح له ببعض الأعذار ، وذلك لأن الإسلام في بلادنا ومنذ عهد يُعْرَف إلى أي حد شُوِّه تاريخ الإسلام وعقيدته وأهدافه ... وعلينا أن نُدْخِلَ في حسابنا أن الوثائق المنشورة باللغات الغربية في هذا الموضوع لا تسهل مهمة البحث لمن يريد أن يتعلم.(٢)

كما أن هناك أجزاءً من القرآن وخاصة ما كان لها ارتباط بمعطيات العلم قد تُرجم بشكل سيء(٣) ، أو علق عليها بحيث يكون من حق العالم أن يدفع بانتقادات لا

---

(1) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ص١٤٩.

(2) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل" ص١٤٩.

(3)ولعل الدكتور "بوكاي" قصد الآيات المرتبطة بالمعطيات العلمية دون غيرها لأنه كان يركز عليها طوال فترة بحثه ، ومقارنته بين الكتب المقدسة الثلاثة ولكن الأخطاء في الترجمات القرآنية عند الغرب في هذا الباب – أيضا – كثيرة جدا وليس في هذا الحقل وحده ، من ذلك ما ذكره الرافعي في كتابه " إعجاز القرآن وهو يتحدث عن أشهر وأدق ترجمة للقرآن باللغة الفرنسية يقول : إنها ترجمت الآية القرآنية : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (البقرة:آية ١٨٧) يقول : كانت الترجمة هكذا : " هن بنطلونات لكم وأنتم بنطلونات لهن " ثم يعلق قائلا : فهذا خطأ قاتل في مسألة ظاهرة مفهومة غاية الفهم معلومة غاية العلم ، ومع ذلك كانت الترجمة مثيرة للضحك داعية للتعجب والاستغراب، فإن كتابا يصف النساء بأنهن بنطلونات للرجال وأن الرجال بدورهم بنطلونات للنساء يستحيل الإيمان به أو السير على ما فيه، [إعجاز القرآن للرافعي، ص٢٤٨]، مكتبة الإيمان، ط١، سنة ١٩٩٧م.

يستحقها القرآن في الواقع ، كما أن الأخطاء الراجعة إلى الترجمة أو تلك التعليقات المغلوطة (وكثيرا ما يجتمع الإثنان) ، لم تكن تثير الدهشة منذ قرن أو اثنين ، ولكنها اليوم تصدم رجل العلم. فأمام جملة سيئة تحتمل الترجمة على دعوى غير مقبولة علميا ينقاد العالم إلى أن يرفض النظر إليها بشكل جاد .[١]

ولكي يتخلص "بوكاي" من هذه الترجمات والأغاليط التي ذكرها استطاع – على حد قوله – قياس المسافة التي تفصل بين واقع الإسلام ؛ وبين الصورة التي اختلقها الغرب عن الإسلام وأهله – حينئذ شعر بالحاجة إلى تعلم اللغة العربية حتى يكون قادرا على التقدم في دراسة هذا الدين الذي يجهله الكثيرون.[٢]

إن أي تأمل في آفاق انتشار الإسلام وذيوعه في القرن الخامس عشر الهجري ، ليقتضى منا أن نتساءل عن الطريقة التي يعرض بها على الناس والتي بها يعلم ويفسر ، ولن يتحقق هذا الهدف بدون انتشار للمعرفة بالقرآن معرفة صحيحة ، وإني أستبعد عن نفسي أي نية بالتفكير في تعليم القرآن في البلدان المتحدثة باللسان العربي حيث أود أن أنظر فقط في مسألة المعرفة التي تنشر عن القرآن في البلاد الغربية غير المسلمة ، فلا مناص للتعريف به هنا. والذي نستطيع الركون إليه هو رأي المتخصصين من أعلى المستويات ، وهم الجامعيون المتخصصون في البحوث الإسلامية ، لكن ما من حاجة إلى التأكيد على أن كثيرًا من هؤلاء –فيما عدا بعض الاستثناءات المشجعة – يعرضون القرآن – قبل كل شيء – كما يودون له أن يكون ، لا كما هو في ماهيته .[٣]

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص١٥٠.

(2) انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٥٠.

(3) انظر : "أفكار أوحت بها تجربة شخصية" ، للدكتور "موريس بوكاي". مقال بمجلة الأصالة ، ص٩٢ (ذو القعدة ١٤٠٠هـ – أكتوبر ١٩٨٠ ميلادية – العد ٨٥).

– وانظر أيضًا : مقال الدكتور "بوكاي" بعنوان : أخطاء الترجمات والتفاسير حول بعض الآيات القرآنية ، ص٧٠، مجلة الفكر الإسلامى ، العدد الأول – السنة الحادية عشر – ربيع الأول سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

وإذا رجعنا إلى الترجمات الصادرة عن المتخصصين في البحوث الإسلامية أو مختلف المستشرقين ... نجد أن الترجمات تسيء إرشادنا، وهي تضل القاريء لأسباب عديدة .(١)

وهذا يؤدي إلى أنه من الصعب على رجل من الغرب لا يحسن اللغة العربية ، ويعيش في وسط يظهر في غالب الأحيان عداوة للإسلام أن تكون له فكرة صحيحة عن القرآن ، فالتعاليم التي يتلقاها ، والتصريحات التي يسمعها من أناس مأذون لهم – على ما يظهر – بالتحدث فيه ، أو يقرؤها في كتب عديدة تساهم جميعا في إعطاء صورة مشوهة عنه ، والرأي الذي قد يتراءى أكثر سدادًا الوفاء للنص ، وأن القرآن لا يقبل التقليد في لغة أجنبية عن اللغة العربية ، وهناك آيات قرآنية من ناحية أخرى هي فوق مستوى إدراك الإنسان وفهمه : والقرآن نفسه يخبرنا في آية ٧ من سورة آل عمران أن الله وحده الذي يعلم تأويله :﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾(٢)

إن المُراجِعَ العادل لنص القرآن ، يدهشه أن يجد نفسه أمام عرض لمفاهيم لم تكن معروفة في عهد النبي (ﷺ) ، وهذا أقل ما يمكن أن يقال فيها ، وأن ما يثير دهشته أكثر من وجود هذه المفاهيم في الكتاب ، ما يقرؤه في النص الأصلي من وصف (النبي الأمي). (٣)

---

(1) انظر : "أفكار أوحت بها تجربة شخصية " ، مقال سابق ، ص٩٣.

(2) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر : **Reflexion sur le coron, page 232, (segners) Paris 1989**

والآية التي يقصدها الدكتور "بوكاي" هي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:آية ١٥٧)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: آية ١٥٨).

**** أسباب أخطاء الترجمة :**

يرجع الدكتور "بوكاي" أسباب أخطاء الترجمة إلى أن المترجمين المحدثين يستعملون في أحيان كثيرة ، ودون روح نقدية كافة تفسيرات معلقين قدامى ، وقد كان لهؤلاء في عصرهم عذر إعطاء تعريف غير دقيق لكلمة قد تكون متعددة المعاني لم يكن باستطاعتهم فهم المعنى الفعلي للكلمة أو للجملة. فهناك من المعاني ما لم يظهر إلا في أيامنا فقط بفضل معارفنا العلمية .[1] ومن الأسباب أيضا التعمد في إيراد بعض الأشياء في الترجمة وليس لها أصل في النص العربي وهذا التعمد يأخذ عدة صور.

هناك من المترجمين ، بل من أكثر مترجمي القرآن شهرة ، من لم يفلت من تلك العادة التليدة ، عادة أن يضعوا في ترجماتهم ما لا يوجد في النص العربي. في الحقيقة ، ودون تحريف للنص يمكن إضافة عناوين غير موجودة في النص الأصلي، من شأنها أن تعدل المعنى العام .

فهكذا ألحق (ر. بلاشير R.Blachere) في ترجمته الشهيرة عنوانا غير موجود في القرآن ، فقد وضع العنوان التالي

" **فروض الحروب المقدسة**" Obligations de la Guerre sainte على رأس فقرة تدعو دون أي جدال إلى حمل السلاح ، وإن لم يكن لها ذلك الطابع الذي ينسب إليها كيف لا يقتنع القارئ الذي لا يقرأ القرآن إلا مترجما بأن على المسلم فرض أداء "الحرب المقدسة ".[2]

---

[1] انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٥٠.

[2] انظر : السابق ، ص١٤٥ ، والمترجم الذي يقصده الدكتور "بوكاي" (ر. بلاشير R. Blachere) فى ترجمته الشهيرة للقرآن الكريم، والتي جاءت في ثلاثة أجزاء وطبعت بباريس، سنة ١٩٦٦، وبلاشير مستشرق فرنسى ولد فى باريس ١٩٠٠، وسافر مع الاستعمار الفرنسي إلى بلاد المغرب العربي، واستقر بمراكش بالمغرب أكثر من عشرة أعوام ، وفي سنة ١٩٣٥ خُصِصَ له منبر في معهد العلوم الشرقية ، ثم في سنة ١٩٥٠ عين مفتشا عامًا لمدارس اللغة العربية فى فرنسا ، ثم عمل أستاذًا للغة العربية فى السوربون. انظر : (مجلة العربى ، ص٦٩ العدد ٥٦٤ نوفمبر ٢٠٠٥م).

ومن أخطر الأمثلة على تعمد الأخطاء ما يقوله الغرب – دون أي دليل – إن النبي (ﷺ) لم يكن أبدا الأمي الذي نزعمه ، ولكن تعلّم على يد الرهبان ، أو آخرين من أصحاب المعارف الدنيوية في مكة ، أو في رحلاته مع القوافل ، ويعتمدون على ذلك ليقولوا : إن النبي لم يُسَمَّ أميًا في القرآن.

وأنتم تعلمون جميعا أن تأكيد طابع الأمية هذه ورد في القرآن–كما سبق: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (1)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (2)

ومن يطالع ترجمة القرآن التي كتبتها الآنسة ماسون **Masson** ونشرتها دار مجموعة " بلياد " الشهيرة، وهي أكثر الترجمات انتشارا في أوساط المثقفين الناطقين بالفرنسية.(3) فسيرى أن الترجمة كتبت بان كلمة " أمي صفة للمذكر المفرد تتعلق بالنبي" ومع ذلك فهي تترجم الكلمة "بالكفار" وهو أمر يخالف المعنى مخالفة صارخة فادح في النحو.(4)

ولكي يبين الدكتور "بوكاي" أن هذا أمر متعمد من المترجم يذكر أن المؤلفة خصصت من مقدمة ترجمتها ست صفحات لتعرض فيها سمات شخصية محمد (ﷺ) حسب ما ورد في القرآن ، وأيدت ذلك بشواهد عديدة ولم تذكر ولو عن تلميح خفيف إلى أن النبي كان أميًا، وأن إلغاء صفة الأمي المنسوبة إلى النبي (ﷺ) في ترجمة

---

(1) سورة الأعراف : آية ١٥٧.

(2) سورة الأعراف : آية ١٥٨.

(3) طبعت هذه الترجمة في أول طباعتها سنة ١٩٧٦ م ثم أعيدت طباعتها سنة ١٩٨٠.

(4) انظر : أفكار أوحت بها تجربة شخصية ، مقال سابق لـ"موريس بوكاي" ، ص٩٣، مجلة الأصالة العدد٨٥، ومن اللافت للنظر أن معظم الترجمات الغربية للقرآن تترجم هذه الآية مؤكدة على نفي صفة الأمية عن النبى (ﷺ)، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما ذكرته الدكتورة زينب عبد العزيز عن ترجمة جاك بيرك للقرآن وهو يترجم لهذه الآية فقد بينت بوضوح تعمد المترجم فى نفي الصفة عن النبى(ﷺ). انظر: "ترجمات القرآن إلى أين ؟ " ، ص٤٩ ، ٥٠ ، ٥١.

الكتاب المقدس إنما يعني بَتْرُ القرآن من أحد المعطيات الأساسية التي تقـوم حجـة دامغةً على أنه تنزيل وموحي به. [١]

إذا لا خلاف أن الأمية في لغة العرب وفي علم المسلمين جميعًا هو الشـخص الذي لا يعرف يقرأ ولا يكتب ، ولكن المترجم أراد أمرًا آخر عن لفظ النبـي الأمـي بكلمة (Infideles) وهي التي شن عليها "بوكاي" هجومه إذ معناها هـو المقـاوم للنصرانية وغير المؤمن بها ، ونظيرتها في الإنجليزية "infideles" وترجمتها حرفيًا من قاموس المورد [٢] هو ما يلي :

١– غير النصراني أو المقاوم للنصرانية .

٢– الكافر : غير مؤمن بالنسبة لدين معين .

٣– الملحد : المعطل .

٤– الشكوكي : المنكر شيئا معينا أو مقررا .

فهل هذه من أي وجه من الوجوه تفيد معنى قوله تعـالى : ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا﴾ فهذا تحريف صريح ومتَّعمد للمعنى ، وهو دعوة للكفـر بالإسـلام وهذا النبي . [٣]

فإن الترجمة تتحدث عن معتقدات النبي في النصرانية وكفـره بهـا ووصـفه بأبشع الصفات، بينما الآية تصف حالته من جهة عدم قدرته على القراءة والكتابـة ، وهي صفة لا علاقة لها بالإيمان أو الكفر أو الشك أو اليقين. [٤]

****

(1) انظر: "أفكار أوجت بها تجربة شخصية " ، مقال سابق ، ص٩٤ ، وانظر أيضًا: مرجع سابق
Reflixion sur le coran , P :233.

(2) انظر: قاموس المورد للبعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعـة الثامنـة والعشـرون ١٩٩٤، ص٤٦٤.

(3) انظر: "حول الإعجاز العلمى للقرآن الكريم" ، المجلد الثانى، ص٢٠١.

(4) انظر: السابق ، ص٢٠٢.

المبحث الرابع : نبوة محمد (ﷺ) لدي بوكاي :

مدخل :

لقد أنزل الله التوراة على نبيه موسى (عليــه الســلام) ، وفيهــا الشــرائع والأحكام التي تستلزمها حياة بني إسرائيل في ذلك الزمن ، وجاء في التــوراة ذكــر الأنبياء الذين بعثهم الله إلى أقوامهم ، أو سيبعثهم على أقوام فيما هو آتٍ من الزمان بعد موسى.

فمما جاء في التوراة التبشير بمحمد (ﷺ)(١) ، حتى إن اليهود كانوا يستفتحون به – (ﷺ) قبل بعثته(٢) – ولما جاء – (ﷺ) – ادَّعى من لم يؤمن به أن هذه البشارات كانت ليوشع بن نون خليفة موسى (عليه السلام).(٣)

وكذلك جاء التبشير بنبوته – (ﷺ) في الإنجيل على لسان عيسى عليه الســلام بـــ "الفارقليط" Paraclytois ، ومعناها عند المحققين من علماء المسلمين (حمــد)، وأن الاسم أحمد ومحمد يجيئان من نفس الجذر (حمد)(٤) ولهذا قالوا إن هــذه نبــوة قالها المسيح عن مجيء محمد ، كما أنها متطابقة مع قول الله رب العــالمين علــى لسان المسيح (عليه السلام) : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٥)

---

(1) انظر: سفر التثنية ، الإصحاح (١٨) ، الفقرات (١٥-٢٢).

(2) وهذا قد حكاه القرآن الكريم عن اليهود : {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾، ســورة البقرة:آية ٨٩. وقوله أيضا :﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾سورة البقرة:آية (١٠١).

(3) وسوف يأتى تفصيل الكلام فى هذه الأقوال وتفنيد الادعاءات فى الباب الثانى من هذه الدراسة – إن شاء الله–.

(4) وسوف يأتى تفصيل القول فى هذه البشارات – إن شاء الله – فى الفصل الرابع من الباب الثانى من هذه الدراسة.

(5) سورة الصف : آية ٦١.

غير أن النصارى أنكروا هذا التأويل، وذهبوا إلى أن البشارة التي بشر بها عيسى (عليه السلام) عبارة عن الروح القدس الذي يكون كائنا روحيا في كل تلاميذ المسيح (الحواريين) ، ويكون فينفس الوقت في كل مؤمن بالمسيح. (١)

غير أن المنصفين من علماء النصارى أيدوا هذه البشارات الواردة في الإنجيل بأنها لا تنطبق إلا على محمد (ﷺ) ، وهذا هو الذي حدث مع النجاشي ملك الحبشة في عهد النبي (ﷺ) حين سأل جعفر بن طالب ، ماذا يقول صاحبكم في عيسى وأمه ؟ فقال جعفر بن أبي طالب يقول : " هو عبد الله ورسوله ، وكلمة الله ، وروح منه ، ألقاها إلى مريم العذراء ، ويقول في أمه مريم إنها العذراء البتول " فأخذ النجاشي عودا من الأرض وقال : "ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قد هذا العود ! " ... ثم قال النجاشي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأنه الذي بَشر به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه". (٢)

ثم قيض بعد ذلك العلماء المهتدين للإسلام، ممن كانوا قَبْلُ من أتباع اليهودية والنصرانية، فبذلوا جهدًا مشكورًا في إثبات هذه البشارات لنبينا محمد (ﷺ) وقد كان الدافع لهم من وراء إثبات هذه البشارات ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من الذكر المفصل للرسول (ﷺ) وصفاته ، وأخلاقه، وبلده، وأرضه وصفات أمته، وعلوهم في الأرض وجعلهم أمة عظيمة. (٣)

وفي العصر الحديث ظهرت طائفة من علماء الغرب، وأعلنوا اعترافهم بنبينا محمد (ﷺ)(٤) بالرغم من عدم دخول هؤلاء في الإسلام ، من ذلك – مثلاً – ما ذكره

---

(1) انظر: "القرآن والكتاب المقدس فى نور التاريخ والعلم" ، ٢٤٦.

(2) وهو حديث طويل ذكره الإمام الطبرى فى تفسيره ، جـ٥ ، ص٣، والدرّ المنثور للسيوطي ، جـ٣، ص١٣١، دار الفكر العربي، بيروت، سنة ١٩٩٤م، وجاء فى سنن أبى داود (كتاب الجنائز) فى الصلاة على المسلم يموت فى بلاد الشرك برقم (٢٧٩٠).

(3) "جهود القاضى عبد الجبار فى دراسة الأديان" ، ص٣٧٢.

(4) انظر كثيرًا جدًا من هؤلاء فى : (إلى الدين الفطرى الأبدى) ، جـ١، ص٢٢٢ – ٢٩٢.

القس "لوزون الفرنساوي" تحت عنوان "ليس محمد نبي العرب" ، بل هو أفضل نبـــي قال بوحدانية الله " يقول :

"وليس محمد نبي العرب وحدهم ، بل هو أيضا أفضل نبي قـــال بوحدانيـــة الله تعالى ، فإن دين موسى وإن كان من الأديان التي أساسها الوحدانية ، إلا أنـــه كـــان قوميا محضًا وخاصًا ببنى إسرائيل ، ولم يكن التعبد عليه ممكنا إلا في بيت المقــدس. وأما محمد (ﷺ) فقد نشر دينه بقاعدتيه الأساسيتين ، وهما الوحدانية والبعــث. وقــد أعلنه لعموم البشر في أنحاء المسكونة... فالديانة المحمدية إذن مع كونـهـــا بعــض الوجوه ، خاصة بالعرب وبعد ظهورهـــا ، فإنهـــا الديانـــة العامـــة الخالـــدة للنـــوع الإنساني".[١]

****

[١] انظر: "إلى الدين القطرى الأبدى" لــ أبى النصر مبشر الطرازى الحســينى، ص٢٢٨، الجــزء الأول – مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٧٦.

موقف "بوكاي" من البشارات بالنبى (ﷺ) فى إنـجيل يوحنا.

مدخل :

من خلال دراسة "بوكاي" لِمَا جاء في إنجيل يوحنا – ركز على دراسة روايـة الوداع الأخير للمسيح (عليه السلام) ، إذ لم ترد هذه الرواية إلاَّ في هذا الإنجيل، بينما تغيب في الأناجيل الثلاثة الأخرى (مرقس ولوقا ومتى).(١)

ويؤكد الدكتور "موريس بوكاي" على أهمية هذه الرواية المتمثلة في احتوائها على الوصية الروحية للمسيح. كما يسودها أيضا اهتمام السيد المسيح بالتوجه إلـى تلامذته وإلى الإنسانية برمتها غيرهم، معطيًا إرشاداته وأوامره ، ومحددًا بشكل نهائي المرشد الذي يجب على الإنسانية أن تتبعه – بعد اختفائه.(٢)

ويرى "بوكاي" أن المسيح قد سمى هذا المرشد بالاسم اليوناني **Parakletos** في قوله : **[إِنْ كُنتُمْ تحِبُّونَنِي فاحْفَظُوا وَصَايَايَ وَأنَا أطْلُبُ مِنَ الآبِ فيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً (فارقليطًا) آخَرَ]** .(٣)

ثم يشرع "بوكاي" في توضيح المعنى الصحيح لمفهوم كلمة **Paraclet** وذلـك من خلال السياقات المختلفة التي وردت فيها هذه البشارة ، على النحو التالي :

جاء في إنجيل يوحنـا أن " الـــ Paraclet ، **(المعزّى (الفارقليط) ، الروح القدس ، سَيُرْسِلُهُ الآبُ باسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ]** (٤) **[فَهُوَ يَشْهَدُ لِي]** .(٥)

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٣١.

(2) انظر: السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر: إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٤/١٥-١٦)، وفى النسخ القديمة للعهد الجديد توجد كلمة "بـارقليط" أو "فارقليط" بدلاً من كلمة "المعَزّى، والفارقليط كلمة يونانية **Parakletes** وأصبحت **Paraclet** وهى ترمز إلى اسم المبشر به "أحمد صلى الله عليه وسلم" من قبل المسيح عليه السلام، وقد ترجمت هذه الكلمـة كما هو واضح إلى "المعزى" وأضيف إليها "المعزى روح القدس" حتى لا تنصرف إلى روح القدس الـذى نزل على التلاميذ بالدار فألهمهم – حسبما يقولون – ولا تنصرف إلى النبى الذى يأتى بعد المسيح وهـو محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وواضح من هذا تبديل النصارى لكتابهم وتحريفهم له فى هذه النقطـة وغيرها (وسوف يأتى تفصيل القول فى مفهوم الفارقليط والمقصود به فى الفصل الرابع – إن شاء الله – من الباب الثانى فى هذه الدراسة.

(4) انظر: إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٤/٢٦).

(5) انظر: إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٥/٢٦).

وجاء فيه أيضا [**لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ المُعَزِّي وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ العَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ**][1]

وجاء في يوحنا أيضا : [**وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ ذَاكَ يُمَجِّدُنِي**]. [2]

يعلق "بوكاي" على نصوص يوحنا قائلا : إن النص يثبت تطابق كلمة **Paraclet** اليونانية على الروح القدس لا يجذب الانتباه في كثير من الأحيان ، وذلك لأن العناوين الثانوية للنص المستخدمة عمومًا في الترجمات ... توجه القارئ نحو المعنى الذي تريد الروح التقليدية إعطاءه للفقرات. [3]

ثم يذكر "موريس بوكاي" تعليقًا – لأحد المفسرين – وهو (الأب تريكو) ، والذي يقول فيه : " ..... وإن الكلمة في إنجيل يوحنا تنطبق على الروح القدس ، أما في الرسالة [4] فهي تنطبق على المسيح. [5]

لقد كانت كلمة **Paraclet** سائدة لدى اليهود الهلينستيين في القرن الأول بمعنى الوسيط أو المدافع. فالمسيح يعلن أن الروح سيرسل بالأب والابن في دوره الإنقاذي الذي يؤديه أثناء حياته الفانية على الأرض ، وذلك لصالح تلاميذه.

وإن الروح يتدخل ويعمل كبديل للمسيح باعتباره **Paraclet** أو وسيطًا قادرًا على كل شيء. [6]

---

[1] انظر: إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٦/٧-٨)

[2] انظر: إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٦/١٣-١٤).

[3] يقصد "بوكاي" هنا تعليقات المفسرين على أى أمور تبدو غير مقبولة فى نصوص الأناجيل، يرى "بوكاي" أنهم يوجهونها بالروح التى تسود معظم التفاسير تجاه هذه الأمور، وهى أن يجدوا لها مخرجًا على أى صورة من الصور، حتى وإن لم يكن مقبولاً عقلاً. والذى يقصده هنا – تحديدًا – أنهم يوجهون بشارات يوحنا إلى أن المسيح يعلن أن الروح الذى سيرسل بالأب والابن فى دوره الإنقاذى، ويعمل كبديل للمسيح مع تلاميذ المسيح – أى الذى سيلهمهم فيما بعد موت المسيح وهذا ما يرفضه "بوكاي" وقد أثبت عكسه من خلال تحليله للنصوص، والتوفيق بين المخطوطات الخاصة بإنجيل يوحنا.

[4] يقصد الرسالة الأولى ليوحنا والتى بَعث بها إلى ثاوفيلس، انظر: يوحنا، الإصحاح الرابع عشر– الفقرة٢٤).

[5] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٣١.

[6] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٣١.

يتساءل الدكتور "بوكاي" قائلا :

" إذا فهذا التعليق يجعل الروح القدس مرشدا أسمى للبشر بعد اختفاء المسيح. فهل يتفق مع نص يوحنا؟.

ويجيب الدكتور "بوكاي" بأنه لابد من طرح المشكلة ، فمبدئيًا يبدو غريبًا أن ننتسب إلى الروح القدس الفقرة التي تقول : "لن يتكلم بإرادته ، وإنما سيقول ما يسمع ، وسيعرفكم بكل ما سيأتي".

يبدو أن من غير المعقول أن ننسب على الروح القدس سلطان أن يتحدث وأن يقول ما يسمع ... وما يهتم هنا أن المفروض هنا عن الدلالة المحددة لفعلى "يسمع" "ويتحدث" يسر على كل مخطوطات إنجيل يوحنا. [1] وفعل يسمع **Entedre** في الترجمة الفرنسية هو فعل **Akouo** باليونانية ويعني استقبال أصوات – أما فعل يتحدث **Parler** في الفرنسية فهو فعل **Laleo** باليونانية ، ومعناه العام إصدار أصوات وخاصة صوت الكلام.

ويتكرر هذا الفعل كثيرًا في النص اليوناني . وذلك للإشارة على التصريح الجليل للمسيح في أثناء تبشيره . [2]

ثم يقرر د."بوكاي" أن الاتصال بالناس المقصود هنا لا يكمن مطلقًا في إلهام عمل الروح القدس. إنما هو اتصال ذو طابع مادي واضح ، وذلك بسبب مفهوم إصدار الأصوات.

والفعلان اليونانيان **Akoui** و **Laleo** يعنيان فعلين ماديين لا يمكن أن يخصا إلا كائنًا يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام.

وبالتالي فتطبيق هذين الفعلين على الروح القدس أمر ممكن ... وعندما يقول المسيح – حسب إنجيل يوحنا – : **[سأصلي لله وسيرسل لكم Paracletآخر]** [3] فهو يريد بالفعل أن يقول إنه سيرسل على البشر وسيطا آخر كما كان هو وسيطًا لدى الله ، وفي صالح البشر في أثناء حياته على الأرض. [4]

---

(1) انظر: السابق ، ص١٣٢.

(2) انظر: السابق ، ص١٣٣.

(3) انظر: إنجيل يوحنا (الإصحاح السادس عشر – الفقرة ١٤).

(4) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٣٣ – ١٣٤.

ذلك يقودنا لمنتهى المنطق إلى أن نرى في الـ Paraclet عند يوحنا كائنًا بشريا مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام ، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع.

إذن فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائنا بشريا على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عَرَّفه يوحنا ، ولنقل باختصار إنه دور نبي يسمع كلام الله ويكرر على مسامع البشر- رسالته.(١)

بات واضحا – إذن – أن الدكتور "موريس بوكاي" يرفض ما يذهب إليه النصارى من أن المسيح هو خاتم الأنبياء ، وأن روح القدس الذي ورد ذكره في بشارة يوحنا ، ليس هو الروح الذي يلهم التلاميذ بعد موت المسيح ، وينفث في روعهم تعاليمه (عليه السلام) ، وأن هذه البشارات بفهم تفصيلها جيدا ، وجمع متناثرها بعضه إلى بعض لا تنطبق إلا على كائن حي بشري ، يتمتع بما يتمتع به البشر ، ولكن اختصه الله ليكون واسطة بينه وبين عباده. وها الكائن البشري هو محمد (ﷺ)، وذلك لأنه لم يدَّع أحد النبوة بعد المسيح، وكان مؤديا بالمعجزات الدالة على ذلك إلا هو(ﷺ). (٢)

****

(1) انظر : السابق ، ص١٣٤.

(2) وسيأتي – إن شاء الله – استدلال "بوكاي" على صحة نبوة محمد (ﷺ) من العلم الحديث، عندما يقارن بين آيات القرآن ومعطيات العلم، إذ إن "بوكاي" لا يفتأ يردد عبارة: "إن هذه المعارف الحديثة لا يمكن لرجل يعيش فى جزيرة العرب أن يخبر عنها بهذه الدقة، إلا إذا كانت وحيًا من عند الله".

الباب الثانى

دراسة الكتب المقدسة لدى كامبـــل

ويتضمن هذا الباب خمسة فصول كما يلى :

- الفصل الأول : أدلة صحة الكتاب المقدس من القرآن الكريم لدى كامبل
- الفصل الثانى : أدلة صحة الكتاب المقدس من الحديث الشريف.
- الفصل الثالث : موقف كامبل من القرآن الكريم.
- الفصل الرابع : موقف كامبل من نبوة محمد (ﷺ) .
- الفصل الخامس : مدى توظيف المنهج لدى كل من المتجادلين.

الفصل الأول

أدلة صحة الكتاب المقدس من القرآن الكريم لدى كامبل

ويشتمل على مبحثين كالتالي :

المبحث الأول: أدلة كامبل من القرآن الكريم على صحة التوراة والإنجيل.

المبحث الثاني: مناقشة أدلته في ضوء القرآن الكريم.

تمهيـــد :ـ

منذ العام الأول للهجرة ، وفي حياة النبي محمد (ﷺ) ، دوَّن القــرآن الكــريم نماذج من حوار المسلمين لأهل الكتاب ، والذي كان معظمه حوارًا مع اليهــود بعــد هجرته (ﷺ) إلى المدينة المنورة [1] كما تحاور الرسول(ﷺ) مع النصارى في لقائه مع وفد نجران والذي انتهى بدعوته للمباهلة(*) ، ولكنهم فضلوا المصالحة ودفع الجزية، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقول الله رب العالمين : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ .[٢]

كما حاور جعفر بن أبى طالب النجاشي ملك الحبشة حول طبيعة المسيح عليه الســلام

---

[1] انظر : "الحوار في القرآن " ، محمد حسين فضل الله ، ص١١٧-١١٨.

(*) والمباهلة : المبَهْل: يعني اللعن، وبهل الله : أى لعنه، وباهل القوم بعضهم بعضاً وتباهلوا وابتهلوا أى: تلاعنوا، والمباهلة : الملاعنة.

ومعنى المباهلة : أن القوم إذا اختلفوا في شيء اجتمعوا فيقولون : لعنة الله على الظــالم منــا [لســان العرب : مادة : بهل].

وقصة المباهلة هى التي جاءت في قول الله لنبيه محمد (ﷺ): ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران : آية ٦١] نزلت هذه الآية في وفد نجران النصارى، لما قــدموا علـــى النبي (ﷺ) فجعلوا يحاجون في عيسى، ويزعمون فيه من البنوة الإلهية ما يزعمون فأنزل الله على نبيه هذه الآية، فدعاهم النبي إلى الملاعنة بعد أن نزل عليه الأمر من الله. [تفسير ابن كثير (٤٨٩/١)].

وروى الإمام البخاري : عن حذيفة رضي الله عنه : قال :"جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله (ﷺ) يريدان أن يلاعناه قال : فقال أحدهما لصاحبه : " لا تفعل فوالله لئن كان نبيًّا فلاعنــا لا نفلــح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أمينًا، ولا تبعث معنــا إلا أمينــًا ، فقال : لأبعثن معكم رجل أمينًا حق أمين، فاستشرف له أصحاب رسول الله (ﷺ) فقال : قم يا أبا عبيــدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله (ﷺ) : هذا أمين الأمة" [صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصــة أهل نجران، برقم (٤٠٢٩)].

[2] سورة آل عمران : آية ٦١ ، وانظر : مقدمة أ/على الجوهري لكتاب "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم"، ص٥ ، ٦ ، ٧ ، طبعة مكتبة القرآن.

– وموافقة النجاشي له ، وكذا حوار النبي (ﷺ) لعدي بن حاتم النصراني الذي أسلم على أثره[1] وبعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية وبخاصة عند انتقال الخلافة الإسلامية إلى بلاد الشام ثم العراق ، حيث اتسعت العلاقات بين المسلمين والنصارى أكثر ، على مستوى الحكومات وعلى مستوى الأفراد ، فقد استخدم الخلفاء المسلمون النصارى ككُتاب وموظفين ، وخاصة قبل تعريب الدواوين إلى العربية. وكذا فقد كان لهم الدور الأكبر في الترجمات اليونانية. وأثناء الخلافة العباسية بالذات ازداد نفوذهم كثيرًا. والسبب في الحاجة إليهم أن الدولة الإسلامية كانت لا تزال في عهد النشأة ، بينما كان النصارى ذوي خبرات فائقة [2]مما جعل هناك احتكاكًا كبيرًا بين الإسلام والنصرانية ، وكان للدين الإسلامي قدرته الباهرة على الانتشار بين أتباع الديانات الأخرى ... ولم يكن يجد أمامه مزاحمًا جدّيا من شأنه تعطيل جاذبيته الفعالة[3].

وقد تنبه علماء النصارى لهذه الجاذبية في الدين الإسلامي ، فصارع أكبر علمائهم آنذاك وهو القديس "يوحنا الدمشقي"[4] (٥٦ هـ – ١٣٢هـ) (٦٧٥م – ٧٤٩م) فوضع أول المؤلفات النصرانية لمحاربة الدين الإسلامي ، وسماه "الهرطقة المائة " ، حيث وصف فيه القرآن الكريم بأنه تجميع للقصص الكتابية نُقلت وفُهمت بشكل سيىء ولهذا كان الهزء به يكفي. [5] "ثم أتبع هذا القديس مُؤلّفه هذا بمؤلف

---

(1) انظر "حوار حول العقيدة بين المسلمين وأهل الكتاب حتى نهاية القرن الثالث الهجري"، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م للباحثة ريمة شريف الصياد، ص٤٦ بإشراف الأستاذ الدكتور/عبد الحميد مدكور.

(2) انظر : "المختار في الرد على النصارى" للجاحظ ، ص٦١-٦٤. تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوى ، دار الجيل ، بيروت سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(3) انظر : "الفكر الإسلامي في الرد على النصارى حتى نهاية القرن الرابع" ، لعبد المجيد الشرفى ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٨٦م.

(4) يوحنا الدمشقى : هو منصور بن سرجون بن منصور ، ولد حوالي ٦٧٥م في دمشق ، من عائلة عريقة وغنية ، عرفت بمكانتها السياسية والاجتماعية ، إذ إن سرجون والد يوحنا ومنصور كانا يعملان على إدارة أموال الخلفاء منذ عهد معاوية ، فيزيد. من أهم مؤلفاته : "المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي" و"كتاب الهرطقة المائة" ، وجدال بين مسلم ومسيحى. (انظر : المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي" ، ص٣٦ من المقدمة ، وانظر أيضًا : "حوار حول العقيدة بين المسلمين وأهل الكتاب" ، ص٦٧.

(5) انظر : "حوار حول العقيدة بين المسلمين وأهل الكتاب حتى نهاية القرن الثالث الهجرى" ، ص٥٥.

آخر سماه "مناقشة بين مسلم ومسيحي" افترض فيه حدوث حوار بين مسلم ونصراني، وعلم النصراني من خلال هذا المؤلف كيف يرد على أسئلة المسلم المحيرة."[1]

ثم تتابعت المؤلفات النصرانية بعد ذلك ، مما حدا بعلماء المسلمين أن يقرءوها ويطلعوا على عقائد النصارى في التثليث والاتحاد وغيرها ، ثم بدأوا في الرد عليها.

وقد كانت المجادلات اللاهوتية بين المسلمين والنصارى من القرن الثامن الميلادي (الثانى الهجري) وحتى اليوم يحاول كل طرف فيها أن يستخرج البرهان على صحة معتقده من كتاب الطرف الآخر. فكما سعى المجادلون النصارى على استخراج الدليل على يسوع المسيح من كتاب اليهود ، سعوا أيضًا إلى استخراج الدليل على صحة النصرانية من القرآن الكريم.

وقد حرص المجادلون اللاهوتيون من النصارى استخراج الدليل من القرآن الكريم على قضايا ثلاث هو محور إيمان النصارى، وهذه القضايا هي :

١- التدليل على يسوع المسيح ورسالته وإثبات صحة معتقدهم فيه.

٢- استخراج الدليل من القرآن الكريم على صحة الدين المسيحي نفسه.

٣- استخراج الدليل من القرآن الكريم على صحة اعتقادهم بتثليث الإله الواحد وبتجسد الإله الكلمة.

ولأن هذه القضايا الثلاث هي محور الدين المسيحي كله نجد أن اللاحقين من اللاهوتيين في مجال المجادلة يجدون أنفسهم محصورين في الإطار الذي رسمه لهم اللاهوتيون الأوائل، لأن هدف الفريقين واحد، والقضايا محل المنافسة واحدة، والكتاب المستخرج منه الدليل عليها واحد، لهذا لابد أن يكون اللاحق عالة على السابق.

ولكي نعرف هل سار مجادلنا (كامبل) في ركاب الدرب الذي رسمه الأوائل أم حاد عنه وتقرر بطرق جديدة في تدليله على ذات القضايا، لابد أن نورد طرفًا من أدلة المجادلين الأوائل على القضايا سابقة الذكر لكي يتسنى لنا معرفة منهج كامبل، أهو متفرد؟ أم هو متأثر بما سبقه به الأولون من المجادلين النصارى ؟

---

[1] السابق ، ص٥٥.

وقبل أن نذكر بعض أدلة المجادلين النصارى من القرآن الكريم، نجمل بعض الاستدلالات الرئيسية التي اتفقوا جميعًا على وجودها في القرآن الكريم:

أ- القرآن مصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وتصديق القرآن للتوراة والإنجيل جعله يقوله: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (1)

يرى المجادلون اللاهوتيون من النصارى أن تصديق القرآن إما أن يكون صريحًا أو يكون ضمنيًا، وعلى أي صورة من الاثنتين فهو شكل من أشكال الإقرار بقيمة الأناجيل التي بين أيدي النصارى.

يقول ثاوذورس أبو قرة (١٣٣-٢١٥هـ) (2) مخاطبًا المسلم: أنت تنكر كتابك وتكذب نبيك وتجحد قرآنك، لأنه يقول: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ (3) ويقول: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (4)

واستدل بذات الآية على نفس الدليل – أيضًا – عبد المسيح بن إسحاق الكندي(5) وبولص الراهب الأنطاكي(1)، إذ يريان أن القرآن الكريم صدَّق الإنجيل تصديقًا تصريحياً أو ضمنياً.

---

(1) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

(2) هو ثاوذورس: أي عطاء الله، تتلمذ على كتب يوحنا الدمشقي، وسار على خطاه في الدعوة إلى مذهبه. [انظر: ميمر في وجود الخالق والدين القويم، ص٣١، ٤١ من المقدمة للمحقق أغناطيوس ديك، جونيه – لبنان – سنة ١٩٨٢م].

(3) سورة آل عمران: الآية (٣).

(4) سورة المائدة: الآية (٤٨)، وانظر له: ميمر في وجود الخالق والدين القويم، ص٢٣٤.

(5) هو عبد المسيح ابن إسحاق الكندي، عاش في القرن الرابع الهجري، كتب رسالة يرد فيها على رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي الذي دعاه إلى الدخول في الإسلام، فرد الكندي عليه رافضاً دعوته، ومنتقدًا الإسلام [انظر: حوار حول العقيدة بين المسلمين وأهل الكتاب، ص١٢٢].

ومما اتفق علماء النصارى على الاستدلال به من القرآن الكريم – في تدليلهم على صحة الأناجيل – أنه ذكر أنه مهيمن على ما بين يديه من الكتاب، وهذا معناه أن الإنجيل كان موجودًا صحيحًا في زمان محمد، لأن الله أمر محمدًا إن جاءه شك أن يسأل أهل الكتاب.

يقول بولص الأنطاكي : فأما تعظيمه لإنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا فقوله[٢]: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾[٣]

هذا نموذج عن بحث المجادل اللاهوتي النصراني عن أدلة في القرآن يستخدمها ليدلل على صحة الدين المسيحي المبني على التوراة والإنجيل، وأما عن استخراج الدليل على يسوع المسيح من القرآن الكريم، فيقول عبد المسيح الكندي: عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾[٤] إن الكتاب هو الإنجيل، وأن النصارى يتلونه من غير تحريف[٥]

كما يقول: إن القرآن ذكر رسالة عيسى تصريحًا بقوله ومن سورة الأحقاف: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٦] كما يرى أن القرآن يقول عن النصارى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

---

(1) هو أسقف صيدا الأنطاكي، عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، وهو صاحب الرسالة الشهيرة إلى بعض أصدقائه من المسلمين [انظر: التفسير المسيحي للقرآن من القرن الثامن الميلادي إلى القرن الثاني عشر لبولس الخوري ، ص١٨، المكتبة البولسية، (جونيه – لبنان)] وهذه هى الرسالة التي رد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه : "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"

(2) انظر: "التفسير المسيحي للقرآن" ، ص٣٥.

(3) سورة يونس: الآية (٩٤).

(4) سورة البقرة: الآية (١٢١).

(5) انظر: "التفسير المسيحي للقرآن" ، ص٤٦ – ٤٧.

(6) سورة الأحقاف : الآية (٣٠).

وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾[1]، وقال عن عيسى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾[2] ويقول عنه أيضًا : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[3]

ثم يختم (أنبا جرجي)[4] هذا التأكيد على تصريح القرآن على وجود رسالة عيسى مخاطباً المسلم فيقول : لكني اخترت أن أعرفك أولاً أن نبيك وكتابك يشهدان لي ويحققان الإنجيل الذي لي ولديني.[5]

وقد حاول الدكتور وليم كامبل – كلاهوتي نصراني – أن يسير على نفس خطى السابقين ممن رسموا له الطريق من القديسيين السابقين عليه ، فراح يحاول استنطاق

---

(1) سورة الأنعام: الآية (٨٩).

(2) سورة الحديد : الآية (٢٧).

(3) سورة المائدة: الآيات من ٤٤ : ٤٦.

(4) أحد مجادلي النصارى المشهورين في القرن الثاني عشر الميلادي من أشهر مجادلاته : {مجادلة الأنبا جرجي مع ثلاثة من فقهاء المسلمين وعدولهم" حضر هذه المجادلة من المسلمين : الأمير الملقب بالمشمر، وكان ذلك في إمارة الملك الظاهر (غازي ابن يوسف بن أيوب الصلاحي) ومن علماء النصارى (لاون بن اسطفانوس) الذي كان متملكًا على الأرض، وقد وقعت هذه المجادلة في الشهر العاشر من سنة ١٢١٦م [انظر: "التفسير المسيحي للقرآن من مقدمة المؤلف، ص١٧]

(5) انظر: "التفسير المسيحي للقرآن" ، ص٦٥.

الآيات القرآنية التي تتحدث عن أهل الكتاب مؤولا بعضها على أنها تشهد لصحة كتابه الذي يقدسه ويعتنقه[1]، مُتّخذا في سبيل الوصول إلى غايته في إثبات صحة كتابه المقدس تدرجا تاريخيا منذ نزول القرآن على النبي (ﷺ) وحتى العصر الحديث. بل إن الأمر ليتعدى ذلك لدى "كامبل" في أنه يستخدم كلام النبي (ﷺ) نفسه لإثبات هذه الصحة.

ولكي يصل "كامبل" إلى هذه الغاية كان لابد أن يعرج على نبوة محمد (ﷺ) ويطعن فيها وذلك حتى تكتمل عنده مقومات عقيدته التي يعتقدها ، وهذا ما سنوضحه في هذا الفصل إن شاء الله رب العالمين.

****

(1) هل يجوز لكامبل وهو نصراني أن يستخدم آيات القرآن الكريم لكي يدلل بها على قضية من القضايا، وهو لا يؤمن به كتابًا منزلاً، ولا يؤمن بالنبي الذي أنزل عليه ؟ (انظر: الصفحات القادمة من هذا البحث من ص ٢٣٥ إلى ص ٢٧٧)

المبحث الأول : أدلة كامبل من القرآن الكريم على صحة التوراة والإنجيل.

يبادر الدكتور وليم كامبل وقبل أن يقوم بعمل أي استدلال – بأن يتهم المسلمون بأنهم كثيرًا ما يقومون بتفسير الآيات القرآنية من غير قرائنها السياقية ، وأنهم لم يلتفتوا إلى هذا الأمر إلا مؤخرًا ، ثم ينقل عن أحد الباحثين المسلمين[١] قوله: إن مفسري القرآن الكريم لم يربطوا ولم يقارنوا الآيات الواردة عن موضع واحد قبل أن يكتبوا تفسيرهم .... وما جدوى أن تدرس عبارتين أو ثلاثًا عن موضوع، بينما هناك ثلاثمائة عبارة أخرى في نفس الموضوع متروكة بغير دراسة[٢].

وفي ضوء هذه الرؤية يرى "كامبل" أنه يجب أن ننظر إلى الآيات التي تتحدث عن أهل الكتاب في القرآن ، ونحن إن فعلنا ذلك فسنجد أن هناك آيات كثيرة في القرآن تدل على صحة التوراة والإنجيل.[٣]

---

(1)هو الدكتور داودرهبر كان يعمل أستاذا للدراسات الأوردية والباكستانية في جامعة أنقرة بتركيا وقد ذكر هذا الكلام في مقدمة كتابه " إله العدل " GOD OF JUSTICE, . P xii
وينسب الباحث لنفسه في هذا الكتاب أنه أول مسلم يقوم بدراسة مترابطة للقرآن حيث إنه جمع كل ما جاء بالقرآن عن نفس الموضوع P vii . كما يرى ضرورة أن يكون الأساس الأول في بناء أساس للفقه الإسلامي والتفسير القرآني هو أن نعرف ما فهمه الرسول وصحابته في إطار القرائن التاريخية . ص Pxii
– ويدلل على رأيه بما ذكره البيضاوي في تفسيره لعبارة الأرض والسماء ، فهو يرى أن البيضاوي يناقض نفسه في تفسيرها ، فهو أولا يقول : إن الأرض ذكرت قبل السماء لأنك تصعد وتنطلق من الأسفل إلى الأعلى ، ثم هو بعد حين بعد أن يمضي في تفسيره يقول كلاما آخر يناقض به ما قاله قبل ذلك وكأنه نسيه.
– وهذا الكلام غير صحيح وذلك لأن علم تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة علم قديم جدا لدى المسلمين.
– كما أن البيضاوي لم يتناقض في تفسيره لسبب بسيط جدا وهو أن القرآن يذكر تقديم خلق الأرض على السماء إلا في موضع واحد في القرآن الكريم في سورة طه حيث قال الله تعالى : ﴿ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴾

(2) انظر : المصدر السابق ، صP VII .

(3) "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٣٦.

أولا :ـ آيات قرآنية تشهد لصحة التوراة زمن المسيح :

يرى الدكتور "كامبل" أن هناك العديد من الآيات القرآنية التي تشهد بأن التوراة حتى عهد المسيح عليه السلام كانت صحيحة ولم يلحقها أي تحريف .

من هذه الآيات التي تشهد لذلك قول القرآن : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾[1] . فهذه الآية نزلت في العام السابع الهجري ، وفيها يأمر الله "يوحنا المعمدان"[2] أن يأخذ الكتاب (التوراة) [3].

ويقول القرآن أيضا مخاطبا مريم ، حين يحدثها الملاك جبرائيل عن المسيح قبل ميلاده[4] : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾[5]. ففي هذه الآية وعد الله من قبل مولد عيسى أن يعلمه التوراة[6].

ويقول القرآن أيضا في العام السابع الهجري عن مريم : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾[7] فمريم يشهد لها القرآن أنها صدقت بكلمات ربِّها وكتبه. [8]

---

* إن الاستدلالات التي يستدل بها – هنا– الدكتور "كامبل" كثر تكرارها في كتابات النصارى المعاصرين، وسيحاول البحث – إن شاء الله – استقصاءها في بعض هذه المراجع ما استطاع.

(1) سورة مريم : آية ١٢.

(2) يوحنا المعمدان : هو النبى الرسول يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل بعد أبيه وقبل عيسى عليهم السلام وأمه اليصابات خالة مريم ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وقيل بثلاث سنين وقيل بخمس ، وهو الذي عمد عيسى فى نهر الأردن سنة ٣٠م ولذلك يسميه النصارى (يوحنا المعمدان) (انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ١١٠٦).

(3) انظر : القرآن والكتاب المقدس ، ص٣٧ ، وانظر أيضًا : عصمة التوراة والإنجيل "إسكندر جديد" ، ص٧ بدون ناشر وبدون تاريخ ، وانظر : القرآن والمسيحية ص٤ ،٥ للبابا شنودة ، مجلة الهلال ، عدد ديسمبر ١٩٧٠. وميزان الحق للدكتور "فاندر" ، جـ١ ، من ص٤٢ – ٤٦ ، الطبعة العربية الثالثة، بإشراف مركز الشبيبه فى سويسرا، سنة ١٩٨٣م.

(4) السابق : نفس الموضع.

(5) آل عمران : آية ٤٨.

(6) القرآن والكتاب المقدس ، ص٣٧ ، وانظر : عصمة التوراة والإنجيل ص٧ ، وانظر : القرآن والمسيحية ص٤ ،٥ ، وميزان الحق ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦.

(7) التحريم : آية ١٢.

(8) القرآن والكتاب المقدس ، ص٣٨.

وقد صدَّق المسيح أيضا على التوراة بشهادة القرآن[1] وذلك في القرن الثاني أو الثالث الهجري[2] إذ يقول : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[3] ويقول أيضا : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾[4] .

ويقول أيضا في العام العاشر الهجري : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[5] وفي نفس العام يقول القرآن عن عيسى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ .[6]

يرى الدكتور كامبل – كنصراني لاهوتي – أن الآيات السابقة تشهد أن التوراة حتى زمن المسيح – عليه السلام – كانت موجودة وصحيحة في زمن المسيح . ولما كانت السيدة مريم قد آمنت بكتب ربها ، فلابد أن أسفار الأنبياء الذين بعثهم الله لليهود كانت وقتها موجودة وصحيحة .[7]

---

(1) السابق : نفس الموضع ، وانظر عصمة التوراة والإنجيل ص٨ ، وانظر : القرآن والمسيحية ص٥٢٤، وميزان الحق ص٤٢ ،٤٣ ،٤٤ ،٤٥ ،٤٦؟. وانظر : "مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي للأب "درة الحداد" ص٩١ ،٩٢ ، ٩٣ ،٩٤.

(2) "القرآن والكتاب المقدس" ص٣٨ ، وانظر : "ميزان الحق" ، ص٤٢ ، ٤٣، ٤٤. و"مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي ،ص٩١ ،٩٢ ، منشورات المكتبة البولسية ، جونيه ، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

(3) آل عمران : آية ٥٠.

(4) سورة الصف : آية ٦ ، والملاحظ على "كامبل" أنه لم يتم هذه الآية طبقًا لما ألزم به نفسه في بداية دراسته من أنه لابد من دراسة الآيات متكاملة ، وعدم اقتطاع جزء منها دون بقيتها ، وسيظهر تنفيذ ذلك – إن شاء الله – في موضعه من هذه الدراسة.

(5) المائدة : آية ٤٦ ، وانظر: "القرآن والكتاب المقدس" ص٤٧ ، وانظر أيضا : "ميزان الحق" ص٤٢ ، ص٤٣ ،٤٥، و "عصمة التوراة والإنجيل " ص٨ ،٩ ، ومدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي ص٩٤،٩٣.

(6) المائدة : آية ١١٠.

(7) "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٣٨ ، وانظر : "الكتاب المقدس يتحدى نقاده والقائلين بتحريفه" ص١٨٨، ١٨٩ ، ١٩١، ١٩٢ ، ١٩٣ ، للقس عبد المسيح بسيط ؛ كنيسة السيدة العذراء مريم بمسطرد، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ.

ثانيا :ـ أدلة صحة الإنـجيل من القرآن .

(١) – وجود مسيحين أتقياء عاشوا في الفترة بين محمد والمسيح عليه السلام :

حاول "كامبل" أيضا أن يستخرج أدلة قرآنية تشهد لصحة الإنجيل كما فعل مع التوراة ، غير أنه اتخذ خطوة سابقة على هذه الخطوة ، وهي محاولة إثبات أن القرآن ذكر أن هناك مسيحيين أتقياء عاشوا في الفترة ما بين محمد والمسيح ، حتى ينطلق من هذه الخطوة إلى أن هؤلاء هم الذين نقلوا الإنجيل صحيحًا لم يمسه أي تحريف .

ومن الآيات التي استدل بها الدكتور كامبل على ذلك قول القرآن:﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[1] ومنها قول القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[2] وقول القرآن : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[3].

ويرى كامبل أننا نتعلم من هذه الآية السابقة أنه بالرغم من أن الرهبانية لم يكتبها الله عليهم ، إلا أنهم مؤمنون أتقياء ، آتاهم الله أجرهم. وأن نظام الرهبنة قد بدأ في القرن الرابع الميلادي ، ولو أنه كان هناك رهبان متوحدون في القرن الثالث

---

[1] سورة المائدة : آية ١١١.

[2] سورة الصف : آية١٤.

[3] سورة الحديد : آية (٢٦-٢٧).

الميلادى. وقد نظم (القديس أنطونيوس) "Saint Antaine le grand" [1] الرهبنة في مصر عام ٣٠٥ م. وبدأت الرهبنة في شبه جزيرة سيناء في نفس الوقت تقريبا[2]. كما يرى "كامبل" أن الاقتباسات القرآنية السابقة تقول إن الله أوحى لأتباع المسيح أن يتبعوه ، فصاروا أنصار الله ، وأن الأخير منها يؤكد أنه قد بقى كثير من هؤلاء أمناء للحق فترة الرهبانية التي بدأت في القرن الرابع الميلادي.[3]

كما أن هناك آيات أخرى تقول إن هناك مسيحيين مخلصين لله والحق في أفسس (تركيا الحالية) عام ٤٥٠م وفي اليمن في القرن السادس الميلادي ، وقد قبلوا أن يحرقوا في سبيل إيمانهم[4] . ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[5]. إن هذه الآيات تشير إلى (ذي نواس) [6] ملك اليمن اليهودي الذي اضطهد المسيحيين في القرن السادس الميلادي وأحرق أحياء منهم ممن رفض اعتناق اليهودية. [7]

---

(1) القديس أنطونيوس: ولد سنة ٢٥١م فى بلدة "قمن العروس" بمصر لأبوين غنيين ، يدعى النصارى أنه لما بلغ عمر ٢٠ سنة دخل الكنيسة ذات يوم فسمع المسيح يخاطبه قائلاً : إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعطها للفقراء ، فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعنى ، ففعل القديس واعتزل الناس للنسل والعبادة فكان أول راهب ظهرت على يده الرهبانية ويؤرخ لموته بالعام ٣٥٦م (انظر : حياة القديس أنطونيوس الكبير ص٧) للأب أنطونيوس شينا. وانظر أيضًا : "قوانين الرهبانية المارونية المريمية ورسومهما" ، ص٧٩ للأب أدمون خشان.

(2) "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٣٩.

(3) "القرآن والكتاب والمقدس" ص٤٠ ، وانظر : "ميزان الحق" ص١٤ ، ١٥ ، وانظر : الكتاب المقدس يتحدى نقاده والقائلين بتحريفه ص٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧.

(4) "القرآن والكتاب المقدس " ص٣٩ ، وانظر المسيحية في الإسلام ص١٠ ، ١١ ، و"ميزان الحق" : ص٦،٥، ٧.

(5) سورة البروج : آية (٤ –٩).

(6) ذو نواس : ملك من ملوك اليمن اسمه يوسف ذو نواس ، وهو ابن بيان أسعد أبى كريب ، كان يهوديًا فقتل من النصارى في الأخدود ١٢٠ ألفاً ، ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له (دوس ذو ثعبان) هاربًا إلى قيصر ملك الشام. (انظر : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص٦٣٣ والقرطبى ، جـ٩ ، ص٢٥٢).

(7)"القرآن والكتاب المقدس" ، ص٣٩.

واقتباس آخر في سورة الكهف يقول : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[1] ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾[2] . فهاتان الآيتان تشيران إلى أن هذه قصة سبعة شبان من أفسس (تركيا الحالية) هربوا من الاضطهاد، واختبئوا في كهف ، فلم يستيقظوا إلا بعد ٣٠٩ سنين، وإن تاريخ قصتهم يعود إلى ما بين عام ٤٤٠ و ٤٥٠ ميلادية .

ولا شك – كما يرى كامبل – أن هؤلاء المؤمنين المخلصين في تركيا والـيمن لابد تركوا نسخاً من كتبهم ووثائقهم المقدسة. ولو كان ما عندهم مختلفاً عما عندنا اليوم لاكتشفناه. [3]

ثم يصل كامبل من هذه النتيجة إلى أنه لابد من أن نُسَخَ التوراة والإنجيل الموجودة في زمن محمد كانت صحيحة.

****

---

[1] سورة الكهف : آية ١٠.

[2] سورة الكهف : آية ٢٥.

[3] "القرآن والكتاب المقدس ، ص٤٠ ، و"ميزان الحق" : ص١٢ ، ١٣.

ثالثا :ـ الآيات القرآنية التي تشهد لصحة نسخ التوراة والإنجيل زمن محمد :

يرى الدكتور كامبل أن هناك كثيرًا من الآيات التي تبرهن على أن التوراة والإنجيل كانا صحيحين وموجودين زمن محمد ، بل إن القرآن يفصل كتب موسى[1]: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ .[2] وخاطب القرآن أهل مكة بأنهم لم يفهموا كتب طائفتين من قبلهم ، وكانوا عن دراستهم لغافلين ، ولو أنهم درسوا تلك الكتب لاهتدوا: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ﴾ .[3]

و يذهب "كامبل" إلى أن القرآن نفسه جاء ليؤيد ما سبقه من التوراة والإنجيل وليشهد له [4]، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة ، مثل تكرار التعبير القرآني (بين يديه).[5] : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[6]

---

[1] انظر :"القرآن الكريم والكتاب المقدس " ، ص٤٠ ، والكتاب المقدس يتحدى القائلين بتحريفه ، ص٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠ ، و"ميزان الحق " : ص٢٠ ، ٢١، ٢٢ ، ومدخل إلى الحوار الإسلامي والمسيحي ص٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠.

[2] سورة الأحقاف : آية ١٢.

[3] سورة الأنعام ، الآيات من (١٥٤ – ١٥٧).

[4] انظر : "القرآن الكريم والكتاب المقدس" ، ص٤٠ ، و"ميزان الحق" ، ص٢٠ ،٢١ ، ٢٢ والكتاب المقدس يتحدي القائلين بتحريفه ص٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ومدخل إلى الحوار الإسلامي والمسيحي ص٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠.

[5] السابق : نفس الموضع.

[6] سورة المائدة : آية (٤٨) ، ويلاحظ على هذه الآية أن كامبل قد اقتطعها ولم يتمها حتى نهايتها كما ألزم نفسه ذلك في بداية دراسته.

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾.[١]

وقول القرآن أيضا : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾.[٢]

يرى الدكتور "كامبل" أنه بملاحظة تكرار التعبير (بين يديه) أنه تعبير يعني في محضره أو في حوزته أو متوافر له.[٣] لأنه قد جاء في سورة سبأ أن الجن عملوا بين يديه ، بمعنى أمامه أو تحت بصره وإشرافه.[٤]

وهذا التفسير يؤيد أن القرآن جاء ليؤيد ما سبقه من التوراة والإنجيل وليشهد له. وهذا يؤكد وجود نسخ صحيحة منهما بين يدي محمد.[٥]

ويذهب "كامبل" إلى أبعد من ذلك وهو أن القرآن به الكثير من الآيات التي تشهد أن محمدًا قد اقتبس واستشهد بالتوراة وبالإنجيل.[٦]

فمن آيات العهد المكي المبكر : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى * أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[٧] ومن آيات العهد المكي الوسيط : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ

---

[1] سورة التوبة : آية (١١١).

[2] سورة آل عمران: الآيتان (٣ ، ٤).

[3] انظر : "القرآن الكريم والكتاب المقدس" ، ص٤٠ ، و"ميزان الحق" ، ص٢٠ ،٢١ ، ٢٢ والكتاب المقدس يتحدي القائلين بتحريفه ص٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ومدخل إلى الحوار الإسلامي والمسيحي ص٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠.

[4] السابق : نفس الموضع ، ويقصد كامبل هنا ما جاء في سورة سبأ عند قول الله رب العالمين ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة سبأ : من الآية ١٢]

[5] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٤٢.

[6] انظر : السابق ، نفس الموضع.

[7] سورة النجم : الآيات من (٣٣-٣٨).

أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾[1] ويقول البيضاوي في تفسيره لهذه الآية : إن الصحف الأولى هي التوراة والإنجيل وكل الكتب السماوية.[2] ومن العهد المكي الوسيط أيضا : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾.[3] فإذا تأملنا هذه الآية في سورة الأنبياء لوجدنا أن الله في زمن محمد يملي من سفر المزامير.[4]

ومن العهد المكي المتأخر : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ * وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾.[5] ويقول البيضاوي والجلالان في تفسير واسأل من أرسلنا من قبلك : أي اسأل من يعرفون كتبهم وعقائدهم. وهذا يعني أن تلك الكتب والعقائد كانت معروفة في زمن محمد.[6]

ومن آيات العهد المكي المتأخر قول القرآن أيضا : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾.[7]

ومنه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾.[8]

---

[1] سورة طه : آية ١٣٣.

[2] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٤٣.

[3] سورة الأنبياء : آية ١٠٥.

[4] انظر : السابق : نفس الموضع والاقتباس الذي يقصده الدكتور "كامبل" هنا من سفر المزامير الفقرة التي تقول : "الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد" مزمور ٣٧ فقرة ٢٩.

[5] سورة الزخرف : الآيتان (٤٤ ، ٤٥).

[6] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٤٣.

[7] سورة الرعد : آية ٤٣.

[8] سورة الأعراف : الآيتان (١٥٦-١٥٧).

وفي المدينة في العام الثاني أو الثالث الهجري نزل قول القرآن : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾.[1] ويقول المفسرون : إن سبب نزول هذه الآية أن جدالا حدث بين اليهود ومحمد بسبب تحكيمهم له فطلب منهم الرجوع إلى كتابهم.[2] ويقول القرآن لليهود : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ✱ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.[3] ويقول أيضا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾.[4] ويقول القرآن أيضا : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾.[5] ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.[6]

ويرى الدكتور كامبل أن هذه الآية الأخيرة اقتباس من شريعة موسى من سفر الخروج، كما أن القرآن يحذر يهود المدينة من عدم الحكم بما أنزل الله في التوراة.[7]

(1) سورة آل عمران : آية ٢٣.

(2) انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٤٥.

(3) سورة آل عمران : الآيتان (٩٣-٩٤٠).

(4) سورة النساء : آية ٦٠.

(5) سورة المائدة : آية ٤٣.

(6) سورة المائدة : آية ٤٥.

(7) انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ص٤٥ ، والاقتباس الذي يقصده هنا ما جاء في سفر الخروج ، الإصحاح (٢١) ، الفقرات من ٢٤-٢٦) والتى جاء فيها : [وَعيناً بعَينٍ وَسناً بسِنٍّ وَيَداً بيَدٍ وَرِجلاً برِجلٍ وَكَيّاً بِكَيٍّ وَجُرحاً بجُرحٍ وَرَضّاً برَضٍّ]

كما يذهب الدكتور كامبل إلى تصور آخر – أبعد من هذا التصور السـابق – وهو أن محمدًا آمن بالتوراة كما كانت بين يدي اليهود في المدينة عام ١٠ هـ[١] ، وذلك أخبر عنه القرآن في قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ *قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾.[٢]

جاء في أسباب نزول هذه الآية من سورة المائدة : روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : جاء رافع وسلام بن مشكم ومالك بن الصيّف ، فقالوا : يا محمد، ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا ؟

قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم بما فيها ، وكتمتم مـا أمـرتم أن تبينـوه للناس . قالوا : فإنا نأخذ بما في أيدينا ، فإنا على الهدى والحق ، فأنزل الله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾.[٣]

يعلق كامبل على هذا الحديث بقوله : يدل هذا الحديث على أن محمـدًا آمـن بالتوراة كما كانت بين يدي يهود المدينة عام ١٠هـ ، كما أن مسلمي القـرنين الأول والثاني الهجريين عرفوا بوجود توراة وإنجيل صحيحين بين أيديهم في شبه الجزيرة العربية.[٤]

---

[1] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٤٧ ، وانظر : "ميزان الحق" ص١٨ ، ١٩.

[2] سورة المائدة : الآيات من (٦٥-٦٨) ، ويلاحظ أيضًا أن "كامبل" لم يتم هذه الآية إلى نهايتها.

[3] انظر : "مختصر تفسير ابن كثير" ، جـ١ ، ص٣٧٤ .

[4] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٤٦-٤٧ ، وانظر : "الكتاب المقـدس يتحـدى نقـاده والقـائلين بتحريفـه" ص٢٠٦-٢٠٧ ، و"ميـزان الحـق" : ص١١ ، ١٢ ، ١٣ ، و"المسـيحية فـى الإسـلام" ، ص٢١،٢٠.

ثم يفترض كامبل أن أحد المسلمين اليوم سيقول لهم : إن التـــوراة والإنجيـــل الموجودين بين يدي اليهود والنصاري في القرنين الأول والثاني الهجريين مختلفـــان عما هو موجود اليوم. ونحن نسألهم : أين ذهبت النسخ الصحيحة ؟ لابد أن المسلمين الصالحين يحتفظون بنسخة سليمة في أكثر من مكتبة من مكتبات العالم الإســـلامي ، ولو لهدف أن يعاونوا اليهود والمسيحيين أن يقيمـــوا التـــوراة والإنجيـــل ! ولكـــن المسلمين لم يحتفظوا بشيء من التوراة والإنجيل. والحقيقة أن هناك توراة واحدة بلا تغيير بين يدي اليهود والمسيحيين وأن هناك إنجـيلاً واحـدًا صـحيحًا بـين يـدي المسيحيين. [١]

****

---

(1) انظر : السابق ، ص٤٧.

رابعا :- موقف كامبل من الآيات القرآنية التي تتحدث عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم.

من المسلَّم به لدى المحققين من علماء المسلمين أن أهل الكتاب بدَّلوا وحرفوا ولووا ألسنتهم بكلامهم حتى يُدْخلوا في كتبهم ما ليس منها ، كما أخبر بذلك القرآن الكريم ، وهذا ما أقره كامبل في دراسته للكتاب المقدس ، غير أنه يرى أن التحريف الذي قصدته آيات القرآن أمر آخر غير ذلك الذي عناه علماء المسلمين، وأفردوا له المؤلفات الضخام. فراح كامبل يفند الآيات القرآنية التي تتحدث عن مسألة التحريف، ويستدل بتفسيره هو للآيات أن التحريف هنا من قبل اليهود وليس المقصود به كتبهم*. ولكن في الحقيقة قد تردد – كامبل جدا في هذه النقطة ، فتارة يرى أن اليهود قد اختلفوا في التوراة وكانوا في شك منها. [1] وذلك حين يتعرض لقول الله رب العالمين : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾.[2]

وتارةً أخرى يرى أن التحريف الذي قصده القرآن هو أن خطأ اليهود الأكبر أنهم رفضوا القرآن : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ *وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.[3]

* في هذه النقطة تناقض وارتبك كامبل جدا فتارة يقول : إنَّ رفض اليهود للقرآن هذا المقصود ، وأخرى يقول : بأنه تحريف معنوي ، وتارة يورد أقوال بعض علماء المسلمين بأنهم فعلا كانوا يلوون ألسنتهم بالكتاب . انظر : ص ٥٠ – ٥١ – ٥٢ من المصدر السابق .

(1) انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٥١.

(2) سورة هود : آية ١١٠.

(3) سورة البقرة : الآيات (٤٠–٤٤).

وقوله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾.(١)

ويبدو أن "كامبل" في النهاية لم يجد بُدًّا من الاعتراف بتحريف اليهود لكتبهم والاعتراف كذلك بأنهم يلوون ألسنتهم ، ولكن يأبى إلا أن يبحث عن مخرج لذلك فيقول معلقا على قول الله رب العالمين : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.(٢) إن الذى تقصده الآية هنا من لي اليهود ألسنتهم بأنهم كانوا يلوونها فيما ليس من الكتاب أصلاً ، وفيما ليس من عند الله أصلاً كما تقول الآية وما هو من الكتاب ، وما هو من عند الله.(٣) كما يرى أن الآية تعني أن اليهود كانوا يلوون نطق الكلمات ليفهم السامعون معنى يختلف عن المعنى الأصلي.(٤)

وأما الآيات التي كانت صريحة في الحديث عن التحريف مثل قول الله رب العالمين : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.(٥) فيجب أن يُحْمل التحريف فيها على أن اليهود نقضوا الميثاق

---

(1) سورة البقرة : آية ٨٥.

(2) آل عمران : آية ٧٨.

(3) انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٥٢.

(4) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(5) سورة المائدة : آية (١٢ ، ١٣).

وحرفوا الكلم عن مواضعه ، ونسوا عمدا جزءًا من شريعتهم. وهذا يعني أنهم كانوا يخفون بعض الآيات ، ويقرأون البعض الآخر منفصلا عن قرينته ، كما فعلوا مع آية الرجم. [١]

وهذا ما يسمى التحريف المعنوي أي تحريف المعنى ، وهو يختلف عن التحريف اللفظي الذي يعني تغيير الألفاظ. ولكن اليهود لم يغيروا شيئا من النص.* [٢] كما ذكر القرآن أن منهم قليلا صالحين ، لم يحرفوا الكلم عن مواضعه ، ولم ينسوا ما ذكروا به من كلمات التوراة.

ثم يعود كامبل بع ذلك – فيقرر كلاما آخر قائلا اعتقد أن القرآن يتهم بعض اليهود بأنهم حرفوا كلمات محمد ، وهو يتلو القرآن ويشرحه ، وليس بتحريف التوراة.[٣] وقد حدد القرآن ذلك على قوله : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ

---

(1) يقصد هنا الحديث الذي روي عن النبي (ﷺ) والذي روي عن عبد الله بن عمر ، أن اليهود جاءوا إلى رسول الله فذكروا له أن رجلا وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله (ﷺ) ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ قالوا أن نفضحهم ويجلدون. وقال عبد الله بن سلام : كذبتم ، فإن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فنشروها. فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال عبد الله بن سلام : ارفع يدك. فرفع ، فإذا آية الرجم فقالوا : صدق يا محمد ، فيها آية الرجم فأمر بهما النبي فرجما". والحديث في صحيح البخاري بكتاب الحدود – باب أحكام الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام برقم (٦٣٣٦) وكتاب المناقب برقم (٣٣٦٣).

* وهذا مناقض تماما لما هو مجمع عليه من المفسرين كما سيتضح – إن شاء الله – بيان ذلك في موضعه من هذه الدراسة – ومناقض تمامًا لما في نصوص الكتاب المقدس باعتراف قساوستهم الذين أسلموا ، وباعتراف المجامع التي ألغت وحذفت. ومن أمثلة ذلك انظر ما أورده موريس بوكاي في كتابه "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " ص ٦١ ، ٦٢ ، ٧٠.

(2) انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٥٣.

(3) انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٥٣.

الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾.[1]

ويرجع "كامبل" بعد ذلك ليقرر أنه لا توجد آية واحدة في القرآن تقول إنهم (حتى الأشرار منهم) حرفوا نصوص التوراة. وواضح أن الصالحين منهم لم يحرفوا كتبهم ، ولن يسمحوا لغيرهم بتحريفها.[2] كما أن القرآن يقول : ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾.[3] ويقول أيضا : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾.[4] وهذا يعني أن الله يضمن سلامة وحيه من عبث الأشرار ليظل يهدي إلى صراط مستقيم.[5]

هذه أدلة كامل التي ساقها ليدلل بها أن القرآن الكريم يشهد لصحة التوراة والإنجيل، ولا يشهد لتحريفهما كما يقول المسلمون.

ومن يُنعم النظر فى هذه الآيات يجد أن الدكتور كامبل ركَّز على الآيات القرآنية التى تحدثت عن التوراة والإنجيل في سياق الحديث عنهما كوحيين إلهيين يقر القرآن الكريم بأنهما نزلا من عند الله وخرجا من ذات المشكاة التى خرج هو منها.

والقرآن الكريم فى هذا النوع من السياق يمدح هذين الكتابين وليس متعلقًا بما فعله أهلهما بهما من تحريف أو تبديل الكتابين – لا عن الكتابين نفسيهما – وجدناه

---

[1] سورة البقرة : الآيات (٧٥ : ٧٩).

[2] انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٥٦.

[3] سورة الأنعام : آية ٣٤.

[4] سورة يونس : آية ٦٤.

[5] انظر القرآن والكتاب المقدس، ص ٥٧ وهذا التوجيه ليس صحيحًا ، لأن الوحي الوحيد الذي تكفل الله بحفظه هو القرآن الكريم ، بعد أن كان حفظ الوحي في الأمم السابقة موكولا إلى الأمم نفسها ، فلما حرفوا وبدلوا ، أنزل الله القرآن على نبينا محمد (ﷺ) وتكفل بحفظه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : آية ٩)

يرتبك جدًا فى توجيه هذه الآيات، لأنها لا يمكن أن تحتمل معنى غير ما دلت عليـــه، ولهذا لم يجد كامبل بدًا من الاعتراف فى النهاية بقوله: "ربما جماعة مـــن الأشـــرار اليهود الكذبة حرّفوا كتبهم، وتحريفهم هذا هو ما تعنيه هذه الآيات".[1]

وأحتسب على الله أن يمكننا من بيان المعنى الصحيح الــذي تتضـــافر الأدلـــة عليه، فيصبح كالشمس فى ضحاها وذلك عند مناقشة آراء كامبل فى موضعه من هذه الدراسة إن شاء الله.

****

[1] انظر : "القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم" ، ص٥، ٥١ ، ٥٢ .

المبحث الثاني : مناقشة أدلته في ضوء القرآن الكريم

توطـــئة :

إن الله رب العالمين قد ذكر في القرآن الكريم أنه قد استحفظ أهل الكتـــاب علـــى كتبهم وجعلهم عليها شهداء، غير أنهم لم يحفظوها وفعلوا فيها ما وضحه القرآن الكريم وبيَّنه، فاستحقوا الجزاء من الله. (1)

ثم جاء القرآن الكريم تاليًا لكتب أهل الكتاب فلم يستحفظ الله أحدًا عليه، بل تكفل سبحانه بأن يحفظه، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (2)

ومجيء القرآن الكريم تاليًا للتوراة والإنجيل ومحفوظًا مـــن الله رب العـــالمين جعل هناك علاقة بين الكتب السماوية الثلاثة، هذه العلاقـــة تظهـــر فـــي أن اللاحـــق (القرآن) يشتمل على المحاسن التي ذكرت في السابق، ويشتمل كذلك علـــى زيـــادات كثيرة لا توجد فيما قبله.

كما أن هناك علاقة أخرى تظهر في أن القرآن الكريم يكثر من الحـــديث عـــن التوراة والإنجيل في مواضع كثيرة، منها ما يؤيد ما جاء في التوراة والإنجيل، ومنها ما يخالف ما جاء فيهما مع تصحيح مسار هذه المخالفة، كما أنه يقرر أصول وحقائق وتشريعات الأمم الغابرة والرسالات السابقة، وذكر أن الإسلام ورث أهم ما في هـــذه الدعوات وأضاف إليه أصول ما تحتاجه البشرية. (3) يقول الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أ ﴾ (4)

---

(1) يقول الله رب العالمين: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤]

(2) سورة الحجر : آية ٩.

(3) انظر: "منهج ابن تيمية في دراسة النصرانية" ، ص١٢٥، رسالة ماجستير بكلية دار العلـــوم – جامعـــة القاهرة: إعداد عبد الراضي محمد عبد المحسن، بإشراف الأستاذ الدكتور : محمد عبد الله الشرقاوي.

(4) الشورى : الآية (١٣).

ولوجود هذه العلاقة بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة أرى – وقبل مناقشة آراء كامبل– الوقوف على أمرين مهمين :

الأمر الأول : القرآن الكريم يفرق في خطابه بين نوعين من أهل الكتاب.

إن من يتتبع آيات القرآن الكريم يجد أن أهل الكتاب قد اختصهم الله فيه بكثير من الخطاب . غير أن من ينظر في الآيات المختصة بالحديث عن أهل الكتاب يجد أن الله رب العالمين في القرآن قد حدد أنه يجب التفريق بين نوعين من أهل الكتاب ، يقول الله رب العالمين : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[1] فإن الناظر في هذه الآيات يجد أن القرآن يتبين أن من خصائص أهل الكتاب التي يؤكد عليها القرآن سوء حالهم ، وقبح جرائمهم . ولهذا فإن الذلة قد لازمتهم ، والمسكنة قد شملتهم بسبب كفرهم بآيات الله ، وقتلهم أنبياءه بغير حق ، وعصيانهم لله ، واعتدائهم على حرماته .[2] بيد أن بقية الآيات توضح أنهم ليسوا جميعا على هذا الحال ، فهؤلاء يمثلون الفريق الأول من أهل الكتاب .

وأما الفريق الثاني : فهم جماعة من أهل الكتاب قد أسلموا وأطاعوا الله ورسوله جاء في أسباب نزول هذه الآيات أن ابن عباس قال : لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن شعبة ، وأسيد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ، ورغبوا في

---

[1] سورة آل عمران : الآيات (١١٠-١١٢).

[2] انظر : "مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه" الدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني" ، ص١٤، الطبعة الأولى ، دار الأنصار ، سنة ١٩٨٠م.

الإسلام . قالت أحبار يهود ، وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ورغبوا في غيره . [1]

ومما يؤكد أن القرآن يفرق بين نوعين من أهل الكتاب أنه ينفي عنهم الإيمان وهم على حالهم من نكران رسالة محمد(ﷺ) : ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم ﴾ ثم يعود فيثبت لهم ذلك الإيمان المنفي عنهم ، وهم باقون على نكرانهم لم يتحولوا عنه بقوله : ﴿ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ فلو لم يكونوا فريقين لم يكن لينفي عنهم الإيمان ثم يعود ليثبت لهم ذلك الإيمان المنفي عنهم وهم على ما هم عليه ".[2]

كما أن " مِنْ " تفيد البعضية ، ولا تفيد العموم وتلك البعضية تحققت في الآية بالذين خرجوا من عقيدة اليهود والنصارى بإسلامهم وإيمانهم برسل الله جميعا ، ولم يفرقوا بين أحد منهم . [3]

ويمكن بناءً على تفرقة القرآن الكريم في خطابه بين نوعين من أهل الكتاب ، مع الاستحضار في الأذهان وجود علاقة بين الكتب السماوية الثلاثة أن نتناول آراء كامبل في ضوء هذه العلاقة وتلك التفرقة، ولكن يلح ها هنا سؤال وهو :

الأمر الثاني : هل يجوز "لكامبل" - أو غيره من النصارى - كلاهوتي نصراني أن يحتج بشيء من القرآن على صحة معتقده ..؟!.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : [4]

إن احتجاج النصارى بكلمة واحدة مما جاء به محمد – (ﷺ) - لا يصح بوجه من الوجوه ؛

فإنه إن كان رسولا صادقًا في كل ما يخبر به عن الله – عز وجل – فقد علم كل واحد أنه جاء بما يخالف دين النصارى ، فيلزم أن يكون دين النصارى باطلا. وإن قالوا

---

[1] انظر : تفسير القرطبى (ج٤ ، ص١٧٥) ، وتفسير النفسي (جـ١ ، ص١٧٦) وتفسير روح المعاني الألوسي (جـ٤ ص٣٢) والفخر الرازي (جـ٨ ص١٧٨) والكشاف للزمخشري (جـ١ ص٤٥٦).

[2] انظر : "مواجهة صريحة بين القرآن وخصومه " ، ص١٥ ، بتصرف.

[3] انظر : السابق ، نفس الموضع.

[4] انظر : "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية" ، جـ١ / ص٣٨ ، ٣٩.

في كلمة واحدة مما جاء به أنها باطلة ، لزم ألا يكون عندهم رسولا صادقا، وكانوا مكذبين له – بذلك – في قوله : إنه رسول الله ، وإنه بلغ هذا القرآن عن الله ، ومن كان كاذبا في قوله : إنه رسول الله ، لم يكن من الأنبياء والمرسلين ، ومن لم يكن منهم لم يكن قوله حجة البتة .

فإن عرفت صحة ما يقوله بدليل منفصل قبل القول ، قبِلَ ذلك القول لا لأنه قاله ، ولكن لأن صدقه قد عُرف من غير وَجْهَته ، وإن لم تعرف صحة ذلك القول لم يقبل .

وهذا بخلاف المسلمين فإنه يصح احتجاجهم على أهل الكتاب ، اليهود والنصارى، بما جاءت به الأنبياء قبل محمد (ﷺ) ، وذلك أن المسلمين مقرون بنبوة موسى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان ، وغيرهم من الأنبياء (عليهم السلام) ، وعندهم يجب الإيمان بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله ، وهذا أصل دين المسلمين . [١]

وهناك أمر آخر ينبغي أن نلفت النظر إليه وهو أن "بوكاي" وهو المحاور الأول والذي أصل لمنهج تثبته من صحة الكتب السماوية ممررًا إياها على حقائق العلم الحديث ونظرياته التي لا يرقى إليها شك، متخذًا من هذه الحقائق مقياسًا للحكم على النصوص بالصحة والتحريف. غير أن كامبل لما أراد أن يتناول دحض أدلة بوكاي عمد إلى النصوص نفسها فقام بتحليلها وفقًا لرؤيته. وهذا الخروج من كامبل عن المنهج الذي وضعه بوكاي يجعلنا نعمد أيضًا إلى نصوص الكتب التي استدل منها على صحة ما ذهب إليه، والترجيح- من خلال تمحيص النظر فيها- هل رؤى كامبل حول هذه الاستدلالات صحيح أم جانبه الصواب في ذلك ؟! مع التنبيه على أن هذا المنهج التحليلي للنص نفسه قد استخدمه كامبل في كل القضايا المشتركة بينه وبين بوكاي والتي هى محل الجدال بينهما.

إن الآيات التي يستدل بها الدكتور "كامبل" على صحة التوراة والإنجيل زمن المسيح وزمن محمد (ﷺ) تدور كلها حول الأمور الآتية :

أ – أخبر القرآن أن الله رب العالمين علم عيسى التوراة ، وآتاه الإنجيل فجاء مصدقا لمن بين يديه من التوراة ، وقد أخبر عيسى (عليه السلام) بني إسرائيل بذلك.[٢]

---

[1] انظر : "الجواب الصحيح"، جـ١ ، ص٣٢ ، ٣٣.

[2] انظر: "تفصيل الآيات التى استدل بها الدكتور "كامبل" فى هذه النقطة " ، من ص ٢١٦ إلى ص ٢١٩ من هذا البحث.

ب- أن هناك مسيحيين أتقياء عاشوا في الفترة بين محمد (ﷺ) والمسيح (عليه السلام) نقلوا التوراة والإنجيل صحيحين إلى عهد محمد (ﷺ). [١]

جـ- أن القرآن الكريم أخبرنا بأنه جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومهيمنا عليهما .[٢]

إن من يتأمل هذه المحاور الثلاث يجد أن عيسى ومحمدا وصفهم القرآن بأنهما جاءا مصدّقين لما بين أيديهِمَا من كتب سابقة عليهما .

فما هو معنى التصديق الذي يقصده القرآن الكريم ؟

وردت آيات كثيرة في القرآن تصفه بأنه مصدق لما بين يديه من كتب الله[٣] .

من ذلك قول الله رب العالمين : ﴿ الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾.[٤] . وقوله : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[٥] وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٦]

أولا : إن من سنن الله في تشريعه أن عقائد الأنبياء كلها واحدة تقوم على التوحيد الخالص الذي لا شبهة فيه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٧]

---

[1] انظر : "تفصيل الاستدلال في هذا البحث" ، من ص ٢١٩ إلى ص ٢٢١.

[2] انظر : "تفصيل الاستدلال في هذا البحث" ، من ص ٢١٦ إلى ص ٢١٩.

[3] تكرر هذا الوصف في ست عشرة آية ، انظر : "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" (٦/٤٠٦).

[4] سورة آل عمران : الآيات (١-٤).

[5] سورة الأنعام : آية ٩٢.

[6] سورة يونس : آية ٣٧.

[7] سورة الأنبياء : آية ٢٥.

وأما الشرائع والحدود فهي مختلفات : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[1] وإذا تبين لنا ذلك فإن تصديق كتاب سماوي لآخر سابق عليه يكون من جهات متعددة منها .

أ– التصديق لأصل الوحي : [2]

والمقصود به أن النبي الذي وصف بهذا الوصف أثبت الوحي ، وقرر إمكان وقوعه فعلا ، حيث أخبر القرآن كل نبي أن الله أرسل قبله رسلا أوحي إليهم . كما قال لمحمد (ﷺ): ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾[3]

وهذا النوع من التصيق هو الذى يثبت لكل نبي أنه يسير على خطى من سَبَقَه من إخواته الأنبياء السابقين عليه في تبليغ ذات الدعوة التي بلَّغوها هم قبله ، وكان أصلها منطلقًا من ذات الأصل الذي انطلقت منه دعواتهم (وهو أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

ولعِلْم نبينا محمد (ﷺ) بذلك علم اليقين قال لقومه : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[4]

ثم يؤكد الله رب العالمين لنبيه بعدها مباشرة أنه لم يكن بدعًا من الرسل بقوله سبحانه : ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾[5]

---

[1] سورة المائدة : آية ٤٨.

[2] انظر : "تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية وهيمنته عليها" ، مقال للدكتور إبراهيم عبد الحميد سلامة ص٧٩ ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – العدد ٤٦.

[3] سورة النساء : آية ١٦٣.

[4] سورة الأحقاف ، الآيتان ٩ : ١٠.

[5] الأحقاف : آية : ١٢.

مُبْطلاً بذلك استدلال "كامبل" على أن القرآن يفضل كتاب موسى (التوراة) على القرآن. ويثبت أن وحي محمد لم يكن قطعًا من عند نفسه ، بل هو من ذات الأصل الذي أُوحِيَ منه للأنبياء قبله ضاربًا المثل بكتاب موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. [١]

كما أكد الله أن محمدًا لَوْ حَادَ عن وحي ربه الذي أوحاه إليه إلى وحي آخر من عند نفسه ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾[٢] ووجود هذا النوع من التصديق بين الكتب السماوية هو الذي يحمل عليه قول الله رب العالمين لنبيه (ﷺ) : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [٣]

أى إن كنت يا محمد قد ساورك الشك – وهذا ممتنع عنه (ﷺ) – فاسأل مَنْ عنده علم الكتاب، لأنه لو سمع منك ما يوحي إليك وقارنه بما عنده من وحي صحيح وصله عن نبيه ليخبرنك بأن ما عندك متطابق تمام التطابق مع ما عنده من علم ووحي.

وهذا الوجه يبطل ما ذهب إليه "كامبل" من أن الله أمر محمدًا في القرآن أن يسأل أهل الكتاب ، وهذا معناه صحة وحيهم[٤] وإن سلمنا له بأن الله قد أمر محمدًا أن يسأل أهل الكتاب ، فالمراد كما يقول المفسرون المسلمون أن يسألهم (ﷺ) عن هذا القرآن الذي أوحي إليه به ، فهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم واسألهم أيضًا يا محمد عن صفتك المكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل. [٥]

قال أبو جعفر الطبري: "فإن كنت يا محمدٌ في شكٍ من حقيقة ما اخترناك فأنزلنا إليك من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في ثبوتك قبل أن تُبْعث رسولاً إلى خلقه؛

---

[1] اختص الله رب العالمين موسى (عليه السلام) هنا ضاربًا به المثل دون غيره من الأنبياء لأن هذه الآية نزلت مؤكدة لما قبلها " وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله والشهادة المقصودة هنا هى شهادة عبد الله بن سلام الحبر اليهودي الذي شهد للقرآن وآمن به ، لأنه كان عنده علم بالتوراة ، فأتبع المثال بالنبي موسى لأنه هو الذي يؤمن به عبد الله بن سلام".

[2] سورة الحاقة : الآيتان (٤٥ ، ٤٦).

[3] سورة يونس : آية ٩٤.

[4] انظر ما سبق من هذا البحث ، ص ٢١٧

[5] انظر : "الكشاف " ، للزمخشري (١٠٣٧/١)

لأنهم يجدونك عندهم مكتوبًا، ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في التوراة والإنجيل" فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر منهم...قال ابن عباس في قوله: "فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك" قال : التوراة والإنجيل الذين أدركوا محمدًا (ﷺ) من أهل الكتاب فآمنوا به يقول: فاسألهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم. [1]

وقد فعل النبي (ﷺ) ذلك فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبى صخر العقيلي : قال حدثني رجل من الأعراب ، قال : " جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله (ﷺ) ، فلما فرغت من بيعتي قلت : لألقين هذا الرجل ولأسمعن منه ، قال : فتلقاني بين أبى بكر وعمر يمشون فتبعتهم في أقفائهم حتي أتوا على رجل من اليهود ناشرًا التوراة يقرؤها ..يعزي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله (ﷺ) : "أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي ؟ فقال برأسه هكذا : أى لا ، فقال ابنه :إيي والله الذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، فقال : أقيموا اليهودي عن أخيكم، ثم وليّ دفنه والصلاة عليه. [2]

ولما كان تصديق القرآن تصديق لأصل الوحي – على النحو الذي مر – أمر الله نبيه سبحانه وتعالى أن يسأل أهل الكتاب بقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [3]

---

[1] انظر: تفسير الطبري (٦/٦٠٩).

[2] مسند الإمام أحمد برقم (٢٢٣٩٤). ومثله ما رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه : إن الله ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة ، فدخل كنيسة ، فإذا يهود ، وإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبي (ﷺ) ، فقال هذه صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، (مسند الإمام أحمد برقم ٣٧٥٥) .

[3] سورة النحل : آية ٤٣.

وهذا الاختصاص لأهل الكتاب دون غيرهم من عبدة الأوثان دليل على أن السؤال هنا منصرف إلى السؤال عن الوحي الذي يعرفه أهل الكتاب من أنبيائهم ولا شئ غيره ، ولا يدخل معهم في ذلك عبدة الأوثان ، لأن ما عندهم من عقيدة لا أصل لها في وحي الأنبياء الموحي إليهم من قبلِ الله رب العالمين.[١]

ويؤكد الله رب العالمين لنبيه ذلك الأصل تأكيدًا بقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٢].

ب- التصديق من الكتاب اللاحق لما جاء من وصف موجود في الكتاب السابق :

فإذا ما وصُف القرآن الكريم أو وُصفَ الإنجيل بأنه : ﴿ مصدقًا لما بين يديه ﴾ فالمقصود أنه جاء حسب وصفه الموجود في تلك الكتب ، فمثلاً القرآن جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل ، حيث اشتمل على وصف خاتم المرسلين ، بأنه النبي الأمي ، وهذا الوصف موجود في الكتب السابقة[٣] ، وأنه يأتي بكتاب من عند الله ، وهذا أيضا موجود في الكتب السابقة.[٤]

فنزول القرآن على وفق هذه النعوت تصديق لهذه الكتب ، ومما يؤيد ذلك ما ذكره الإمام ابن كثير في معنى قوله تعالى : ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ . أي من الكتب المتضمنة ذكره ومدحه ، وأنه سيُنَزِلُ من عند الله على عبده ورسوله فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقا عند حامليها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله .[٥]

---

(1) انظر : أحكام أهل الذمة ، لابن القيم ، ص٩٥ وما بعدها ، تحقيق : يوسف أحمد البكري، وشاكر توفيق، دار ابن حزم، الدمام، بيروت.

(2) سورة الزمر : آية ٨٥.

(3) انظر : سفر الثنية ، الإصحاح الثامن عشر.

(4) انظر : إنجيل متى ، الإصحاح ٢١ ، الفقرتان (٤٢ ، ٤٣).

(5) انظر : "تفسير ابن كثير" ، جـ٣ /١١٩ ، وانظر : الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ، ص ١٠٦، المطبعة السلفية، بدون تاريخ.

وهذا النوع من التصديق هو الذي يؤيده قول الله رب العالمين في حق عيسى (عليه السلام) : "وَيُعَلِّمُهُ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ" أي أنه لم يَدَعْ أحبار اليهود يُعَلِّمُوه ، بل تكفل سبحانه بتعليمه إياها . (١)

جـ) التصديق في مقاصد الدين الإلهي وأصوله .

وهذا النوع من التصديق هو الذي يقوم وينبني عليه إيمان النصارى ، فهم يؤمنون بالتوراة لأن عيسى (عليه السلام) أخبرهم بأنه جاء مصدقًا لما جاء فيها بقوله :

[لاَ تظُنُّوا أنّي جِئتُ لأَنقُضَ النَّامُوسَ أوِ الأنبِيَاءَ. مَا جِئتُ لأَنقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ](٢)

وعلى أساس إيمان النصارى بأن المسيح (عليه السلام) جاء مصدقًا لما بين يديه من التوراة تأولوا – خطئًا – نصوص التوراة التي بها بشارات بأنبياء لاحقين لموسى (عليه السلام) بأن المقصود بها جميعًا المسيح (عليه السلام).

أكد القرآن الكريم كثيرًا على هذا النوع من التصديق وذلك لأن الأصل – كما قررنا سابقا – أن مقاصد الدين الإلهي وأصوله واحدة ولا تختلف باختلاف الشرائع والرسالات وفي هذا الصدد نلاحظ أن القرآن الكريم على الرغم من أنه ناسخ لما قبله من كتب يأْمُر الرسول (ﷺ) بأن يطلب من أهل الكتاب أن يحكم كل منهم بما جاء في التوراة والإنجيل، لأنه لما كان القرآن الكريم ينزل بعضه وفق حوادث معينة ، كان يستلزم ذلك نزول الآيات القرآنية بالحكم الخاص بتلك الحوادث، ولما كان بعض هذه الحوادث متعلقًا باليهود أو النصارى فكان يَطْلُبُ منهم القرآن أن يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه وأن يحكم أهل التوراة بما أنزل الله فيها. (٣)

ولا يكون هذا إلا في سياق تطبيق الشرائع والوصايا التي يكون أصلها واحد وجاء ذكره في الكتب الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن)دون نسخ من لاحق على سابق.

---

(1) انظر : رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم للدكتور محمد جمعة عبد الله ، ص٩٩ ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ ، سنة ١٩٨٥م ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

(2) انظر : إنجيل متى (الإصحاح الخامس ، فقرة ١٧).

(3) انظر : "تصديق القرآن الكريم للكتب السابقة " ، ص٨١.

ومن أهم الحوادث التي حدثت مع النبي (ﷺ) وأهل الكتاب وكانت متعلقة بتطبيق الشرائع ما حدث في عهد النبي (ﷺ) من أن رجل وامرأة من اليهود زنيا فجاء اليهود إلى النبي (ﷺ) وذكروا له ذلك فقال لهم رسول الله (ﷺ) : "ما تجدون من التوراة على من زنى ؟ "قالوا نُسَوِّد وجوههما، ونحميهما، ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما. قال : "فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين " قال فجاءوا بها فقرءوها ، حتى إذا مر بآية الرحم ، وقرأ ما بين يديها وما وراءها . فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله (ﷺ) مره فليرفع يده . فرفع يده فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله(ﷺ) فرجما . قال عبد الله بن عمر : كنت في من رجمهما ، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه. [١]

فلما كان الأمر من هذه الحادثة متعلقا بالشرائع والوصايا الثابتة والموحدة في كل الأديان والكتب أنزل الله رب العالمين على نبيه (ﷺ) يصف له فيها حال أهل الكتاب ، ويطلب أن يرجعوا إلى كتبهم لأن ما فيها من الشرائع يتفق مع ما أنزل عليك يا محمد فيقول القرآن الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا

---

[١] رواه البخاري، كتاب "الحدود"، باب أحكام أهل الذمة، برقم (٦٣٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٣٢١١).

اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1] ، وليس في هذا اقتباس من محمد لشيء من توراة موسى، لأن ما عند محمد (ﷺ) مصدق لمقصد الدين الإلهي الذي يدل عليه موسى ورب هذا وذاك هو الله سبحانه وتعالى.

ومما يؤكد هذا الاتفاق في الشرائع بين الكتب الثلاثة أن الآيات التي تأتي بعد هذه مباشرة تطلب من كل أهل الكتاب على حدة أن يطبقوا ما جاء من شرائع في كتابهم ، لأنه أصل واحد لا اختلاف فيه. يقول الله رب العالمين مطالبا بتطبيق ما جاء في الإنجيل :﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2]

ثم يأتي بعدها مباشرة الآيات التي تطلب تطبيق ما جاء في القرآن من شريعة على المؤمنين ، وعلى من يريد حلاً لمشاكله من غيرهم فيقول : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ

---

[1] سورة المائدة : الآيات (٤٤ : ٤٥).

[2] سورة المائدة : الآيات (٤٦ ، ٤٧).

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(١)

وقد أكد القرآن الكريم في كثير من المواضع وهو يخاطب المسلمين أنه يتعبدهم بكثير من الشرائع التي تعبَّد بها من قبلهم فيقول في الصوم (٢) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٣) وقال في الصلاة والزكاة: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾(٤) فالقرآن يقرر أن أصول الشرائع قدر مشترك بين كُتب الله ، وأما تفاصيلها وهيئاتها ، وما يتصل بذلك من تفاريع أخرى ، فتختلف فيها الكتب اختلافا يتناسب مع أحوال الناس في كل الأزمنة ويتفق مع مصالحهم(٥) ، لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجًا فما يصلح لزمان قد لا يصلح لآخر وما يلائم طبيعة قَوْمٍ قد لا يلائم طبيعة قوم آخرين. (٦)

والقرآن باعتباره خاتم الكتب جاء يجدد دعوة الكتب السماوية السابقة إلى أصول العقيدة والشريعة ، ويؤكد وحدتها في جوهر الدعوة إلى الله لتتحقق الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة. ثم هو بعد ذلك يخالف كل ما سواه من الكتب المنزلة بما ينفرد به من نُظُمِ التشريع وألوان العبادات وكيفيات المعاملات التي تلائم عصره وتتفق وصالح الإنسانية في مرحلتها الأخيرة ؛ مرحلة النضج والكمال. (٧)

---

(1) سورة المائدة : الآيات (٤٨ – ٥٠).

(2) انظر : "تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية" ، مقال سابق ، ص٨٢.

(3) سورة البقرة : آية ٨٣.

(4) سورة البقرة : آية ٨٣.

(5) انظر : "تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية" ، ص٨٣.

(6) انظر : "الإسرائيليات في التفسير والحديث " ، ص١٢.

(7) انظر : السابق ، ص١٣.

وللمزيد من البرهان على هذه النقطة – تصديق القرآن للكتب السماوية في أصول العقيدة والشريعة – نذكر بعض الفضائل التي ذكرها القرآن ورغب فيها وبعض الرذائل التي رهَّب ونفَّر منها . فكل الكتب السماوية – قبل القرآن – أمرت بالعدل والإحسان والبر والوفاء والرحمة ، وما إلى ذلك من الفضائل ومكارم الأخلاق التي تسعد بها البشرية في كل زمان ومكان ، وكل كتب الله كذلك قد نهت عن الظلم والخيانة والكذب والغدر والقسوة وما إلى ذلك من الرذائل التي تورد البشرية موارد الهلاك.[1] يقول الله رب العالمين : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ .[2]

وقال الله رب العالمين في حق إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ .[3]

وقال في سياق قصة زكريا (عليه السلام): ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[4]

فالنص القرآني في هذه الآيات السابقة صريح في أن الله أوحى إلى هؤلاء الرسل الكرام فعل الخيرات، وفِعْلُ الخيرات يشمل كل الفضائل التي تسعد بها البشرية ، وتأخذ يدها إلى ما فيه عزها وصلاحها .[5]

---

(1) انظر : "تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية " ، ص٨٢.

(2) سورة البقرة : آية ٨٣.

(3) سورة الأنبياء : آية ٧٣.

(4) انظر : "تصديق القرآن للكتب السماوية " ، ص٨٣.

(5) انظر : السابق ، ص٨٤.

د) تصديق القرآن لما سبقه من كتب في جمعه ما توزع فيها من فضائل :

صدَّق القرآن الكريم ما سبقه من كتب الله وجمع الله فيه ما توزع في هذه الكتب من فضائل ، وصاغها في قوالب جديدة ، فأنقذ بذلك أصول ما سبقه من كتب الله ، وحَفظَهُ وصَدَّقه ، ولولا القرآن الكريم ما بقى لهذا التراث من الفضائل وجود.(١)

ولما كان القرآن الكريم يتميز من بين الكتب السماوية بهذه الميزة، وكان خلاصة كاملة للرسالات الأولى وللنصائح التي بُذلت للإنسانية من فجر وجودها ، وكان استعراضًا حقيقيًا للأشفية السماوية التي احتاجت إليها البشرية جيلا بعد جيل ، أصبح القرآن مجلي عناية الله بعباده.(٢)

يقول الله عز وجل وَصفًا لبعض آيات القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾(٣)

كما يؤكد النبي (ﷺ) أن الله بعثه مجددًا لدين الله ومقيمًا لما انهدم من أركانه فيقول : "لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو أن موسى حي ما وسعه إلا إتباعي"(٤) وهذا المعنى هو الذي ذكره القرآن الكريم بعد سرده لعدد كبير من الأمم والمرسلين إذ يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾(٥)

وبناءً على ما تقدم نجد أن الاستدلال بالآيات التي يوردها "كامبل" من أن عيسى صَدَّق ما جاء في التوراة وأن محمدًا (ﷺ) صَدَّق ما جاء في التوراة والإنجيل

---

(1) ولهذا السبب تكفل الله بحفظ القرآن الكريم بعد أن كان حفظ الكتب السابقة موكولاً أمره – فيما سبق – إلى الأحبار والرهبان.

(2) انظر : السابق ، ص٨٢.

(3) سورة الأعلى : الآيتان (١٨، ١٩).

(4) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٤٦٢٣).

(5) سورة الشعراء : الآيات من (١٩٠ : ١٩٠).

وأنهما خاليان من التحريف والتبديل، استدلال ليس له أصل من الصحة لأن الآيات المُسْتَدلُّ بها تتعلق بتصديق شريعة محمد وشريعة عيسى لشريعة موسى (عليه السلام) وأن ما جاءا بهِ ليَخْرُجُ من ذات المشكاة التي خرج منها تشريع موسى – كما بينت آنفا – وأن هذا التصديق كان لثبوت نزولها من الله فقط ، لا للحكم ببراءة هذه الكتب من التحريف والتبديل والنسخ .

وكما يقول صاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق): لو لزم من التصديق وجود مصدَّق به للزم من تصديق الرسل وجودهُم حين التصديق ، وهذا فاسد . [1]

ويتأكد هذا الفساد في الاستدلال إذا قام "كامبل" بإكمال باقي الآية التي استشهد بها واقتطعها ولم يُتمَّها ، ففي تمامها يقول الله رب العالمين : ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[2]

فهذا الجزء المقتطع من الآية يشهد لصحة ما قلته من أن التصديق المقصود به هو أن أصل التشريع واحد ، وعليك يا محمد أن تحكم به لأنه ليس فيه زيغ ولا هوى ولا تحريف ولا تبديل ، وابتعد عن أهواء أهل الكتاب بالحق الذي معك ، ثم يأمر الله رب العالمين محمدًا (ﷺ) في الآية التي تليها مباشرة ألاَّ يَحْكُمَ – حتى على أهل الكتاب – إلا بما أنزله الله عليه ، ثم يحذره من أن يفتنه أهل الكتاب بأهوائهم عما أنزله الله عليه من الحق فيقول : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

---

[1] انظر : "ذيل كتاب الفارق بين المخلوق والخالق" ، ص٤٢ ، لعبد الرحمن باجة جى زاده ، الطبعة الأولى دار عمار بالأردن سنة ١٤١٩هـ ، سنة ١٩٩٨م.

[2] سورة المائدة : آية٤٨ ، وأول الآية يقول الله فيها ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ .

وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾[1]

ومن الأدلة الموضحة لفساد هذا الرأي – أعني رأى كامبل– ، ما ذكره الله رب العالمين في سورة القصص ، وهو يخاطب أهل الكتاب ، فيقول لنبيه(ﷺ) في أول السورة : ﴿ طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[2] وفي آخر السورة يقص الله رب العالمين على نبيه – (ﷺ) – قصة موسى مع سحرة فرعون ، ثم يُتْبِعُ ذلك بذكر بعض خصائص أهل الكتاب فيقول : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .[3]

ثم يؤكد الله رب العالمين على الحقيقة التي نشير إليها، من أن القرآن قد خرج من ذات المشكاة التي خرج منها كتاب موسى فيقول : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [4]

---

[1] سورة المائدة : آية ٤٩.

[2] سورة القصص : الآيات من (١ :٤).

[3] سورة القصص : الآية ٥٠.

[4] سورة القصص : الآيتان (٥١ :٥٥)

فذكرت الآيات أن فريقا من أهل الكتاب عندما سمعوا القرآن آمنوا بــه لأنــه ذكَّرَهُمْ بأنه يشتمل على ما يشتمل عليه الكتاب (كتاب موسى) الذي آمنوا به من قبل.

ولكي يؤكد القرآن الكريم صحة هذه الرؤية لم يكتف بأن وصف نفســه بأنــه مصدق لما بين يديه ولكن أتبع هذا الوصف في كثير من مواضعه – بوصــف آخــر وهو " ومهيمنا عليه ".

يقول الله رب العالمين : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[١]

**** مفهوم هيمنة القرآن الكريم على الكتب السماوية السابقة :**

أصل الهيمنة في اللغة : يقال همين يهيمن هيمنة : إذا كان رقيباً على الشيء، والمهيمن : الشاهد الذي آمن غيره من الخوف ومهيمنًا عليه : أى وشاهدًا عليه.[٢]

يقول الإمام الطبري في تفسيره لقول الله رب العالمين : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

" الكتاب " وهو القرآن ... " بالحق " بالصدق فلا كذب فيه ولا شك أنه من عند الله . " ومهيمنا عليه " يقول أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه يا محمد مصدقا للكتــب قبلــه وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله أمينا عليها حافظًا لها وأصــل الهيمنــة الحفــظ والارتقاب.[٣]

وجاء في تفسير الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية . فإن قلت : أي فرق بين التعريفين في قوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ قلت: الأول : تعريف العهد لأنه عُنَي به القرآن . والثاني تعريف الجنس لأنه عُنَي به جنس

---

(1) سورة المائدة : الآية ٤٨.

(2) انظر: لسان العرب ، مادة : همن.

(3) "تفسير الطبري "، جـ٦ ، ص١٧٢ ، ١٧٣، والارتقاب في اللغة معناه : الرقيب : هو الحــافظ الــذي لا يغيب عنه شيء، والترقب والارتقاب : الانتظار (انظر: لسان العرب ، مادة : رقب.

الكتب المنزلة ، ويجوز أن يقال هو للعهد ، لأنه لم يُرِدْ به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق ، وإنما أريد نوعٌ معلوم منه، وهو ما أُنْزِل من السماء سوى القرآن . وقرئ ومهيَمنًا عليه "بفتح الميم : أي هو مَنَّ عليه بأن يُحفظ من التغيير والتبديل كما قال : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [١] والذي هيمن عليه الله عز وجل ، أو الحفَّاظُ في كل بلد حُرِّفَ منه حرف أو حركة أو سكون لَتَنَبَّه عليه كل أحد ولا اشمأزوا رادّين ومنكرين. [٢]

ومن معاني هيمنة القرآن على ما سبقه من الكتب المنزلة أنه احتوى على جواهر معانيها وزاد عليها ما ليس فيها ، وصحّح كثيرًا مما ألحقوه من تبديل وتغيير[٣]. ويقرر هذا المعنى الألوسي في تفسيره لهذه الآية السابقة فيقول عن هيمنة القرآن الكريم : يقرر أصول شرائعها وما يتأيد من فروعها ويُعَيِّنُ أحكامها المنسوخة. [٤]

ويتابعه في هذا المعنى أيضا صاحب تفسير المنار إذ يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ "فمعناه أنه رقيب عليها وشهيد بما بَيَّنَهُ من حقيقة حالها في أصل إنزالها ، وما كان من شأن من خُوطبوا بها من نسيان حظٍ عظيمٍ منها وإضاعته ، وتحريف كثيرٍ مما بقى منها وتأويله والإعراض عن الحكم والعمل بها ، فهو يحكم عليها ؛ لأنه جاء بعدها." [٥]

كما يقول الإمام ابن كثير : "فالقرآن أمين وحاكم وشاهد على كل كتاب قبله ، وجعل الله هذا الكتاب العظيم آخر الكتب وخاتمها ، وأشملها، وأعظمها ، وأحكمها، حيث جمع فيه معاني ما قبله وزاده من الكمالات كمالاً ليس في غيره ، فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها وتكفل بحفظه بنفسه."[٦]

---

[1] سورة فصلت : الآية ٤٢.

[2] انظر : "الكشاف" ، الزمخشرى ، جـ١، ص٦١٨.

[3] انظر : "مواجهة صريحة بين القرآن وخصومه" ، ص٣١.

[4] روح المعانى للآلوسى " (جـ٦ ، ص١٥٢.

[5] انظر : "تفسير المنار" ، جـ٦ ، ص٤١ ، ٤١١.

[6] تفسير ابن كثير (١١٩/٣).

**** من مظاهر هيمنة القرآن الكريم على الكتب السماوية السابقة.**

إذا كان معنى هيمنة القرآن الكريم – على النحو الذي مر – أنه رقيب على الكتب السابقة ، وشهيد عليها بما بيَّنه من حقيقة إنزالها ، وما كان من شأن من خوطبوا بها من نسيان حظٍ عظيمٍ منها وإضاعته – وتحريف كثير مما بقى منها، وتأويله والإعراض عن الاحتكام إليها والعمل بها – وإذا كان ذلك كذلك- فلابد أن يكون القرآن الكريمَ حاكمًا ومهيمنًا على هذه الكتب.

ومن ينعم النظر في القرآن الكريم يجد أن من الأحكام التي يجريها القرآن على التوراة والإنجيل – **بحكم هيمنته عليها** – أن أهل الكتاب حرفوا وبَدّلوا الكتب التي بين أيديهم ، وكان الله رب العالمين قد استحفظهم عليها .

1) المظهر الأول من مظاهر الهيمنة : الحكم بتحريف التوراة والإنجيل.

أخبر القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم وتبديلها ، وقد تضافرت على ذلك كثير من الأدلة القرآنية . وقد اعترف "وليم كامبل" نفسه بوقوع ذلك التحريف .[1]

وقد أجمع المسلمون على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل إمّا عمدا وإمّا خطأً في ترجمتها ، أو في تفسيرها، أو تأويلها. إلا أن علماء المسلمين قد اختلفوا في مقدار التحريف فيها.[2]

أ- قالت طائفة من العلماء إن التوراة كلها – أو أغلبها – مبدَّلة مغيَّرة وهي ليست التي أنزلها الله على موسى ، ومن هؤلاء القاضي عبد الجبار ، وابن حزم.[3]

ب- وقالت طائفة أخرى إن التبديل وقع في التأويل، في التنزيل، ومن هؤلاء أئمة الحديث والفقه والكلام كالإمام البخاري ، وتبعه فخر الدين الرازي.[4] واستدل

---

(1) انظر : ص   من هذا البحث ، وانظر : أيضًا القرآن والكتاب المقدس ، ص٥١ -٥٦.

(2) انظر : "إغاثة اللهفان " ، جـ٢ ، ص٣٥١- ٣٥٥ ، وضحى الإسلام لأحمد أمين ، جـ١ ، ص٣٢٧-٣٢٨.

(3) انظر : الفصل ، جـ١ ، ص٢٢٤ ، وقارن "جهود القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان"، ص٢٣٥، وانظر : "في مقارنة الأديان بحوث ودراسات" ، ص٩٠ ، وما بعدها.

(4) انظر : "مفاتيح الغيب " لفخر الدين الرازي ، جـ١ ، ص٣٧٩ ، ٣٨٠ - جـ٣ ، ص٢٢٩ ، ٢٣٠.

هؤلاء العلماء بقول القرآن : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِه ﴾.[1] وأن التوراة قد طَبَّقت الأرض وانتشرت في أرجائها ، فيمتنع وقوع التواطؤ على التبديل والتغيير في جميع تلك النسخ بحيث يبقى في الأرض نسخةٌ إلا مبدَّلة مغيَّرة ، وهذا يُحيله العقل ويشهد لبطلانه .[2]

جـ - وطائفة ثالثة من العلماء قالت إنه قد زيد في التوراة ، وأن التبديل والتغيير وقع في اليسير من ألفاظها ، لكن أكثرها باق على ما أنزل عليه ، وممن اختار هذا القول الإمام ابن تيمية ومال إليه تلميذه ابن القيم .[3]

ومهما يكون من أمرٍ فإن المسلمين مجمعون على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل، وهذا التحريف في كتبهم إما بالتبديل ، أو بالزيادة ، أو بالنقصان ، أو تحريف بتغير المعنى دون اللفظ وإلى جانب هذه الأنواع من التحريف فإن هناك وسائل أخرى ذكرها القرآن الكريم لا تقل خطورة في تأثيرها عن التحريف والتبديل.[4]

*** وسائل تحريف التوراة والإنجيل .**

أولا : لَبْس الحق بالباطل :

كان بنو إسرائيل يخلطون الحق بالباطل ، بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر، وقد سجل القرآن الكريم هذا الجُرْمَ عليهم قال سبحانه : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾.[5] وقال سبحانه : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .[6]

---

[1] سورة النساء : آية ٤٦.

[2] انظر : "إغاثة اللهفان" ، لابن القيم ، جـ٢ ، ص٣٥٣.

[3] انظر : "الجواب الصحيح " ، جـ١ ، ص٣٦٠ ، ٣٦٣ ، وانظر : "إغاثة اللهفان" ، جـ٢ ، ص٣٥٤.

[4] انظر : "الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها فى انحرافهم " للدكتور محمد عبد الرحمن قدح ، ص٣٣.

[5] سورة البقرة : الآيات (٤٠ -٤٢).

[6] سورة آل عمران : آية ٧١.

ومن أبلغ الصور وأقبحها في إلباس الحق بالباطل ادعّاء الكهنة والأحبار في التوراة التي بأيديهم أن هارون عليه السلام هو الذي جمع الذهب من بني إسرائيل واشترك معهم في صناعة العجل الذهبي ، ووافقهم على عبادته من دون الله ، وفي الوقت نفسه يُبَرِئّون السامري؛ فهارون الذي تحمل المشاق (عليه الصلاة والسلام) في سبيل إقناع فرعون بالتوحيد جعلوه داعية الشرك والكفر[1] ، تقول التوراة : [**وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأْتُونِي بِهَا». فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ!**] [2]

ولكن القرآن الكريم كان لهذه الدعوي بالمرصاد ،فكذَّبهم وبيَّن حقيقة الأمر فقال تعالى : ﴿ فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾[3]

ثانيا :– كِتْمَانُ الحق :

إن التوراة التي أنزلت على موسى (عليه السلام) ومكتوبة على الألواح وكانت له ولقومه موعظة وتفصيلا لكل شيء كانت حقا لأنها كلام الله تعالى . غير أن القرآن الكريم يَذْكُرُ لنا أن من مساوئ بني إسرائيل كتمانهم للحق على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ عليهم الميثاق ألاَّ يقولوا على الله إلا الحق . يقول الله رب

---

[1] انظر : الفصل ، جـ١ ، ص٢٥٦.

[2] سفر الخروج ، الإصحاح (٣٢) ، الفقرات (١–٤).

[3] سورة طه : الآيات (٨٧–٩١).

العالمين : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .[1] فتصف هذه الآيات بني إسرائيل أنهم يُفضلون متاع الدنيا على الآخرة على الرغم من أن الله أخذ عليهم العهود ألا يكتموا الحق .

ومن أعظم ما كتمه أهل الكتاب هو ما وجدوه في كتبهم من صفات محمد (ﷺ) ، واختيار الله له رسولا إلى الناس أجمعين ، وقد كانوا يعرفونه في كتبهم كما يعرفون أبناءهم ، ولكنهم إذا سئلوا عن ذلك كتموه .[2]

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4] فقال عز وجل : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[5]

ومع هذه الأوصاف العظيمة التي كانوا يعرفونها مكتوبة عندهم ، أنكروا نبوته (ﷺ) وكتموا ما علموه.[6]

---

[1] سورة الأعراف : آية ١٦٩.

[2] انظر : "تفسير البغوى" ، ص٦٧ ، ١٦٢ ، ص٣١٥ ، وانظر سفر التثنية (الإصحاح الرابع والثلاثون ، فقرة (١٠) .

[3] سورة البقرة : آية ١٢٦.

[4] سورة الأنعام : الآية ٢٠.

[5] سورة الأعراف : الآيتان (١٥٦ -١٥٧).

[6] وهذا سيأتي بيانه تفصيلاً – إن شاء الله – عند الحديث عن البشارات بنبوته (ﷺ).

ثالثا : إخفاء الحق :

كان أهل الكتاب يخفون من أحكام التوراة الشيء الكثير، ولذا خاطبهم القرآن الكريم بقوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾.[١] وقد جاء في السنة ما يثبت عمليا إخفاء اليهود لأحكام التوراة. فقد جاء اليهود إلى النبي (ﷺ) برجل منهم وامرأة قد زنيا ، فقال لهم كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟ قالوا نحميهما ونضربهما فقال : لا تجدون في التوراة الرجم ؟ فقالوا : لا نجد فيها شيئا . فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فوضع مُدَارِسها الذي يَدْرُسُها منهم كفَّه على آية الرجم ، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ، ولا يقرأون آية الرجم فنزع يده عن آية الرجم فقال هذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هي آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله (ﷺ) فرجما[٢]. ولهذا قال سبحانه ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[٤] فأنكر سبحانه على أهل الكتاب المتمسكين -فيما يزعمون -بكتابيهم التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيها من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد (ﷺ) تولوا وهم معرضون عنهما ، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم .[٥]

---

(1) سورة المائدة : آية ١٥.

(2) صحيح البخاري ، كتاب "تفسير القرآن " ، باب : [قل فأتوا بالتوراة] برقم (٤١٩٠)

(3) سورة المائدة : آية ٤٣.

(4) سورة آل عمران : آية ٢٣.

(5) انظر : "تفسر ابن كثير" ، جـ١ ، ص٣٥٦.

رابعا : لَيّ اللسان :

من أنواع تحريف اليهود للتوراة لي اللسان ، فهم يلوون ألسنتهم ويعطفونها بالتحريف ، ليُلْبسوا على السامع اللفظ المنزل بغيره ، ويقلبون ألسنتهم حيث يقرؤون كلام الله تعالى لإمالته عما أنزل الله عليهم إلى اللفظ الذي يريدونه[١] ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] ومن التحريف بلَيِّ اللسان ما كان يفعله اليهود مع رسول الله (ﷺ) بقولهم : " واسمع غير مسمع " ويقصدون ما أسْمَعُ لا سمعت ، أي يدعون على النبي (ﷺ) وراعنا ، من المراعاة والمعنى : فَرِّغ سمعك لكلٍ منا ، فلما سمع اليهود هذه اللفظة اغتنموا الفرصة في التحريف ، لأن معناها عندهم السب والطعن بمعنى : يا أحمق .[٣]

خامسا : الكذب والتكذيب .

إن من أقبح الصفات التي وصف الله بها اليهود فى القرآن هي الكذب على الله عز وجل ، وقد فضح الله كذبهم هذا فقال جل وعلا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً ﴾[٤]

كما سجَّل عليهم نوعا آخر من الكذب وهو كذبهم على رسل الله الصادقين، ووصفهم إياهم بالكذب – حاشا لله – فقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ

---

[1] انظر : "الوسطية في القرآن" ، ص٢٥ ، مقال بمجلة (ليبيا وطننا) للدكتور محمد الصلابي ، الحلقة الأخيرة، العدد ديسمبر ، سنة٢٠٠٥.

[2] سورة آل عمران : آية ٧٨.

[3] انظر : "تفسير البغوي" ، جـ١ ، ص٤٣٨.

[4] سورة النساء : الآيتان (٤٩–٥٠)

لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ .[(١)]

ومثال ذلك ما جاء في إنجيل متى من أن عيسى (عليه السلام) دعا على شجرة تين خضراء ، فيبست التينة في الحال ، فتعجب التلاميذ من ذلك ، فقال لهم عيسى: **[فَنظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً فَقَطْ. فَقَالَ لَهَا: «لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ». فَيَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ. فَلَمَّا رَأَى التَّلاَمِيذُ ذَلِكَ تَعَجَّبُوا قَائِلِينَ: «كَيْفَ يَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ وَلاَ تَشُكُّونَ فَلاَ تَفْعَلُونَ أَمْرَ التِّينَةِ فَقَطْ بَلْ إِنْ قُلْتُمْ أَيْضاً لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ فَيَكُونُ].**[(٢)]

وهذا فيه حجة على النصارى ، وذلك أن الأمر لا يخلو من أن يكون النصارى مؤمنين بالمسيح (عليه السلام) أو غير مؤمنين ، فإن كانوا مؤمنين فقد كذّبوا المسيح فيما نسبوه إليه في هذه المقالة – وحاشا الله من الكذب – فليس منهم أحد قَدِرَ على أن يأمر حبة خردل بالانتقال فتنتقل ، فكيف على قلع جبل وإلقائه في البحر؟! ، وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا كفار ، ولا يجوز أن يصدق كافر.[(٣)]

وهؤلاء قد بين الله كذبهم في غير موضع فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ .[(٤)] وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٥)] ثم بين الله رب العالمين التوجيه الصحيح لاعتقادهم هذا فيقول : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا

---

(1) سورة آل عمران: الآيتان (١٨٣ ، ١٨٤).

(2) إنجيل متى ، الإصحاح (٢١) الفقرتان (٢٠ -٢١).

(3) انظر : "الفصل فى الملل والأهواء والنحل" ، لأبى محمد بن حزم ، جـ٢ ، ص٩٨.

(4) سورة المائدة : الآية ٧٢.

(5) سورة المائدة : الآية ٧٣.

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١)

وسجل القرآن عليهم أيضًا كذبهم على الناس. وقولهم لهم يحكيه القرآن بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ (٢)

ولم يقف حد الكذب عند اليهود على الله والرسل والناس، بل تعدوا ذلك إلى الكذب على الملائكة. تقول التوراة : [**قد رأيت الربَّ جالسًا على كرسيه ، وكل جند من السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره ، فقال الرب : {من يغوي (آخاب)** (٣) **فيصعد ويسقط في (راموت جلعاد)** (٤) **فقال : هذا هكذا وقال ذلك هكذا ، ثم خرج الروح — يعني جبريل- ووقف أمام -الرب- وقال أنا أغويه ، وقال له الرب ! بماذا ؟ فقال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه. فقال : إنك تغويه وتقتدر؟ فاخرج وافعل هكذا.**] (٥)

سادسا : تحريف الكلم عن مواضعه :

أثبت الله رب العالمين على أهل الكتاب هذا النوع من التحريف فقال عزوجل: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٦) وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (٧)

---

(1) سورة المائدة : الآية ٧٥.

(2) سورة النساء : آية ٥١.

(3) آخاب : سبق التعريف به .

(4) راموت جلعاد : اسم عبري معناه مرتفعات جلعاد ، تقع شرقى الأردن ، وهى مدينة للجاديين ، وكانت مركز أحد الوكلاء الذين أقامهم سليمان (عليه السلام) على شئون التموين. (انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص)

(5) سفر التكوين : ، الإصحاح الثامن عشر ، الفقرات (١–٨).

(6) سورة النساء : آية ٤٦.

(7) سورة المائدة : الآية ١٣.

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾.[1]

وهذا النوع من التحريف له أربع صور كالتالي :

١- تحريف التبديل : وهو وضع كلمة مكان كلمة ، أو جملة مكان جملة .

٢- تحريف الزيادة : ويكون بزيادة كلمة أو جملة .

٣- تحريف بالنقص : وهو إسقاط كلمة أو جملة من الكلام المنزل على موسى أو عيسى (عليهما السلام) .

٤- تحريف المعنى : تبقى الكلمة أو الجملة كما هي ، ولكنهم يجعلونها محتملة لمعنيين ثم يختارون المعنى الذي يتفق مع أهوائهم وأغراضهم .[2]

- **ومن الأمثلة على النوع الأول (جملة مكان جملة) :**

ما جاء في سفر المزامير على لسان المتكلم يقول : **[ثقبوا يدي ورجلي]**[3] ، نقلا عن الترجمة اليسوعية وترجمة كتاب الحياة المترجَمَيْن عن النسخة اللاتينية .

بينما جاء في هذا النص في النسخة العبرانية المعول عليها في العهد القديم هكذا **[كلتا يديَّ مثل الأسد]**.

فأي الجملتين أصح ، وأيهما محرف ، وخاصة إذا علمنا أن النسخة اللاتينية مترجمة من النسخة السبعينية ، وكلاهما من المفترض مرجعيته إلى النسخة العبرانية... ؟!.[4]

- **ومن الأمثلة على النوع الثاني (زيادة كلمة أو جملة)**

ما تحكيه التوراة عن الأشخاص الذين ماتوا عندما رأوا تابوت الرب . يقول صموئيل الأول : [لأنهم نظروا إلى التابوت فمات منهم سبعون رجلاً "[1] على حين

---

(1) سورة المائدة : آية ٤١.

(2) انظر : "الوسطية في القرآن الكريم" ، للدكتور على محمد الصلابي ، ص٧ ، مقال سابق.

(3) انظر : سفر المزامير ، الإصحاح ٢٢ ، فقرة ١٦ .

(4) انظر : "دلائل تحريف الكتاب المقدس" ، للدكتور شريف سالم ، جـ٥ ، ص٨ ، ٩ بتصرف ، الطبعة الأولى ، الدار العلمية للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ.

تقول النسخة العبرانية : " ..... فمات منهم خمسون ألف رجل] ، في هذا النص يستحيل كون العبارتين صحيحتين فإحداهما خطأ لا محالة .[٢]

ومن أمثلة وقوع هذا النوع في الإنجيل ما جاء في يوحنا على حسب ترجمة نسخة الملك جيمس القديمة . **[لأنهُ هكَذَا أحَبَّ اللهُ العَالَمَ حَتَّى بَذَلَ مَولودهُ الوَحِيدَ]**[٣] وكلمة " مولود " والتي هي ترجمة لكلمة (Begotten) . وهي الأقرب للترجمة الصحيحة. ولكن لاحظ القائمون على ترجمة الكتاب المقدس أن النص بهذه الترجمة يحدث إشكالات كثيرة أهمها : أنها توحي بالولادة الآتية من نتاج جماع جنسي ثم حَمْل. وهذا لا يجوز على الذات الإلهية تنزه الله عن ذلك جل جلاله.[٤]

ولكي يخرج النصارى من هذا الحرج استبدلوا كلمة مولود بكلمة ابنه الوحيد (only son) فجاءت الترجمة الحديثة : **[لأنهُ هكَذَا أحَبَّ اللهُ العَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الوَحِيدَ]**

وقد كان هناك دافع مهم عند أهل الكتاب حدا بهم إلى أن يُحَرِفّوا هذا النص في كلمة (مولوده) لأنهم لو تركوها فإن المسيح بهذا التوصيف – فضلا عما سبق – سيشارك النبي داود . لأن داود كما تزعم التوراة قال : **[أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ]** [٥]

فلو فرض أن النصين صحيحان فهذا تأكيد على رمزية النبوة والولادة والأبوة لعباد الله المكرمين والذي أحدهم المسيح (عليه السلام) ولا يعدو أن يكون المسيح أكثر من ذلك عبدٌ مكرم من عباد الله ورسول قد خلت من قبله الرسل في بني إسرائيل".[٦]

فَلِكَيْ يَخْرُجَ أهل الكتاب من هذا المأزق استبدلوا اللفظ بلفظ آخر على النحو الذي سبق.

---

(1) انظر : صموئيل الأول ، الإصحاح ٦ ، فقرة ١٩.

(2) انظر : "دلائل تحريف الكتاب المقدس" ، جـ٥ ، ص١١ –١٢.

(3) انظر : يوحنا (الإصحاح ، ٣ ، فقرة ١٦).

(4) انظر : "دلائل تحريف الكتاب المقدس" ، جـ٥ ، ص٧٩.

(5) انظر : سفر المزامير (الإصحاح ٢ ، الفقرة ٧).

(6) انظر : "دلائل تحريف الكتاب المقدس"، جـ٥ ، ص٧٩.

- **ومن الأمثلة على النوع الثالث : إسقاط كلمة أو جملة من الكلام المنزل على موسى أو عيسى (عليهما السلام)**

وهذا النوع من أفضح صور التحريف لدي أهل الكتاب ، إذ ثمة أسفار توراتية ضاعت ونقصت ، بشهادة الأسفار الموجودة في الكتاب المقدس[1] ، منها :"سفر حروب الرب" والذي أخبر عنه سفر العدد بقوله : [**لِذَلِكَ يُقَالُ فِي كِتَابِ «حُرُوبِ الرَّبِّ»: «وَاهِبَ فِي سُوفَةَ وَأَوْدِيَةِ أَرْنُونَ**] [2]

فبينما يخبرنا سفر العدد عن كتاب سفر حروب الرب لا نجد في كتب التوراة – على كثرتها– كتابًا بهذا الاسم.

ومثل سفر ياشر ، إذ يعلمنا به ويدلنا عليه سفر يشوع إذ يقول : [**أليس هذا مكتوبًا في سفر ياشر. فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل**] [3]

- ومن الأمثلة على النوع الرابع (تبقى الكلمة أو الجملة كما هي ولكنهم يجعلونها محتملة لمعنيين ثم يختارون الذي يتفق مع أهوائهم وأغراضهم):

ما جاء في سفر التثنية عن النبي الذي يأتي بعد موسى : [**وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهاً لِوَجْهٍ**] [4] فاليهود يزعمون أن هذه البشارة لنبي لم يأتِ بعد ، وإن زعم بعضهم أن المراد بها يوشع بن نون ، فهذا غير صحيح لأنه ليس مثل موسى ، ويزعم النصارى أن المراد بها عيسى (عليه السلام)[5] ، وهي في الواقع لا تصدق عليه بأي وجه لأنه :

أولا : من بني إسرائيل – أى عيسي – وليس من إخوتهم.

ثانيًا : هو ليس مثل موسى (عليه السلام) ، فإنه تابع له ، كما أنه عند النصارى إله وابن إله ، فلو أقروا بأنه مثل موسى لهدموا ديانتهم وما هم عليه .

---

(1) انظر : "هل العهد القديم كلمة الله" ، ص١١٣.

(2) سفر العدد (الإصحاح الحادي والعشرون ، الفقرة ٤).

(3) يشوع (الإصحاح العاشر ، الفقرة ١٣).

(4) سفر التثنية (الإصحاح ٣٤، الفقرة ١٠).

(5) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص٨٦١.

أما النبي محمد (ﷺ) فتصدق عليه من جميع الوجوه ، فإنه من إخوتهم وهو مثل موسى (عليه السلام) نبي رسول ، وأتى بشريعة جديدة ، وحارب المشركين ، كما فعل موسى (عليه السلام). (١)

ومن أمثلة هذا النوع في الأناجيل ما ورد في إنجيل متى عن النبي إرميا : **[وَأَخَذُوا الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ ثَمَنَ الْمُثَمَّنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ الْفَخَّارِيِّ كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ]**. (٢)

فكاتب هذا الإنجيل يُجْري الكلام على لسان إرميا، بينما من يرجع إلى التوراة يجد أن النبي إرميا لم يقل هذا الكلام ، وإنما موضوع هذا الاقتباس بقصته الواردة هو النبي زكريا. (٣) وأصل القصة في التوراة أصل تاريخي رمزي يشير إلى الرعاة الثلاثة المنبوذين، وهم سليمان النبي المتهم بعبادة الأوثان ، ورحبعام الذي كان سبب الانشقاق ، وياربعام الذي أدخل عبادات وثنية . وسياقها كالتالي : **[أن هناك راعي كلمة الرب أمر بأن يرعى الغنم التي يذبحها مالكوها. ورعى الغنم واتخذ لنفسه عصا وسماها عصا النعمة وعصا ثانية وسماها عصا الصلة. ثم ضاق به الأمر فكسر عصا النعمة أولا ، وترك راعي الغنم ، وطالب بحقه في مقابل رعايته للغنم فخيرهم أن يعطوه أو لا يعطوه . لأنهم ساوموه على مقدار أجرته. فأعطوه ثلاثين فضة. فأمره الرب : ·ألقها في الخزانة وفي بيت الرب . ثمنا كريما ثمنوني به فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها في الخزانة في بيت الرب وكسرت عصاي الثانية.·الصلة· فنقضت صلة الإخاء بين يهوذا وإسرائيل]** (٤)

---

(1) انظر : "دراسات في الأديان ، ص٣٩٠ ، وسوف يأتي إن شاء الله بيان البشارات الخاصة بالنبي محمد (ﷺ) في التوراة والإنجيل في موضعه من هذه الدراسة إن شاء الله.

(2) إنجيل متى (٩/٢٧).

(3) انظر : "دلائل تحريف الكتاب المقدس" ، جـ٥ ، ص٥١، وأصل الاقتباس في سفر زكريا (١١ / ٤: ١٤).

(4) انظر : تفصيل القصة كاملة" ، في سفر زكريا (١١/ ٤ : ١٥) ، وانظر أيضًا : "دلائل تحريف الكتاب المقدس" ، جـ٥ ، ص٥٤ – ٥٥.

سابعا : التعطيل :

ومعناه تعطيل أحكام التوراة والإنجيل ، وعدم إقامتها والعمل بها .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْأَنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ .(١)

وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .(٢)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ .(٣)

ولا أدل على هذا من تعطيل اليهود ما جاء في التوراة من حكم الزنا ، فهذا حكم موجود في توراتهم ، ومع هذا عطلوا العمل به ، ولم يقيموه كما أمر الله رب العالمين. (٤)

واشتهر النصارى أصحاب الأناجيل بذلك أيضا ، ومن الأدلة الموجودة في الإنجيل على ذلك اعتقادهم في الروح القدس ، فاليهود يعرفون حقيقته ويعرفون أن الروح القدس هو – جبريل (عليه السلام) (٥) – ، كما يعتقد بذلك المسلمون– ، غير أن اليهود زعموا أنه عدوهم من الملائكة.(٦)

وأما النصارى فإنهم عرفوا هذا الاعتقاد ولكنهم عَطَّلوا العمل به ، فزعموا أن الروح القدس غير جبريل (عليه السلام) ، ويعتقدون أنه إله مع الله والأقنوم الثالث في ثالوثهم المقدس ، وهذا مخالف لما عليه المسلمون واليهود.

---

(1) سورة المائدة : آية ٦٦.

(2) سورة الجمعة : آية ٥.

(3) سورة المائدة : آية ٦٨.

(4) انظر : ما سبق من هذا البحث ، ص٢٤٣، ٢٤٤.

(5) جاء في سفر دانيال: [**وسمعت صوت إنسان بين أولادي فنادي وقال: يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا]**، وفيه أيضًا : **[إذا بالرجل جبرائيل الذي رأيته في الرؤيا فى الابتداء]** (سفر دانيال: (١٦/٨) ، (٢١/٩).

(6) انظر : "الروح القدس في عقيدة النصارى " ،ص١٥ ، للدكتور عبد الله بن عبد العزيز الشعيبى ، مقال بمجلة جامعة أم القرى ، العدد (٢٢) .

فاليهود أهل التوراة يعرفون حقيقة معنى الروح ، ويعرفون أن الروح القدس هو الذي يأتي بالوحي إلى الأنبياء ، وأنه جبريل (عليه السلام) ، وأنه ينفذ أوامر الله ، لا يأتي بشيء من عنده ، وما هو إلا عبد الله ورسوله ، وأحد خلقه من ملائكة الله المقربين ، ولكنهم مع كثرة نزوله بالعقاب عليهم لكثرة عصيانهم لله ، ومخالفة أمره ، كرهوا ملاك الله جبريل وكرهوا اسمه ، واعتبروه عدوا لهم ، ومحاربا لهم. (١)

فالتوراة تارة تعرف الروح بأنه الوحي بالإلهام ، إذ جاء في سفر الخروج : " [وَمَلَأْتهُ مِنْ رُوحِ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ].(٢) وتارة يعرفون الروح بأنه جبريل – (عليه السلام) – إذ جاء في سفر إشعياء: **[وَلَكِنَّهُمْ تَمَرَّدُوا وَأَحْزَنُوا رُوحَ قُدْسِهِ فَتَحَوَّلَ لَهُمْ عَدُوّاً وَهُوَ حَارَبَهُمْ]**. (٣) وتارة يأتي بمعنى أن الروح تهب القوة والنشاط ، إذ جاء في سفر القضاة : **[فَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، فَشَقَّهُ كَشَقِّ الْجَدْيِ وَلَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ]**. (٤) وجاء أيضا بمعنى الريح(٥) ، وبمعنى روح الإنسان(٦)، وبمعنى الخلق والإحياء. (٧)، وذكر في الأناجيل صراحة باسم جبريل، يقول لوقا: **[أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهَذَا]** (٨)، كما يقول : **[وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ]**(٩)

أما حقيقة روح القدس عند النصارى فقد ورد في الأناجيل ما يصدّق ما جاء في التوراة عن حقيقة الروح القدس، كما ذكرت الأناجيل أن الروح القدس كان مع

---

(1) انظر: سفر إشعياء (٦٣/١٠).
(2) سفر الخروج ، (٣١/ ٣).
(3) سفر إشعياء ، (٦٣/١٠).
(4) سفر القضاة : (١٤/٦).
(5) سفر التكوين : (١/٢).
(6) سفر الجامعة : (١٢/٧).
(7) سفر أيوب : (٣٤/١٤) ،
(8) لوقا : (١/١٩).
(9) لوقا : (١/٢٦).

داود (عليه السلام) : **[لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي:]** [١] ، وأن المسيح – (عليه السلام) – قال لهم عنـه : **[فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبًّا]**[٢] ، وأنه نزل بالوحي إلى الأنبياء والرسل ، إذ جاء في سفر أعمال الرسل : " فانصـرفوا وهم غير متفقين بعضهم مع بعض لما قال بولس كلمة واحدة إنه حسنا كلـم الـروح القدس آباءنا بإشعياء النبي ، قائلا : **[اذْهَبْ إِلَى هذَا الشَّعْبِ]** [٣] وجاء في رسالة بطـرس الثانيـة : **[لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ].** [٤]

والنصارى يعرفون أن جبريل هو روح الله الحي[٥]، وأنه بشر زكريـا بمـيلاد يوحنا عليهما السلام ، وأخبره في هذه البشارة أن امرأته ستلد له ابنًا وتسميه يوحنا، ويَكنُ له فرحا وابتهاجا[٦] ، كما يعرف النصارى أن مريم أم المسيح وُجدت حبلى من الروح القدس [٧] ويعرفون أيضا أن الـروح القـدس مؤيـد للمسـيح فـي دعوتـه ومعجزاته[٨]، وأخبر المسيح (عليه السلام) تلاميذه ورسله بـأن الـروح القـدس سيلهمهم ويؤيدهم[٩]

---

(1) إنجيل مرقس :(٣٦/١٢).

(2) إنجيل متى : (٤٣/٢٢).

(3) سفر أعمال الرسل ، الإصحاح ٢٨ ، الفقرتان (٢٥ ، ٢٦).

(4) رسالة بطرس الثانية ، الإصحاح ٢ ، الفقرة ٢١.

(5) انظر : رسالة بولس الثانية إلى كورنتوس ٣/٣.

(6) إنجيل لوقا : الإصحاح الأول ، الفقرات (١٣-١٥).

(7) إنجيل متى ، الإصحاح الأول ، الفقرة١٨.

(8) إنجيل لوقا : الإصحاح الرابع ، الفقرة ١.

(9) إنجيل متى ، الإصحاح العاشر ، الفقرات (١٧ – ٢٠) وسفر أعمال الرسل ، الإصحاح ١ ، الفقرات (٤ – ٨) وهذه الصفات الواردة عن جبريل (عليه السلام) في التوراة والإنجيل التي صدقها القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، لأنه المصدق لما بين يديه من الكتب السابقة ، والمهيمن عليها ، وقـد جـاء ذكـر الروح في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها : قول الله رب العالمين : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (سـورة النحـل : آيـة ٢) ، الشـورى ٥٢ ،

وعلى الرغم من إثبات النصارى لهذه الصفات عن الروح القدس في أناجيلهم، إلا أنهم عطَّلوا العمل بها ، وذهبوا إلى أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث في ثالوثهم المقدس بعد أكثر من ثلاثة قرون من رفع المسيح – (عليه السلام) – اجتمع الخلف من النصارى في (نيقية سنة ٣٢٥م) – وصدر عن هذا الاجتماع أول قانون إيمان مقدس لهم ، أقروا فيه اعتقاد ألوهية المسيح – (عليه السلام) – كما أشاروا فيه إلى الروح القدس بقولهم : " ونؤمن بالروح القدس ".[1]

يقول قاموس الكتاب المقدس : "ويُعلِمُنَا الكتاب المقدس بكل وضوح عن ذاتية الروح القدس ، وعن ألوهيته ، فنسب إليه أسماء الله كالحي ، وينسب إليه الصفات الإلهية كالعلم ، ونسب إليه الأعمال الإلهية كالخلق ، ونسب إليه العبادة الواجبة لله ، وإذا حبلت السيدة العذراء حُبِل المسيح فيها من الروح القدس ، ولما كتب الأنبياء والرسل أسفار الكتاب المقدس ، كانوا مسوقين من الروح القدس ، الذي أرشدهم فيما كتبوا ، وعضَّدهم وحفظهم من الخطأ ، وفتح بصائرهم في بعض الحالات ليكتبوا عن أمور مستقبلة ".[2]

ثامنا : الإيمان ببعض الكتب والكفر بالبعض الآخر .

خاطب الله رب العالمين في القرآن الكريم أهل الكتاب ، ووصفهم بقوله : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .[3]

ولا أدلَّ على ذلك من أن نسخ التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى تختلف كل نسخة منها في عدد أسفارها ، كما أن كل نسخة مقبولة لدى طائفة ومرفوضة لدى طائفة أخرى.

غافر (١٥، ١٦) ، المجادلة ٢٢ ، الشعراء (١٩٢ – ١٩٥) ، البقرة ٨٧ ، النحل ١٠٢ ، المائدة ١١٠ ، الإسراء ٨٥ ، النبأ ٣٨ ، القدر ، النساء ١٧١.

[1] انظر : "الروح القدس في عقيدة النصارى " ، للدكتور عبد الله بن عبد العزيز الشعيبي ، ص١٨.

[2] انظر : "قاموس الكتاب المقدس" ، ص٤١٤.

[3] سورة البقرة : آية ٨٥.

١) **النسخة العبرية :**

وهي المقبولة والمعتبرة لدى اليهود وجمهور علماء البروتستانت النصارى وهي مأخوذة من الماسورية وما ترجم عنها .

٢) **النسخة اليونانية :**

وهي المعتبرة لدى النصارى الكاثوليك ، والأرثوذكس وهي التي تسمى السبعينية وما ترجم عنها .

٣) **النسخة السامرية :**

وهي المعتبرة والمقبولة لدى اليهود السامريين .

وإذا عقدنا مقارنة بين هذه النسخ الثلاث من حيث عدد الأسفار نجد أن النسخة العبرية تسعة وثلاثون سفرا فقط .

وأما النسخة اليونانية : فهي ستة وأربعون سفرا حيث تزيد سبعة أسفار عن النسخة العبرية ويعتبرها النصارى الكاثوليك والأرثوذكس مقدسة .

أما النسخة السامرية : فلا تضم إلا أسفار موسى الخمسة فقط وقد يضمون إليها سفر يوشع فقط وما عداه فلا يعترفون به ولا يعدونه مقدسا. [١]

فهذا الاختلاف الهائل بين النسخ لكتاب واحد والكل يزعُم أنه موحى به من قِبَل الله عز وجل ، ويدعي أن كتابه هو الكتاب الحق وما عداه باطل مع عدم القدرة على تقديم الدليل القاطع على صحة ما يدعيه. [٢]

وكذلك الحال عند النصارى ، فإن كتب النصارى تنقسم أيضا إلى قسمين ، قسم يؤمنون به ، وقسم آخر يشكّون فيه ويردونه.

فأما القسم الأول فعشرون كتابا . [٣]

وأما القسم الثاني من العهد الجديد والذي يشك فيه النصارى، ولا يؤمنون به فهو عبارة عن سبعة كتب وبعض الفقرات من الرسالة الأولى ليوحنا :

١–رسالة بولس إلى العبرانيين. ٢– الرسالة الثانية لبطرس .

---

[1] انظر : "إظهار الحق "، ص١٠١ ، ١٠٢.

[2] انظر : "دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية "، ص٩٧.

[3] انظر : تفصيل هذه الكتب فى إظهار الحق ، جـ١ ، ص١٠٣ ، ص١٠٤.

٣- الرسالة الثانية ليوحنا . ٤- الرسالة الثالثة ليوحنا .

٥- رسالة يعقوب . ٦- رسالة يهوذا .

٧- مشاهدات يوحنا .

إن الأصل في هذه الكتب أنها مشكوك فيها ، ومردودة غير مقبولة . ولا يؤمن بها ثم مرت هذه الكتب السبعة بعدة مراحل لدى النصارى بين القبول والرفض . ففي عام ٣٢٥م انعقد مجلس العلماء المسيحيين بحكم إمبراطورهم قسطنطين[1] ليتشاوروا في أمر هذه الكتب المشكوك فيها، فحكم هؤلاء العلماء بعد المشاورة والتحقق في هذه الكتب : أن كتاب يهوديت واجب التسليم ، وأبقوا سائر الكتب مشتركة كما كانت.[2]

انعقد مجلس آخر يسمى بمجلس لوديسيا في سنة ٣٦٤م فأبقى علماء ذلك المجلس حكم علماء المجلس الأول في باب كتاب يهوديت على حاله ، وزادوا على حكمهم سبعة كتب أخرى وجعلوها واجبة التسليم [3] وأكدوا ذلك الحكم بالرسالة العامة، وبقى كتاب مشاهدات يوحنا في هذين المجلسين خارجًا مشكوكًا فيه كما كان.[4]

ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر في سنة (٣٩٧م) ، ويسمى هذا المجلس مجلس كارتهيج [5] ، وكان أهل هذا المجلس عددهم مائة وستة وعشرين شخصا من

---

(1) هو الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول الكبير (٢٨٨ – ٣٣٧ م) وهو ابن الملك قسطانش الأول والملكة هيلانة ، انفرد بتولي الحكم سنة ٣١٢م ، وقد أصدر في سنة ٣١٣ م منشور ميلان الذي أقر فيه التسامح مع المسيحيين ولم يعمد قسطنطين غلا وهو على فراش الموت وهو أول من أوجد فكرة المجامع النصرانية فدعا إلى مجمع مسكوني (عام) لمناقشة رأي أريوس (أرنايوس) في إنكاره ألوهية المسيح فانعقد هذا المجمع في بلدة نائس (نيقية) . انظر : الموسوعة الميسرة ص ١٣٧٩ .

(2) انظر : "إظهار الحق "، جـ١ ، ص١٠٥.

(3) وهذه الكتب هى : (كتب استير – رسالة يعقوب – رسالة بطرس الثانية – رسالة يوحنا الثانية– رسالة يوحنا الثالثة – رسالة يهوذا – رسالة بولس إلى العبرانيين).

(4) انظر : "إظهار الحق" ، جـ١ ، ص١٠٦.

(5) كارتهيج : هى مدينة قرطاجة الواقعة على شبه جزيرة صغيرة في خليج تونس تنطق بالنون كذلك فيقال قرطاجة ، وفى عام القرن الثالث للميلاد أصبحت قرطاجة أحد معاقل المسيحية ، وقامت بدور كبير في تأسيس دعائم الكنيسة الغربية على أسس تختلف اختلافًا بينًا عن أفكار الكنيسة اليونانية (انظر : الموسوعة الميسرة ، ص١٣٧٥).

العلماء المشهورين ، فأهل هذا المجلس أبقوا حكم المجلسين الأولين بحاله وزادوا على حكمها هذه الكتب :

١- كتاب وزوم. ٢- كتاب طوبيا .

٣- كتاب باروخ . ٤- كتاب إيكليذياستيكس .

٥- كتابا المكابيين . ٦- كتاب مشاهدات يوحنا .

ولكن أهل هذا المجلس جعلوا كتاب باروخ بمنزله جزء من كتاب إرميا ، لأن باروخ عليه السلام كان بمنزلة النائب والخليفة لإرميا (عليه السلام) ، ولذلك لم يكتبوا اسم الكتاب باروخ على حدة في فهرست أسماء الكتب .[١]

ثم انعقد بعد ذلك ثلاثة مجالس : مجلس (ترلوا) ، ومجلس (فلورنس) ، ومجلس (ترنت) ، وعلماء هذه المجالس الثلاثة أبقوا حكم مجلس كارتهيج على حاله لكن أهل المجلسين الآخرين كتبوا اسم كتاب باروخ في فهرست أسماء الكتب على حدة فبعد انعقاد هذه المجالس صارت هذه الكتب المشكوك فيها مسلمة بين جمهور المسيحيين.[٢]

تاسعا : التزوير :

إن تزوير أهل الكتاب لكتبهم من الوسائل التي حكاها القرآن الكريم عنهم بقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ .[٣]

وقد يكون التزوير عند أهل الكتاب مردُّه إلى ما حكاه القرآن عنهم من أن علمهم بالكتاب مبني على أمرين : إما الظن: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .[٤]

---

(1) انظر : "إظهار الحق "، جـ١ ، ص١٠٦ ، ١٠٧.

(2) انظر : "إظهار الحق" ، جـ١ ، ص١٠٧.

(3) سورة البقرة : آية٧٩.

(4) سورة البقرة : آية ٧٨.

وإمَّا النسيان الذي طرأ عليهم لقسوة قلوبهم : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ .(1)

وأيًّا كان الدافع وراء تزوير أهل الكتاب لكتبهم فإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن كل الآيات القرآنية التي حكمت على أهل الكتاب بأنهم حرفوا كتبهم تبين أن هذا التحريف كان عن عمدٍ وإصرارٍ ، من ذلك : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(2) ، وقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ .(3) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(4) وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾(5) ، فهذه الآيات تدل دلالة واضحة على أن تزوير أهل الكتاب لكلام الله كان عن عمدٍ وعلمٍ وإصرارٍ .

وليس الأمر متوقفًا على حكم القرآن الكريم ، بل إن نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل يحكم عليهم بذات الحكم الذي قرره القرآن الكريم ، يقول إرميا في سفره مخاطبا بني إسرائيل بأنهم ينسبون إلى الله ما لم يقله : **[كَيْفَ تَقُولُونَ: نَحْنُ حُكَمَاءُ**

---

(1) سورة المائدة : آية ١٣.

(2) سورة البقرة : آية ٧٥.

(3) سورة البقرة : آية ٧٩.

(4) سورة آل عمران : آية ٧٨.

(5) سورة الأنعام : آية ٩١.

وَشَرِيعَةُ الرَّبِّ مَعَنَا؟ حَقّاً إِنَّهُ إِلَى الْكَذِبِ حَوَّلَهَا قَلَمُ الْكَتَبَةِ الْكَاذِبُ. خَزِيَ الْحُكَمَاءُ. ارْتَاعُوا وَأُخِذُوا. هَا قَدْ رَفَضُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ] (١)

ويقول النبي إرميا أيضا : **[أَمَّا وَحْيُ الرَّبِّ فَلاَ تَذْكُرُوهُ بَعْدُ لأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلَهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ]** (٢) كما أن هناك نصوص في التوراة لابد وأن يُسَلِّمَ من يقرؤها بأنها مكذوبة مزورة ، من ذلك ما تحكيه التوراة عن رؤية موسى لله تعالى وكلامه له في سفر الخروج إذ يقول : **[وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهاً لِوَجْهٍ كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ]** (٣)

على حين أن هناك نصًا آخر في ذات السفر يقول الله فيه لموسى : **[لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ]** (٤) فالنص الأول يزعم أن موسى يكلم الله كفاحا ووجها لوجه ، في حين أن النص الثاني ينفي أن يستطيع موسى أو أي إنسان رؤية وجهه عز وجل ، وبين النصين تناقض واضح.

غير أننا يمكننا من خلال الرجوع إلى النص القرآني الذي يحكي ذات الموقف عن موسى (عليه السلام) لابد وأن نجزم بأن الرواية القائلة بأن موسى يرى وجه الله تعالى حين يكلمه مكذوبة مزورة . يقول الله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .(٥)

---

(1) سفر إرميا (الإصحاح الثامن ، فقرة ٨).

(2) سفر إرميا (الإصحاح ٢٣ ، فقرة ٣٦).

(3) سفر الخروج (الإصحاح ٣٣ ، فقرة ١١).

(4) سفر الخروج (الإصحاح ٣٣ ، فقرة ٢٠).

(5) سورة الأعراف : آية ١٤٣.

٢ – ومن مظاهر هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة أنه بَيَّن لأهل الكتاب المسائل الكبرى التي خالفوا فيها الحق واختلفوا فيها . [١]

فمن الاعتقاد السائر لدى النصارى أن اليهود قتلوا عيسى عليه السلام وصلبوه.[٢] ، غير أن القرآن الكريم -لأنه مهيمن على ما سبقه من كتب- نفي ما صرحت به أناجيل النصارى من قَتْلِ عيسى (عليه السلام) وصلبه فقال : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ .[٣]

كما نفى القرآن الكريم أيضا قول النصارى بالتثليث فقال : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤] ، ونفى القرآن الكريم قول النصارى بألوهية المسيح فقال : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[٥] وهذا في جانب بعض المسائل المخالفة في الأناجيل.

وكذلك الأمر في التوراة التي ورد فيها كثير من المسائل المخالفة للحق ، حيث نجدها تحتوي على كثير من النقائص المنسوبة إلى الله تعالى ، فجاء القرآن الكريم – لأنه مهيمن على ما جاء فيها – برفضها وإبطالها .

فمثلا تقول التوراة في حق الله رب العالمين : " إنه أصابه التعب" – تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرا – بعد أن انتهى من خلق السماوات والأرض : [**أَكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا. ٢وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ.**

---

[١] انظر: "تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية وهيمنته عليها" ، ص٨٥.

[٢] انظر : قصة صلب المسيح عند كل من (يوحنا ، الإصحاح ١٩ ، الفقرات ١٧-٢٢) ، (متى ، الإصحاح،٢١ ، الفقرات ٣٢-٣٩٩) ، (لوقا ، الإصحاح ٢٣ ، الفقرات ٢٦- ٣١).

[٣] سورة النساء : آية ١٧٥.

[٤] سورة المائدة : آية ٧٣.

[٥] سورة المائدة : آية ٧٢.

فاستراحَ فِي اليَومِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. ٣وَبَارَكَ اللهُ اليَومَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ لأَنَّهُ فِيهِ استراحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ] (١)

فدحض القرآن ذلك ووصف الله تعالى بما يليق بذاته سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ (٢)

ومن النقائص التي نسبها أهل الكتاب إلى الله رب العالمين أيضا أن له ولدا ، فكذبهم القرآن بقوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ . (٣)

وقال اليهود أيضا عن الله رب العالمين أنه فقير وهم أغنياء فـرد الله علـيهم قولهم : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ . (٤)

كما ادعى اليهود على الله رب العالمين – وحاشاه – البخل وغلّ اليد فكـذبهم القرآن بقوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ . (٥)

٣ـ ومن مظاهر هيمنة القرآن أيضا أنه بَيَّنَ كَثِيرًا من المسائل التي أخفاها أهل الكتاب أو حاولوا إخفاءها . (٦)

إن الدارس لأسفار العهد القديم يرى أنها قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه (١) ، وإذا كانت اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور والحساب والجنـة

---

(1) سفر التكوين (الإصحاح ٢ ، الفقرات (١-٣).

(2) سورة ق : آية ٣٨.

(3) سورة التوبة : آية ٣٠.

(4) سورة آل عمران ، آية ١٨١.

(5) سورة المائدة : آية ٦٤.

(6) انظر : "تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية" ، ص٨٦ ، مقال سابق.

والنار ، فإن ذلك يدل على أن ذكر اليوم الآخر وما فيه ، وما يتصل به من المسائل التي أخفاها أهل الكتاب .[٢]

ومن أظهر المسائل التي أخفاها أهل الكتاب ، تلك البشريات المتعلقة بخاتم الرسل (ﷺ) ، والتي فيها نعوته وصفاته .

ولما حَرَّفها أهل الكتاب بالحذف ، أو بتأويلهم الفاسد لها جاء القرآن الكريم فخاطبهم منبها إياهم على ضرورة تبيين الحق وعدم إخفائه ، فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ .[٣]

٤ - ومن مظاهر هيمنة القرآن أنه أنهى العمل بما سبقه من كتب :

بنزول القرآن الكريم على قلب النبي محمد(ﷺ) ، صار هو التشريع الجديد الناسخ لما قبله من كتب والشاغل للفراغ بعدها.[٤]

فليس لأحد أن يركن أو يحتكم إلى ما جاء بهذه الكتب لحِكَمْ القرآن عليها أن أيادي أهل الكتاب قد سَرَّبت الباطل إليها ولعبت بها.

وليس معنى عدم الاحتكام إليها أن كلَّ ما فيها باطل؛ ولكن من مقتديات الإيمان لدى المسلمين أن يقر أحكامها المتطابقة مع أحكام القرآن ، فهذا فيه تصديق على أن اصل الشريعتين واحد ، غير أن حُكْم الثاني يُغنِّي عن الاحتكام إلى الأول : وهذا معنى

---

(1) على الرغم من أن علماء اليهود عندهم تحديد لليوم الآخر بأنه اليوم الذي يبدأ من قيام الأموات للبعث وتبدل الأرض والسماوات ومن هؤلاء سعديا الفيومي وموسى ابن ميمون ، انظر : الأمانات والاعتقادات لسعديا الفيومي ، ٢١٢ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص٥٣٩.

(2) انظر : الأسفار المقدسة ، للدكتور على عبد الواحد وافى ، ص٢٩ ، وانظر : "الفكر الدينى الإسرائيلى، أطواره ومذاهبه ، ص١١١ ، ١١٢، دكتور حسن ظاظا، مكتبة سعد رأفت بالإسكندرية سنة ١٩٧٥م.

(3) سورة المائدة : آية١٥.

(4) انظر : "تصديق القرآن للكتب السماوية" ، ص٨٧.

قول الله رب العالمين لنبيه : ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾[1] لأنه هو الكتاب الذي : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾.[2]

ولهذا كان نداء الله رب العالمين للمؤمنين بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾.[3]

وبعد : فأحسب أن البحث قد استطاع – فيما سبق من صفحات – أن يزيل الغبش عن فهم "كامبل" لمفهوم تصديق عيسي (عليه السلام) لما بين يديه من التوراة وتصديق محمد (ﷺ) لما بين يديه من التوراة والإنجيل ، وهيمنة القرآن الكريم عليهما ، وهاتان نقطتان رئيستان اتكأ عليهما "كامبل" في القول بعدم تحريف التوراة والإنجيل ليعارض ما أثبته الدكتور "موريس بوكاي" ، بشكلٍ قاطع من أن التوراة والإنجيل محرفان. ولم يَبْقَ لنا – في هذا الصدد– من أدلة "كامبل" القرآنية سوى ما ذهب إليه من أن هناك مسيحيين أتقياء عاشوا في الفترة بين محمد (ﷺ) والمسيح (عليه السلام). وفيما يلى بيان القول في ذلك إن شاء الله.

****

[1] سورة المائدة : آية ٤٨.

[2] سورة فصلت : آية ٤٣.

[3] سورة النساء : آية ١٣٦.

الديانة النصرانية بين زمن عيسى ومحمد (ﷺ)

توطئة

استدل "كامبل" بأدلة قرآنية تثبت أن هناك مسيحيين أتقياء عاشوا في الفترة بين محمد (ﷺ) ، والمسيح (عليه السلام) وهؤلاء هم الذين نقلوا الإنجيل صحيحًا لم يمَّسه أي تحريف.

وقد تحدث البحث في الصفحات السابقة عن طبيعة رسالة المسيح مبينًا أنها لم تكن رسالة مستقلة بل كانت امتدادًا لشريعة موسى (عليه السلام).

كما قال "متى" في إنجيله على لسان المسيح : **[لاَ تظُنُّوا أنِّي جِئتُ لأنقُضَ النَّامُوسَ أوِ الأنبِيَاءَ. مَا جِئتُ لأنقُضَ بَلْ لِأكَمِّلَ]**[1] ، وهى بعينها التي أخبر عنها القرآن الكريم بقوله على لسان عيسى عليه السلام : ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[2] وقال سبحانه على لسان المسيح : ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[3]

وبالرغم من إعلان المسيح لليهود عن طبيعة دعوته إلا أنهم رفضوا دعوته وآذَوْهُ إيذاءً شديدًا.

ومن المعلوم أنه منذ اللحظة التي رُفع فيها المسيح من هذه الأرض وحتى منتصف القرن الثاني – أى طيلة أكثر من قرن– كانت هناك معركة بين اتجاهين أيْ بين ما يمكن تسميته بالمسيحية البولسيَّة وبين اليهودية المسيحية ولم يَحُلَّ الاتجاه الأول محل الثاني ولم تنتصر البولسية على اليهودية – المسيحية إلا بشكل شديد التدرج.[4]

ومن المعروف أن اليهودية المسيحية –آنذاك– كانت سائدة فقط بالقدس وفلسطين وبعض أجزاء من الساحل الشمالي الفلسطيني طيلة القرن الأول وذلك قبل

---

[1] إنجيل متى (الإصحاح الخامس ، الفقرة ١٧).

[2] آل عمران : آية ٥٠.

[3] سورة الزخرف : آية ٦٣.

[4] انظر : "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٧٣.

ظهور المسيحية البولسية[1]. ثم بعد ذلك هاجر كثير منهم إلى الحجاز ، وانتمى إلى القبائل العربية. [2]

وهذه الحدود لليهودية المسيحية يبرِّرها ما قرره المسيح نفسه بقوله وهو يرشد تلاميذه عندما أرسلهم إلى القرى اليهودية قائلاً : [**إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ**][3] ، وقوله : [**لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ**] [4]

يقول العلامة الشيخ محمد رسلان : "إن هذا النص من كلام المسيح قاطع الدلالة على أن المسيح من أنبياء بني إسرائيل ، وأنه أُرْسل فقط إلى من به صفتان: **الأولي** : أن يكون من بيت إسرائيل. **والثانية** : أن يكون من الخراف الضالة. [5]

ثم تأيد هذا الحصر والقصر بما جاء على لسان المسيح أيضًا في إنجيل مرقس وهو يخاطب المرأة الكنعانية التي جاءته لِيُخْرِج الرُّوح النجس من ابنتها ، وكانت المرأة أممية – من غير اليهود – فينيقية سورية ، فقال لها يسوع : [**دَعِي الْبَنِينَ أَوَّلاً يَشْبَعُونَ لأَنَّهُ لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». فَأَجَابَتْ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَحْتَ الْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ فُتَاتِ الْبَنِينَ». فَقَالَ لَهَا: «لأَجْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ اذْهَبِي. قَدْ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنِ ابْنَتِكِ». فَذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَوَجَدَتِ الشَّيْطَانَ قَدْ خَرَجَ وَالاِبْنَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى الْفِرَاشِ.**][6]

فمرقس في هذا النص يشير إلى اليهود بالبنين ، ويعني بالكلاب كل مَنْ ليس من اليهود. [7] كما يؤكد أعمال الرسل أيضًا على أن تلاميذ المسيح وأتباعه قصروا دعوتهم على اليهود فقط إذ يقول [**أَمَّا الَّذِينَ تَشَتَّتُوا مِنْ جَرَّاءِ الضِّيقِ الَّذِي حَصَلَ بِسَبَبِ إِسْتِفَانُوسَ فَاجْتَازُوا إِلَى فِينِيقِيَةَ وَقُبْرُسَ وَأَنْطَاكِيَةَ وَهُمْ لاَ يُكَلِّمُونَ أَحَداً بِالْكَلِمَةِ**

---

[1] انظر ، السابق ، ص٧٤ ، وانظر : "علم اللاهوت المقارن" ، ص٣٣ للأنبا غريغورس.

[2] انظر : "قس ونبي" ، ص٢٦.

[3] إنجيل متى (الإصحاح العاشر ، الفقرة ٥).

[4] إنجيل متى (الإصحاح الخامس عشر ، الفقرة ٢٤)

[5] انظر : "شعار الفاتيكان" ، النجاسة من الإيمان ، ص٢ ، بحث قيد الطبع للدكتور: محمد سعيد رسلان.

[6] إنجيل مرقس (الإصحاح السابق ، الفقرات ، ٢٦-٣٠)

[7] انظر : شعار الفاتيكان، ص٢، ٣.

إلا اليَهُود فقط.] [1] ، وعلى الرغم من إلحاح المسيح عليه السلام على أن دعوته قاصرة على الضالين من بني إسرائيل إلا أن المسيحية البولسية حادت عن هذا النهج وتغلبت على المسيحية اليهودية وعمَّمت الدعوة إلى النصرانية حتى جعلتها رسالة عامة للعالم أجمع – يهوديًا وغير يهودي – وهذا مخالف تمامًا لتعاليم المسيح. [2]

حتى إنه بنهاية القرن الأول الميلادي كان بولس – كما يظهر ذلك من رسائله – قد وصلت دعوته إلى غلاَّطية وكورنثة وروما وأنطاكية ، بل وصلت إلى آسيا الصغري، وكوّن "بولس" مسيحيته على حساب القلة القليلة الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه على الرغم من أن اليهود والمسيحيين (الذين هم أتباع المسيح حقًا) قد اختفوا كطائفة ذات نفوذ ، ولم يصبح ذكرهم ساريًا إلا فيما عرف عنهم بأن هم المستهودون. [3]

ولكن هل هذا معناه أن هؤلاء قد اختفى أثرهم واندثر ذكرهم ؟ لا لم يختف أثر هذه الطائفة من المستهودين ، بل يمكن اقتفاء آثارهم من القرن الأول إلى القرن الرابع الميلادي في الشرق ، خاصة في فلسطين والجزيرة العربية وفيما وراء الأردن وسوريا ، وما بين النهرين. [4]

وقد ذكر البحث فيما سبق أن أتباع المسيح من اليهود لمَّا تفنن الرومان في اضطهادهم وتعذيبهم ليثنوهم عن دينهم وصل بهم الأمر إلا أن يُظْهروا الكفر ويبطنوا الإيمان بالمسيح ورسالته خوفًا من التعذيب. [5] وقد دفعهم هذا أيضًا إلى أن ينتشروا في كل بقعة من العالم ابتغاء التجارة وفرص الاستفلاح. [6]

---

(1) أعمال الرسل (الإصحاح الحادي عشر ، الفقرة ١٩).

(2) من كلام العلامة محمد رسلان ، السابق ، بتصرف بسيط.

(3) "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٧٦.

(4) السابق ، نفس الموضع.

(5) انظر : ما سبق من هذا البحث ، ص

(6) انظر Joseph Kenney , o, p –Early Islam, Page :9. adition by Domin :can, Publicotions LAGOS 1997.

ورغم قلة عدد هذه الطائفة من اليهود المسيحيين إلا أن من يطالع سفر أعمال الرسل يجده يفرق في خطابه بين طائفتين (أو اسمين) من المسيحيين خاصة في أنطاكية، إذ يخاطبهم تارة بالمسيحيين ويعني بهم معتنقي مسيحية "بولس" فيقول : **[ثُمَّ خَرَجَ بَرْنَابَا إِلَى طَرْسُوسَ لِيَطْلُبَ شَاوُلَ. وَلَمَّا وَجَدَهُ جَاءَ بِهِ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ. فَحَدَثَ أَنَّهُمَا اجْتَمَعَا فِي الْكَنِيسَةِ سَنَةً كَامِلَةً وَعَلَّمَا جَمْعاً غَفِيراً. وَدُعِيَ التَّلاَمِيذُ «مَسِيحِيِّينَ» فِي أَنْطَاكِيَةَ أَوَّلاً]** (١) .

ففي هذا النص يطلق كاتب أعمال الرسل على المسيحيين في أنطاكية اسم (مسيحيين) وهذا هو الاسم العادي الذي عرف بهم في العالم الرومي واليوناني الذي نقل إليه "بولس" دعوته.

ولكن المسيحية اليهودية احتفظت بالاسم الأقدم والذي أطلق على أتباع المسيح الحقيقيين والذي هو "نصارى" وهو مشتق من الاسم الأرامي "نصراني" ، وهذا هو اسم قرية يسوع "الناصرة" ، يقول الكاتب ترتوليانس أشهر كُتاب النصارى في بداية القرن الثاني الميلادي: "إن اليهود يسموننا نصارى" ، كما عرفوا أيضًا باسم "اليهود المتنصرين" (٢)

ومن الأسباب الرئيسة التي ساعدت على وجود بقية باقية من اليهودية المسيحية التى آمنت بالدعوة الحقيقية للمسيح أن التلميذين يعقوب وبطرس اللذين هما من تلاميذ المسيح عارضا "بولس" ورموه بالبدعة ، وهذان قد تبع دعوتهما فرق من النصارى لا تزال معروفة حتى اليوم مثل فرق (الأبيونيين) و (الألكيين). (٣)

وصل أمر العداوة بين "بولس" وبين المسيحية اليهودية بأن أطلق عليهم أنهم "الإخوة الكذبة"، إذ يقول في غلاطية : **[وَلكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلاَساً لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا]**(٤) ، إذًا الإخوة الكذبة هم اليهود المتنصرون الذين يريدون أن يمارسوا شريعة موسى وأقلقوا

---

(1) أعمال الرسل (الإصحاح الحادي عشر ، الفقرتان ٢٥ -٢٦).

(2) انظر : Goshep Kenny, pag : 10 .

(3) انظر : التعريف بهذه الفرقة فيما سبق من هذا البحث ، ص

(4) رسالته إلى أهل غلاطية (الإصحاح الثاني ، فقرة ٤).

"بولس" وكنيسته ووصفهم "بولس" بالفئة المنشقة وبـ "الغلاطين الأغبياء"[1] ، بل تمنى أن تفصلهم الكنيسة ويحرموا من بين مؤمنيها ، فقال : [يَا لَيتَ الذِينَ يُقلِقُونكُمْ يَقْطَعُونَ أيْضاً][2]

ولهذا وضع "بولس" حدًّا للمعاملات والممارسات الدينية مع هذه الطائفة ، فقال: **[أمَّا المُبَاحَثَاتُ الغَبِيّةُ وَالأنسَابُ وَالخُصُومَاتُ وَالمُنَازَعَاتُ النَّامُوسِيَّةُ فاجْتَنِبهَا، لأنهَا غَيرُ نَافِعَةٍ، وَبَاطِلَةٌ]**[3]

****

[1] رسالته إلى أهل غلاطية (الإصحاح الثالث ، فقرة ١).

[2] رسالته إلى أهل غلاطية (الإصحاح الخامس ، فقرة ١٢).

[3] رسالته إلى أهل تيطس (الإصحاح الأول ، الفقرات ٩-١١).

عقائد اليهودية المسيحية ومميزاتها.

ومن يطالع أهم خصائص هذه الفرق التي مثلت اتجاه اليهودية المسيحية أو اليهود المتنصرين يجد أنها اختُصَت بعدة عقائد ومميزات من أهمها ما يلي:

أ- أن هذه الفرق كادت تجْهَلُ ، لأنها نمت في أطراف الحضارة في البادية، وأهم الأماكن لاقتفاء آثارهم هو الجزيرة العربية. [1] وعليه فإن من عُرِف من العرب الجاهليين بأنه يتحنث ويعرِف كتب أهل الكتاب فلابد أنه واحد من هذه الفرق التي فَرَّت بدينها الصحيح ، غير أنهم كانوا قلة قليلة ، وهذا أمر يتأيد بما ذكره الصحابي الجليل "سلمان الفارسي"[2]، وهو يحكي قصة إسلامه ، فقد كان في بداية أمره مجوسيًا يعبد النار، ثم هو بعد قد دخل كنيسة فتعرف فيها على دين النصارى ، فما كان منه إلا أن تبعهم إلى الشام ، يقول رضى الله عنه: فلما قدمتها قلت : مَنْ أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا الأسقف في الكنيسة : قال فجئته ، فقلت : إني رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك ، وأتعلم منك وأصلي معك. قال : فادخل ، فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين... ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه... فلما رأوها – أي الصدقة– قالوا : والله لا ندفنه أبدًا ، فصلبوه ثم رجموه بالحجارة ، ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، يقول سلمان – رضى الله عنه – فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس[3] أرى أنه أفضل منه أزهدَ في الدنيا... فأحببته حبًّا لم أحبه مَنْ قبله ، وأقمت معه زمانًا، ثم حضرت الوفاة فقلت له : يا فلان...إلى مَنْ توصي بى ، وما تأمرني؟ قال: أى بني ، والله ما أعلم أحدًا اليوم على ما كنت

---

[1] انظر : السابق ، نفس الموضع ، وانظر: "تاريخ الفكر المسيحي" (١/٤٩٠-٤٩٧).

[2] الصحابي الجليل، سلمان الفارسي ، رضى الله عنه يكني أبا عبد الله ، من أصبهان ، من قرية يقال لها "جي" كان أبوه بمثابة خازن النار للمجوس (دهقان) ؛ ظل يبحث عن الدين الصحيح مدة طويلة حتى هداه الله للإسلام ، وشهد مع النبي المشاهد . (انظر : "البداية والنهاية" ، ٧/١١٤) وانظر : "حديث إسلامه في مسند الإمام أحمد " ، برقم (٢٢٦٢٠).

[3] يقصد رضوان الله عليه – أنه من غير المسلمين ، لأن صلاة الخمس أمر مختص به المسلمون وحدهم.

عليه، لقد هلك الناس وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل[١]، وهو فلان ، فهو على ما كنت عليه ، فالحق به. قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل...فأقمت عنده فوجدته خير رجل، على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلانًا أوصى بي إليك ...فإلي من توصي بي ؟ وما تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين[٢] ، وهو فلان ، فالحق به. [٣]

وكان من أمر هذا القسيس مثل ما كان من أمر سَابقَيه ، حتى إذا جاءه أجله عَهِدَ بسلمان أن يذهب إلى رجلٍ بعمورية[٤] ، حتى إذا جاءه أجل الله قال لسلمان رضى الله عنه : "قد أظلَّك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرض بين حرَّتين[٥] بينهما نخل ، به علامات لا تخفي ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

فهذه القصة تدل على أن المسيحية اليهودية كانت أندر من الكبريت الأحمر، وكانت تعْرِف وتَعْتَرِف بنبي يأتي بعد المسيح ، بل كانت تعرف أدق التفاصيل عنه، ويورثون ذلك لمن بعدهَم.

وتدل أيضًا أن المسيحية اليهودية ما زالت تحتفظ بتعاليم المسيح (عليه السلام) ، وتعرف أن نبيًا بشَّر بنبي يأتي بعده ، بل كانت تعرف أيضًا أن المسيحية حُرِّفت وبُدِّلت وحاد أهلها عن نهج المسيح (عليه السلام) ، وبخاصة في مسائل شائعة مشهورة في اعتقادهم مثل طبيعة المسيح والقول في أمه وعذريتها وحملها فيه من غير أب ، وهذا ما يوضحه الحوار الذي حدث بين أبي سفيان وهرقل – عظيم الروم– حينما سأله هرقل عن محمد (ﷺ) وعن ماهية دعوته (ﷺ)، قال هرقل لترجمانه قل له:..فإن كان ما تقول

---

[1] مدينة بالعراق على مقربة من نهر دجلة ("معجم البلدان" ، ٣٣٩/٥)

[2] مدينة بالعراق على شاطئ نهر الفرات ("معجم البلدان " ، ٢٢٣/٥).

[3] انظر : "قصة سلمان رضى الله عنه كاملة في مسند الإمام أحمد " ، برقم (٢٢٦٢٠).

[4] مدينة في بلاد الشام ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٣هـ ("معجم البلدان" ، ١٥٨/٤).

[5] الحرَّة : أرض ذات حجارة سود ، كأنها أحرقت بالنار ،وهذا الوصف يصدق على المدينة المنورة.

حقًا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه..." [١]

ومثلها في الدلالة قصة النجاشي حين سأل جعفر بن أبي طالب ، قائلاً : ما تقولون في عيسى ابن مريم ، فقال جعفر : نقول فيه الذي جاء به (ﷺ) : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول....فضرب النجاشي يده على الأرض فأخذ عودًا ثم قال : ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ، فَتَأْخَرت[٢] بطارقته حوله حين قال ما قال : فقال : وإن نخرتم والله .... "[٣]

ومثلها ما قيل في حق ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة زوج النبي (ﷺ) من أنه كان امرأ تنصر في الجاهلية واستطاع أن يفسر للنبي محمد (ﷺ) الناموس الذي كان أنزل عليه – فحين أخبره به النبي (ﷺ) قال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى. [٤]

ب- إن من يتتبع هذه الفرق في أدق معتقداتها والتي تخالف فيها مسيحية "بولس" يجد أمرًا عجبًا وهو أن هذه المعتقدات تأتي مطابقة تمام التطابق مع ما أقره القرآن الكريم من معتقدات النصارى ، وهذا ما أشرت إليه من قبل من أن القرآن الكريم يفرق بين نوعين من أهل الكتاب عند توجيه الحديث إليهما ، ويفرق كذلك بين إنجيلين عند النصارى[٥]

---

[1] وحديث هرقل مع أبي سفيان حديث طويل ذكره الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب "بدء الوحي" ، باب بدء الوحي برقم (٦). والإمام مسلم في صحيحه ، كتاب "الجهاد والسير" ، باب : كتاب "النبي إلى هرقل" (٣٣٢٢).

[2] أي أحدثت صوتًا من خياشيمكم يوحي باستيائكم.

[3] وقصة النجاشي مع الصحابة في الحبشة قصة طويلة ، ذكرها الإمام أحمد في مسنده ، برقم (٢١٤٦٠).

[4] انظر قصة النبي (ﷺ) مع ورقة بن نوفل في صحيح البخاري ، باب : بدء الوحي برقم (٦٤٦٧) وصحيح مسلم ، كتاب "الإيمان" ، باب : بدء الوحي برقم (٢٣١) حتى أن النصارى تدعى أن ورقة بن نوفل كان من الأبيونيين ، وكان قسيس مكة ، ولهذا فالقرآن معظمه يتفق مع تعاليمهم. انظر التعريف بالأبيونيين فيما سبق من هذا البحث، هامش ص

[5] انظر : ما سبق من هذا البحث ، ص٦٧

ومن أهم هذه الأمور المتطابقة ما يلى :

أولاً : أن فرق اليهودية المسيحية لم يقبلوا من الكتب المقدسة إلا بعض أجزاء من التوراة والإنجيل– بحسب متى فقط في ترجمة عبرية ، وقد اعترفوا بالزبور ، وعندهم كتاب يزعمون أن يسوع ألقاه إلى مؤسس فرقة (ألكسي) [١]

ومن ينعم النظر في آيات القرآن الكريم يجد أنه لا يكثر من الحديث عن كتب الأنبياء السابقين قبل محمد مثل إكثاره الحديث عن توراة موسى وزبور داود ، ولم يشر إلاّ إلى إنجيلٍ واحدٍ أنزل على عيسى (عليه السلام).

ثانياً : من معتقدات اليهودية المسيحية أنهم يرفضون النصوص التي تسيئ إلى الذات الإلهية ويرفضون كذلك النصوص التي تصف الأنبياء بالأعمال الفاجرة، ويقولون عنها إنها نصوص مزورة[٢] ، مثل تلك التي تصف "لوطًا " بأنه زني بابنتيه [٣]، وتذكر داود بأنه رأى امرأة عارية فزني بها[٤] ، وتصف هارون بأنه صنع العجل لبني إسرائيل[٥] ، كما تصف الله بأنه صارع يعقوب فصرعه يعقوب[٦] ، كما تصفه بأنه قد أصابه التعب والنصب بعدما خلق السموات والأرض فجلس مدة يستريح[٧] ، إلى غير ذلك من الكثير الوارد في التوراة.

ومن ينعم النظر في آيات القرآن الكريم يجد أنه يبرئ الأنبياء من كل ما ألصقته بهم التوراة ، ووصْفُ الله رب العالمين بكل صفات التقديس والإجلال والتنزيه.

فعن تبرئته ساحة الأنبياء:

يقول القرآن الكريم عن داود عليه السلام : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٨]

---

[1] انظر : Goseph Kenny , Page : 12.

[2] انظر : السابق ، نفس الموضع.

[3] سفر التكوين (الإصحاح التاسع عشر ، الفقرات (٣٠-٣٧).

[4] سفر صموئيل الثاني (الإصحاح الحادي عشر ، الفقرات من (٢-٢٦).

[5] سفر الخروج (الإصحاح الثاني والثلاثون ، الفقرتان ٢-٤).

[6] سفر التكوين (الإصحاح الثاني والثلاثون ، الفقرات ٢٤-٣٢).

[7] سفر التكوين (الإصحاح الثاني ، الفقرة ٢) والخروج (الإصحاح الواحد والثلاثون ، الفقرة ١٧).

[8] سورة البقرة : آية ٢٥١.

ويقول : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾[1]

ويقول : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[2] ويقول : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[3]

ويقول : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] ويقول : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[5]

وعلى حين تصف التوراة نبي الله هارون بأنه هو الذي أغوى بني إسرائيل بأن يصنعوا من حُلّيهم عجلاً ويتخذوه إلهًا ، نجد القرآن الكريم يصفه بصفة النبي الذي كان مع موسي رحمة لبني إسرائيل.

يقول الله رب العالمين عن موسى (عليه السلام) : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً ﴾[6]. وما كان ليستخلفه موسى – حين ذهب إلى لقاء ربه – دون سائر بني إسرائيل فيأتي هو ويأمرهم بأن يصنعوا ما يخالف التوحيد الذي جاء به موسى(عليه السلام) ، يقول رب العالمين : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[7]

---

[1] سورة النساء : آية ١٦٣.

[2] سورة الأنعام : آية ٨٤.

[3] سورة الأنبياء : آية ٧٩.

[4] سورة النمل : الآيتان (١٥-١٦).

[5] سورة ص : آية ١٧.

[6] سورة مريم : آية ٥٣.

[7] سورة الأعراف : آية ١٤٢.

ويقول أيضًا : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً ﴾[(١)] بل إن موسى نفسه قد مدحه بقوله : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[(٢)]

وعن لوط (عليه السلام) يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ لُوطاً لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[(٣)]

ويقول جل شأنه :﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [(٤)]

ويقول سبحانه :﴿ وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ [(٥)]

وأما عن وصف الله رب العالمين لذاته في القرآن الكريم ، فقد نفي سبحانه عن نفسه كل ما ألصقته به التوراة واليهود ، وكتبوه بأيديهم ثم ادَّعوا أنه من عند الله ، يقول الله رب العالمين: ﴿ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[(٦)] كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[(٧)] وقال : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ

---

(1) سورة الفرقان : آية ٣٥.

(2) سورة القصص: آية ٣٤.

(3) سورة الصافات : آية ١٣٣.

(4) سورة الأنعام : آية ٨٦.

(5) سورة الأنبياء : آية ٧٤.

(6) سورة المائدة : آية ٦٤.

(7) سورة ق : الآية ٣٨.

قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[1].

ثالثاً: من معتقدات اليهود المتنصرين أنهم لا يؤمنون بنبي ممن ذكروا في التوراة في الفترة المتأخرة مثل إيشيا وإرميا ودانيال وغيرهم إلا النبي داود وابنه سليمان (عليهما السلام) [2] وذلك يرجع لعدم اعترافهم بأن كل نصوص التوراة صحيحة من عند الله.

ومن ينعم النظر في القرآن الكريم يجد أنه لا يصف أحدًا بهذا الوصف إلا داود وابنه سليمان (عليهما السلام) وهما قد ظهرا – فعلاً – في الفترة بين هارون (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام).

رابعًا : من معتقدات المسيحية اليهودية أنهم لا يقولون بألوهية المسيح ، بل يرون أنه نبي من بني إسرائيل أوحي إليه بعد معموديته من يوحنا المعمدان ، وأنه ولد من عذراء من غير أب ، وأنه النبي الذي يأتي بعد موسى فيصلح الشريعة ، ويؤمنون كذلك بأنه ليس مخلصًا للناس ، وأنه لم يمت على الصليب كفارة لذنوب البشر. ولم يقولوا بألوهيته ولا ببنوته لله وقالوا إنه إنسان عادي كسائر البشر ورجل كسائر الرجال ، وغاية ما قالوه أن خلق عيس كخلق الملائكة. [3]

ومن ينعم النظر في آيات القرآن الكريم يجد أن القرآن الكريم قد أقرَّ كل هذه الأمور ، بل وراح يفصل القول فيها.

فعن بشرية المسيح وأنه ما هو إلا نبي من أنبياء بني إسرائيل ، يقول الله رب العالمين : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[4] ويقول سبحانه : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ

---

[1] سورة آل عمران : الآية ١٨١.

[2] انظر : Goseph – Kenney, Page : 9 e – 13.

[3] انظر : السابق ، نفس الموضع ، وانظر : "تاريخ الكنيسة"، جـ٣ ، مج٢ ، ص١٥٥.

[4] آل عمران : آية ٥٩.

فيه هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(١) ويقول أيضـــا : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(٢) ويخاطب بني إســـرائيل : ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(٣) ويقول سبحانه : ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾(٤) ويقول : ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٥) وأما عن ولادة المسيح من عذراء ، وأنه كلمه الله وروح منه يقول الله رب العالمين: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾(٦) ويخاطب الله أهل الكتاب مثبتًا صحة ما يعتقده اليهود والمسيحيون فى المسيح فيقول : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ

(1) سورة المائدة : آية ٤٦.

(2) سورة الحديد : آية ٢٧.

(3) سورة البقرة: آية ١٣٦.

(4) سورة الصف : آية ٦.

(5) سورة المائدة : آية ٧٥.

(6) سورة آل عمران : آية ٤٥.

لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً * لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً ﴾[1]

وأما عن توافق القرآن مع ما يعتقده اليهود المسيحيون من أن عيسى لـيس مخلّصًا للناس وأنه لم يمت على الصليب فيقول : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾[2]

وعن نفي الألوهية والبنوة للإله عن المسيح (عليه السلام) وأنه ليس إلا بشرًا كما يقول بذلك اليهود المسيحيون يقول الله عز وجـل : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[4] ويقول جل شأنه : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[5] ثم يحكم الله رب العالمين على أصحاب هذه الأقوال بحكمة القائل : ﴿لَقَدْ

---

[1] سورة النساء : الآيتان (١٧١-١٧٢).

[2] سورة النساء : الآية ١٥٧.

[3] سورة النساء : آية ١٧١.

[4] سورة التوبة : آية ٣١.

[5] سورة التوبة : آية ٣٠.

كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٢]

خامساً: من الاختصاصات التي اختُصَّ بها اليهود المسيحيون أنهم سُمُّوا من قبل المسيحيين الأوائل (بالنصارى) – كما سبق وأن ذكرت ذلك– نسبة إلى الناصرة قرية المسيح (عليه السلام).

وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجده لا يخاطب من آمنوا بعيسى (عليه السلام) وبكتابه الإنجيل إلا بقوله لهم أنهم نصارى، وظل يخاطبهم به، حتى عند الحديث عن القضايا التي أدخلها بولس على إنجيل المسيح ، وحكم القرآن الكريم عليها بالتحريف وبين فسادها. [٣]

يقول الله رب العالمين : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٤]

---

[1] سورة المائدة : آية ١٧.

[2] سورة المائدة : آية ٧٢.

[3] من هذه العقائد في خطاب القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة:١٨]، وقوله : ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة :٣٠]

[4] سورة المائدة : آية ٨٢.

ويقول سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١)

ويقول جل شأنه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢)

وقال عز من قائل :﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٣)

سادساً : وصُفَ اليهود المسيحيون فى بداية اختلافهم مع البوليسيين بأنهم ليسوا بيهود وليسوا بنصارى ، وإنما هم حنيفيون.

والحنيف في العبرية مصطلح يدل على غير المؤمنين ، ويطلق في الفلسفة اليونانية على الموحدين. (٤)

وهذا يتطابق أيضًا مع ما جاء في القرآن الكريم على إثبات الحنيفية لأبي الأنبياء إبراهيم ونفي اليهودية والنصرانية عنه ، قال الله رب العالمين : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٥)

سابعًا : اتفق اليهود المسيحيون على أن الروح القدس مخلوق ملكي ، وأن أول هبوطه على المسيح كان عند تعميده وكان في صورة حمامة. (١)

---

(1) سورة المائدة : آية ٦٩.

(2) سورة الحج : آية ١٧.

(3) سورة البقرة : آية ١١٣.

(4) انظر : مرجع سابق ، Gosph, Kenny, Page : 13. وهذا من الأمور التى لم تتأثر بمسيحية بولس وأتباعه.

(5) آل عمران : آية (٦٧).

ومن يتتبع وصف القرآن الكريم القدس يجده يتوافق مع هذا الذي تعتقده طائفة المسيحية اليهودية.

يقول الله رب العالمين : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾(٢)

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾(٣)

ثامنًا : صلَّى النصارى متوجهين إلى بيت المقدس. (٤) وكذلك الحال في الإسلام أول الأمر فقد صلَّوا إلى بيت المقدس ، ثم جاء الأمر الإلهي بأن يُولِّي المسلمون وجوههم في الصلاة قِبلَ البيت الحرام. (٥)

تاسعًا : كان اليهود المسيحيون مبالغين في التطهر والغسل ، معتقدين أنهم بذلك يتخلصون من تأثير الشياطين ، وأن ذلك مغفرة للخطايا. (٦)

وهذا مشابه تمامًا عملاً واعتقادًا لما ذكر في وضوء المسلمين لصلاتهم فهذا فى جانب العمل، وأمَّا الاعتقاد فقد ورد عن النبي (ﷺ) قوله : "إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسَل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء ومع

---

(1) انظر : "قس ونبي" ، ص٣٩.

(2) البقرة : آية ٨٧.

(3) سورة البقرة : آية ٢٥٣.

(4) انظر : Goseph Kenny, Page: 13. ، وهذا من الأمور التي لم تتأثر بمسيحية بولس وأتباعه.

(5) انظر : حديث الصلاة إلى بيت المقدس وتحويل القبلة في صحيح البخاري ، كتاب أخبار الآحاد برقم (٩٧١١) وصحيح مسلم برقم (٨٢١).

(6) السابق ، نفس الموضع.

آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجلين خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب".[١]

إن رسول الله (ﷺ) قال : "من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره"[٢]

ويشارك المسلمون طائفة اليهودية المسيحية فى معتقدهم بأن الطهارة والغسل تُخلِّص من الشيطان ، إذ يقول النبي (ﷺ) : "إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ"[٣]، وهذه المشاركة من باب التوافق مع أصل الحق ومصدره – كما سبق- وينبغي التأكيد على هذا المعني حتى لا يقال إن هناك تأثيرًا أو تأثرًا.

يتضح من كل ما سبق أنه منذ رفع المسيح (عليه السلام) تباينت في النصرانية طائفتان وتمايزت كل منهما عن الأخرى ، وحدث بينهما صراع دام أمدًا بعيدًا ، ثم آل في النهاية إلى تغلب طائفة المسيحية البولسية على طائفة اليهود المتنصرين ؛ مما مكّن لها أن تنشر عقائدها التي أملاها عليها "بولس" ومكّن لها أيضًا أن تستئصل شأفة كل من يقف عقبة في طريقها ؛ فأحرقوا كتبهم وقتلوا علماءهم ، مما حَدا بالطائفة الأولى (اليهود المتنصرين أتباع المسيح) أن يتخفُّوا عن أعينهم فارّين بدينهم إلى حيث يأمنون على أنفسهم وعلى دينهم.

وقد أخبرنا القرآن الكريم خبر الطائفتين في القرآن العظيم فقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [٤]

---

(1) انظر : صحيح مسلم ، كتاب "الطهارة ، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء " ، برقم (٣٦٠).

(2) صحيح مسلم ، باب خروج الخطايا مع الوضوء ، برقم (٣٦١) ومسند الإمام أحمد برقم (٤٤٦).

(3) مسند الإمام أحمد برقم (١٧٣٠٢) ، وسنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقال عند الغضب برقم (٤١٥٢).

(4) سورة الصف : آية ١٤.

وقد حدث هذا الظهور فعلاً لطائفة اليهود المسيحيين في بداية ظهور المسيح وذلك قبل اضطهاد الرومان له ولدعوته فلم يكن هناك دعوة ظاهرة – حينئذ – إلا دعوة المسيح الحقيقية. [1]

بناءً على كل ما سبق فإنه يحقُّ لنا أن نقول : إن استدلال "كامبل" واستشهاده ببعض آيات من القرآن الكريم –أنها تخبر عن طائفة من المسيحيين– كانوا في الفترة بين المسيح ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) ظلُّوا أمناء على الإنجيل ونقلوه صحيحًا إلى يوم نزول القرآن وأن القرآن زكَّاهم ومدحهم في بعض آياته – كلام مردود من وجوه :

الوجه الأول :

أن الصراع بين طائفتي النصارى الذي يخبرنا بتفاصيله أعمال الرسل ورسائل "بولس" – انتهى إلى انتصار المسيحية البولسية وكَثْرَةِ أتباعها وشيوع كتبها وعقائدها ومَحْوِ كل ما يخالفها في العقيدة، وهذا أدى بدوره إلى أن فقدت طائفة اليهودية المسيحية الأصل الإنجيلي الذي كانت تؤمن به في خضم الصراعات والاضطهادات ولم يبق لديها كتابًا ترجع إلى نصوصه، كما لم يبق لها إلا بعض الأمور الشرعية العملية التي كانت تمارسها دون أن يكون لها سند مدون يحمل تفاصيلها إلى أن جاء القرآن الكريم فوجدت ما فيه متطابقًا مع ما فقدته ومتوافقًا كذلك مع ما تمارسه من عبادات وشرائع، فآمنت به وصدقت برسوله، لأنها علمت أنه ما عنده هو الحق الذي تبحث عنه، ومن أشهر هؤلاء عمرو بن يزيد بن نفيل، وورقة ابن نوفل وسلمان الفارسي، كما مر – والذين قضوا أعمارهم ينتظرون مجيء النبي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم فيما ورثوه من بقايا الكتب الصحيحة فتمسكوا به ولم يتابعوا عامة اليهود والنصارى على باطلهم، ومثلهم أصحاب الأخدود وأصحاب الكهف الذين أوذوا في سبيل جهرهم بما عندهم من الحق.

---

[1] انظر : ما سبق من هذا البحث ، ص ٩٠، ٩١.

الوجه الثاني :

أن المسيحية البولسِية قد خالفت تعاليم المسيح مخالفة عقائدية تامة ؛ أقل ما يذكر منها أنها جعلت رسالة المسيح رسالة عامة إلى كل البشر في حين أن المسيح أكد في غير موضع أنه لم يرسل إلا إلى الضالين من بني إسرائيل، وأنه ردَّ أناسًا جاءوه ليأخذوا عنه دعوته مصرحًا بأن دعوته قاصرة على ضلال بني إسرائيل فقط.[١] على حين أن "بولس" وديانته ملأت أرجاء الدنيا، ووجود مثل هذه التعاليم التي أدخلها بولس إلى مسيحية عيسى يؤكد لنا أن الأناجيل المتعبد بها الآن بين يدي النصارى هى أناجيل بولس وليست إنجيل عيسى (عليه السلام) وخاصة أنه سيتضح لنا أن اليهودية المسيحية التي حافظت على تعاليم المسيح تتفق فى تعاليمها الدينية التي ما زالت متمسكة بها إلى عهد محمد (ﷺ).

الوجه الثالث :

أن من يتتبع بدقة عقائد المسيحية اليهودية – كما مر– يجد أنها تتطابق تطابقًا أصل شريعة موسى وصحيح دعوة عيسى وتطابق ما أخبر عنه القرآن الكريم.

وهذا التطابق بين عقائد المسيحية اليهودية والقرآن الكريم وشريعة موسى هو الذى حدا بهم أن يؤمنوا بمحمد ودعوته بعد أن يتأكدوا من أن ما عندهم من علم بنبوته يتطابق عليه تطابقًا تامًّا ؛ كما سبق وذكرنا عن سلمان الفارسي وهرقل عظيم الروم والنجاشي ملك الحبشة وغيرهم.[٢]

الوجه الرابع :

توصل البحث آنفًا إلى أن الصراع بين الطائفتين حدا باليهودية المسيحية أن يفروا بدينهم إلى شعاب الجبال وإلى أماكن لم يألفوها متخفين بدينهم لقلة عددهم وندرة نظيرهم. ومن يطالع الآيات التي استدل بها الدكتور "كامبل" من القرآن الكريم – في هذا الصدد– يجد أنها كلَّها تنطبق على أقوام هذا وصفهم.

---

[1] انظر : ما سبق من هذا البحث ، ص ٢٧٨.

[2] مثل وفد نجران.

من ذلك ما استشهد به الدكتور "كامبل" بآيات من سورة البروج تقول: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ ثم علَّق عليها بقوله : إن هذه الآيات تقول إن هناك مسيحيين مخلصين لله والحق ...وقد قبلوا أن يحرقوا في سبيل إيمانهم..والملك الذي تشير إليه الآيات هو ذي نواس ملك اليمن اليهودي الذي اضطهد المسيحيين في القرن السادس الميلادي وأحرق منهم أحياء ممن رفضوا اعتناق اليهودية.[1]

إن استدلال "كامبل" بهذه القصة على هذا النحو مكتفيًا بذكر إشارات القرآن الكريم فقط دون الرجوع إلى تفصيل القصة في السنة النبوية يجعل استدلاله ناقص غير مكتمل. وإن من يستقرئ القصة بتفاصيلها الدقيقة كما أوردتها السنة يعلم يقينًا أن هذا الاستدلال من "كامبل" عليه لا له ، كما سيتضح – إن شاء الله– بعد أن نشير إلى أهم العناصر الرئيسية في قصة أصحاب الأخدود ، كما وردت في السنة[2] والتي منها :

أن ملكًا كان له ساحر قد كبرت سنه ، فطلب من الملك أن يرسل إليه غلامًا يعلمه السحر ، ففعل الملك وأرسل الغلام ، غير أن الغلام كان يمر على راهب من الرهبان المتعبدين المتنسكين وهو في طريقه إلى الساحر ، فأعجبه ما يرى منه فكان يقعد إليه وسمع منه ، وتكرر الأمر كثيرًا حتى أصبح يذهب إلى الساحر متأخرًا فيضربه، فشكا الغلام إلى الراهب ، فأشار عليه الراهب أن يقول له حبسني أهلي وأن يقول مثل لأهله ، فبينما الغلام على هذه الحال إذ أتي على دابة عظيمة في الطريق حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم الساحر أن الراهب أفضل ، ثم أخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس

---

[1] انظر : ما سبق من هذا البحث ، ص ٢٦٦ ، وانظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص ٣٩.

[2] انظر : نص القصة بتفاصيلها في صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ، برقم (٥٣٢٧).

فرماها فقتلت الدابة بإذن الله ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلي فإن ابتليت فلا تدل ، وكان الله قد أعطى الغلام من العطاء ما يبرئ به الأكمة والأبرص بإذن الله، فسمع به جليس من جلسا الملك كان قد عمي بصره ، فذهب إليه ليشفيه ، فأعلمه الغلام قائلاً : إن أنت آمنت بالله دعوته لك فشفاك ففعل الرجل فشفاه الله ، فلما عاد إلى الملك وسأله أعلمه أن الله هو الذي شفاه فتعجب الملك سائلاً : ألك رب غيري؟ فرد الرجل : ربي وربك الله ، فأخذه الملك فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام ، فجئ به، فقال له الملك : قد بلغ من سحرك أنك تبرئ الأكمة والأبرص وتفعل كذا وكذا فقال الغلام له مثل ما قال للأعمى ، فأخذه الملك فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب ، فجئ به فلم يزل الملك يعذبه حتى شقه بالمنشار حتى وقع شقاه ، ثم جئ بالغلام فطلب منه الملك أن يرجع عن دينه فأبي ، فما زال به يحاول قتله عدة مرات فلم يفلح ، فقال له الغلام : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به ، قال : وما هو ، قال : تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهمًا من كنانتي ، ثم ضع في كبد القوس ثم قل : باسم الله رب العالمين ثم ارمني ، ففعل الملك ، فما كان من الناس المجتمعين في الصعيد إلا أن قالوا : آمنا برب العالمين ، ودخلوا في دين الغلام، فأمر الملك بالأخاديد فشقت وقال لجنده من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها ففعلوا حتى إذا جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست خوفًا على صبيها ، فأنطقه الله قائلاً : أماه اصبري فإنك على الحق.

إذا أنعمنا النظر في هذه القصة نجد أن كلها حجة على "كامبل" لا حجة له، وذلك من عدة وجوه :

الوجه الأول : أنها تخبرنا أنه ليس أحدًا على دين النصرانية إلا رجلٌ واحدٌ في مملكة كاملة متخفيًا بدينه في صومعته ، وهذه الحال تنطبق على كل اليهود المسيحيين الذين خرجوا إلى شعاب الجبال فارِّين بدينهم.

الوجه الثاني: بحث هذا الراهب على حجة للغلام يقولها لأهله وللساحر (قل حبسني أهلي ، وقل لأهلك حبسني الساحر) وهذا يدل على حرصه الشديد

ألا يعلم أحدٌ عن ما هو فيه شيئًا ، ويؤكدها بقوله : أى بني إنك ستبتلي ، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ ، وهذه تدل على علم الراهب بالمصير الذي ينتظره إذا تكشَّف أمْره وعُلِمَ.

الوجه الثالث : أن الراهب وهو على هذه الحال من التخفي والحرص ما كان ليستطيع أن يبلغ الناس إنجيل المسيح ليكون بذلك حلقة وصل لنقل هذا الإنجيل من جيل سابق إلى جيل لاحق.

الوجه الرابع : إذا سلَّمنا بأن الراهب قد تمكن من أن يعلم الغلام الإنجيل ويلقنه إياه، (وإذا سلَّمنا أنه معه نسخة من إنجيل المسيح) فقد عُلِم المصير الذي آل إليه الغلام ، وعُلِمَ حِرْصُ الملك على أن يقتل كل من عرف شيئًا عن هذا الدين حتى الصبي الذي لم يتكلم بعد ، وإن سلمنا أن أحدًا تمكن من الهرب ، فلم يكن الغلام قد علَّم أحدًا شيئًا.

الوجه الخامس : أن السياق العام للقصة حتى نهايتها ليدل على أن الناس تردي بهم الحال في البعد عن عبادة الله إلى عبادة ملوكهم ، وهذا يتضح من استفهام الملك : ألك ربٌّ غيري ؟

ومثل ذلك يقال على ما استدل "كامبل" في قصة شبان أهل الكهف لأنهم خرجوا من المدينة فارِّين بدينهم متخفين ، ولم يكونوا مشغولين بالدعوة وإدخال الناس في دين المسيح ، ولم يملكوا الْمُلْكَ الذي به يحثون الناس على الدخول في دين الله ويدفعوهم فيه دفعًا.

وزيادة على ذلك أنهم لمَّا خرجوا فارِّين بما معهم من دين وطاردهم الملك وجنده اكتفوا بأن يسدُوا عليهم باب الكهف حتى يموتوا جوعًا وعطشًا.

فهذه الآيات التي استدل بها كامبل تؤكد كلها أن من كان يعبد الله على دين المسيح لم يكن يملك كتابًا يقرأه ويعرفه هو وغيره من الناس ، وإنما كان يتخفى بما بقي من آثار المسيحية الأولي (مسيحية عيسى عليه السلام).

وقد سبق تأكيد آيات القرآن الكريم على أن أهل الكتاب حرَّفوا وبَّدلوا وعطَّلوا وكذَّبوا على الله ونسبوا إليه ما لم يقله ، كما سبق وأكدت آيات القرآن الكريم على أن طائفة من أتباع المسيح الحقيقيين ظلَّوا متمسكين بشريعته غير أن الأوضاع الدينية والسياسية لم تمكنهم من نشر دعوته وتدوين شريعته، فاضطروا إلى الفرار بدينهم قاصدين الكهوف في الجبال حتى يتمكنوا من أن يعبدوا الله بما استطاعوا أن يتعلموه عن ديانة المسيح عليه السلام ، حتى جاء البشير النذير الأمين محمد (ﷺ) ، فكان من منح الله عليه وعلى أمته أن يتكفل سبحانه بحفظ شريعته لتظل باقية ما بقيت السماوات والأرض، تبين للناس ما اختلفوا ، وتصحح للسابقين ما حرفوا وبدَّلوا وغيروا مُبيّنة التوحيد الصحيح الذي ارتضاه الله لدينه فأنزله شريعة على كل الأنبياء بدءًا من آدم عليه السلام حتى ينتهى عند محمد (ﷺ) فبينه للناس في صورة المحجة البيضاء التى ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، كما قال (ﷺ).

****

الفصل الثاني

أدلة صحة الكتاب المقدس من الحديث الشريف

ويشتمل على مبحثين كما يلى :

المبحث الأول : أدلة كامبل على صحة الكتاب المقدس من الحديث الشريف

المبحث الثاني : مناقشة أدلته في ضوء الحديث الشريف.

المبحث الأول : أدلة كامبل على صحة الكتاب المقدس من الحديث الشريف :

أورد كامبل فيما سبق – كثيرا من الآيات القرآنية استنطقها محاولا استخراج الدليل منها على أن التوراة والإنجيل كانا صحيحين زمن النبي (ﷺ)، ولم يكتف كامبل بذلك بل إنه حاول دراسة الحديث النبوي مستخرجا منه الأدلة على صحة التوراة والإنجيل أيضا.

في البداية يقرر كامبل أنه كانت ينبغي على الدكتور موريس بوكاي أن يُعنْوِنَ لكتابه "القرآن والحديث ، والتوراة والإنجيل ، والعلم" وذلك لأن القرآن هو أحد مصدري العقيدة عند المسلمين ، والحديث هو المصدر الآخر. كما أن الحديث به اقتباسات تختص بالعلم ، وعليه فيجب دراسة ما قاله الحديث عن التوراة والإنجيل لنرى إن كان يساند الاتهام الموجه إلى اليهود والمسيحيين أنهم حرفوا كتبهم المقدسة. [١] وخاصة إذا كان هناك أحاديث كثيرة عنهما.

من ذلك :

عن أبي هريرة قال رسول الله : "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنوكم". [٢]

وعن أبي هريرة أن أهل الكتاب كانوا يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها لأهل الإسلام ، فقال رسول الله : "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، ولكن قولوا ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ﴾ . [٣]

---

[1] انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٦٤.

[2] وهذا الحديث نقله كامبل وأسقط منه بعد "يأتونكم" (من الأحاديث) وأصل الحديث فى صحيح مسلم (مقدمة النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط فى تحملها) برقم (٨).

[3] سورة البقر: الآية ١٣٦ والحديث رواه البخاري، كتاب "تفسير القرآن" ، باب "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا" برقم (٤١٢٥).

ويعلق "كامبل" على هذا الحديث قائلا: واضح أن محمدًا لم يؤيد ولم يناقض تفسير أهل الكتاب لكتابهم ، ولا علّق على نص التوراة. ولم يعرف المسلمون إن كان تفسير اليهود لكتابهم يتفق مع نصوص التوراة أو لا يتفق. (١)

ومحمد لم يمنع قراءة التوراة ولا ينكر وجودها، وسكوته برهان على وجودها، ولنتأمل الأحاديث التالية :-

١- عن سلمان ، قال : قرأت في التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده ، فذكرت ذلك للنبي ، فقال : بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده. (٢)

٢- وعن خيثمة بن أبي سبرة ، قال أتيت المدينة فسألت الله أن ييسر لي جالسًا صالحًا ، فيسر لي أبي هريرة ، فجلست إليه فقلت : إني سألت الله أن ييسر لي جليسا صالحًا فوَفِّقت لي. فقال لي : من أين أنت ؟ فقلت من الكوفة ، جئت ألتمس الخير وأطلبه. فقال : أليس فيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة ؟ وابن مسعود صاحب طهور رسول الله ونعليه ؟ وحذيفة صاحب سر رسول الله ؟ وعمَّارُ الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ، وسلمان صاحب الكتابين؟ (٣) يعني الإنجيل والقرآن.

يرى "كامبل" في هذا الحديث أنه يُعرِّف الكتابين بأنهما الإنجيل والقرآن لا التوراة والإنجيل ، وهذا يؤكد وجود إنجيل صحيح يقرأونه. (٤)

٣- وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله لأبي بن كعب : كيف تقرأ في الصلاة ؟ فقرأ أم القرآن ؟ فقال رسول الله : والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها ، وإنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته. (٥)

---

(1) انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٦٥.

(2) الترمذي وأبو داود، وقد ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (٢٣٣١).

(3) الحديث فى صحيح الترمذي للشيخ الألباني برقم (٢٩٩٦).

(4) انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٦٦.

(5) رواه الإمام أحمد فى مسنده برقم (٨٣٢٨) ، والنسائى برقم (٢٠٥٠).

٤- وعن جابر أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله بنسخة من التوراة فقال : يا رسول الله ، هذه نسخة من التوراة . فسكت . فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير فقال أبو بكر : ثكلتك الثواكل ! أما ترى ما بوجه رسول الله . فنظر عمر إلى وجه رسول الله فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله. رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا. فقال رسول الله : والذي نفسي محمد بيده ، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ، ولو كان حيا وأدرك نبوتي لاتّبعني. [١]

٥- وعن زياد بن لبيد : قال : ذكر النبي شيئاً فقال : ذاك أوان ذهاب العلم. قلت : يا رسول الله ، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونعلمه أبناءنا ويقرأه أبناؤهم ويعلمونه أبناؤهم على يوم القيامة ؟ فقال : ثكلتك أمك يا زياد ! إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أوليس هذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل لا يعلمون بشيء بما فيهما ؟!. [٢]

يرى "كامبل" أن هذا الحديث يوضح أن محمدًا قال إن اليهود والنصارى يقرأون كتبهم ، ولم يذكر أنها محرفة ولا منسوخة. [٣] ثم يفترض كامبل أن محمدا كان يشير إلى النصارى واليهود العرب الذين لا يفهمون لغة التوراة العبرية ولغة الإنجيل اليونانية ، ثم يسأل "كامبل" : كم عدد الذين يقرأون كتبهم المقدسة ويفهمونها؟ ثم يقول : ولكن ماذا عن حديث بدء الوحي " فانطلقت به (بمحمد) خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء

---

[1] رواه الدرامى فى سننه فى المقدمة برقم (٤٣٦). ورواه الشيخ الألبانى فى مشكاة المصابيح برقم (١٩٤) وقال حديث حسن.

[2] رواه ابن ماجة فى سننه (كتاب الفتن) باب ذهاب القرآن والعلم برقم (٤٠٣٨). وذكره الشيخ الألبانى مشكاة المصابيح برقم (٢٧٧). ونص الحديث صحيحًا يقول: عن زياد بن لبيد قال : ذكر النبى (ﷺ) شيئاً فقال ذاك عند أوان ذهاب العلم قلت : يا رسول الله وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة، قال : ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل لا يعلمون بشيء مما فيها.

[3] انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٦٧.

الله أن يكتب ، وكان شيخًا كبيرًا ، قد عمى ، يرى "كامبل" بناء على هذا الحديث أن الكتاب كان موجودًا معروفا بين العرب.[1]

كما جاء في الحديث أن التوراة تنبأت عن محمد فعن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : اخبرني عن صفات رسول الله في التوراة فقال : أجل والله ، إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين. وأنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لا فظًا ولا غليظ القلب ولا صخابًا في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يأخذه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، يفتح به أعينا عميا وآذانًا صمًا وقلوبا غلفا".[2] فهذه النبوة جاءت فى سفر إشعياء بالتوراة ، ويرجع تاريخها إلى سنة ٧٠٠ قبل المسيح ، و ١٣٠٠ سنة قبل محمد ، وهي مقبولة شرعيا من عطاء بن يسار ، وتقول : **[هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ. هَكَذَا يَقُولُ اللَّهُ الرَّبُّ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحاً. أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ وَنُوراً لِلأُمَمِ لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ]** فهذه النبوة التوراتية وكلمات الحديث متوافقان، فندرك أن نبوة إشعياء لم تتحرف. ثم يجزم كامبل بأن النبوة تحققت فى المسيح، فهو لم يكن صخابًا، وهو الذى عفا وغفر، وهو الذى فتح عيون العمى.[3]

---

(1) السابق ، نفس الموضع.

(2) رواه البخاري فى صحيحه (كتاب البيوع) باب كراهية الشغب في السوق برقم (١٩٨١).

– وانظر : السيرة النبوية لابن كثير ٣٧/١.

– إشعياء ، الإصحاح الثانى والأربعون (١-٣ ، ٦ ، ٧).

(3) انظر: "القرآن والكتاب المقدس"، ص٦٧.

ويشير "كامبل" أيضًا : إلى إنجيل "متى" الإصحاح الثانى عشر، الفقرات من ١٨ : ٢٢، والتى يقول فيها: "هو ذا فتاى الذى اخترته الذى سرت به نفسى أضع روحى عليه فيخبر الأمم لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ولا يقصف وفتيلة مدخنه لا يطفئ حتى يخرج الحق إلى النصرة وعلى اسمه رجاء الأمم".

٥- ومن الأحاديث أيضا عن ابن صخر العقلي ، قال : حدثني رجل من الأعراب قال : جلبت جلُوبةً إلى المدينة في حياة رسول الله ، فلما فرغت قلت ، لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه. قال : فتلقاني الرسول وأبو بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتـوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرأوها ، ويعزي بها على نفسه عن ابن لـه في الموت كأحسن الفتيان وأجملهم. فقال له رسول الله : "أنشـدك بالـذي أنـزل التوراة ، هل تجدني في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟ فقال رأسـه هكـذا – أي لا. فقال ابنه: أي والذي أنزل التوراة إنا لنجدك في كتابنا صفتك ومخرجك. أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله" فقال رسول الله : " أقيموا اليهودي عن أخيكم ، ثم ولى كفته والصلاة عليه. [(1)] فالفتى قد اختلف مع أبيه في تفسير التوراة ولكن لم يقل أحد أن التوراة محرفة ولا منسوخة. [(٢)]

٦- وعند عبد الله بن عمر ، أن اليهود جاءوا إلى رسول الله فذكروا أن رجلا وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله : "ما تجدون في التوراة فـي شـأن الـرجم ؟ قـالوا : نفضحهم ويجلدون. قال عبد الله بن سلام : كذبتم فإن فيها الرجم ــ فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبـد الله بن سلام : ارفع يدك فرفع ، فإذا آية الرجم. فقالوا صدق يا محمد ، فيهـا آيـة الرجم. فأمر بها النبي فرجما. [(٣)]

ففي هذا الحديث طلب محمد التوراة فجئ بها، وسمع ما حكمت به، ثم قضى بحسب حكمها، ولم يقبل أبدًا إن التوراة محرفة ولا منسوخة. وهـذه حادثـة يشـير القرآن فيها إلى أن اليهود أخفوا الألفاظ، وذلك فى قراءتها دون أن يغيروا نصها. [(٤)]

---

(1) السيرة النبوية لابن كثير ، جـ١ ، ص٢٣٢.

(2) انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٦٧.

(3) رواه البخارى (كتاب الحدود). باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنـوا ورفعـوا إلـى الأمـام بـرقم (٦٣٣٦) وفى مسلم كتاب الحدود باب رجم اليهود أهل الذمة فى الزنا برقم (٣٢١١).

(4) انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٦٨، ويقصد بالقرآن هنا هو قول الله رب العالمين ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾

وقد استمع عمر بن الخطاب لاقتباس اليهودي من توراته، ولم يرفض كلمات التوراة، ولم يقل إنها من كتاب محرف ولا منسوخ. [1] فعن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلم ويهودي ، فرأى أن الحق لليهودي ، فقضى له ، فقال له اليهودى: والله لقد قضيت بالحق، فضربه عمر بالدرة، ثم قال له : وما يدريك أني قضيت بالحق ؟ فقال اليهودي : إنا نجد في التوراة أنه ليس قاض يقضي بالحق إلا إذا كان عن يمينه ملك ، وعن شماله ملك، يسددانه ويوفقانه. [2]

في ضوء كل ما سبق يرى "كامبل" أن محمدًا وعمر قبلا كلام التوراة الذي عند يهود عصرهم باعتبار التوراة صحيح وموقرة.[3] وليس هناك في الأحاديث كلها إلا حديثًا واحدًا يشذ عن هذه القاعدة ، وهو ما رواه البخاري عن ابن عباس وكان ابن عباس في الرابعة من عمره يوم مات محمد ، ثم ولاه علي بن أبي طالب البصرة قال بن عباس : "كيف تسألون (أيها المسلمون) أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله أحدث ؟ تقرؤنه محضا لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا أهو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلا. ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل إليكم".[4]

ويمكن أن يقال إن نفرًا من اليهود الجهلة أو الأشرار ربما حرفوا نسخة كانت معهم تحدث عنها ابن عباس. ولكن سائر النسخ بقيت صحيحة ، شهدت لها سائر الأحاديث. لقد كان الشيخ ورقة يكتب من الإنجيل بالعبرانية ، ولم يكن ما أخذ عنه أو ما كتبه محرفًا وقال محمد أن اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل ، ولم يقل إنهما محرفان وحكم بما جاء في التوراة التي بين يديه يرجم اليهوديين الزانيين. هذه هى الأحاديث التي ظنَّ الدكتور كامبل فيها أنها دليل على أنها تشهد

---

(1) انظر: السابق ، نفس الموضع.

(2) الحديث أخرجه : الإمام مالك فى موطأه (كتاب الأقضية) ، باب الترغيب في القضاء بالحق برقم (١٢٠٦)وذكره الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢١٩٧) وقال عنه صحيح موقوف.

(3) صحيح البخارى (كتاب التوحيد) باب قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ برقم (٦٩٦٩) ورواه أيضًا برقم (٦٨١٥) كتاب الاعتصام والسنة.

(4) انظر: "القرآن والكتاب المقدس"، ص٦٩.

لصحة التوراة والإنجيل، بل إنه يرى فيها أن النبى (ﷺ) وصحابته كانوا يعتمدون على نسخ صحيحة من التوراة والإنجيل، متغافلاً النهى يعتمدوا على كتب أهل الكتاب – كما مر في الحديث – وغاضًا الطرف عن أن نظر النبى (ﷺ) في التوراة وسماعه لليهود يقرأون منها كان من باب التزامهم الحجة بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم ومع ذلك – كما مر في الحديث أيضًا– كما ألزمهم النبى (ﷺ) الحجة في أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه فيأخذون من أحكام كتبهم ما يتناسب مع أهوائهم، ومن لا يتناسب يضعون أيديهم عليه كأنهم لا يرونه متناسيين أن محمدًا الذي يسمع بنبي يُوحى إليه وحيٌ وعليه فإن لمس خللاً أو نقصًا أو تحريفًا فإنه لا محالة عالمًا به وسيأتي إن شاء الله في موضعه من هذه الدراسة مناقشة أدلة الدكتور كامبل من الحديث الشريف وبيان خطئها أو صحتها.

****

المبحث الثاني: مناقشة أدلته في ضوء الحديث الشريف .

* موقف السنة النبوية من أهل الكتاب وكتبهم :

رأينا – فيما سبق – من هذا البحث أن الدكتور "وليم كامبل" حاول أن يسوق كثيرًا من الأدلة القرآنية على صحة ما يذهب إليه من أن التوراة والإنجيل كتابان صحيحان لم يمسهما أي تحريف، ولم يقف حد الاستدلال عند "كامبل" على الآيات القرآنية، بل تعداه إلى الاستدلال بكلام النبى محمد ﷺ الوارد فى الأحاديث النبوية.

وفعل كامبل هذا – على هذا النحو – نأى به بعيدًا عن ميدان مجادلة بوكاي والطعن في أدلته مباشرة، إذ إن الأول (بوكاي) حصر أدلته في حقائق العلم الحديث ونظرياته وتطبيقها على الكتب المقدسة ليختبر بها النصوص، ولم يتعرض للنصوص ذاتها إلا بعد أن يَثْبُت له بمقياس العلم الحديث أنها محرفة، فإن ثبت له ذلك يبدأ بسوق بعض الأدلة التاريخية أو التحليلية للنص نفسه ليعضد بها النتيجة التي توصل إليها.

غير أن خروج كامبل عن هذا المنهج وتعرضه للنص نفسه يستلزم منها الوقوف عند النصوص الكاملة التي تتحدث عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم من الحديث الشريف، وخاصة إذا علمنا أن كامبل يستدل بنص لا يؤمن به، فهذا يدعم حقنا في الوقوف على هذه النصوص وضم بعضها إلى بعض.

وقد ساق الدكتور "كامبل" كثيرًا من الأحاديث التى يرى أنها تشهد لصحة التوراة والإنجيل، من ذلك : ما ذكره من أن محمدًا لم يؤيد ولم يناقض تفسير أهل الكتاب لكتابهم، ولا علَّق على نص التوراة[1].

كما يرى "كامبل" أن محمدًا قال إن اليهود والنصارى يقرأون كتبهم، ولم يذكر أنها محرفةً ولا منسوخة[2] كما أن عمر بن الخطاب سمع إلى اقتباس اليهودى من توراته، ولم يرفض كلمات التوراة، ولم يقل إنها من كتاب محرَّف ولا منسوخ. [3]

غير أن من يتتبع السنة النبوية يجد أن ما ذهب إليه الدكتور "كامبل" من تأييد السنة لصحة التوراة والإنجيل – غير صحيح، خاصةً إذا نظرنا فيما أوردناه من آياتٍ

---

(1) انظر : ما سبق من هذا البحث ص ٣٠٢.

(2) انظر : ما سبق من هذا البحث ص ٣٠٤ ، وانظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٦٧.

(3) انظر : ما سبق من هذا البحث من ص ٣٠٢ إلى ص ٣٠٥.

قرآنية أكدت تأكيدًا جازمًا أن أهل الكتاب حرَّفوا كتبهم وبدَّلوا فيها، كما أكدت الآيـات أيضًا ذلك بأن وضحت كثيرًا من المواضع التى حدث فيها التغيير والتبديل.

وعليه فإنه لما كان النبى ﷺ وعلى آله وسلم هو المبَلِّغ للقرآن الكـريم عـن ربه فلابد من أن يتوافق ما جاء فى سنته مع ما بلغه عن ربه جل وعلا توافقًا واضحًا جليًا لأن كلاهما وحيٌ من عند الله سبحانه وتعالى، وهذا متحقق – ولاشك– تحققًا تامًا بين السنة والقرآن الكريم.

وكما أن القرآن الكريم : فصَّل القول، وبيَّن الصوَّر، وضرب الأمثلة، وفضـح أفعال وتحريف أهل الكتاب لكتبهم؛ كذلك فعلتْ السنة الصحيحة الواردة عن النبى ﷺ.

ومن يتتبع ذلك يجدْه مبسوطًا فى كتب الحديث على صور متعددة على النحـو التالى :

أولاً : وصفت السنةُ النبوية أهل الكتاب بالتحريف والتبديل لكتبهم :

ورد عن النبى ﷺ عن الربيع بن عُميلة قال : حدثنا عبد الله بن مسعود حديثًا ما سمعنا حديثًا هو أحسن منه إلا كتاب الله عز وجل ورواية عن النبى ﷺ قـال : إن بنى إسرائيل لمَّا طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، اخترعوا كتابًا مـن عنـد أنفسـهم، استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم، وكان الحق[1] يحول بيـنهم وبـين كثيـر مـن شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، قالوا : أعرضوا هـذا الكتاب على بنى إسرائيل فإن تابعوكم عليه فاتركوهم، وإن خالفوكم فاقتلوهم، قالوا: لا بل ابعثوا إلى فلان رجل من علمائهم ، فإن تابعكم لم يختلف عليكم أحد، وإن خـالفكم فاقتلوه، فلن يختلف عليكم أحد بعده.

فأرسلوا إليه، فأخذ ورقةً فكتب فيها كتاب الله، ثم أدخلها فى قَرَن[2]، ثم علقها فى عنقه، ثم لبس عليها الثياب، ثم أتاهم، فعرضوا عليه الكتاب، فقالوا: أتؤمن بهذا؟ فأشار إلى صدره – يعنى الكتاب فى القرن – فقال : "آمنت بهـذا، ومـالى لا أؤمـن بهذا"، فخلّوا سبيله.

(1) والمقصود به الحق الصحيح الوارد فى الوحى الصحيح عند الله رب العالمين.

(2) والقرن : جعبةٌ صغيرة من الجلد (انظر : لسان العرب ، مادة : قَرَنَ)

قال : وكان له أصحاب يغشونه، فلما حضرته الوفاة نزعوا ثيابه ووجدوا القرن فى جوفه الكتاب، فقالوا : ألا ترون إلى قوله: "آمنت بهذا، ومالى لا أؤمن بهذا" فإنما عنى بهذا هذا الكتاب الذى فى القرن.

قال : فاختلفت بنو إسرائيل على بضع وسبعين فرقة، خير مللهم أصحاب ذى القرن. قال عبد الله : وإن من بقي منكم سيرى منكرًا، وبحسب امرئ يرى منكرًا لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره.(١)

ومن ينعم النظر فى هذا الحديث سيجده يدل دلالة تامة على أن النبى ﷺ صرح تصريحًا واضحًا أن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتابًا من بين أيديهم غير الذى أوحاه الله إلى أنبيائهم وعمَّموه حتى صار هو الكتاب المرجوع إليه دون كتاب الله، ومن يأب الاحتكام إليه والإيمان به يقتل.

وبتأييد هذا الوصف الذى ورد فى هذا الحديث عن اليهود بما ذكره القرآن الكريم عند قوله تعالى وهو يخاطب اليهود : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ لَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (٣)

واحتكام اليهود إلى كتاب غير الذى أرسله الله إليهم – كما مر ذكره– مع قسوة قلوبهم حدًا بهم إلى الوقوع في الشرك بالله. وهذا أمرٌ قد ورد على ألسنة أحبارهم فى سنة النبى ﷺ.

---

(1) انظر السلسلة الصحيحة برقم (٢٦٩٤) وانظر تفسير بن كثير عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ، جـ٤ – ص٣١٠.

(2) سورة البقرة : الآية (٧٥).

(3) سورة البقرة : الآية (٨٩).

فعن زيد بن حارثة – رضى الله عنه – قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فى يوم حار من أيام مكة[1]، وهو مُرْدِ في ، فلما كنا بأعلى مكة لقيه (زيد بن عمرو بن نفيل)[2]، فحيّا أحدهما صاحبه بتحية الجاهلية، فقال له رسول الله ﷺ: "مالى أرى قومك قد شَنِفُوك[3] وكرهوك ؟ " ، فقال : والله إن ذلك منهم لبغيرِ ما ثائرة كانت منى إليهم إلا أنى أراهم فى ضلال فخرجت أبتغى هذا الدين، حتى قدمت على أحبار خيبر[4]، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت : والله ما هذا بالدين الذى ابتغى، فخرجت حتى قدمت على أحبار الشام، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت والله ما هذا بالدين الذى أبتغي، فقال حبر من أحبار الشام إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله إلا شخص بالجزيرة، فخرجت حتى قدمت عليه ، فأخبرته بالذى خرجت له فقال لى : إن كل من رأيت فى ضلال، وإنك لتسأل عن دين الله وملائكته، وقد خرج فى أرضك نبي، أو هو خارج ، يدعو إليه، قد طلع نجمه، فَلَمَ أحسُّ بشئ بعد يا محمد[5].

قال زيد بن حارثة : فأتى النبى ﷺ البيت وأنا معه، فطاف به، وكان عند البيت صنمان، أحدهما من نحاس، يقال لأحدهما سياف، وللآخر نائلة، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما، فقال النبى ﷺ : "لا تمسهما فإنهما رجس"، قال : فقلت فى نفسى: لأمسَّنهما حتى أنظر ما يقول، فلمستهما، فقال : "يا زيد! ألم تُنهَ؟ قال: ومات زيد بن عمرو وأُنزل على رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : "إنه يُبعث يوم القيامة أمة وحده"[6].

---

(1) وكان ذلك قبل بعثة ﷺ فى بلده "بلدح" كما ورد فى صحيح البخارى (صحيح البخارى، كتاب الذبائح والصيد، برقم (٥٠٧٥).

(2) فريد بن عمرو بن نفيل – ساح فى أرض الشام يطلب الدين القيم فارًا من عبادة الأصنام إلى عبادة الله، فرأى اليهود والنصارى، فكره دينهم، عرف عنه أن يحيى المؤده وكان يقول لأبيها أن أكفيكها، قتله أهل ميفعة بالشام، فدفن بأصل حراء، وقيل : دفن ببلاد "لخْم" والسيرة لابن إسحاق ، (٩٥،٩٦/١).

(3) والشنق بالتحريك : البغض والتنكر، وقد سَنِفْتُ له بالكسر، أشْنَفُ شَنَفًا أى بغضته (انظر لسان العرب: مادة شنف)

(4) وهم من اليهود.

(5) أى يقصد أنه لم يرَ هذا النبى الذى سمع خبره وأحس ببعثته.

(6) رواه النسائى فى السنن الكبرى برقم (٣٧٤٤).

فهذا الحديث يدل على أن اليهود حصدوا نتيجة تحريفهم لكتبهم شركهم بالله أن أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وقد ذكرت السنة النبوية أن النصارى أيضًا بسبب تحريفهم لكتبهم قد تابعوا اليهود فى شركهم بالله، فعن ابن عباس – رضى الله عنهما– قال : لما نزلت : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[1].

قال عبد الله بن الزِّبَعْرى [2] : أنا أخصم لكم محمدًا، فقال : يا محمد أليس فيما أنزل الله عليك "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون"؟

قال : نعم " ، قال : فهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيزًا وهذه بنو تميم تعبد الملائكة، فهؤلاء [3] فى النار ؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[4]

ثانياً : وصفت السنة النبوية بأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض

يتطابق الوصف الذى ورد فى السنة النبوية مع ما ورد فى القرآن العظيم عن وصفه اليهود بأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه الآخر.

ورد عن النبى ﷺ أنه قال : "قيل لبنى إسرائيل : ﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[5] فبدلوا ودخلوا يزحفون على أستاههم[6]، وقالوا : حبة فى شعره[7]،[8] يقول ابن حجر فى تعليقه على هذا الحديث:

---

(1) الأنبياء : الآية ٩٨.

(2) هو عبد الله بن الزبعرى القرشى السهمى، كان من أشعر قريش، وكان شديدًا على المسلمين أول الأمر، ثم أسلم فى الفتح – رضى الله عنه – (الإصابة فى تمييز الصحابة ٢/٣٠٠).

(3) المقصود بمن يدخل النار هنا من يعبد عيسى وعزيزًا والملائكة.

(4) رواه الطبرانى فى الكبير برقم (١٢٧٣٩) ومسند الإمام أحمد برقم (٢٩٢١).

(5) سورة البقرة : الآية (٥٨).

(6) "أستاههم" جمع است، وهو الدبر، أى ينجرون عليها، فَعْلَ المقعد ، انظر النووى (١٥٢/١٨).

(7) وقد وردت فى بعض الروايات : "حبة فى شعيره".

(8) صحيح البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣١٥١) وصحيح مسلم ، كتاب التفسير برقم (٥٣٣٠).

قوله (فبدّلوا) أى غيروا، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، التقدير فبَدَّل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولاً غير الذى قيل لهم، ويحتمل أن يكون ضُمِنّ بدل معنى قال[١] والمعنى : أنهم أمروا أن يدخلوا الباب سجدًا أى ركعًا منحنين – مع باب صغير، خضوعًا لله تعالى، وأن يقولوا : "حطة" أى حُطَّ عنا خطايانا واغفر لنا، فبدّلوا في القول والفعل، فدخلوا يزحفون رافعى رؤوسهم، وبَدّلوا فى القول بكلام لا مناسبة له، استهزاء بما أُمِروا به وهذا يدل على خبثُهم وعنادهم وعدم انقيادهم لشرع الله تعالى. [٢]

ويتأيد هذا الحديث بما روى عن النبى ﷺ فى معرض مقارنته بين المسلمين واليهود والنصارى، حيث قال : (مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملاً يومًا إلى الليل على أجر معلوم فعملوا له نصف النهار[٣]، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذى شرطت لنا، وما عملنا باطل[٤]، فقال لهم : لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً ، فَأَبْوا وتركوا. واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذى شرطت لهم من الأجر، ففعلوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : ما عملنا باطل، ولك الأجر الذى جعلته لنا فيه فقال لهم : أكملوا بقية عملكم فإن ما بقى من النهار شئ يسير فأبوا[٥]، فستأجر قومًا ليعملوا له

---

(1) فتح البارى ، بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٧٩هـ، تحقيق أحمد بن على بن حجر، جـ٨ / ص٣٠٤.

(2) انظر : "مجموع قصص وأخبار من صحيح السنة والآثار" ، ص١٢٠، (الرسالة الثالثة – اليهود) للأستاذ الدكتور عبد الله الجبرين ، دار الصميعى للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

(3) وهؤلاء اليهود ، قال الله لهم : آمنوا بى وبرسلى إلى يوم القيامة ، فآمنوا بموسى، فلما بعث عيسى كفروا به – أى بعيسى – عليهما السلام، وحرفوا التوراة ، فانقطع الطريق بهم عن بلوغ الغاية التى لهم.(فتح البارى ٤٤٨/٤).

(4) يقول بن حجر: "لم يقولوا هذا بألسنتهم، وإنما هو لازم فعلهم، فحرموا تمام الأجر لجنايتهم على أنفسهم بامتناعهم من إتمام عملهم، وحرموا ثواب ما قاموا به من عمل لكفرهم (فتح البرى ٤٤٨/٤).

(5) وهؤلاء هم النصارى، لأنهم حرفوا الأنجيل، ولمَّا بُعِثَ النبى ﷺ لم يؤمنوا به، فحصل لهم ما حصل لليهود من حرمان تمام الأجر ومن ثواب عملهم (الرسالة الثالثة : اليهود ، ص١١٨).

بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور)[١].

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن اليهود والنصارى كفروا بما أُمروا به من الإيمان لجميع رسل الله تعالى فآمنوا ببعضهم وكفروا ببعضهم فأحبط الله جميع أعمالهم لكفرهم. [٢]

ثالثاً : وصفت السنة النبوية أهل الكتاب بأنهم يغيرون أحكام الله ويعطلونها :

أثبت القرآن الكريم أن أهل الكتاب وخاصة اليهود – ينسبون إلى دين الله ما ليس منه ويجترؤن على الله سبحانه وتعالى بالكذب والافتراء عليه، وقد أثبتت السنة أن الأمر عند أهل الكتاب لم يقف عند حد كذبهم على الله، بل إنهم يغيرون أحكام الله تعالى تارة، ويعَطلونها تارة أخرى.

فعن تغيير أهل الكتاب لأحكام الله تعالى ما ورد فى السنة من رواية مسلمٌ فى صحيح عن البراء بن عازب قال : مُرَّ النبى ﷺ بيهودى مُحَمَّمًا[٣] مجلودًا، فدعاهم ﷺ فقال: "هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟" ، قالوا : نعم ، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: "أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى ! أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟" ، قال : لا ، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر فى أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا : تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ : (اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه) فأمر به فرُجم، فأنزل الله تعالى ﴿لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ

---

(1) وهؤلاء هم المسلمون ، صحيح البخارى، كتاب الإجارة ، باب الإجارة من العصر إلى الليل، برقم (٢١١٠) ، وكتاب مواقيت الصلاة، رقم (٥٢٥).

(2) انظر: (الرسالة الثالثة : اليهود) للدكتور الجبرين ، ص١٢٠.

(3) التحميم : تسويد الوجه بالفحم، والحُمَمُ : الفَحم ، واحدته حُمَمَة (لسان العرب ، مادة : حمم).

وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ﴾[1].

بقوله : ائتوا محمدًا ﷺ ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[2] ، ﴿ مَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[3]، و ﴿ مَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[4] فى الكفار كلّها.[5]

فهذا الحديث يثبت أن اليهود غيَّروا بأيديهم فى أحكام الله تعالى مراعاة لكبارائهم وأشرافهم، وهذا من أقبح أنواع التحريف والتبديل.

وأما عن تعطيل اليهود لأحكام الله تعالى فيتمثل ذلك فى عدم إقامتهم الحدود التى شرعها الله على الأشراف منهم.

روت عائشة زوج النبى ﷺ ، أن قريشًا أهمهم شأن المرأة التى سرقت فى عهد النبى ﷺ فى غزوة الفتح، فقالوا : من يُكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فأُتي بها رسول الله ﷺ ، فكلَّمه فيها أسامة بن زيد ، حِبُّ رسول الله ﷺ فقال: "أتشفع فى حدٍ من حدود الله ؟!" ، فقال له أسامة : استغفر لى يا رسول الله! فلما كان العشى قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال : "أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه؛ وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإنى والذى نفسى بيده ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" ، ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقطعت يدها.

---

[1] المائدة : الآية (٤١)

[2] المائدة : الآية (٤٤)

[3] المائدة : الآية (٤٥)

[4] المائدة : الآية (٤٧)

[5] صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة فى الزنا، برقم (٣٢١٢).

قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد، وتزوجت ، وكانت تأتينى بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ [١]

وورد ذات الحديث عند الإمام النسائى بلفظ : "إنما هلكت بنو إسرائيل حين كانوا إذا أصاب الشريف فيهم الحد تركوه، ولم يقيموا عليه، وإذا أصاب الوضيع أقاموا عليه، لو كانت بنت فاطمة محمد لقطعت يدها"[٢]

رابعًا : احتكام أهل الكتاب إلى غير ما شرع الله عز وجل:

لمَّا حرَّف أهل الكتاب وبدلوا فى كتبهم وعطَّلوا حدود الله ولم يقيموها ألجأهم ذلك إلى تحكيم غير شرع الله، ومن يُحكِّم غير شرع الله عز وجل يقع فى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله، وهذا ما حدث مع أهل الكتاب.

وإذا بدأنا الأمر من أوله نجد أن أهل الكتاب – وخاصة اليهود – كانوا يتحاكمون آلة الكهان ويطلبون منهم أن يجعلوا لهم إله سوى الله ربَّ العالمين تحكم بينهم وهذا ما حكاه القرآن الكريم عنهم.

فعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال كان أبو بردة الأسلمى كاهنًا يقضى بين اليهود فيما يتنافرون إليه ، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [٣]

وعن أبى واقدٍ الليثى – رضى الله عنه – قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين، ونحن حديثوا عهد بكفر، وللمشركين سدْرةٌ يعكفون حولها وينوطون بها

(1) صحيح البخارى ، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان برقم (٦٢٩٠) وصحيح مسلم ، كتاب الحدود برقم (٣١٩٧).

(2) سنن النسائى الصغرى ، كتاب قطع السارق، باب ما يكون حرزًا برقم (٤٨١١).

(3) النساء (الآيات من (٦٠-٦٢) وانظر الحديث فى مجمع الزوائد ، باب سورة النساء، جـ٣/ ١٤٣.

أسلحتهم وأمتعتهم، يقال لها : ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ : "الله أكبر، هذه كما قالت بنو إسرائيل : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾[(١)]

ثم قال : "إنكم قول تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم"[(٢)]

فهذان الحديثان يدلان على أن اليهود بتغييرهم وتحريفهم وتبديلهم فى كتبهم أعرضوا عن تحكيم كتب الله، وفضلوا عليها الاحتكام إلى كهانهم، وقد وصف الله عز وجل ربُّ العالمين ذلك بأنه تحاكم إلى الطاغوت وضلالٌ مبين من الشيطان الرجيم.

واحتكام أهل الكتاب إلى كهانهم ورهبانهم أوقعهم فى شِرْكِ عبادتهم فاتخذوهم أربابًا من دون الله عز وجل وفصَّل ذلك النبى الأمين ﷺ.

فتحكى السنة أن عديَّ بن حاتم دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾[(٣)]

وكان فى عنق عدي صليبٌ من ذهب ، فقال : يا عدى اطْرحَ عنك هذا الوثن ثم قال عدى لرسول الله ﷺ : ما عبدناهم فأجابه النبى ﷺ وقال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شئ استحلوه وإذا حرموا عليهم شئ حَّرموه"[(٤)]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – " أما إنهم لم يصلوا لهم، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه، وحرامه حلاله فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية وقال الربيع بن أنس : قلت لأبى العاليه: كيف كانت تلك الربوبية من بنى إسرائيل قال كانت الربوبية أنهم وجدوا فى كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه فقالوا لن نسبق أحبارنا بشئ فما أمورنا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، فاستنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فقد بين النبى ﷺ أن عبادتهم إياها كانت فى تحليل الحرام وتحريم الحلال، لا أنهم

---

(1) الأعراف : الآية (١٣٨).

(2) سنن الترمذى ، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ ، برقم (٢١٠٦).

(3) التوبة : (الأية ٣١)

(4) سنن الترمذى ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، برقم (٣٠٢٠)

صلوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دون الله ، فهذه عبادة الرجال وتلك عبادة للأموال، وقد بينها النبى وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون[١].

خامسًا : تحريم أهل الكتاب لما أحلَّ الله عز وجل :

لما كان تحكيم غير شرع الله يؤدى إلى تحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرم الله، كان أهل الكتاب أكثر الناس وقوعًا فى محارم الله، لأنهم أكثر الناس تحكيمًا لغير شرع الله – كما سبق – وقد حكت السنة النبوية عنهم كثيرًا مما حرموه وأحله الله.

عن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال : قلنا : "يا رسول الله إنا كنا نَعْزِل[٢]، فزعمت اليهود أنها الموؤدة الصغرى؟ فقال : كذبت اليهود، إن الله إذا أراد أن يخلقه لم يمنعه"[٣]

فهذا الحديث يشير إلى أمر أحله الله وعلموه، غير أنهم لتغييرهم ما أحلَّ الله كذبوا على الله وحرموه.

ومما حرمه الله وأحلوه واستحقوا بسببه لعنة الله ما ذكره النبى ﷺ ورواه عنه عائشةُ وعبد الله بن عباس – رضى الله عنهم – قالا : لما نُزِّلَ برسول الله ﷺ[٤] طفق يطرح خميصة له على وجه ، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال: وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذرما صنعوا"[٥]

وتحريم أهل الكتاب وتحليلهم فى شرع الله من غير ما سند كان سببًا رئيسًا فى هلاكهم واستحقاقهم للعنة الله.

---

(1) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام بن تيمية (٢٢٦/١٠) ، (٧٠/٧)

(2) يقول الإمام النووى : العزل: هو أن يجامع الرجل المرأة، فإذا قارب الإنزال نزع، وأنزل خارج الفرج (شرح النووى على مسلم (٩/١٠)).

(3) صحيح سنن الترمذى للشيخ الألبانى برقم (١١٥١).

(4) المقصود بالتنزيل هنا هو نزول ملك الموت لقبض رسول الله ﷺ.

(5) صحيح البخارى ، كتاب اللباس، رقم (٥٣٦٨) ، ورقم (٤٠٨٩) ، ورواه مسلم برقم (٨٢٦).

سادسًا : علم أهل الكتاب لحكم الله عز وجل وجَحْدهم له :

إن من أوضح الصور التى أوردتها السنة على تحريف أهل الكتاب لكتبهم هو أنهم يعلمون أوامر الله ، علم يقين، غير أنهم يجحدونها، ويعصون الله بعد سماعهم لها.

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال:فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرُكب فقالوا:أى رسول الله: كُلّفنا من الأعمال ما نُطيقُ : الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ : "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"، قالوا : سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم ، فأنزل الله فى إثرها : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [1] فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى وأنزل سبحانه : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

قال : نعم

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾

قال : نعم

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا﴾

قال : نعم

﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [2]

---

(1) البقرة : الآية (٢٨٥)

(2) البقرة : الآية (٢٨٦)

قال : نعم [١]

وَعِلْمُ أهل الكتاب لآيات الله ربِّ العالمين وجَحدِهم لهـا تصـريحًا بقـولهم : "سمعنا وعصينا" دفعهم إلى أن يتحايلوا على محارم الله فيستحلوا منها ما حرمـه الله بأدنئ الحيل.

عن جابر بن عبد الله ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكـة : "إن الله ورسوله حرم ربيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام"، فقيل : يا رسـول الله أرايت شحوم الميتة فإنه يُطلى بها السفن ويُدْهَن بها الجلود ويُسْتَصْبَحُ بها الناس[٢]؟ فقال : "لا ، هو حرام" ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : "قاتل الله اليهود، إن الله عـز وجل لمَّا حرم عليهم شحومها جملوه[٣]، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه"[٤]

وأبين الأمور التى جحد أهل الكتاب فيها علم الله معرفتهم للنبـى ﷺ بصـفته ومخرجه ، ثم جحدهم ذلك عن علم ومعرفة، كما قال عنهم القـرآن الكـريم ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾[٥] ثم حكم عليهم وفى ذلك بقولـه ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾[٦]

ومن معرفة أهل الكتاب لذلك الأمر وتيقنهم منه كانوا فى المدينة قبـل مبعـث النبى ﷺ كما حكى القرآن الكـريم ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[٧]

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق.

(2) أى يشعلون بها ضوء المصباح حتى الصباح.

(3) جَمَلوه : جَمَلَ الشئ : جمعه. والجَميل : الشحم يذاب ثم يُحمَل أى يُجَمّع (لسان العرب : مادة جمل)

(4) صحيح البخارى ، كتاب البيوع ، باب بيع الميتة والأصنام رقم (٢٠٨٢) وصحيح مسلم ، كتاب المساقاه، برقم (٢٩٦٠).

(5) البقرة : الآية (١٤٦).

(6) البقرة : الآية (٨٩).

(7) البقرة : (الآية ٨٩).

وقد أخبرت السنة – كما أخبر القرآن الكريم – أن أهل الكتاب كانوا على علمٍ بقرب مبعث النبى ﷺ .

فعن سلمة بن سلامة الأشهلى الأنصارى – رضى الله عنه – وكان من أصحاب بدر، قال : كان لنا جار من يهودٍ فى بنى عهد الأشهل، قال : فخرج علينا يومًا من بيته قبل مبعث النبى ﷺ بيسير، فوقف على مجلس بنى عبد الأشهل، قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سنًا، علىّ بردة مضطج فيها بفناء أهلى، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل الشرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثًا كائنا بعد الموت، فقالوا له : ويحك يا فلان أترى هذا كائنًا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيه جنة ونار، ويجزون فيها بأعمالهم ؟! قال : "نعم والذى يُحْلَف به، لو أن له بحظه من تلك النار[1] أعظم تنور فى الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه وأن ينجو من تلك النار غدًا" ، قالوا له : ويحك وما آيه ذلك؟ قال:"نبى يبعث من نحو هذه البلاد" وأشار نحو مكة واليمن، قالوا : ومن تراه؟ قال : فنظر إلىَّ وأنا من أحدثهم سنًا" ، فقال : "إن يستنفذ هذا الغلام عمره[2]يدركه"

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار[3] حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ وهو حيٍ بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيًا وحسدًا ، فقلنا : ويلك يا فلان ! ألست بالذى قلت لنا فيه ما قلت ، قال : "بلى ولكنْ ليس به"[4]

وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : "إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهَدَاه لنا، لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علمٌ ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذ نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبى يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حيث دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرنهم

---

[1] وهذا معتقد لدى اليهود فعندهم أنهم سيدخلون النار أيام معدودات، ويزعمون أنهم سيخرجون بعدها ﴿ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ (البقرة : ٨٠).

[2] يقصد : إن يكبر هذا الغلام يدرك النبى ﷺ.

[3] أى لم يمض مدةً طويلة حتى بُعث النبى ﷺ .

[4] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمى (٨/٢٣٠).

إليه ، فآمنا به، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .

سابعًا : النهى عن الاعتماد على كتب أهل الكتاب لأنها محرفة :

إن من يتتبع السنة الصحيحة الواردة عن النبى ﷺ يجد أنها حرمت على المسلمين قراءة الكتب السماوية التى أنزلت على الأنبياء السابقين قبل محمد ﷺ كالتوراة والإنجيل وغيرهما[1]، وذلك لأن القرآن الكريم أثبت من غير شك أنها محرفة، وكذلك السنة – كما مر – أثبتت أن أهلها قد ادخلوا فيها ما ليس منها وأنهم حرفوا كلمها عن مواضعه، وفوق ذلك كلّه فإن هذه الكتب قد نسخها القرآن العظيم.

وقد وردت الأحاديث عن النبى ﷺ التى تتضمن هذا النهى من هذه الأحاديث ما رواه جابرُ بن عبد الله – رضى الله عنهما – أن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه– أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبى ﷺ فغضب ، فقال : أمتهوكون[2] فيها يا ابن الخطاب؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذِّبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذى نفسى بيده لو أن موسى عليه السلام حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني"[3]

وعن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال : "يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرءونه لم يُشَبْ؟ وقد حَّدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيرّوا بأيديهم الكتاب،

---

(1) وقد استثنى أهل العلم من هذا التحريم : من يقرؤها من أهل العلم لبيان ما فيها من التحريف، أو لبيان ضلال عقيدة من يعمل بها ويعتقد ما فيها، وذلك من أجل دعوته إلى الحق أو لتحذير الناس من عقيدته (انظر: الرسالة الثالثة ، اليهود ص١١٧).

(2) الأهوك والأهوج واحد – ورجل هوّاك ومتهوك : يعنى متحير (لسان العرب ، مادة : هوك).

(3) مسند الإمام أحمد ، برقم (١٤٦٢٣)

فقالوا: ﴿هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ (1) أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم"(2)

فيوضح هذان الحديثان تصريحًا أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم وادعوا أنهم من عند الله لينالوا به حظًا بخسًا.

وأن ما جاءِ من العلم الذى هو القرآن والسنة فيهما الغنى عن النظر فى سواهما.

ثامنًا : مطابقة السنة القرآن الكريم فى أوصاف أهل الكتاب

وصف القرآن الكريم اليهود بأنهم المغضون عليهم، وذلك لمعرفتهم الحق، وعدم عملهم به كما وصف النصارى بأنهم الضالون، وذلك لأن النصارى ليس عندهم علم، فهم ضالون عن الطريق المستقيم الصحيح – لعدم علمهم – طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين. (3)

وهذان الوصفان قد وردا فى القرآن الكريم فى قول الله ربِّ العالمين ﴿اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (4)

وشهد لهما ما جاء عن اليهود عند قول الله ربِّ العالمين {فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ}(5) وعن النصارى قول الله ربِّ العالمين {قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً}(6)

عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبى ﷺ ، وهو بوادي القرَى على فرسه، فسأله رجل من بَلْقِين(7) ، فقال : يا رسول الله مَنْ هــؤلاء ؟ قــال : "هــؤلاء المغضوب عليهم" ، وأشار إلى اليهود ، قال : فمن هؤلاء ؟ قال : "هؤلاء الضالون" –

(1) البقرة : الآية (٧٩).

(2) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ، برقم (٦٩٦٩) ، وكتاب الشهادات، برقم (٢٤٨٨)، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة برقم (٦٨١٥).

(3) انظر : (الرسالة الثالثة ، اليهود ، ص٨)

(4) الفاتحة : الآيتان (٦ ، ٧)

(5) البقرة : الآية (٩٠)

(6) المائدة : الآية (٧٧)

(7) بلقين : أصله بنوا القَيْن ، وهو أصل قبيلة من بنى أسد، وعند النسبة إليهم يقال قَيْنِى ، وبلقين : بلدة بالشام (لسان العرب ، مادة قَيَنَ).

يعنى النصارى– قال : وجاء رجل فقال : يا رسول الله استُشْهِدَ مولاك – أو قال : غلامك – فلان ، قال : بل يُجَرُّ إلى النار فى عباءٍ غلَّها"[1].

وصح أيضاً عن النبى ﷺ أنه قال : " من سُئِلَ عن علم فكتبه أُلْجِمَ بلجام من نار يوم القيامة"[2].

ذكره النبى ﷺ وقصد به كل من أوتى علمًا بأمر الدين وذلك لأن الله ذكر فى حق أهل الكتاب آية تذم فِعْلهم وَفِعْل من على شاكلتهم، فقال عن أهل الكتاب : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [3]

يقول الإمام ابن كثير : هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء، أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وأن ينوهوا بذكره فى الناس، ليكونوا على بينة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه فكتموا ذلك، وتعرضوا عما وجدوا عليه من الخير فى الدنيا والآخرة، بالدون الطفيف، والحظ الدنيوى السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم. [4]

ومما سبق يتضح أن ما ذهب إليه الدكتور "كامبل" – من أن أحاديث النبى ﷺ تشهد بصحة التوراة والإنجيل– استدلال خاطيء، وذلك لأن من يطالع الأحاديث السابقة –وغيرها– يجدها توضح بجلاء وتأكيد الحكم الذى أصدره القرآن الكريم على أهل الكتاب أنهم حرفوا وبدلوا وغيروا، واحتكموا إلى غير ما شرع الله، ونسبوا إلى الله وحيًا لم يوح به واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله يستحلون ما يحلونه لهم ولو كان حرامًا، ويحرمون ما يحرمونه لهم ولو كان حلالاً، فاستحقوا بذلك الضلال من بعد أن باءوا بغضب على غضب من الله سبحانه وتعالى.

---

(1) مسند الإمام أحمد ، برقم (٢٠٣٦٦)، (٢٠٥٥٥) ، ومجمع الزوائد (١٩/٧).

(2) مسند الإمام أحمد ، برقم (٧٦٠٢)، وسنن أبى داود ، كتاب العلم، كراهية منع العلم، رقم (٣١٧٣).

(3) آل عمران : الآية (١٨٧).

(4) تفسير ابن كثير (١٨١/٢).

النظر فى استدلالات الدكتور "وليم كامبل" من الحديث الشريف :

احسب أن البحث فى السطور السابقة استطاع أن يستخرج من نصوص السنة ما يتأيد به أمران :

الأمر الأول : أن النبى (ﷺ) قد أكد ما سبق وأن ذكره القرآن من أن أهل الكتاب حرفوا وبدلوا وغيروا فى كتبهم ، واستحلوا ما حرم الله ، وحرموا ما أحل الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

الأمر الثانى : بيان خطأ استدلال الدكتور كامبل القائم على أن محمدًا ﷺ وأصحابه اقتبسوا من التوراة والإنجيل، ولم يقولوا بأنهما قد أصابهما التحريف والتبديل.

وإذا كان أمر تحريف التوراة والإنجيل فى سنة النبى ﷺ على هذه الصورة من الوضوح ، فإننا لو نظرنا إلى استدلالات الدكتور كامبل التى اقتبسها من السنة – على الرغم من أنها لا تشهد على ما يستدل به – نجدها تلفت أنظارنا إلى أمر مهم جدًا أحسب أن الدكتور "كامبل" يعرفه ولكنه قد تجاهله عن عمد، وهذا الأمر يدفعنا إلى أن نطرح على الدكتور كامبل – وغيره – سؤالاً مهمًا جدًا مفاده **ما هى عقيدة المسلمين فى الكتب السماوية السابقة على القرآن** ؟

من المعلوم أنه لا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا اكتملت لديه أركان الإيمان جميعًا وهى التى جمعها الله ربُّ العالمين فى قوله : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[1]

فإيمان المسلمين بالأنبياء السابقين على نبينا محمدٍ ﷺ كموسى وعيسى وغيرهم وبكتبهم ركن من أركان صحة اكتمال الإيمان لدى المسلمين، فإن سقط هذا الركن من أركان الإيمان ضاع إيمان العبد ولم يصبح مسلمًا.

---

[1] البقرة : الآية (٢٨٥).

ولِعْلم أهل العلم من المسلمين بهذا الحكم ولعلهم معه بأن التوراة والإنجيل قد أصابهما التغيير والتحريف والتبديل – لعلمهم ذلك- فرقوا بين الأقوال والأحكام الواردة فى التوارة والإنجيل وغيرهما من الكتب وقسموها إلى أقسام بحسب اتفاقها واختلافها مع القرآن والسنة إلى ما يلى :

القسم الأول : شرائع وردت فى الكتب السماوية السابقة وتوافقت مع شرائع أقرتها الشريعة الإسلامية، وإن اختلف معها أحيانًا فى الشكل والكيفية:

وهذه اتفق العلماء المسلمون على أنها شرعٌ لنا.[1] وأمثلة هذا النوع كثيرةٌ جدًا، منها على سبيل المثال حكم الرجم للزاني والزانية فهذا حكم ورد ذكره فى التوراة وأقرته الشريعة الإسلامية.

تقول التوراة : [إذا زنى رجلٌ مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزانى والزانية...وأيهما لكى لا يكونا رذيلة بينكم] [2]

ويتطابق هذا النص مع ما شرعه الإسلام من أن حد الزانى المحصن هو الرجم حتى الموت[3]، فقد ورد فى السنة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب عمر –

---

[1] انظر : "علم أصول الفقه" ، ص٩٣، الدكتور عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر، الطبعة الثامنة بدون تاريخ ، وانظر بسط القول فى هذه الأقسام لدى علماء المسلمين فى المراجع الآتية : ١- المستصفى فى أصول الفقه للغزالى : (١٦٥/١).
٢- روضة الناظر (١/١٦٠-١٦١).
٣- المجموع للنووى (٩٢/٥).

[2] سفر اللاويين، الإصحاح (٢٠) ، الفقرات (١٠-١٤).

[3] لم يقرر حد الزنا فى الشريعة الإسلامية مرةً واحدة، بل تقرر على عدة مراحل هى :

الأولى : {وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً } (النساء : الآية (١٥)).

الثانية : {وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً} (النساء: الآية ١٦).

الثالثة : {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} (النور : الآية ٢).

الرابعة : وهى التى رجم فيها النبى ﷺ اليهودى واليهودية اللذان زنيا ، ورجم الأصحاب بعده بنص حديث عمر المذكور (انظر صحيح البخارى ، كتاب الحدود ، رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت،برقم (٦٨٢٨).

رضى الله عنه – فقال : إن الله بعث محمدًا بالحق ، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله ورجمنا ، وإني خشيت إن طال زمانه أن يقول قائل : ما نجد الرجم فى كتاب الله تعالى ، فيضلون بترك فريضة أنزلها الله تعالى ، فالرجم حق على من زنى من الرجال والنساء إذا كان محصنًا، وإذا قامت البينة أو كان حَمْل أو اعتراف، وأيم الله، لولا أن يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها"[1]

فإذا عُلِمَ ذلك التطابق[2] بين ما ورد شرعًا فى التوراة وما ورد شرعًا فى القرآن عُلِمَ معه أن هذا يدل على صدق نبوة محمد ﷺ – لا على صدق التوراة والإنجيل وعدم تحريفهما – وأنه ﷺ تطابق شرعه الذى جاء به مع ما شرعه الله ربُّ العالمين على الأنبياء السابقين قبل محمد ﷺ كما خاطبه ربُّه ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَا

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، رجم الثيبى فى الزنا، برقم (٣٢٠١) ، وسنن أبى داود ، كتاب الحدود، باب فى الرجم ، برقم (٣٨٣٥)، يشير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هنا إلى أمر قد نسخ في القرآن الكريم وهو الرجم، غير أنه نسخ تلاوة وبقى حكمًا، إذ أن النسخ فى القرآن الكريم على ثلاثة أنحاء :

أ- نسخ التلاوة والحكم معًا، ومثاله حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت : "كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات، ثم نسخن بخمس معلومات} [صحيح مسلم : (٢٦٥٣)].

ب- نسخ الحكم وبقاء التلاوة، ومثاله قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ (الأنفال : ٦٦).

ج- نسخ التلاوة وبقاء الحكم ومنه حديث عمر الذي معنا عن آية الرجم، والآية المنسوخة هنا تلاوة : "إن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما" [انظر: "سند الدارمي"، كتاب الحدود، باب : (فى حد المحصنين بالزنا، برقم (٢٢٢٠)].

(2) وليس المقصود هنا بالتطابق التام وإنما المقصود بتطابق هذا الحكم الشرعى الذى معنا وهو الرجم بذات الحكم الذى ورد فى التوراة وهو الرجم أيضًا بأنه هو هو من حيث الكيفية والوصف. وهذا التطابق ليس معناه التطابق التام فى كل الأحكام لأن الله ربَّ العالمين تختلف شرائعه التى يشرعها لعباده باختلاف الزمان والمكان وما تقتضيه الحاجات ولذلك قال الله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: الآية٤٨)

أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾[1] وقوله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[2]

ولِعْلمِ النبى محمد ﷺ ذلك ألزم اليهود الحجة بأن يأتوا بالتوراة فينشرونها وينظرون فيها ليدلل وليبين ﷺ أنهم يكذبون ويحرفون عن عمد وذلك فى الحديث الذى استدل به الدكتور كامبل.[3]

وإن من يتتبع الأمثلة على هذا النوع من الأحكام بين الكتب السماوية يجدها كثيرة جدًا. ومنها ما ذكره القرآن الكريم عن صحف إبراهيم وموسى فى قوله سبحانه: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾[4] فوِزْرُ الإنسان الذى يتحمله عن نفسه أمر مقرَّرٌ أيضًا فى القرآن الكريم : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾[5] وقد أخبرنا القرآن الكريم – كما سبق – عن وجود مثل هذا الحكم فى صحف إبراهيم وموسى.

وعليه فإنه يبطل استدلال الدكتور "كامبل" – بطلانًا بينًا– فيما ذهب إليه من أن النبى ﷺ رجع إلى التوراة ليوضح حكمًا شرعه الله عليه وعلى أمته كما شرعه الله سبحانه على موسى وأمته من قبل، ولكن أبى أهل الكتاب (اليهود) إلا أن يُخْفوه ويستبدلوا به حكمًا آخر من عند أنفسهم[6].

---

(1) النساء : الآية (١٦٣).

(2) الشورى : الآية (١٣).

(3) انظر استدلال الدكتور "كامبل" بهذا الحديث : ص ٢٠٦ من هذا البحث.

(4) النجم : الآيات (٣٦ : ٤١).

(5) الإسراء : الآية (١٣).

(6) انظر ما سبق من هذا البحث ص ٢٠٦ حديث الرجم.

القسم الثاني : ما قصه الله علينا أو رسوله من أحكام الشرائع السابقة، ولم يرد في شرعنا ما يدل على أنه مكتوب علينا كما كُتِبَ عليهم. أو أنه مرفوع عنا ومنسوخ[١]

كقوله تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾[٢] ، وكقوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[٣]

فهذا القسم قد اختلف علماء المسلمين فى الاحتجاج به ، فذهب الأكثر إلى أنه شرع لنا وعلينا إتباعه وتطبيقه ما دام قد قُصَّ علينا ولم يرد فى شرعنا ما ينسخه.[٤]

وعلى هذا القسم يبطل استدلال الدكتور "كامبل" بحديث النبى ﷺ قال:"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ولكن قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ..لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون"[٥]

---

[1] علم أصول الفقه ص٩٤ ، وهذا القسم اختلف فيه العلماء من المسلمين إلى قسمين :

الأول : قال جمهور الحنفية وبعض المالكية والشافعية : إنه يكون شرعًا لنا وعلينا إتباعه وتطبيقه، ما دام قد قص علينا ولم يرد فى شرعنا ما ينسخه، لأنه من الأحكام الإلهية التى شرعها الله على ألسنة رسله، وقصه علينا ولم يدل الدليل على نسخها، فيجب على المكلفين إتباعها.

الثاني: قال بعض العلماء : إنه لا يكون شرعًا لنا لأن شريعتنا ناسخة للشرائع السابقة، إلا إذا ورد فى شرعنا ما يقرره. وذهب الدكتور عبد الوهاب خلاف إلى صحة القول الأول وهو رأى جمهور الحنفية وبعض المالكية والشافعية، لأن شريعتنا إنما نسخت من الشرائع السابقة ما يخالفها فقط، ولأن قص القرآن علينا حكمًا شرعيًا سابقًا بدون نص على نسخه هو تشريع لنا ضمنًا، لأنه حكم إلهى بلَّغه الرسول إلينا ولم يدل دليل على رفعه عنا، ولأن القرآن مصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل فما لم ينسخ حكمًا فى أحدهما فهو مقرر لنا (انظر:علم أصول الفقه، ص٩٤).

[2] المائدة : الآية (٣٢).

[3] المائدة : الآية (٤٥).

[4] "علم أصول الفقه" ، ص٩٤.

[5] إشارة إلى قوله تعالى : ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ .

ويؤيد هذا ويشهد له ما أخرجه أبو يعلى أن النبى ﷺ قال : "لا تسـئلوا أهـل الكتاب عن شئ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إنكم إما أن تصدقوا بباطـل، وإمـا أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حيًا بين أظهركم ما حلَّ له إلا أن يتبعنى. [١]

القسم الثالث : وإذا قص القرآن أو السنة الصحيحة – حكمًا من هذه الأحكام، وقام الدليل الشرعي على نسخه ورفعه عنا، فلا خلاف فى أنه ليس شرعًا لنا بالدليل الناسخ من شرعنا، مثل ما كان فى شريعة موسى من أن العاصي لا يُكَفَّر ذنبه إلا أن يَقْتُل نفسه[٢]، ومن أن الثوب إذا أصابته نجاسة لا يطهره إلا قطع ما أصيب منـه، [٣] وغير ذلك من الأحكام التى كانت إصرًا حمله الذين من قبلنا ورفعه الله عنا.[٤]

فى ضوء كل ما سبق احسب أن البحث قد استطاع أن يجيب على السؤال الذى سبق وأن طرحه على الدكتور "كامبل" بقوله ما هى عقيدة المسلمين بالكتب السماوية السابقة على القرآن؟

لأن الإجابة على هذا السؤال – على النحو الذى مر – تجعلنا نسلم بأنـه لـو صح ما ذهب إليه الدكتور "كامبل" من أن النبى ﷺ وأصحابه قد نظروا فـى التـوراة والإنجيل واحتكموا إليهما أحيانًا مَرَدُّه إلى أن الكتب السماوية السـابقة بهـا بعـض الشرائع التى أقرها الإسلام ، ومن الممكن إلزام أهل الكتاب بشيء من كتبهم إن هـم خالفوها وادعوا أحكامًا لم تكن فيها، وليس هذا معناه أن النبى ﷺ وصحابته قد أثبتوا الصحة لهذه الكتب، ونفوا عنها التحريف والتبديل كما يزعم "كامبل" ، هذا إذا سـلمنا مع كامبل فما بالنا إذا علمنا أن النبي ﷺ وصحابته لم ينظروا فى شيءٍ منها.

---

(1) مسند أبى يعلى (١٠٢/٤) برقم (٢١٣٥) دار المأمون بدمشق – ط الأولى سنة ١٩٨٤، تحقيق حسـين سليم أسد.

(2) سفر إرميا (٣/٣١).

(3) سفر التثنية (٢١/٢٣) ، وسفر الخروج (٣٠/ ١٧–٢١).

(4) علم أصول الفقه ، ص٩٣.

الفصل الثالث

موقف كامبل من القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين كما يلى :

المبحث الأول : قضية تحريف القرآن الكريم عند كامبل.

المبحث الثاني: مناقشة وصحة وتحريف القرآن بين بوكاي وكامبل.

المبحث الأول : قضية تحريف القرآن الكريم عند كامبل.

يرى الدكتور "كامبل" أن تهمة تحريف التوراة والإنجيل التي يرددها المسلمون يمكن أن تقال على القرآن أيضا، وذلك لعدة أسباب،يذكر منها الدكتور "كامبل" ما يلي:-

تشابه القرآن مع الإنجيل في أدوار التدوين :

يقول الدكتور "كامبل" إنه ما دام القرآن لا يحتوي على ما أعتقده ، فلابد أن المسلمين قد حرفوا القرآن ليجعلوه يقول ما يعجبهم.[1] وإذا سمع المسلمون ذلك سيقولون إن الله قد أوحى بالقرآن . فإذا طلبت منهم البرهان على هذا فسيخبرونني كيف جمع القرآن.

١ – **أدوار القرآن الأولى** : يرى الدكتور "كامبل" أن أول آيات القرآن نزلت على محمد قبل الهجرة بنحو أربعة عشر عاما (نحو سنة ٦٠٩ م) . وخلال ١٤ سنة كانت ثلثا آيات القرآن قد أنزلت . وقد كتبوها على الرقاع (ورق يصنع من الجلد) ، واللخاف (حجارة بيض رقاق) ، وأكتاف الأنعام ، والعسب (جريد النخل يكشط خوصه) ، وصدور الرجال.

ولما سألت عن عدد المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة مع محمد ، قال البعض إن عددهم ٧٥ وقال آخرون إنهم ١٥٠ مسلما . ولا يذكر القرآن عددهم ، ولكن سورة الأنفال تقول : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.[2] وبالإضافة إلى المهاجرين من مكة كان هناك مسلمون بالمدينة ، كما كان بعض العبيد في مكة قد أسلموا ، ولكنهم عجزوا عن مصاحبة محمد إلى المدينة . ولعل العدد يكون فعلا ١٥٠ مسلمًا ويواجهنا سؤال : كيف تتأكد أنّ نقل القرآن جاء صحيحا ، مع أنه لم يكن هناك سوى ١٥٠ مسلما مخلصين لإسلامهم ؟ ربما ضاعت بعض الرقاع بما عليها من آيات

---

[1] انظر : "القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم " ، ص٩٦.

[2] سورة الأنفال : آية ٢٦.

وكيف نضمن عدم حدوث تحريف ؟ [1] كما أن المسلم ليست لديه سورة واحدة أصلية من التي كُتِبَتْ على الجلد أو الأكتاف ، فالمسألة إذن مسألة إيمان ، لا برهان مادي عليها . وهذا افتراض أساسي.[2]

٣- من الهجرة إلى موت محمد : انتصر ٣٠٠ جندي مسلم في موقعة بدر على جيش كبير من المشركين . وفي عام ٦هـ اتجه محمد إلى مكة لأداء الحج ومعه ١٤٠٠ رجل ، وعقد صلح الحديبية مع المكيين . ونعتقد أن عدد المسلمين وقتها يكون بلغ ستة أو ثمانية آلاف مسلم . وبعد الاستيلاء على مكة عام ٨هـ زاد عدد المسلمين إلى عشرات الآلاف .

وعند موت محمد سنة ١٠هـ كان عددهم نحو ١٤٠ ألفا . وقدنزل باقي القرآن (الثلث الباقي) في أول عشر سنوات من الهجرة .

وهنا نسأل : كيف يعرف القارئ المسلم أن القرآن ظل صحيحا في هذه السنوات العشر ؟ ربما لم يذهب المهاجرون إلى مكة أبدا ! ربما لم تكن هناك موقعة بدر ! كيف يبرهن أن القرآن لن يحرف ؟

وسيجيب المسلم : ولكنهم كانوا يحفظون القرآن في حياة محمد . وبعد موته ظل ٢٠٠ أو ٢٥٠ مسلما ممن حاربوا في بدر على قيد الحياة ، شهدوا المعركة وسمعوا لكلمات محمد ولن أختلف مع المسلم في ذلك ، ولكن سأطالبه بنسخة من القرآن تعود إلى سنة ١٠هـ . قطعا إنه يؤمن أن القرآن الذي بيده الآن مماثل لما حفظه المسلمون في سنواتهم الأولى. [3]

وعلينا أن ندرس الطريقة التي جمعت بها سور القرآن وآياته المتفرقة في كتاب واحد.

---

[1] انظر : السابق ، ص٩٧.

[2] انظر : السابق ، نفس الموضع.

[3] انظر : السابق ، ص٩٨.

أولاً : أول جمع للقرآن :

يورد "كامبل" كثيرًا من الروايات الخاصة، بجمع القرآن الكريم، من هذه الروايات ما ينقله "كامبل" على لسان الصحابي زيد بن ثابت، وهو يحكي قصته مع أبي بكر حين أمره بجمع القرآن : (أرسل إليَّ أبو بكر بعد مقتل أهل "اليمامة"[1] ، فإذا عمر بن الخطاب عنده . قال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثيرٌ من القرآن . وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ؟

قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.

فتتبعت القرآن أجمعه من الغسب (سعف النخل) واللخاف (الحجارة البيضاء) وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، ولم أجدها مع أحد غيره : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾.[2] فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله . ثم عند عمر طوال حياته ثم عند حفصة بنت عمر". [3]

---

[1] اليمامة : مدينة متصلة بأرض عمان من جهة الشمال الغربى وكان اسمها (جوا) وقد فتحت صلحًا سنة ١٢هـ في خلافة أبي بكر الصديق على يد خالد بن الوليد – رضى الله عنهما– بعد أن قتل مسيلمة الكذاب رجال بنى حنيفة (معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٤٤٢) والحديث عن معركة اليمامة مشهور في كتب التاريخ.

[2] سورة التوبة : الآيتان (١٢٨، ١٢٩).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن برقم (٤٦٠٣).

يعلق د "كامبل" على هذه الرواية بقوله : كانت تلك نسـخة القـرآن الرسـمية الوحيدة ، حتى تولى عثمان الخلافة . وكان أبيٌّ بن كعب في المدينة وابن مسعود في الكوفة في العراق يمتلكان نسخة كاملة من القـرآن ، لكـن الغالبيـة العظمـى مـن المسلمين كانت تعتمد على ما في صدور الرجال. ويمكن أن نقول إنه لمـدة أربعـين سنة (من ١٣ قبل الهجرة حتى ٢٧هـ لما تولى عثمان) اعتمد نقل القرآن علـى الرواية الشفاهية.

ونعود نسأل القارئ المسلم : كيف تعرف أن القرآن بقي خاليا مـن التحريـف أثناء هذه الأربعين سنة ؟ ربما نسى أحد شيئا منه . ربما أكلت بهيمة بعض الآيات.[١]

ثانياً : تعدد المصاحف .

كانت هذه هي النسخة الأولى من القرآن، والتي أعدت في عهد الخليفـة الأول أبي بكر ، غير أنه كانت هناك نسخ أخرى من القرآن مع بعض الصـحابة ، فمـثلا : معروف أن مصحف ابن مسعود كان يختلف في ترتيب سوره ، ولم يكن يحتوي على "المعوذتين" (سورة الفلق والناس). وكان عبد الله بن مسـعود واحـدا مـن أشـهر الصحابة ، وكان خادما شخصيا للنبي وحضر بدرا وأحدا ، وكان يقـول إنـه حفـظ سبعين سورة من فم النبي مباشرة ، ويقول الحديث إنه أول من علّم النـاس تـلاوة القرآن. [٢]

وقد كان هناك أيضا مصحف آخر مع أبى بن كعب، وهو أنصارى ، كان كاتـب محمد في المدينة . وكان مصحف أبى يحتوى على سورتين غيـر موجـودتين فـي مصحف عثمان هما سورتا (الخلع والحفد) وآية عن طمع الإنسان أوردها بعد آيـة ٢٤ من سورة يونس ، وكان مصحف أبى مستخدما فى سوريا قبل ظهـور مصـحف عثمان ، وكان أبي أحد مساعدي زيد في تجهيز مصحف عثمان. [٣]

---

[1] انظر : السابق ، ص٩٩.

[2] انظر : السابق ، ص١١١.

[3] انظر : السابق ، ص١١١.

وبالإضافة إلى ابن مسعود وأبي ، يذكر التاريخ الإسلامي والحديث وجود مصحف علي بن أبي طالب مرتبا حسب ترتيب نزول الآيات ، ومصحف ابن عباس الذي يحتوي على سورتي الخلع والحفد ، كما يذكر مصحف أبي موسى المستعمل في البصرة والذي كان يحتوي على سورتي الخلع والحفد والآية التي تتحدث عن طمع الإنسان.(١)

قرر عثمان ألا يكون هناك اختلاف في القرآن ، فأحرق كل النسخ ما عدا نسخة زيد . أحرق نسختي علي وأبي بن كعب . وروى السجستاني أن بعض العراقيين طلبوا من ابن أبي أن يريهم مصحف أبيه ، فقال لهم إن عثمان " قبضه " وقد أمر عثمان ابن مسعود في العراق أن يحرق المصاحف ولو أن عثمان لم يحرق المصاحف لبقيت أربع نسخ (أو أكثر) تشهد لصحة القرآن ، فهي شهادة شاهدي عيان وسامعين بالآذان لما قاله محمد ، ولكن عثمان لم يبق إلا على شاهد واحد .(٢)

وإني أسأل القارئ المسلم : على أي أساس تبرهن لنفسك، ودعك من برهنة ذلك للمسيحيين ، أنه لم يحدث تحريف لفظي لنصوص القرآن .(٣)

استخدم الدكتور كامبل الأدلة السابقة مصرحًا بأنه ما دام القرآن لا يقول ما أعتقده فلابد أن يد التحريف قد نالته، ثم اتكأ كامبل فى دعواه هذه على مقارنة سريعة بين القرآن والإنجيل تخير منقامًا يناسب معتقده الذى يريد أن يحشد الأدلة عليه، متغافلاً تمامًا نقاطاً جوهرية انفرد بها القرآن عن الإنجيل منذ النزول الأول على قلب محمد (ﷺ) إلى أن أصبح كتابًا مضمومًا بين دفتين يجتمع عليه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها لا يختلفون فيما بينهم على صرف واحدٍ منه، وذلك على عكس الأناجيل المتعددة، وسوف يأتى -إن شاء الله- مناقشة تفصيل هذه المقارنة بين الكتابين فى موضعه من هذه الدراسة.

---

(1) انظر : السابق ، ص١١١.

(2) يشير "كامبل" هنا إلى النسخة التي وزعت في الأمصار بأمرٍ من عثمان – رضى الله عنه –

(3) انظر : السابق ، ص١٢٠ ، وانظر مناقشة آراء كامبل حول تحريف القرآن من ص ٢٢٩ إلى ص ٢٤٦ من هذه الدراسة.

المبحث الثاني : مناقشة صحة وتحريف القرآن الكريم بين بوكاي وكامبل.

صرح الدكتور كامبل بأنه ما دام القرآن لا يحتوى على ما أعتقده ، فلابد أن المسلمين قد حّرفوه ليجعلوه يقول ما يعجبهم، ثم ساق الدكتور كامبل بعض الأمور التى يتشابه فيها القرآن مع الإنجيل – من وجهة نظر كامبل– ، **وعليه فإذا كان الإنجيل محرفًا فالقرآن يكون محرفًا** من هذه الأمور ما يلى :

١) أن الإنجيل والقرآن كتابان متشابهان فى أدوار تدوينهما.

٢) أن عدد المسلمين الذين كانوا (ﷺ) يقارب عدد المسيحيين الذين كانوا حول المسيح عند بداية دعوة كل منهما.

٣) أن طبيعة الصراع فى بداية ظهور المسيحية يشبه طبيعة الصراع فى بداية ظهور الإسلام.

٤) أن تعدد المصاحف فى الإسلام يشبه تعدد الأناجيل فى النصرانية.

وفى الحقيقة إن قليلاً من المقارنة – بموضوعية – بين القرآن والإنجيل ليثبت لنا عكس هذا الذى ذهب إليه الدكتور كامبل ويمكن إجراء المقارنة بين الكتابين – وبموضوعية تامة – على النحو التالى :

وجه المقارنة	القرآن الكريم	الإنجيل
١) طبيعة الشريعة	أرسل محمد (ﷺ) بشريعة كاملة تجمع بين العدل والفضل كقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ فهذا عدل واجب. ثم قال: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١]. فهذا الفضل مستحب مندوب إليه ، من فعله أثابه الله ورفع درجته، ومن تركه لم يعاقبه.[٢]	المسيح – عليه السلام- لم يرسل بشريعة مستقلة بل إنه أخبر أتباعه أنه إنما جاء ليتمم الشريعة (شريعة موسى) لا ليبطلها[٣] وقد أحل لبنى إسرائيل بعض ما حَّرم الله عليهم فى التوراة كالعمل يوم السبت. [٤] وسميت دعوة المسيح بشريعة الفضل لأنها كانت مجموعة من الأقوال والعظات وأداء الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات[٥] فكان الفضل فيها أكثر، حتى إن المسيح نفسه كان يعظ الناس فى أماكن تجمعهم وإذا رأى مرضي يشفيهم وكان يتجول فى سائر المدن اليهودية، ولذلك سمى الإنجيل بالخبر الطيب أو البشارة[٦] لأنه لم يكن يحتوى على شريعة مستقلة.

(1) سورة البقرة : الآية (٢٨٠).

(2) انظر: "الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح" ، (٣/٢٢٩- ٢٣٠).

(3) انظر: "الجواب الصحيح" ، (٢/١٧-١٩).

(4) انظر: "الجواب الصحيح" ، (٣/٢٢٧).

(5) انظر : السابق ، (٣/٢٢٩).

(6) انظر : "قاموس الكتاب المقدس" ، ص١٢٠.

وجه المقارنة	القــــرآن الكريــــم	الإنجيـــــل
٢) طبيعة الاضطهاد	بدأت دعوة محمد (ﷺ) سرًا ثم جهرًا، وهـذا بدوره مكّن صحابة محمد (ﷺ) الأوائل مـن أن يحفظوا ويفهموا ويستوعبوا ويطبقـوا باطمئنان ما يتعلموه من محمـد (ﷺ) جيدًا حتى إن بعضهم لم يُعْلَمْ بأمر إسلامه إلا بعد حين وهذا بدوره أيضًا أدى إلـى أن يبدأوا بعددٍ قليل ثم هُمْ بَعْدُ يصبحون فـي ازديـاد، وأدى هذا أيضًا إلى أن اضطهادهم من قبـل أعدائهم لم يأت إلا بعد أن أصبحوا ذا شوكة ومنعة، فلما اشتد بهم الاضطهاد هـاجروا جميعًا – إلا قليلاً منهم – إلى أماكن أمنـوا فيها على دينهم وحَفِظُوا فيها كرم ربهم الذى قد علمهم إياه نبيهم (ﷺ). وأهم من ذلك جميعه أن المدة التى اضْـطُهِدَ فيها أصحاب محمد (ﷺ) – بشهادة النصارى أنفسهم– قرابة اثنى عشرة سنة ثم أصبحوا بعد أصحاب دولةٍ صارت ندًا لتلك التى كانت تضطهدهم بل قضت عليهـا وضـمتها إلـى رحابها.	أما دعوة المسيح فبدأت علنًا منذ ظهور المسيح نفسه وهذا بدوره مكّـن لأعدائـه أن يضـطهدوه ويتغلبوا عليه هو ومن معه، ولم يستطع أتباع المسيح أن يهاجروا جميعًا مجتمعين إلى مكان واحـدٍ كما فعل أتباع محمد(ﷺ) بل لقـد قد ورد لقد فى عهد تراجان أنه نزل بهـم مـن الاضـطهاد مـا يجعلهم يتخفون حتى بالصلاة. (١) وامتـدت بهـم مـدة الـبلاء والاضطهاد – بشهادة النصـارى أنفسهم – قرابة ثلاثمائة سنة.(٢)

---

(1) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، ص١٨١.

(2) انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص١٦٨ ، وما سبق من هذا البحث ، ص٨٧ ، ٨٨.

وجه المقارنة	القـــــرآن الكريــــــم	الإنجيـــــل
٣) طبيعة الدعوة والإيمان بها	كانت تقتضى طبيعة الإيمان بـدعوة محمـد (ﷺ) أن يعرف المؤمن بمحمد (ﷺ) أول مـا يعرف القرآن الكـريم الـذى هـو الكتـاب المتضِمن لشـريعة محمـد (ﷺ) ، بـل إن طريقته (ﷺ) فى الدعوة أن يعـرض علـى المدْعُو أوَّل ما يعرض شـيئًا مـن القـرآن الكريم كذلك الذى حدث مع كبار رجال قريش مثل عتبة بن ربيعة العبشمى[1] حينما قـال للنبى(ﷺ) اسمع منى أعرض عليـك أمـورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، فقال لـه رسول الله (ﷺ) : "قل يا أبا الوليد أسمع ، قال : قد فرغت يا أبا الوليد ؟ قـال : نعـم، فاسمع منى، قال : أفعل. فقـال : "بسـم الله الرحمن الرحيم" ﴿حمٓ *تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ *كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾[2] ثم مضى النبى (ﷺ) فيها يقرئها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصـت لهـا، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله (ﷺ) إلى السـجدة	بينما نجد أن أول شرط يجب أن يحققه الصـحابى الـذى يـؤمن بمحمد هو أن يعـرف القـرآن عندما يؤمن بالنبى (ﷺ) إلا أننا فى النصرانية لم نعرف الكيفيـة التى يدخل بها النصـرانى فـى النصرانية حين يؤمن بالمسـيح إلا أنه يـرى معجزاتـه التـى يجريها الله على يديه، مع معرفة بعض التعاليم التى كان يعلمهـا المسيح لأصحابه مثـل بعـض الفضائل.

(1) انظر: تفصيل القصة بينه وبين النبي (ﷺ) في سيرة ابن هشام (ج٢، ١٣٤-١٣٥) تحقيـق مصـطفى السقا إبراهيم الأبيارى، ط٢، مؤسسة علوم القرآن.

(2) سورة فصلت ، الآيات (١ – ٧)

وجه المقارنة	القـــــرآن الكريــــم	الإنجيــــــل
	منها، فسجد وعاد عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله قد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد : قال : ورائى أنى سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، أطيعونى واجعلوها لى، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم، فهذا عتبة بن ربيعة وهو من صناديد قريش وسادتهم سمع بعض القرآن وجلس إلى النبى (ﷺ) ينفى أن يكون شاعرًا أو كاهنًا أو ساحرًا. (١)	
٤) طبيعة الوحى	كان الوحى ينزل على النبى (ﷺ) منجمًا مفرقًا بحسب الحوادث، وكان الوحى أحيانًا ينزل على النبى (ﷺ) وهو يجلس بين صحابته فيعلمون أنه يُوحى إليه ، وما أن يُنْقَلُ الوحي عنه (ﷺ) حتى يخبرهم رسول الله (ﷺ) بما نزل عليه من القرآن فيحفظونه حتى إن آيات القرآن الكريم لَيُعْلَمُ وقت نزولها ومكانه والكيفية التى نزل بها على	لم يعرف على وجه التحديد من كتب النصارى كيف تلقَّوا الوحي عن المسيح –عليه السلام– أن كلاً من المبشرين الأربعة قال إنه كان يكتب الوحى بإلهام من الروح القدس ولا نعرف شيئًا عن كيفية ذلك إلا ما ادعاه بولس من أنه وهو فى طريقه

(١) سيرة ابن هشام (جـ٢ ، ١٣٤–١٣٥) تحقيق مصطفى السقا إبراهيم الأبيارى ، ط٢ ، مؤسسة علوم القرآن.

وجه المقارنة	القـــــرآن الكريـــــم	الإنجيـــــل
	رسول الله (ﷺ) فعن عبد الله بـن مسـعود رضى الله عنه قال : "والله الذى لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلـم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتـاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحـدًا أعلـم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه. [1]	إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض، وسمع صوتًا يقـول لـه : قـم وادخل المدينة فيقال لـك مـاذا ينبغى أن نفعل. [2]
٥) طبيعة البيئة التى نزل فيها الوحى	من أخص خصائص البيئة التى بُعِـثَ فيهـا النبى (ﷺ) الحفظ فى الصدور، حتى إنهم قـد عرف عنهم أنهم كـانوا يحفظـون أنسـاب الخيل، ودواوين الشعر التـى كانـت تصـل أحيانًا إلى ألـف بيـت، مـع أنهـم كـانوا مشهورين بالأمية وعدهم العلم، ولهذا قـال الله ربُّ العالمين عـنهم ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ [3] والتلاوة لا تكون إلا عن حفظ ووعى. وإذا ثَبُتَ لهؤلاء هذه الخصلة وثَبُتَ للقـرآن نزوله منجمًا مفرقًا بحسب الأحداث والأحوال توثق لدينا أن حفظهم للقرآن كـان علـيهم أيسر وأسهل عما كانوا معتادين على حفظه من طويل الأبيات والدواوين	بُعِثَ المسيح فى بيئة فيها نوعان من الناس اليهود والذين يكيدون له ويوسوسون للحاكم بشـأنه، ويحرضون الرومان عليه وعلى دعوته، والنوع الثانى الرومـان الذين لم يكونوا يعبأون بالمسائل الدينية،وقوم هذه حالتهم لا يمكن أن يحفظ فيهم كتاب سماوى من غير تحريف ولا تبديل. [4]

---

(1) صحيح البخاري : كتاب "فضائل القرآن" ، باب القراء من الصحابة، برقم (٤٦١٨) وصحيح مسلم باب : فضائل ابن مسعود برقم (٤٥٠٣).

(2) انظر: أعمال الرسل ، (٩/١-٢١)

(3) سورة الجمعة : الآية (٢).

(4) انظر: محاضرات في النصرانية، ص٢٨، ودراسات في الأديان، ص١٧٧.

وجه المقارنة	القـــرآن الكريـــم	الإنجيـــل
٦) كتابة الوحى	مع أن القوم الذين بعث فيهم محمد (ﷺ) تميزت صدورهم بحفظ ما يتلى عليهم إلا أنه (ﷺ) كان إذا نزلت عليه آية من القرآن نادى على كتبة الوحى ليدونوا مِنْ فيه مباشرة ما نزل عليهِ من وحي فكان أصحابه يتلقون الآية أو السورة المنزلة ، عن رسول الله (ﷺ) ويحفظونها مع مراعاة الترتيب المعين، ثم يعْرضون محفوظاتهم على الرسول، وذلك للتطبيق أو التصحيح إذا كانت له حاجة، كما يبلغونها ويقرءونها لمن لم يسمعها عن الرسول، وذلك امتثالاً بقوله (ﷺ): "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب"[١] وقوله : "بلغوا عنى ولو آية"[٢] ، وبهذه الطريقة المتبعة قد كمل حفظ القرآن (كما أنزل) حفظاً صحيحًا فى قلوب المسلمين فى حياة رسول الله محمد بن عبد الله (ﷺ). وقد اشتهر الكثير من الصحابة بكتابة الوحى عنه (ﷺ) ، بل إنه (ﷺ) نادى أبى بن كعب (وهو من أشهرهم) فقال : "إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن" ، فقال: "الله سمَّاني لك؟" قال : نعم. وقد ذُكرتُ عند رب العالمين : قال: فذرفت عيناه"[٣]	كما أنه لم يثبت أن اشتهر أحدٌ من النصارى الأوائل بكتابة الوحي بين يدى المسيح، بل إنه عليه السلام لم يثبت عنه أنه أمر أحدًا بذلك، كما ثبت ذلك لمحمد(ﷺ).[٤]

(1) القرآن والكتاب المقدس، ص١٠١، وقارن : أعمال الرسل (٢٢/٢).

(2) جزء من حديث ورد عن النبى (ﷺ) رواه عبد الله بن عمرو أن النبى(ﷺ) قال : "بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كتب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار" ، انظر : "صحيح البخارى"، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ، برقم (٣٢٠٢).

(3) انظر: صحيح البخارى، كتاب تفسير القرآن برقم (٤٥٧٩)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرهم، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل ، برقم (١٣٣٠).

(4) جزء من حديث ورد عن النبى (ﷺ) الذى رواه أبو بكر أنه ذكر النبى (ﷺ) قال : فإن دماءكم وأموالكم قال محمد وأحسبه قال وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب وكان محمد يقول صدق رسول الله (ﷺ) كان ذلك إلا هل بلغت مرتين" ، انظر : صحيح البخارى، كتاب العلم، باب "ليبلغ العلم الشاهد الغائب" ، برقم (١٠٢).

وجه المقارنة	القـــرآن الكريـــم	الإنجيـــل
٥) التعبير بالوحى	ثبتَ عن النبى (ﷺ) وعن صحابته أنهم كانوا يتعبدون بالقرآن ، ولذلك كان النبى (ﷺ) إذا دخل أحدٌ فى الإسلام أمر صحابته (ﷺ) بـأن يُعلّموه القرآن ليتعبد به إلى الله تعالى، كمـا ثبت عنهم أيضًا أن أكثر ما يكون اهتمـامهم بالقرآن يكن فى الشهر الذى نزل فيه (شهر رمضان) كما عرف عنه أنه كـان يعـرض القرآن على جبريل – عليه السـلام – فـى رمضان أيضًا كل عام، وعرضه عليه مرتين في آخر حياته (ﷺ)[١]	الذى ثبت عن رسـالة المسـيح أنها كانت دعوة روحية بالدرجة الأولى، ولم تكن تعبدية بدرجـة تمكننا من معرفة الكيفيـة التـى كان عليها أتباع المسـيح فـى عهده فيما عدا ما ذكر عن إظهار الله ربَّ العالمين المعجزات، وشفاء الأمراض على يديه. [٢]
٧) الدعوة بعد النبى	لم يدعَ أحد من أصحاب محمـد (ﷺ) – ولا من غير أصحابه– أن محمدًا ظهـر لـه أو جاءه فى منام وطلب منه أن يغيِّـر بعـض الأحكام التى وردت فى شريعته، وأن يجرى ذلك على لسـانه، كمـا فعـل بـولس فـى النصرانية وجاء بها إلى طريق مخالف لمـا كانت عليه، حتى إن من لم يعرف شيئًا عن النصرانية يحار عقله، أتلك الرسالة نزلت على المسيح عليه السلام أم نزلت على بولس ؟! كما أن الفُرقَة لم تلحق صحابته (ﷺ) لا فـي حياته ولا بعد مماته – إلا بعد أمد بعيـد–[٣] بل كانوا يدًا واحدة وكلمة واحدة حتى نشروا دعوته (ﷺ) في كل أرجاء الدنيا.	ظهر بولس فى النصرانية بعـد رفع المسيح عليه السلام فادعى أنه قد ظهر له وأجـرى علـى لسانه من الأحكام والشرائع مـا غيَّر به الديانة وحاد بهـا عمَّـا جاء به المسيح (عليه السـلام) حتى مُكنَ له وصارت دعوته هى الدعوة ودينه هو الدين. مما أدى إلى وجود طائفتين كـلٌ منهما تدعى أن ما تؤمن به هو الدين الصحيح، إلى أن صـارت الغلبة لأتباع بولس الـذي قلـب النصرانية رأسًا على عقب. [٤]

[1] انظر: حديث معارضة جبريل القرآن للنبى (ﷺ) فى صحيح البخارى، كتاب المناقب، باب علامـات النبـوة فـى الإسلام برقم (٣٣٥٣) وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل فاطمة بنت النبى (ﷺ) برقم (٤٤٨٨).

[2] أعمال الرسل (٢/٢٢).

[3] أقصد الفتنة التي حدثت بين على ومعاوية – رضوان الله عليهما – والتي كانت في أمر اجتهـادي مـن أمور الدين لا علاقة له بأصول التشريع الذي أرسي قواعده محمد (ﷺ) ورسخه في عقـول أصـحابه – رضوان الله عليهم – فطبقوه أحسن تطبيق ولم يختلفوا في شيء من أصوله الثابتة.

[4] انظر: "بولس وأثره فى النصرانية"، فيما سبق من هذا البحث من ص

بالنظر إلى هذه المقارنة يمكن أن نجزم بأنه ليس هناك أى تشابه بين الأدوار التي مر بها الإنجيل حتى وقت تدوينه وبين القرآن الكريم والأدوار التي مر بها حتى وقت تدوينه، إذا القرآن تهيأ له الحفظة الذين لم يكونوا لديهم دواوين يدونون فيها أمورهم إلا صدورهم التى حباهم الله بها ليحفظوا القرآن عن رسول الله، كما تهيأ له المتعبدون الذين يكررونه في صلواتهم وتلاواتهم وتهيأ له أيضًا الكتبة الذين يحسنون الكتابة والتدوين خلف رسول الله (ﷺ) – وفوق ذلك كله كان النبي (ﷺ) بين أظهرهم مرجعًا يرجعون إليه في ترتيب سور وآيات القرآن الكريم، كما أنه (ﷺ) امتن عليه ربه بمراجعة القرآن عليه كل عام مع أمين الوحي جبريل (عليه السلام) حتى يتحقق وعد الله له: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴾ [1]، وقال : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [2] .

ولهذا لا يجوز لكامبل ولا لغيره أن يجري مقارنات من هذه بأي وجه من الوجوه بين القرآن والأناجيل، لأنه إذا كان قد تهيأ للقرآن ذلك فإن الإنجيل – باعتراف كامبل وغيره من النصاري– لم يدونه المسيح (عليه السلام).[3]

****

---

(1) الأعلى : الآية (٦).

(2) القيامة : الآيتان (١٦ : ١٧).

(3) انظر: القرآن والكتاب المقدس، ص١٠١.

- مناقشة قضية تعدد المصاحف

من الأمور التى تناولها كامبل فى معرض حديثه عن المقارنـة بـين القـرآن والأناجيل قضية تعدد المصاحف، والتى ذكر فيها أن مصحف ابن مسعود كان يختلـف فى ترتيب سوره، مع أن ابن مسعود – رضي الله عنه – من أول من علَّـم النـاس تلاوة القرآن، كما كان هناك مصحفًا عند أبى بن كعب، فى الوقت الذي كان محمد(ﷺ) فيه فى المدينة ، كما كان هناك مصحف على بن أبى طالب الذى رُتِبَ حسب ترتيـب نزول الآيات، كل ذلك أدى إلى اتخاذ عثمان قرارًا بحرق جميع النسخ ما عدا نسـخة زيد – وهذا معناه كما يرى كامبل – أن عثمان – رضى الله عنه – الغى شهادة شهود عيان سمعوا بالآذان ما قاله محمد ، ولم يبق إلا على شاهدٍ واحد.

وهذا الكلام إذا تناولناه بشيءٍ من الدقة – وبموضوعية تامة – لتمكنا من الرد عليه من عدة وجوه :

الأول : أنه من الثابت الصحيح أن أبيًّا – رضى الله عنه – وعبد الله بن مسعود كانـا من الأعضاء الذين شاركوا ووُجِدوا فى جمع مصحف عثمـان – رضـى الله عنـه – وإقراره، وهذا صحيح متواتر[1]، وهذا معناه أن كلاً من الصحابيين مُقـرٌ بمصـحف عثمان مؤمن به، فلا تدعوا الحاجة عنده إلى أن يختصَّ نفسه بمصحفٍ خـاصٍ بـه يخالف ما اشترك هو فى جمعه وإقراره، وإلا كان هذا اتهامًا لكل واحد منهما بما هو منزه عنه.

الثـانى : إذا فحصنا أسانيد القراء السبعة الذين أخذوا قراءتهم مصحف عثمان لوجدنا أن كل أسانيدهم تنتهى إلى ابن مسعود فى أعلى حلقاتها.

---

[1] وللتوسع في هذه الروايات انظر ما نقله أبى حيان التوحيدي عن هذا التواتر فى كتابه البحـر المحـيط ، (١٠٦/٦)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –-الطبعة الثانية –-سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

فقراءة حمزة(١)عن الأعمش(٢) عن زرِّ بن حبيش(٣) عن ابن مسعودٍ، وعاصم بن أبى النجود(٤) عن زرٍّ وأبى عبد الرحمن السلمى(٥)،

وقراءة أبي عمرو الشيباني(٦)، كلُّهم عن ابن مسعودٍ،وأبو عمرو بن العلاء(٧) عن عاصم بإسناده السابق، والكسائي(٨) عن حمزة بإسناده السابق، كذلك.

قال ابن الجزرى(١) فى ترجمته لابن مسعودٍ: "وإليه تنتهى قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف(٢) والأعمش"(٣)

---

(1)حمزة : هو حمزة بن حبيب بن عمارة ابن إسماعيل الكوفى ، وُلد سنة ثمانين (٨٠هـ) ، وكان إمام الناس فى القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش وكان ثقة كبيراً حجة، لقب بالزيات لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان ، توفى سنة ستٍ وخمسين ومائة (١٥٦هـ) (انظر: النشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى، (١٦٦/١) طبعة دار الكتاب العربى وانظر أيضًا : إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا (٢٦/١) طبعة عالم الكتب).

(2)الأعمش : هو أبو محمد سليمان بن مهران الكاهلى، أصله من طبرستان ، قيل ولد سنة إحدى وستين ، كان من أشهر القراء الموجودين بالكوفة والحفاظ المعمرين مات سنة ثمانٍ وأربعين ومائة (١٤٨هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء ، ٢٢٦/٦).

(3)زر بن حبيش : ابن حباشة بن أوس الإمام القدوة مقرئ الكوفةِ مع أبى عبد الرحمن السلمى حدث عن عمر بن الخطاب وأبى كعب وعثمان وجمعٍ كثيرٍ من الصحابة ، قال عنه عاصم بن أبى النجود أنه كان من أعرب الناس وكان ابن مسعود يسأله عن العربية مات سنة إحدى وثمانين هجرية (انظر: سير أعلام النبلاء ، ١٦٦/٤ والأعلام : للزركلي، ٤٣/٣).

(4)عاصم : هو عاصم ابن أبى النجود وهو من التابعين وهو الإمام الذى انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد أبى عبد الرحمن السلمى جلس موضعه ورحل الناس إليه للقراءة وجمع بين الفصاحة والإتقان وكان أحسن الناس صوتا (انظر: النشر فى القراءات العشر ١٥٥/١ ، إتحاف فضلاء البشر (٢٥/١)

(5)هو أبو عبد الرحمن السلمى: انتهت إليه رئاسة القراء بالكوفة وقد قرأ القرآن على عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وزيد بن ثابت – رضوان الله عليهم – (انظر : النشر فى القراءات العشر (١٥٥/١)– اتحاف فضلاء البشر (٢٥/١).

(6)أبو عمرو الشيبانى : إسحاق بن مرار كان فى طليعة علماء اللغة بالكوفة وبرع فى رواية الشعر وُلد سنة ٩٤هـ ومات سنة (٢٠٥هـ) وهو لغوىٌ معروفٌ مشهور (انظر: الأعلام ، ٢٩٦/١).

(7)أبو عمرو بن العلاء البصرى ولد بمكة سنة ثمانٍ وستين وقيل سبعين وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية قرأ على أبى جعفر ونافع بن أبى نعيم وعاصم ابن أبى العالية النجود وأبى العالية توفى سنة أرب وخمسين ومائة (١٥٤هـ) النشر ١٣٤/١ "اتحاف فضلاء البشر" (٢٢/١).

(8)الكسائى : هو على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان النجوى ، لقب بالكسائى لأنه أحرم فى كساء وكان يؤم الناس فى القراءة فى زمانه تلقى القراءة على خلق كثير منهم حمزة بين حبيب الزيان عاصم بن أبى النجود توفى سنة تسعٍ وثمانين ومائة (انظر : النشر ، ١٧٢، اتحاف فضلاء البشر ، ٢٨/١).

الثالث : أن الروايات القائلة بمطابقة مصحف عبد الله بن مسعود لمصحف عثمان تبلغ حدَّ التواتر، بينما الروايات القائلة بمخالفة مصحفه لمصحف عثمان : "فتلك إنما هى آحاد – وذلك على تقدير صحتها- ، فلا تعارض ما ثبت بالتواتر"(٤)، والآحاد إنما يحتفظ بصفته حين يقابل الصحيح ، أما حين يواجه المتواتر فإنَّه يعدُّ باطلاً(٥)، كما أن الروايات – القائلة بالمخالفة – تنسب إلى الشيعة(٦).

وقد تضافرت الأدلة على هذا النوع الذى وضعه الشيعة ، والذى لا يُعْقل أن يكون من القرآن ، لا روحًا ولا أسلوبًا وإنما يبدو عليها طابع الإقحام والغرابة عن النص الإلهى المعجز، كتلك الإضافة – الشاذة – "والسابقون بالإيمان بالنبى، فهم علىٌّ وذريته الذين اصطفاهم الله من أصحابه، وجعلهم الموالي على غيرهم، أولئك هم الفائزون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون(٧) ، ولا ريب لدينا فى أن مثل هذه

---

(1) ابن الجزرى : هو الإمام الحافظ ابن الجزرى (٧٥١ – ٨٣٣ هـ) وهو إمام الأئمة وقاضى القضاة، وهو عدة أهل الأداء بلغ الذروة فى علوم التجويد وفنون القراءات وهو محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الجزرى الدمشقى العمرى الشيرازى الشافعى وكنيته أبو الخير وجلس للإقراء تحت قبة النسر بالجامع الأموى للتعليم والإقراء سنين عديدة وولى مشيخة الإقراء الكبرى. وتلقى علوم القراءات والتجويد عن كثيرٍ من علماء دمشق منهم : الشيخ أحمد بن إبراهيم الطحان والقاضى أبو يوسف أحمد بن حسين. (انظر فى ترجمته : الأعلام ، ٤٥/٧، وكشف الظنون ٥٣/١، ١١٤، ١٢٨).

(2) خلف : هو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزى كنيته أبو يعقوب وكان ثقة قيمًا بالقراءة ضابطًا لها توفى سنة ست وثمانين ومائتين (٢٨٦هـ). (انظر: النشر ١٩١/١ – إتحاف فضلاء البشر ٣١/١)

(3) انظر : تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ، ص١٣٢ ، طبعة دار القلم سنة ١٩٦٦م. وانظر أيضًا: نكت الانتصار لنقل القرآن ، للباقلانى ، ص٣٨٠ ، ٣٨١ ، دراسة وتحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية ، سنة ١٩٧١م.

(4) انظر: "تاريخ القرآن"، للدكتور عبد الصبور شاهين ، ص١٣٢.

(5) السابق ، ص١٣٣.

(6) السابق : نفس الموضع. والمقصود هنا غلاة الشيعة ، وليس كل فرقهم وطوائفهم.

(7) والمقصود هنا آيات سورة الواقعة والتى يقول رب العالمين فيها ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة من آية ١٠- ١٤).

العبارات لا تتصل بابن مسعود بسبب ، وإنما هى منحولة، اتخذ ناحلوها ابن مسعود ساترًا يتخفُون وراءه. (١)

الرابع : أن عثمان – رضى الله عنه – لم يجمع الناس على مصحف واحد وخالفته الأمة، واستأثر برأيه دونهم، ولكن تواترت الروايات أنه –رضوان الله عليه– فعل ذلك بالاتفاق مع كبار الصحابة – رضوان الله عليهم– .

فعن سويد بن غفلة قال : قال علىٌّ : لا تقولوا فى عثمان إلا خيرًا فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منا قال : ما تقولون فى هذه القراءة فقد بلغنى أن بعضهم يقول قراءتى خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفرًا قلنا : فما ترى؟ قال : أرى أن يُجْمَع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا : فنعم ما رأيت(٢) وقال علىٌّ أيضًا : ولو وليت لعملت بالمصاحف التى عمل بها عثمان(٣).

الخامس : إن ممن ينسب كامبل إليهم مصحفًا أيضًا – غير مصحف عثمان – أُبي بن كعب – رضوان الله عليه– ومن الثابت المقطوع به أن أبيًّا – رضوان الله عليه – كان أحد الذين اشتركوا فى عهد أبى بكر وفى عهد عثمان – رضي الله عنهما – فى جمع المصحف ونسخه ، بل إنه كان مرجعًا يأنس به عثمان إذا حدث خلاف، ومما يدل على ذلك ما رواه الحسن بن فارس بن هانى قال : كنت عند عثمان بن عفان – رضى الله عنه – وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكتف شاه إلى أُبي بن كعب فيها (لم يَتَسَنْ)، و (فأمهل الكافرين) ، و(لا تبديل للخلق)، قال : فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين، وكتب (لخلق الله) ، ومحا (فأمهل) وكتب (فَمَهِّل)، وكتب (لم يتسنْه) ألحق فيها هاء. (٤)

---

(1) انظر: "تاريخ القرآن" ، ص١٣٣.

(2) انظر: "تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه" ، ص٣٨– ٣٩ تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكى طبع سنة ١٣٦٥، مطبعة الفتح الوطنية (جدة).

(3) السابق ، ص٣٩.

(4) انظر : "تاريخ القرآن" ، للدكتور عبد الصبور شاهين ، ص١٥٠.

وهذا يدل على أن أبيًا – رضوان الله عليه – لم يتخلف عن المساعدة فى المصحف الإمام ، بل لقد شارك فى إملاءه ، وفى كتابته، وفى مراجعته[1].

السادس:وفيما يخص أبيًا أيضًا – رضوان الله عليه – أن مَنْ يتتبع أسانيد القراء السبعة المشهورين يجد أن ستةً منهم متصلي السند بأبى بن كعب-رضى الله عنه-[2] وهذا يؤكد لنا أن مصحف عثمان الذى بين أيدينا واردٌ من طريق أبى بن كعب – رضوان الله عليه- إلى جانب الطرق الأخرى عن النبى (ﷺ) وهى كثيرة لا تحصى.[3]

وهذا معناه أنه إذا ذكر فى تاريخ المصاحف أن أبيًا كان له مصحف خاص، وجب أن نتلقى هذا الخبر بشيءٍ من التحفظ ، بل بكثير من الحذر، يعيننا على أن تقبل منه ما وافق المصحف الإمام الذى ارتضاه وكتبه وراجعه أبى نفسه، وأن ننظر فيما خالف المصحف الإمام لنرده إلى مصدره ومستواه، سندًا وتفسيرًا. [4]

السابع : وأما فيما يخص مصحف علىٍّ – رضوان الله عليه – فهناك إجماع على أنه – رضوان الله عليه – أحد عناصر الإجماع على المصحف الإمام، وقد ورد قوله السابق أن عثمان – رضوان الله عليه – قد فعل ذلك على ملأ منًّا الصحابة – رضوان

---

(1) السابق : نفس الموضع.

(2) السابق : نفس الموضع ، وهؤلاء الستة هم :

١) نافع بن أبى نعيم الذى قرأ على سبعين من التابعين وهم جميعًا قرأوا على أبى بن كعب.

٢) عبد الله بن كثير وقد قرأ على عبد الله بن السائب وابن السائب قرأ على أبى بن كعب.

٣) أبو عمرو بن العلاء، وممن قرأ عليهم أبو العالية الرياحى الذى قرأ على أبى بن كعب.

٤) عاصم بن أبى النجود ، وقد قرأ على أبى عبد الرحمن السلمى ، الذى قرأ على أبى.

٥) حمزة الزيات وهو مثل عاصم فى جهة اتصاله بأبي بن كعب.

٦) الكسائى ، وقد قرأ على حمزة ونافع، فهو متصل بأبى بن كعب من طريقهما.(انظر: "تاريخ القرآن" ،للدكتور عبد الصبور شاهين، ص١٥٠ –١٥١.

(3) السابق ، ص١٥١.

(4) السابق ، نفس الموضع.

الله عليهم بل إنه قال – كرم الله وجهه – لو ولّيت لعملت بالمصاحف التى عمل بها عثمان. [١]

كما أنه بالنظر فى أسانيد القرّاء السبعة المشهورين، نجد أن أربعة منهم ينتهى سندهم إلى علىٍّ – رضوان الله عليه – [٢]

الثامن : أن الوجوه السابقة على هذا النحو الذى مرَّ تؤكد لنا أن ما روى مخالفًا لمصحف عثمان لا يخرج عن أمرين :

أ) إما أن يكون مروجًا من طريق أحاد وهذه الروايات تسقط تمامًا فى باب القرآن أمام الروايات المتواترة.

ب) أن ما نسب إلى أحد من الصحابة أنه خالف مصحف عثمان – إذا سلمنا بذلك – يُحْمل على أن الناس قد أخذوه من هذا الصحابي قبل أن يجمع عثمان الناس على مصحفٍ واحد،أو مما روته كتب الشواذ منسوبًا إلى صحابي من الصحابة أو إلى قراءة أحدٍ منهم.[٣]

التاسع : ذكر غير واحد من المحققين بأن عثمان – رضى الله عنه – لم يصنع شيئاً فيما جمعه أبو بكر من زيادة أو نقصٍ أو تغيير ترتيب سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغةٍ واحدة وهى لغة قريشٍ محتجًا بأن القرآن نزل بلغة قريش.

العاشر: أن إحراق عثمان للمصاحف – غير مصحفه – ، لم يكن حرقًا لمصاحف وإنما كان حرقًا للألواح والحجارة التى نقل منها إلى المصحف الإمام، ويدل على ذلك

---

[1] انظر : ما سبق من هذه الوجوه.

[2] وهؤلاء الأربعة هم : ١) أبو عمرو بن العلاء عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، وهما قرأا على أبى الأسود الدؤلى ، وهو قرأ على أمير المؤمنين على بن أبى طالب. ٢) عاصم بن أبى النجود ، عن أبى عبد الرحمن السلمى، وهو قرأ مباشرة على علىٍّ ، وقراءة عاصم من طريق حفص بن سليمان بن المغيرة هى الشائعة الآن فى أكثر بلاد المشرق. ٣) حمزة الزيات ، عن جعفر الصادق ، وهو قرأ على محمد الباقر، وهو قرأ على زين العابدين، وهو قرأ على أبيه الحسين ، الذى قرأ على أبيه علىَ. ٤) الكسائى وقد قرأ على حمزة بسنده المتقدم.

[3] انظر : "تاريخ القرآن " ، د. عبد الصبور شاهين ، ص١٥٢.

أن أكثر الروايات التى وردت عن الإحراق ورد بعضها أنه إحراق وبعضها على أنـــه محو فالإحراق ينصرف إلى الجلود والعظام والمحو يكون للألواح والحجارة بالغســل وقد يكون بالطمس[1]، كما أننا لو سلمنا بأن عثمان رضــوان الله عليــه قــد حــرق المصاحف المخالفة للمصحف الذى اجتمعت عليه الأمة – إن صح وجودها – فهذا له لا عليه وذلك لئلاِ يقع للمسلمين ما وقع لأهل الكتاب قبلهم من اختلافهم على كتــبهم، ويتأيد هذا الكلام إذا وضعنا إلى جواره ما رُوى أن حذيفة بن اليمان قال : "يــا أميــر المؤمنين – لعثمان رضى الله عنه – أنا النذير العريان يا أمير المؤمنين، أدرك هــذه الأمة قبل أن يختلفوا فى القرآن اختلاف اليهود والنصارى فى التوراة والإنجيل ففزع لذلك عثمان، فجمع الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعًا ما رأى حذيفــة فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر – رضى الله عنهما – أن أرسلى إلينــا الصــحف ننسخها ثم نردها إليك. [2]

وهذا يدل أيضًا على وعي الصحابة وحذرهم من أن يقعوا فيما وقع فيه مــن سبقهم من أهل الكتاب مما حدا بعثمان – رضوان الله عليه – أن يحرص حرصًا شديدًا يدفعه إلى حرق الألواح والجلود التى كانت تحوى متفرق القرآن بعد أن جمــع لهــم القرآن بين دفتين كاملاً على لسانٍ واحد ونسخ منه النسخ إلى الأمصار، فلم تعد هناك حاجة إلى غيرها.

وبعد : فإنه لا يمكن مقارنة القرآن بالأناجيل فى هذا الباب، وذلك لأمــر مهــمٍ جدًّا، وهو أن لدينا نبأين موحى بهما ، فأما أولهما: فهو أن الله استحفظ أهل الكتــاب على وحيه فحرَّفوه وبدَّلوه، وأما الثاني: فهو أن الله لما أنزل الوحى الخاتم تكفَّل هــو سبحانه بحفظه لما آل إليه أمر الوحي الأول، فكيف يمكن المقارنة بين ما حفظــه الله وبين من وُكِلَ حِفْظه إلى خلق الله ؟!

---

[1] انظر : "تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه" ، ص٣٩.

[2] جزء من حديث ورد فى الكامل فى التاريخ ، جـ٣ ، ص٦٤٨ ، وراجع تفسير الطبرى (١/٥٩-٦١).

وهذا كلام قد صدقّه الواقع ، فقد روى البيهقى عن يحيى بن أكثم قال: دخل يهودي على المأمون فأحسن الكلام فدعاه إلى الإسلام فأبى، ثم بعد سنة جاء مسلمًا فتكلم في الفقه فأحسن الكلام فسأله المأمون ما سبب إسلامه قال انصرفت من عندك فامتحنت هذه الأديان فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشْتُرِيت منّى وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشْتُرِيت منّى وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها إلى الورّاقين فتصفحوها فوجدوا فيها الزيادة والنقصان فرموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامى. (١)

وإضافة إلى تصديق الواقع هذا نذكر هنا ما قرره الدكتور بوكاي من أن النص القرآني انتهي فيه إلى نص تتبع الصور فيه – كما يعتقد اليوم – نفس النظام الذي اتبعه النبي (ﷺ) في تلاوته الكاملة له أيام شهر رمضان. (٢)

كما يقرر بوكاي أنه يمكن التثبت من صحة النص القرآني إذا نظرنا في أقدم النصوص التي أرسلها عثمان إلى طشقند واسطنبول، – وهي تمثل أقدم النسخ والوثائق المعروفة في أيامنا هذه– تطابق تمامًا أحدث النسخ الموجودة في عصرنا الحالي، وذلك أيضًا بالنسبة للمخطوطات التي فى حوزتنا في أوربا والتي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين. (٣)

كما أنه من الثابت فعلاً في فترة تنزيل القرآن أن المعارف العلمية كانت في مرحلة ركود وهذا يدفعنا إلى القول بأن الدعاوي ذات الصفة العلمية في القرآن الكريم لم يكن محمد (ﷺ) ليستكتبها من عند نفسه، خاصة إذا علمنا أن الأخطاء العلمية الواردة في التوراة ويعالج القرآن نفس موضوعاتها لا يمكن لمحمد (ﷺ) في هذه الفترة الزمنية أن يدرك هذه الأخطاء ثم يعمل على معالجتها ورفعها عندما يريد أن يؤلف نصوصًا حول نفس الموضوعات.(٤)

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٦٢، وانظر أيضًا : "ما أصل الإنسان؟"،ص١٨١، ١٨٢.

(2) انظر: "تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه " ، تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكى الخطاط، ص٥٨، ٥٩.

(3) انظر: السابق، ص١٦٣.

(4) انظر: السابق، ص١٥٦، وانظر أيضًا : "ما أصل الإنسان؟ " ، ص١٨٠.

الفصل الرابع

موقف كامبل من نبوة محمد (ﷺ)

ويشتمل على مبحثين كما يلى :

المبحث الأول : النبوة عند كامبل.

المبحث الثاني : نبوة محمد (ﷺ) بين بوكاي وكامبل.

المبحث الأول: النبوة عند "كـــامبل" :

أ- علامات النبي الصادق :

يرى "كامبل" أن النبي الصادق هو الذي تتحقق نبواته . وهذا يعني ضـــرورة وجود شاهدين على تحقيق هذه النبوة ، هما الله ، والنبي نفسه.[1]

ويقدم الله لنا أول دليل على صدق النبوة ، وذلك على فم موسى الكليم : [**قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِيمَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الذِي لا يَسْمَعُ لِكَلامِي الذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ. وَأَمَّا النَّبِيُّ الذِي يُطْغِي فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاماً لمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ أَوِ الذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ**]. [2]

يرى د. "كامبل" في هذه الفقرات التي اقتبسها من كلام التوراة أن الله سيطالب الإنسان الذي يعصي نبيه الذي ينطق باسمه. [3]

ثم يقول الله في الآيات التي بعد ذلك :[**وَإِنْ قُلتَ فِي قَلبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الكَلامَ الذِي لمْ يَتَكَلمْ بِهِ الرَّبُّ؟ فَمَا تَكَلمَ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلمْ يَحْدُثْ وَلمْ يَصِرْ فَهُوَ الكَلامُ الذِي لمْ يَتَكَلمْ بِهِ الرَّبُّ بَل بِطُغْيَانٍ تَكَلمَ بِهِ النَّبِيُّ فَلا تَخَفْ مِنْهُ**]. [4]

أي أن المقصود أننا نعرف صدق نبوة النبي بتحقيق نبوته . [5] كمـــا يـــذهب "كامبل" إلى أن المعجزات وحدها لا تكفي لبرهنة صحة رسالة النبي ، بـــل يجـــب أن تتفق رسالته مع وحي من سبقوه من أنبياء الله الصادقين.

ودليله في ذلك ما ورد في سفر التثنية : [**إِذَا قَامَ فِي وَسَطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ حُلماً وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ أُعْجُوبَةً وَلوْ حَدَثَتِ الآيَةُ أَوِ الأُعْجُوبَةُ التِي كَلمَكَ عَنْهَا قَائِلاً: لِنَذْهَبْ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لمْ تَعْرِفْهَا وَنَعْبُدْهَا فَلا تَسْمَعْ لِكَلامِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوِ الحَالِمِ ذَلِكَ الحُلمَ لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِيَعْلمَ هَل تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ. وَرَاءَ**

---

[1] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٢٢٥.

[2] انظر : سفر التثنية (الإصحاح الثامن عشر ، الفقرات من ١٧ إلى ٢١).

[3] أى أن الله سيطالب بالدليل على ادعائه النبوة.

[4] انظر : تثنية الإصحاح الثامن عشر – الفقرتان ٢١ ،٢٢.

[5] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٢١٩.

الرَّبِّ إِلهِكُمْ تَسِيرُونَ وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ وَوَصَايَاهُ تَحْفَظُونَ وَصَوْتَهُ تَسْمَعُونَ وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ وَبِهِ تَلْتَصِقُونَ]. [١]

وليدلل "كامبل" أكثر على ما ذهب إليه يسوق كثيرا من الأمثلة الواردة في التوراة على أن رجلين قال كل منهما أنه نبي للرب ، ولكنهما قدما رسالتين متناقضتين . من ذلك :

قصة (النبيّ إرميا) [٢] الذي أعلن أن الملك (نبوخذ نصر البابلي) [٣] قادم لحرب "أورشليم" ، ويسبي أهلها ، لأنهم انحرفوا عن عبادة الله وعبدوا الأوثان ، وأمر الرب إرميا أن يضع على عنقه نير الثيران ويذهب لمقابلة الملك (صدقيا ملك أورشليم) [٤] ويقول له الرب في ذلك : **[اصْنَعْ لِنَفْسِكَ رُبُطاً وَأَنْيَاراً وَاجْعَلْهَا عَلَى عُنُقِكَ ......وَأَرْسِلْهَا إِلَى مَلِكِ أَدُومَ وَإِلَى مَلِكِ مُوآبَ وَإِلَى مَلِكِ بَنِي عَمُّونَ وَإِلَى مَلِكِ صُورَ وَإِلَى مَلِكِ صَيْدُونَ بِيَدِ الرُّسُلِ الْقَادِمِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى صِدْقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا. وَأَوْصِهِمْ إِلَى سَادَتِهِمْ قَائِلاً: هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَكَذَا تَقُولُونَ لِسَادَتِكُمْ: إِنِّي أَنَا صَنَعْتُ الأَرْضَ وَالإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ الَّذِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ بِقُوَّتِي الْعَظِيمَةِ وَبِذِرَاعِي الْمَمْدُودَةِ وَأَعْطَيْتُهَا لِمَنْ حَسُنَ فِي عَيْنَيَّ. وَالآنَ قَدْ دَفَعْتُ كُلَّ هَذِهِ الأَرَاضِي لِيَدِ نَبُوخَذْنَصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ عَبْدِي وَأَعْطَيْتُهُ أَيْضاً حَيَوَانَ الْحَقْلِ لِيَخْدِمَهُ. فَتَخْدِمُهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَابْنَهُ وَابْنَ ابْنِهِ حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتُ أَرْضِهِ أَيْضاً فَتَسْتَخْدِمُهُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ وَمُلُوكٌ عِظَامٌ. وَيَكُونُ أَنَّ الأُمَّةَ أَوِ الْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُ نَبُوخَذْنَصَّرَ مَلِكَ بَابِلَ وَالَّتِي لاَ تَجْعَلُ عُنُقَهَا تَحْتَ نِيرِ مَلِكِ بَابِلَ إِنِّي أُعَاقِبُ تِلْكَ الأُمَّةَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَإِ يَقُولُ الرَّبُّ حَتَّى أُفْنِيَهَا بِيَدِهِ. فَلاَ تَسْمَعُوا**

---

[1] انظر : سفر التثنية – الإصحاح الثالث عشر ، الفقرة من ١ إلى ٤.

[2] لنبى إرميا : هو نبى كاهن من أنبياء بني إسرائيل "الرب يؤسس" أو "الرب يُثَبِّت" ، ظهرت خدمته العلنية في حكم الملك يوشيا ، ثم استمرت خدمته خلال حكم أربعة ملوك أشرار هم : يهواحاز ، ويهوياقيم ، ويهوياكين، وصدقيا (انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥١ -٥٢)

[3] الملك نوخبذ نصر البابلي هو : الإمبراطور البابلي الملقب "بختنصر" غزا بيت المقدس واستولى عليها وسبي سكانها أربع مرات وكان يخضع له ملوك مملكة يهوذا حكام بيت المقدس آنذاك وكان دخوله إلى بيت المقدس للمرة الرابعة سنة ٥٨٧ ق.م فأحرق بيت الرب (الهيكل) وكل بيوت أورشليم ، وقتل الأئمة الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظونها. (انظر ، قاموس الكتاب المقدس ، ص٤٥٨ ، ٩١٧).

[4] الملك صدقيا : هو "فينا بن يوشيا" آخر ملوك مملكة يهوذا حيث دخلها بختنصر فأخذه وهو وجنوده أسرى. (انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص٩١٧ ، ٩٥٤).

أَنْتُمْ لأَنْبِيَائِكُمْ وَعَرَّافِيكُمْ وَحَالِمِيكُمْ وَعَائِفِيكُمْ وَسَحَرَتِكُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَكُمْ: لاَ تَخْدِمُوا مَلِكَ بَابِلَ. لأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ بِالْكَذِبِ] (١)

ولكن جاء نبي آخر قال عكس ما قاله إرميا .

فيقول النبي إرميا في ذلك : **[وَحَدَثَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فِي ابْتِدَاءِ مُلْكِ صِدْقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ فِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ أَنَّ حَنَنِيَّا بْنَ عَزُورَ النَّبِيَّ الَّذِي مِنْ جِبْعُونَ قَالَ لِي فِي بَيْتِ الرَّبِّ أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَكُلِّ الشَّعْبِ: [هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: قَدْ كَسَرْتُ نِيرَ مَلِكِ بَابِلَ. فِي سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ أَرُدُّ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ كُلَّ آنِيَةِ بَيْتِ الرَّبِّ الَّتِي أَخَذَهَا نَبُوخَذْنَصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى بَابِلَ. وَأَرُدُّ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ يَكُنْيَا بْنَ يَهُويَاقِيمَ مَلِكَ يَهُوذَا وَكُلَّ سَبْيِ يَهُوذَا الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى بَابِلَ يَقُولُ الرَّبُّ لأَنِّي أَكْسِرُ نِيرَ مَلِكِ بَابِلَ]. فَكَلَّمَ إِرْمِيَا النَّبِيُّ حَنَنِيَّا النَّبِيَّ أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَأَمَامَ كُلِّ الشَّعْبِ الْوَاقِفِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَقَالَ: [آمِينَ. هَكَذَا لِيَصْنَعِ الرَّبُّ. لِيُقِمِ الرَّبُّ كَلاَمَكَ الَّذِي تَنَبَّأْتَ بِهِ فَيَرُدَّ آنِيَةَ بَيْتِ الرَّبِّ وَكُلَّ السَّبْيِ مِنْ بَابِلَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ. وَلَكِنِ اسْمَعْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الَّتِي أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهَا فِي أُذُنَيْكَ وَفِي آذَانِ كُلِّ الشَّعْبِ. إِنَّ الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلِي وَقَبْلَكَ مُنْذُ الْقَدِيمِ وَتَنَبَّأُوا عَلَى أَرَاضٍ كَثِيرَةٍ وَعَلَى مَمَالِكَ عَظِيمَةٍ بِالْحَرْبِ وَالشَّرِّ وَالْوَبَإِ. النَّبِيُّ الَّذِي تَنَبَّأَ بِالسَّلاَمِ فَعِنْدَ حُصُولِ كَلِمَةِ النَّبِيِّ عُرِفَ ذَلِكَ النَّبِيُّ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَهُ حَقّاً]** (٢).

هنا يطبق النبي إرميا امتحانين ليبرهن صحة نبوة النبي:

أولا : ذكّر سامعيه أن رسالته تتوافق مع وحي من سبقه من الأنبياء .

ثانيا : أنهم سيعرفون النبي الصادق من الكذاب عندما تتحقق نبوة الصادق.

وأخذ (النبي الكاذب حننيا) (٣) النير عن عنق النبي إرميا وكسره !

وقال إرميا : إن الله سيدمر العاصمة ، ويميت أهل البلاد بالجوع والوباء والسيف ، إلا إذا استسلموا للغازي نبوخذ نصر ملك بابل ، فيسبيهم إلى بابل ، ولكنه سيتركهم أحياء . وبعد ٧٠ سنة سيعيد الرب أولادهم إلى بلادهم الأصلية.

---

(1) انظر : سفر إرميا (الإصحاح السابع والعشرون ، الفقرات ٢ ، ٣ ، ١٢ ، ١٤)

(2) سفر إرميا : (الإصحاح الثامن والعشرون ، الفقرات من ١ : ٩).

(3) وحننيا هو : ابن عزور ، من جبعون ولد فى السنة الرابعة من مُلْك الملك صدقيا. تنبأ بالكذب زمن إرميا النبي. (انظر قاموس الكتاب المقدس، مادة حنانى) ، ص٣٢٤.

وهذه الرسالة (في نظر ملك بني إسرائيل) خيانة عظمى للوطن ، لأنها رسالة استسلام . ولكن من يريد أن يموت بسبب عصيانه لله ؟ [١]

وفي الجانب الآخر نرى النبي الكذاب حننيا يقول الله سينجي بني إسرائيل ، وعليه فمن الأفضل أن يبقوا في بلادهم سادة أحرارا .

فمن يريد أن يصبح عبدا ؟!

ثم إنهم لو استسلموا لبابل فربما يقتلهم ملك بني إسرائيل باعتبارهم خونة. [٢]

واختيار الشعب بين أن يتبعوا رسالة إرميا ، أو رسالة حننيا هو اختيار بين حياة أو موت . حرية أو عبودية . فكيف يقررون أنهم لن يعرفوا إن كانوا سيموتون، أو يحيون إلا بعد معركة مَلِكهم مع بابل ؛ ينتصر فيها أو ينهزم . فإذا انهزم سيكون إرميا صادقا ، ولكن احتمال نجاتهم يكون قد انتهى . ولذلك أرسل الرب عن طريق إرميا النبي مزيدًا من الوحي [٣]: **{ ثمَّ صَارَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى إِرْمِيَا النَّبِيِّ بَعْدَ مَا كَسَرَ حَنَنِيَّا النَّبِيُّ النِّيرَ عَنْ عُنُقِ إِرْمِيَا النَّبِيِّ: [اذْهَبْ وَقُلْ لِحَنَنِيَّا: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قَدْ كَسَرْتَ أَنْيَارَ الْخَشَبِ وَعَمِلْتَ عِوَضاً عَنْهَا أَنْيَاراً مِنْ حَدِيدٍ. أنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: قَدْ جَعَلْتُ نِيراً مِنْ حَدِيدٍ عَلَى عُنُقِ كُلِّ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ لِيَخْدِمُوا نَبُوخَذْنَصَّرَ مَلِكَ بَابِلَ فَيَخْدِمُونَهُ وَقَدْ أَعْطَيْتُهُ أَيْضاً حَيَوَانَ الْحَقْلِ]. فَقَالَ إِرْمِيَا النَّبِيُّ لِحَنَنِيَّا النَّبِيِّ: [اسْمَعْ يَا حَنَنِيَّا. إِنَّ الرَّبَّ لَمْ يُرْسِلْكَ وَأَنْتَ قَدْ جَعَلْتَ هذَا الشَّعْبَ يَتَّكِلُ عَلَى الْكَذِبِ. لِذَلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هئَنَذَا طَارِدُكَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ. هذِهِ السَّنَةَ تَمُوتُ لأَنَّكَ تَكَلَّمْتَ بِعِصْيَانٍ عَلَى الرَّبِّ]. فَمَاتَ حَنَنِيَّا النَّبِيُّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ.}** [٤]

وهكذا لم يطل انتظار أهل أورشليم حتى عرفوا إجابة تساؤلهم ، فقد تنبأ حننيا في الشهر الخامس ومات في الشهر السابع ،كما قال إرميا النبي ، وكان على الشعب أن يثق في نبوة إرميا ويستسلم لملك بابل.

---

[1] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٢٢٠ ، ٢٢١.

[2] انظر : السابق ، ص٢٢١.

[3] انظر : السابق ، ص٢٢١.

[4] سفر إرميا : (الإصحاح الثامن والعشرون ، الفقرات من (١٢–١٧) .

وبعد خمس سنوات سقطت أورشليم في يد ملك بابل ، وتحققت نبوة إرميا.[١]
يرى كامبل في هذه القصة أن النبي إرميا كان هو الشاهد الأول على نبوته ، حينما تنبأ أن النبي الكاذب حننيا سيموت ، ولما أمات الله حننيا صار – أي الله – هو الشاهد الثاني على صدق نبوة إرميا .

ويرى "كامبل" أن القرآن الكريم نفسه أكد على ضرورة وجود شاهدين ،فيقول في سورة البقرة : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾.[٢] وجاء في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾[٣]

يرى "كامبل" من هذا المثال أن النبي إرميا قد وجد شاهدين دالين على صحة نبوته ، فالله رب العالمين قد شهد له وأيده بصحة كلامه ؛ الذي أخبر به قومه قبل أن يحدث. والله قد حقق وعيد إرميا بموت حننيا النبي الكاذب.

ويبقى السؤال : هل استطاع محمد أن يوجد الأدلة على صدق نبوته – على حسب رؤية "كامبل" لعلامات النبي الصادق ؟

****

[1] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ص٢٢٢. وانظر أيضًا : تحقق النبوة المذكورة فى سفر إرميا (الإصحاح الثامن والعشرون ، الفقرات من ١٢ – ١٧).

[2] سورة البقرة : آية ٢٨٢.

[3] سورة المائدة : آية ١٠٦.

*** موقف "كامبل" من نبوة محمد (ﷺ) .**

بناءً على المقدمة السابقة ، والتي نقلناها على لسان "كامبل" ، من ضرورة وجود شاهدين لإقرار صحة نبوة النبي ، يتساءل "كامبل" :

كيف نعرف أن ما قاله محمد عن اليوم الآخر هو وحي يُوحى؟

ثم يجيب "كامبل" بأن محمدًا هو الشاهد الوحيد ، إنه الشاهد الأول.(١)

ويقول عندما سألت إن كان أحد ، قد سمع الملاك يكلم محمدا (ما عدا محمد نفسه) أجاب الجميع أن محمدًا هو الشاهد الوحيد ، إلا في مرة واحدة ورد ذكرها في الحديث عن عمر ، قال : "إن رجلا لا يعرفه أحد منا جلس إلى النبي فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام .. ؟ ثم سأله عن الإيمان ، وعن الإحسان ، وعن الساعة . ومحمد يجيب ثم انطلق فسأل عمر"يا عمر"أتدري من السائل؟ أجاب "الله وسوله أعلم" قال فإنه جبريل.أتاكم يعلمكم دينكم".(٢)

يقول "كامبل" معلقا على هذا الحديث:

ربما كان قول محمد صحيحًا، ولكن نحتاج إلى شهادة شاهد ثان يؤيد شهادة محمد ، فإنه وحده هو الذي قال إن الزائر كان جبريل .

---

(1) انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٢٢٨.

(2) انظر : السابق ، نفس الموضع ، والحديث أخرجه الإمام مسلم عن ابن عمر – رضى الله عنهما– قال: حدثنى أبى عمر بن الخطاب : قال بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي (ﷺ) ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله (ﷺ) ، أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله (ﷺ) ، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال : فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرنى عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة، العالة ، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، قال : ثم انطلق ، فلبثت مليًا ثم قال لي يا عمر : أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم (ﷺ) ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. (صحيح مسلم – كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، رقم ٩).

كما أن الحديث آحاد، رواه راوٍ واحد.[1]

ثم يجزم "كامبل" أن النبي وحده هو الذي يسمع صوت الله أو ملاكه.[2] ولم يحدث أن سجلت التوراة عن أحد سمع صوت الله الذي سمعه- مثلا – النبي إرميا، أو النبي إشعياء ، ولم يحدث أن ذكر القرآن أن أحدا سمع صوت يهوذا أو صالحا.[3]

ولا يوجد لهذه القاعدة إلا استثناءان فقط : هما موسى والمسيح. فأما المسيح: فأثناء حياته تكلم الله علانية ثلاث مرات . كشاهد ثان على صدق نبوة المسيح – أولها عندما كان يوحنا المعمدان يعمد المسيح، فيقول:"**وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضاً. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ بِكَ سُرِرْتُ!**".[4]

يرى "كامبل" في هذا دليلا على أن يوحنا المعمدان والشعب الموجود سمعوا الصوت.[5]

وأما مع موسى ، فمن جبل سيناء حدث الله موسى وكل بني إسرائيل ، فخاف الشعب جدا وطلبوا ألا يعود الله يكلمهم فوعدهم الله أن يقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثل موسى.[1]

---

(1) انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٢٢٩.

(2) انظر : السابق ، نفس الموضع.

(3) انظر : السابق ، ص٢٢٩.

(4) انظر : إنجيل لوقا (الإصحاح الثالث ، الفقرتان ٢١ ، ٢٢).

(5)انظر : القرآن والكتاب المقدس ص ٢٢٩ . والمرة الثانية التي يرى فيها "كامبل" أن شهودا آخرين سمعوا صوت الله لنبيه عيسى هي ما يقوله "كامبل" أن الصوت جاء في حضور ثلاثة تلاميذ هم بطرس ويعقوب ويوحنا ، لما أخذهم المسيح إلى جبل عال وتجلى أمامهم ، ولمعت ثيابه ، وجاء موسى وإيليا إلى الجبل (وكان قد مات منذ أكثر من ٩٠٠سنة) يقول الرب في مرقس : " وكانت سحابة تظلهم . فجاء صوت من السحابة قائلا : هذا هو ابني الحبيب . له اسمعوا . فنظروا حولهم بغتة ولم يروا أحدا غير يسوع وحده معهم ، . انظر : إنجيل مرقس (الإصحاح التاسع ، الفقرتان ٧ ، ٨) . وأما المرة الثالثة : فيرى "كامبل" أنها قد حدثت أمام جمهور من الناس . يقول المسيح : " أيها الأب مجد اسمك " فجاء صوت من السماء : " مجدت ، وأمجد أيضا " . إنجيل يوحنا (الإصحاح الثاني عشر ، الفقرات من ٢٨ : ٣٠) إن الجمع الذي كان واقفا وسمع ، قال : " قد حدث رعد " وآخرون قالوا : " قد كلمه ملاك ، فأجاب يسوع : " ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم " .

ثم يذهب "كامبل" إلى أن معظم الأنبياء لم يؤيدوا بمثل هذا الإعلان السماوي ، فكان لابد من طريقة أخرى لوجود شاهد ثان على صدق إرسالية النبي .

وقد استخدم الله ثلاث طرق وهي :

أولا : يعطي الله النبي معجزات لتؤيد نبوته .

ثانيا : تحقيق نبوات الأنبياء السابقين في النبي الجديد .

ثالثا : تتحقق نبوات النبي نفسه ، فيؤيد الله صدق نبوته.(٢)

وبناء على تحديد "كامبل" لهذه الطرق الثلاث ، يقوم بدراسة كل منها ، ويوضح مدى تطابق وتحقق هذه الطرق في نبوة محمد (ﷺ) على النحو التالي :

الطريقة الأولى : معجزات محمد (ﷺ) – عند "كامبل" .

يرى "كامبل" أن القرآن والتوراة يشهدان أن الله أيد إرسالية موسى بالمعجزات ... كما يشهد القرآن والإنجيل للمعجزات التي أيدت إرسالية المسيح . فلم يكن غريبا من أهل مكة أن يطالبوا محمدا أن يجري لهم معجزة ، كشاهد ثان لصدق إرساليته ... فهل هناك معجزات يذكرها المسلمون كشاهد ثان ؟

- **معجزة الإسراء والمعراج :**

يذكر البعض من المسلمين أن الإسراء معجزة من معجزات محمد فقد جاء في سورة الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ (٣)

ويعتقد معظم المفسرين أن الإسراء كان بالجسد ، ولو أن قليلين يعتقــدون أن الإسراء كان مجرد رؤيا في المنام .

---

(1) يشير "كامبل" إلى ما ورد في سفر التثنية :[**قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. ٨ أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ وَأَجْعَلُ كَلامِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ**] (الإصحاح الثامن عشر ، الفقرتان ١٧ : ١٨)

(2) انظر: "القرآن والكتاب المقدس " ، ص٢٣٠، ويكاد يكون اتفاق على هذه الطرق بين علماء الملل الثلاثة.

(3) سورة الإسراء : آية ١.

كما يعتقد الجميع أن المسجد الأقصى هو في أورشليم القدس ، إلا محمد حميد الله (مترجم القرآن للفرنسية) الذي قال إنه في السماء . [١]

وقد جاءتنا كل المعلومات عن الإسراء من الحديث . وما قاله القرآن يترك لنا شاهدا واحدا يشهد لحدوث الإسراء ، محمد هو الذي اختبر الإسراء وهو الذي رواه .

وقد تساءل كفار مكة : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢]

ولكن هذه الآية تجاوب سؤالاً بسؤال ! فقد طلب منا القرآن أن نصدق على أمر بناء على شهادة شاهدين ، ولكنه يقول إن كلمات النبي هي الشاهد الثاني ، وهذا غير ممكن ، فليس النبي وكلمته منفصلين . إنهما واحد ، وهما بمثابة شاهد واحد![٣]

الطريقة الثانية:موقف "كامبل" من نبوات الأنبياء السابقين على محمد .

*** النبوة الأولى من التوراة :**

جاءت نبوة التوراة التي تقول : **[هُوَ ذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ. هَكَذَا يَقُولُ اللَّهُ الرَّبُّ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحاً. أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ وَنُوراً لِلأُمَمِ لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ]** [٤]

---

[1] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ص٢٣١.

[2] سورة العنكبوت : الآيتان ٥٠ ، ٥١.

[3] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٢٣٢.

[4] انظر : سفر إشعياء (الإصحاح الثانى والأربعون ، الفقرات من ١ : ٧).

وهناك حديث في صحيح البخاري يقول : "إن عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمرو بن العاص أن يخبره بوصف رسول الله كما جاء في التوراة ، فأكد عبد الله أنه في التوراة بما وصف به في القرآن :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1].ثم قال عبد الله إن التوراة تقول : " أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق.لا يجزي بالسيئة، لكن يغفر ويصفح، ولن يأخذه الله حتىَ يقيم به الملة العوجاء ، ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا".[2]

فهذا حديث صحيح لأنه من اثنين ، فعندنا الحديث الإسلامي ، وعندنا أصله التوراتي من إشعياء.

وقد اقتبس الإنجيل نبوة إشعياء ، وقال إنها تحققت في المسيح ، فنقرأ في متى : [فَعَلِمَ يَسُوعُ وَانْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ. وَتبعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ جَمِيعاً. وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُظْهِرُوهُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ: «هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ.] [3]

ثم يمضي الإنجيل ليقول : "إن المسيح شفى مجنونا أعمى وأخرس فبهت الناس وتساءلوا : ألعل هذا هو المسيح ابن داوود ؟ ". [4]

ثم يجزم "كامبل" قائلا : وسواء كانت هذه النبوة خاصة بمحمد أو بالمسيح – ولما كان الحديث الإسلامي السابق صحيحًا– فلا بد أن واحدا من المسلمين اقتبس نبوة إشعياء على أنها صحيحة. [5]

---

[1] سورة الأحزاب : آية ٤٥.

[2] أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ..باب "إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا" رقم (٤٤٦١) وأخرجه أيضًا في كتاب البيوع ..باب كراهية الصخب في السوق برقم (١٩٨١).

[3] متى : (الإصحاح الثانى عشر – الفقرات من (١٥: ١٨).

[4] يشير إلى الفقرة رقم ٢٢ من إنجيل متى والتي يقول فيها : (حِينَئِذٍ أُحْضِرَ إِلَيْهِ مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَخْرَسُ فَشَفَاهُ حَتَّى إِنَّ الأَعْمَى الأَخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ).

[5] انظر : "القرآن والكتاب المقدس " ص٢٢٣.

- **النبـوة الثانيـة : من الإنـجيل .**

يرى "كامبل" أن هناك نبوات كثيرة في الإنجيل عن أنبياء سيأتون بعد المسيح، والمسيح نفسه أعطى البعض أن يكونوا رسلا ، والبعض أنبياء .[1] كما يرى أن هناك رجالا تلقوا الوحي من الله بعد صعود المسيح ، فبعد أن رأى الرسول بطرس صعود المسيح (بخمس وثلاثين سنة من ربه) تلقى رسالتين (هما رسالتا بطرس الأولى والثانية).[2]

إن المسيحيين آمنوا بمجيء أنبياء بعد المسيح ، وأن اثنين على الأقل سيجيئان بعد ذلك ! فلماذا يحذف المسيحيون الأولون نبوة عن مجيء محمد لو كانت فعلا في كتابهم ؟ إنهم لم يكونوا يعرفون ما سيقوله محمد أو لا يقوله ، ولم يكونوا يعلمون العقيدة التي سيدعو لها.[3]

*** فهل الفارقليط نبوة عن محمد (أو أحمد) ؟**[4]

يؤمن المسيحيون أن كلمة "فارقليط" في اليونانية (Paracletos) تشير إلى روح الله القدوس الذي يسكن في كل مؤمن ليعينه لينتصر على الخطيئة . وهو بالطبع ليس الملاك جبريل .

ولكن علماء المسلمين قالوا إن هذه نبوة خاصة بمحمد ، لأن سورة الصف تقول :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾.[5]

والحقيقة أن كلمة (فارقليط) تعني الشخص الذي يمكن استدعاؤه لتقديم العون، سواء ليدافع عنك أو ليتبنى قضيتك . ويجيء المعزى إليك وقت الحزن. إنه الشفيع ،

---

[1] رسالة أفسس (الإصحاح الرابع ، الفقرة ١١)

[2] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ص٢٤١.

[3] انظر : "القرآن والكتاب المقدس " ص٢٤١.

[4] انظر : السابق ، ص٢٣٣.

[5] سورة الصف : آية ٦.

والمحامي والناصح والمشجع ، والمعزى . ولا توجد كلمة واحدة في العربية والإنكليزية أو الفرنسية تحمل كل المعاني التي تحملها كلمة (فارقليط) لذلك نحتاج للرجوع إلى القرينة التي وردت فيها كلمة (فارقليط) لنفهم.[1]

ومن قرينة يوحنا : **[لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ]** [2] – ندرك الفارقليط يجيء لليتيم ليعزيه ويشد أزره.[3]

وأيضا من قرينة يوحنا : " إن أخطأ أحد فلنا فارقليط عند الأب " ندرك أن المعنى المقصود هو أن لنا شفيعًا عن الأب"[4]

كما جاء في يوحنا أن المسيح سيعمد الروح القدس. [5] وجاء فيه أيضا آيات تتحدث عن الروح القدس الذي كان المؤمنون بالمسيح مزمعين أن يقبلوه . [6]

كما جاء في أعمال الرسل قول المسيح لتلاميذه : **[وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ بَلْ يَنْتَظِرُوا «مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي ٥لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ]**. [7]

يرى "كامبل" أن هذه الآيات ، وهذه القرائن أن الفارقليط ، الروح القدس ، روح الحق ، سيكون في التلاميذ الأحد عشر في ذات الوقت ، وكان عليهم أن يبقوا في أورشليم إلى أن يحل عليهم أثناء حياتهم ، ثم يمنحهم القوة أينما كرّزوا بالمسيح .[8]

هذا الكائن الذي يكون في التلاميذ الأحد عشر ، وفي كل مؤمن بالمسيح في الوقت نفسه هو كائن روحي ، ولا يمكن أن يكون موسى الذي جاء قبل هذا الوعد ، ولا يكون بطرس الذي سمع الوعد ، كما أنه لا يمكن أن يكون محمدا. [9]

---

[1] انظر : "القرآن والكتاب المقدس " ، ص٢٤٢.

[2] يوحنا (الإصحاح الرابع عشر – الفقرة ١٨).

[3] انظر : "القرآن والكتاب المقدس"، ص٢٤٢.

[4] انظر : السابق ، ص٢٤٥.

[5] يوحنا (الإصحاح الأول – الفقرة ٣٣).

[6] يوحنا (الإصحاح السابع – الفقرة ٣٩).

[7] أعمال الرسل (الإصحاح الأول – الفقرتان ٤ ،٥).

[8] انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٢٤٦.

[9] انظر : السابق ، ص٢٤٦.

هل كان محمد مع بطرس وهو يعظ في أورشليم ؟ وهل كان مع أي من التلاميذ ليذكره بكل ما قاله المسيح ؟ وهل يمكن أن يقال عن محمد إن المسيح هو الذي أرسله ، أو إن العالم لا يراه ، أو إنه يمكث مع التلاميذ إلى الأبد ؟ "(١)

* الطريقة الثالثة: تحقق نبوات النبي (ﷺ).

يطرح "كامبل" سؤالا عن نبوات محمد التي تنبأ بها قبل أن تتحقق قائلا : " هل تنبأ محمد بأمور قادمة تحققت ليكون تحقيقها برهانا على صدق إرساليته كما أنزل الله نارا من السماء استجابة لطلب إيليا ؟ (٢)

ويجيب "كامبل" عن هذا التساؤل بإيراد بعض النبوات التي تنبأ بها محمد ، ثم يبين "كامبل" موقفه من هذه النبوات ، من ذلك :

١) نبوة محمد عن الانتصار في موقعة بدر.

إن ما جاء في سورة القمر : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾(٣) ويقول فيه علماء المسلمين إنه نبوة عن انتصار المسلمين في موقعة بدر.

يرى "كامبل" أن هذه ليست نبوة عن موقعة بدر والانتصار فيها للمسلمين والقول بأن في ذلك إخبارًا بشيء يتحقق فيما بعد ليس صحيحا.

---

(1) انظر : السابق ، ص٢٤٦.

(2) انظر : السابق ، ص ٢٤٧ . ويقصد "كامبل" هنا ما جاء في سفر الملوك الأول – الفقرة ١٨ . عن التحدي بين النبي إيليا وبين أدعياء النبوة من أتباع الصنم (المعروف بالبعل) – فكان عليهم أن يقدموا ثورا لإلههم ، ويقدم النبي إيليا ثورا للرب ، ثم يدعو كل واحد إلهه . والإله الذي ينزل نارا من السماء تلتهم ثوره هو الإله الحقيقي . وقضى أدعياء النبوة من أتباع الصنم ساعات يصرخون لآلهتهم وليس من مجيب . وصب إيليا ماء على ذبيحته حتى لا يقال إن النار كانت مخبأة تحتها ، ثم دعا الرب فنزلت النار لتلتهم الذبيحة وتلحس المياه من حولها ، فصرخ كل الناس الذين شاهدوا هذا : " الرب هو الله ! الرب هو الله ! .

والنبى إيليا : ظهر في فترة حكم الملك أخاب أشر ملوك مملكة إسرائيل ، وكانت زوجته إزابيل تجند البعل وعشتاروت ، وهناك عند جبل الكرمل تحدى إيليا النبي أنبياء البعل وعشتاروت وقتلهم. (انظر : قاموس الكتاب المقدس ص (١٤٤–١٤٥) ، وحياة إيليا للكاتب ف.ب. ماير ترجمة القس ، مرقس داود).

(3) سورة القمر : آية ٤٦.

لأننا لو درسنا القرينة في سورة القمر الآيات من ٤٣ : ٤٨ لوجدنا أن الحديث في هذه الآية عن يوم الدين ، فيقول القرآن : ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ (المصريين الذين هلكوا) ﴿ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ * إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾.[١]

٣) نبوات جاءت في أحلام محمد .

ذكرت سورة الأنفال حلما : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾.[٢]

يقول "كامبل" عن هذه النبوة إنها مجرد حلم رآه محمد قبل الموقعة . غير أن هذه الآية فيها عدة مشاكل ، فهي لا تقول إن الحلم أعلن خبر النصر القادم ولكنها تقول إن الله جعل المسلمين يرون الأعداء الكثيرين عددًا قليلا ، وهذا – في رأي "كامبل" – خدعة لجنود المسلمين ، بهدف أن يخوضوا المعركة بشجاعة ! فكيف للإله الحق القادر على كل شيء أن يخبر جيشه بغير الحق لينتزع الخوف من صدورهم .[٣]

وهذا يشبه ما ورد في سورة النساء من أن المسيح لم يصلب ولكن الله خدع اليهود والحواريين ، فشبه لهم أن المسيح هو الذي صلب ، وما هو الذي صلب ![٤] لماذا يقال ! إن ما رآه محمد في منامه كان تفكيرا بالتمني ؟[٥]

---

[1] سورة القمر : الآيات من (٤٣ :٤٤)

[2] سورة الأنفال : آية ٤٣.

[3] انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٢٤٧.

[4] يشير "كامبل" إلى قول الله رب العالمين في سورة النساء : آية ١٥٧ : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾

[5] انظر : السابق ، ص٢٤٨.

*** موقف "كامبل" من النبوات المحمدية التي تحققت .**

تعزو بعض الأحاديث والروايات الإسلامية الشفاهية نبوات لمحمد تحققت، ولكن نكتفي بما يقولون إنه جاء بالقرآن .

هناك نبوة تحققت نجدها في سورة الروم : ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

يقول العلماء المسلمون إن هذه الآيات نزلت عام ٦١٥ أو ٦١٦ عندما كان الفرس يهددون بالاستيلاء على (القسطنطينية). وبعد ثماني سنوات تغيرت الأمور وكان الروم يدخلون فارس. [١]

ولكن دورة الأيام وانهزام المنتصر أمام المهزوم ليس غريبا . وعليه فيمكن أن تصدق هذه النبوة بالفراسة وحدها ، ولتحقيقها فرصة من أربع أو خمس فرص.[٢]

****

---

[1] انظر: السابق ، نفس الموضع.

[2] انظر: السابق ، نفس الموضع، انظر تفصيل القول في نبوات محمد (ﷺ) في هذا البحث من ص ٤ إلى ص ٢٠٨ .

المبحث الثاني : النبـــوة بين "بوكاي" و"كامبل"

*** هل الفارقليط "محمد" أم "عيسى" عليهما الصلاة والسلام**

من الأمور التى محَّص الطرفان " النظر فيها قضية البشارات الواردة فى إنجيـــل "يوحنا" ، والتى تتضمن الألوهية الروحية للمسيح، وفيها يتوجه إلـــى تلامذتـــه وإلـــى الإنسانية برمتها -غيرهم - ، معَطيًا إرشاداته وأوامره، ومحددًا بشكلٍ نهائي المرشـــد الذى يجب على الإنسانية أن تتبعه – بعد اختفائه[1]... وقد سمى المسيح هذا المرشـــد بالاسم اليونانى Parakletos فى قوله : **[إنْ كُنتمْ تحِبُونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ وَأنَا أطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ]**[2]

غير أنه مما ينبغي الإشارة إليه أن "بوكاي" قد اكتفى بتتبع المعنى الصحيح لمفهوم كلمة Parkletos وذلك من خلال السياقات المختلفة التى وردت فيها هذه الكلمة فى غير موضع من إنـجيل "يوحنا" وقد انتهى من هذا التتبع إلى عدة أمور ، من أهمها :

أ- رفض النظرة النصرانية القائلة بأن هذه البشارة تنطبق علـى الـروح القـدس أو تنطبـق علـى المسيح نفسه ، وذلك لأن المسيح نفسه يعلم أن هذا المرشد سيؤدى دوره الإنقاذى أثنـاء حيـاة المسيح الفانية ، وأنه سيتدخل ويعمل كبديل للمسيح.[3]

ب- رفض "بوكاي" أقوال النصارى فى أن اتصال المرشد الذى أخبر عن المسيح بأنه سيكون عَملاً إلهاميًا من الروح القدس إلى التلاميذ، لأن ذلك الاتصال بين المرشد والناس يتصف بالطابع المادى الواضح من خلال بشارات المسيح فى "يوحنا".[4]

غير أن النظر في هذه القضية عند كامبل مختلفًا جدًا عن بوكاي، إذ أنه يرى أن هذه النصوص لا تحتمل إلا أن يكون المقصود بها الروح القدس الذي يلهم تلاميذ المسيح تعاليمه بعد أن يذهب هو.

ولم يكتف كامبل بهذه الرؤية بل راح يحشد من الأدلة – من وجهة نظره- ما يرى به أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون المقصود بهذه النصوص هو محمد لأنه يرى أن الشروط الأساسية التي ينبغي أن تتحقق في أي نبي لا ينطبق أي منها على محمد(ﷺ)، وهذه الرؤية تنطلق من إيمانه – كغيره من النصارى- بأن المسيح هو النبي الخاتم وليس بعده نبي.

---

[1] انظر : ما سبق من هذا البحث ، ص

[2] انظر: إنجيل "يوحنا" ، ١٤/١٥ – ٦.

[3] انظر : ما سبق من هذا البحث ، ص

[4] انظر: ما سبق من هذا البحث ، ص

ولكي يتحقق لكامبل إثبات ذلك قام بسرد بعض البشارات في الكتب السابقة والتي يرى فيها المسلمون أن المقصود بها هو محمد (ﷺ)، ثم راح كامبل يدلل على أن هذه البشارات ليس المقصود منها محمد (ﷺ).

ولم يكتف كامبل بذلك بل تعرض للمعجزات التي يرى المسلمون أنها تحققت على أيدي محمد (ﷺ) وأنها من علامات نبوته (ﷺ) متناولاً إياها بالنقد والتركيز على أنها ليست شيء.

وهذه الطريقة التي نحاها كامبل في استدلالاته وانتقاداته تلزم البحث أن يتناول هذه الرؤية بكل موضوعية عامدًا في ذلك إلى ذات الأدلة وذات الطريق اللذين استخدمهما كامبل عند نقده لنبوة محمد (ﷺ) ونفي الأدلة عنها.

وقد جاءت مجمل استدلالات كامبل حول ما يلي:

- إن محمدً(ﷺ) لم يأت مع آخرين يشهدون له حين قال أنه نبي.
- ليس في القرآن ذكر آية أو نبوة لما جاء به.
- لم يتنبأ به الأنبياء قبله.
- أن المسيح قد أنبأهم أن لا نبي بعده وأن محمد (ﷺ) لم يأت بمعجزات كالتي جاء بها موسى وعيسى (عليهما السلام) وإن كانت له معجزات فلا تكفي وحدها للبرهنة على صحة رسالته، وأخيرًا فإن رسالة محمد (ﷺ) لا تتفق مع وحي من سبقوه من أنبياء الله السابقين.

وقبل أن نبحث فى صحة أو خطأ ما قاله "كامبل" عن نبوة محمد (ﷺ) نلفت النظر ها هنا إلى وجود علاقة دائمة عند الباحثين في الأديان بين دراساتهم للأديان وقضية إثبات النبوة، ومن يطالع كتابات القدماء والمحدثين من علماء الأديان يجد أن مسألة تثبيت نبوة محمد (ﷺ) وثيقة الصلة بدراسة الأديان والمذاهب، وذلك أننا إذا نظرنا فيما كُتب فى الأديان من كتابات فى مختلف مراحل التاريخ الإسلامى فسنجد أن جميعها – أوجُلَّها – تربط بين دراسة الملل والأديان، وبين تثبيت نبوة محمد (ﷺ) فى مواجهة من أنكر النبوة – فى بعض الأديان – كاليهود والنصارى، أو من أنكرها – كلية كالبراهمة، بل إن غالبية هذه الدراسات والكتابات تَعْتَبِر ذلك من باب التلازم

الحتمي ، بحيث لو كان الحديث عن الأديان والعقائد دون البحث فى نبوة محمد (ﷺ) وإثباتها بالأدلة والمعجزات وبما ورد فى التوراة والإنجيل من البشارات به فإنه يُعدُّ مبتورًا منقوضًا. [1]

وإذا عدنا – ثانيةً– إلى الأسس التى بنى "كامبل" – وغيره من النصارى– رفضهم لنبوة محمد(ﷺ) فيمكن إجمالها فيما يلى:

أولاً : يرفض "كامبل" بشارة المعزى (الفارقليط) التى ذكرها "يوحنا" واستدل بها "بوكاي" على أنه المقصود هنا تسْمَعُ ويتكلم – تنطبق على محمد(ﷺ)، بل تنصرف على الروح القدس الذى يحلُّ فى التلاميذ بعد ذهاب المسيح عليه السلام.

ثانيًا : عدم اتفاق رسالة محمد (ﷺ) مع وحى من سبقوه من أنبياء الله السابقين، وأن المعجزات وحدها – إن وجدت– فلا تكفى للبرهنة على صحة نبوة محمد (ﷺ)، كما أن رسالته لم تتفق مع وحى من سبقوه من الأنبياء.

ثالثاً : أن الأنبياء السابقين لم يبشروا بمحمد(ﷺ).

فأما عن النقطة الأولى : فقد ورد فى "يوحنا" على لسان المسيح البشارات التالية : **[إِنْ كُنتمْ تحِبُونَنِي فاحفَظُوا وَصَايَايَ وَأنا أطْلُبُ مِنَ الآبِ فيُعْطِيكُمْ مُعَزِيًا آخَرَ**

---

[1] انظر: "جهود القاضى عبد الجبار فى دراسة الأديان" ، ص٣٥٧. وانظر أيضًا – على سبيل المثال – "محمد فى الكتاب المقدس" ، للدكتور عبد الأحد داود من ص٢١١ – ٢١٦، وما بعدها ، انظر : "الدين والدولة فى إثبات نبوة محمد (ﷺ)" ، للمهتدى على بن الطبرى ، وانظر: "الإعلام بمناقب الإسلام"، الفيلسوف أبى الحسن العامرى ، تحقيق د. أحمد عبد الحميد غراب ، نشرة الرياض ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، وانظر: "إفحام اليهود للمهتدى السموأل بن يحيى المغربى – كان يهوديًا فأسلم – بتحقيق د.محمد الشرقاوى ، انظر: "مقامع هامات الصلبان" ، لأبى عبيدة الخزرجى القرطبى، وانظر: "الرد على النصارى" ، لأبى البقاء صالح الجعفرى ، تحقيق د. محمد حسانين ، نشر مكتبة وهبة ١٩٨٨ ، وانظر: "تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب" ، للمهتدى عبد الله الترجمان ، تحقيق د. محمود حماية طبعة دار المعارف، ط٢، ١٩٨٤، وانظر: "إظهار الحق" ،لرحمة الله الهندى، انظر: " مسالك النظر فى نبوة سيد البشر" ، لحسن بن سعيد الإسكندرانى – كان يهوديًا فأسلم ، تحقيق د. محمد الشرقاوى ، نشر مكتبة الزهراء، ط٢، ١٩٩٢م، وهؤلاء وغيرهم كثير.

لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ العَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ] [(١)]

وقول المسيح : [وَأَمَّا المُعَزِّي الرُّوحُ القُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ][(٢)]، وقوله : [إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ المُعَزِّي وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ العَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ.أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى بِرٍّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضاً. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هَذَا العَالَمِ قَدْ دِينَ. «إِنَّ لِي أُمُوراً كَثِيرَةً أَيْضاً لأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ][(٣)] وقوله : [وَمَتَى جَاءَ المُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي][(٤)]

يعتقد "كامبل" ومعه النصارى أن كلمة "فارقليط" فى اليونانية Paracletos تشير إلى روح الله القدوس المعزى (المعزى (الفارقليط)) الذى يسكن فى كل مؤمن ليعينه لينتصر على الخطيئة. وهو غير الملاك جبريل [(٥)]

وفى الحقيقة إن من يدقق النظر فى هذه البشارات التى جاءت عند "يوحنا" يدرك بوضوح أن هذا الاعتقاد عند "كامبل" –وغيره من النصارى– اعتقاد خاطيء؛ وذلك لأن هذه النصوص يمكن أن نستجلى منها أمورًا توضح لنا خطأ هذا المعتقد :

الأمر الأول : قول المسيح في النص السابق "روح القدس" (الحق) الذى يرسله الأب باسمى ، هذا النص يشير إلى أن الأرواح التى هى منسوبة – لفضل شرفها – إلى الله تعالى صنفان :

---

(1) انظر : الإصحاح الرابع عشر، ١٥ –١٧.

(2) انظر: الإصحاح الحادى عشر، ٢٦ – ٢٧.

(3) انظر: يوحنا ، الإصحاح السادس عشر ، ص ٧–١٥.

(4) انظر : يوحنا ، الإصحاح الخامس عشر، ص٢ – ٢٧.

(5) انظر: السابق من هذا البحث ، ص

أحدهما : *النطقية ؛ التى بها يُتوصل إلى العقل*. ومتى تهذبت هذه الروح كانت طهارتها سببًا للعصمة من الشرور؛ كما قال – تعالى جَدُّ– فى صفة الأبرار:
﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾(١)

والآخر : *القدسية التى خص بها الأنبياء* – صلوات الله عليهم – فتوصلوا بمكانها إلى إقامة الدين، وإليه يتجه قوله تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(٢)

وكان عيسى (عليه السلام) من الخصوصية بهذا الروح بحيث سُمِّيَ باسمها على الإطلاق ، فقيل : روح الله وكلمته(٣)، وقد قال تعالى : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾(٤)

ثم لم ينل أحدٌ من مزية التأييد بها غير محمد (ﷺ) ، وبه نطق القرآن: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾(٥) وبقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾(٦) وبه شهد لنفسه (ﷺ) بقوله : "إن روح القدس نفث فى روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته"(٧)

وإذا تحقق هذا فقد ظهر أن قول المسيح : "إنه معبوث باسمى" معناه أن يُبعث والذى سُمِّيتُ به، وهو الروح – أى ومعه الروح القدس فيكون هذا القول نظيرًا لقولنا: بُعث بالهدى ودين الحق، وأى ومعه الهدى ودين الحق. (٨)

---

(1) سورة المجادلة ، آية ٢٢.

(2) سورة غافر : آية ١٥.

(3) وهو قول الله رب العالمين : ﴿ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ . . . ﴾ [النساء : آية ١٧١].

(4) سورة البقرة : آية ٨٧ ، ٢٥٣.

(5) سورة الشورى : آية ٥٢.

(6) سورة النحل : ١٠٢.

(7) رواه أبو نعيم فى الحلية ،صححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٢٠٨٥.

(8) انظر: "الإعلام بمناقب الإسلام" ، ص٢٠٦ ، ٢٠٧.

الأمر الثـانى : إذا سلمنا مع "كامبل" بأن المعزى (الفارقليط) هو الروح القدس، فبأى اعتقادٍ من اعتقادات النصارى نقول ؟ أهو نـور الله الـذى يقذفـه الله فـى قلـوب المخلصين من عباده؟ أم هو الملاك جبريل؟ أم هو الإله الذى أقر بألوهيتـه مجمـع نيقية ٣٢٥م.

إن من يتتبع النصوص التى تتحدث عن الروح القدس فى أناجيـل النصـارى يجدها مليئة بالكثير من الأحداث التى شارك فيها الروح القدس؛ غير أن هناك نصوصًا تورد ذكره مرة بمعنى جبريل – عليه السلام – ومرة بمعنى الوحي الإلهي، وأخـرى بمعنى النصر والتأييد للمؤمنين[1]، من ذلك ما أخبر به "يوحنا" يحي (عليـه السـلام) عندما عرف العلامة على المسيح من نزول الروح القدس عليه مثل حمامة، إذ قال :

---

[1] هذه الصفات للروح القدس هى التى صدقها القرآن الكريم المنزل على خاتم المرسلين، والمصـدق لمـا بين يديه من الكتب السابقة ، والمهيمن عليها، فقد جاء الروح فى القرآن الكريم على عدة أوجه كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله منها :

١- الوحى الإلهى ، قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (سورة النحل ، آية ٢)، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (سور الشورى، آية ٥٢).

٢- القوة والثبات والنصرة التى يؤيد بها من يشاء من عبادة المؤمنين، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ (سورة المجادلة:٢٢)

٣- ويأتى الروح بمعنى جبريل – عليه السلام – قال تعـالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (سورة الشـعراء ١٩٢ –١٩٥) ، وقـال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (سورة البقرة ٨٧) وهو روح القدس، قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (النحل : ١٠٢).

٤- الروح التى سأل عنها اليهود ، فأجيبوا بأنها من أمر الله ، قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (سورة الإسراء : ٨٥) ، وقد قيل إنها الروح المذكورة فى قوله تعـالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (سورة النبأ ٣٨)، وقال تعـالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾(سورة القدر: ٤).

٥- المسيح عيسى بن مريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (سورة النساء: ١٧١) ، وقال تعالى : ﴿ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾(سورة التحريم:١٢) (انظر: الروح لابن القيم ، ص٢٤٠ ، ٢٤١)

[إنّي قدْ رَأيتُ الرُّوحَ نازِلاً مِثلَ حَمامَةٍ مِنَ السَّماءِ فاستَقرَّ عَلَيهِ. وَأنا لَمْ أكُنْ أعرِفُهُ لكِنَّ الّذي أرسَلَني لأُعَمِّدَ بالمَاءِ ذاكَ قالَ لي: الّذي ترَى الرُّوحَ نازِلاً وَمُستقِراً عَلَيهِ فهَذا هُوَ الّذي يُعَمِّدُ بالرُّوحِ القُدُسِ][1] وهذا يدل على أنه أمين الوحي جبريل عليه السلام بدليل قوله:[**فلَمَّا اعتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلوَقتِ مِنَ المَاءِ وَإذا السَّماوَاتُ قدِ انفَتَحَت لهُ فرَأى رُوحَ اللهِ نازِلاً مِثلَ حَمامَةٍ وَآتِياً عَلَيهِ**][2]

وجاءت الروح بمعنى – جبريل – عليه السلام – فى سفر أشعياء الذى يدين به النصارى: **[وَلكِنَّهُمْ تمَرَّدُوا وَأحزَنوا رُوحَ قُدسِهِ فتحَوَّلَ لهُمْ عَدُوّاً وَهُوَ حارَبَهُمْ]** [3]، وجاء أيضًا عن داود عليه السلام: **[روح الرب تكلم بى وكلمته على لسانى]**[4] ، وجاء أيضًا فى سفر دانيال: **[وَسَمِعتُ صَوتَ إنسَانٍ بَينَ أولاَيَ فنادَى وَقالَ: [يَا جِبرَائِيلُ فهِّمْ هذا الرَّجُلَ الرُّؤيا]**[5] ، وجاء أيضًا : **[إذا بالرَّجُلِ جِبرَائيلَ الّذي رَأيتُهُ فِي الرُّؤيَا فِي الابتِدَاءِ مُطاراً وَاغِفاً لمَسَني عِندَ وَقتِ تقدِمَةِ المَسَاءِ. وَفهَّمَني وَتكَلَّمَ مَعِي وَقالَ: [يَا دَانِيَالُ إنّي خرَجتُ الآنَ لأُعَلِّمَكَ الفَهْمَ]**[6]

كما أن هناك نصوصًا أخرى تبين أن الروح القدس كان مع داود (عليه السلام)[7] وأنه بشر زكريا[8] ، ومريم[9]، وأن يحيى والمسيح – عليهما السلام–[10] وكذلك تلاميذ المسيح ورسله كان يعضدهم الروح القدس، ويحل عليهم، ومنه يمتلئون، ويؤيدهم بالنصر[11]. كما بينتْ النصوص أن المسيح – عليه السلام – حذر

(1) يوحنا : ١/٣٢-٣٣.

(2) متى : ٣/١٤ – ١٦.

(3) انظر: سفر إشعياء (٦٣/ ١٠)

(4) انظر: صموئيل الثانى (٢٣/١)

(5) انظر: سفر دانيال (٦/١٦-١٧)

(6) انظر: سفر دانيال (٩/٢١)

(7) انظر: (إنجيل مرقس : ١٢/٣٦ ، وإنجيل متى : ٢٢/٤٣)

(8) انظر: (إنجيل لوقا : ١/١٣ –١٥).

(9) انظر: (إنجيل متى : ١/١٨).

(10) انظر: (إنجيل لوقا : ٣/٢١-٢٢).

(11) انظر: (إنجيل متى ١٠/١٧-٢٠) ، (أعمال الرسل : ٤/١ – ٨).

اليهود من ألفاظ السوء التى يقولونها على الروح القدس، وأن من يفعل ذلك فلن يغفر له لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، فقال: [**لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس، ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى**](1) وكما قل أيضًا: [**الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تغفر لبنى البشر والتجاديف التى يجدفونها، ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلي الأبد، بل هو مستوجب دينونة أبدية، لأنهم قالوا: إن معه روحًا نجسًا**](2)

ومن ينعم النظر فى الأوصاف التى وردت عن الروح القدس فى هذه النصوص يجد أن النصارى يتفقون مع اليهودية والإسلام حيث يقال بأن الروح القدس هو جبريل – عليه السلام – الذي ينزل بالوحي الإلهي على الأنبياء والذى ينصر الله به المؤمنين ويؤيدهم بالقوة التي ملكه الله إياها، وقد وردت الإشارة إليها – أى هذه القوة– فى سفر أعمال الرسل إذ يقول فيه المسيح – عليه السلام – : [**روح الرب علىّ لأنه مسحني لأبشر المساكين، وأرسلنى لأشفى المنكسري القلوب**](3)، ويقول أيضًا: [**يسوع الذى من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذى جال يصبح خيرًا ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه**](4) ففى هذين النصين نجد أن الروح القدس مرادفًا للفظ القوة، أى أنه القوة إلى أيد الله بها المسيح –عليه السلام– واستطاع بهذه القوة شفاء الأمراض، وإجراء المعجزات ، بإذن الله تعالى ، وهى القوة التى أيد بها أنبياءه ورسله، ومن شاء من عباده المؤمنين. (5)

وعليه فإذا كانت أناجيل النصارى بنصوصها تبين لنا بوضوح أن الروح القدس وأوصافه تتطابق تطابقًا تامًا مع جبريل عليه السلام الذى نزل بالوحى على كل

---

(1) انظر : (إنجيل يوحنا : ١/-٣٢-٣٣)

(2) انظر: (إنجيل مرقس: ٣/٢٨-٣٠) ، و(إنجيل لوقا : ١٢/١٠).

(3) انظر : (إنجيل لوقا : ٤/١٨).

(4) انظر: (سفر أعمال الرسل : ١٠/٣٨).

(5) انظر: ما سبق من هذا البحث ، ص ٢٦٥ – ٢٦٧

الأنبياء والرسل ومنهم عيسى (عليه السلام) كما تقول الأناجيل ، فلا يمكن أن يكون الروح القدس بهذا المعنى المعزى (الفارقليط) الذى بشَر بـه المسيح وقال إن الله سيرسله بعده، إذ كيف يكون الروح القدس هو الذى يؤيد المسيح فى معجزاته بالقوة التى ملَّكه الله إياَّها، وهو الذى يوصِّل إلى المسيح الوحى الذى يوحيه الله إليه؛ من هو الذي سوف يأتيه بعد أن يذهب المسيح عليه السلام ؟!

ويبقى السؤال : إذا كانت النصرانية الأولى فى عصر المسيح وبعد رفعه تؤمن بأن الروح القدس هو جبريل – عليه السلام – كما يظهر ذلك من النصوص ، فهل ظل هذا هو الاعتقاد السائد لدى النصارى الذين جاءوا بعد المسيح بقرون أم حرفوه ؟

إذا كانت هناك نصوصٌ فى الأناجيل تصف الروح القدس بذات الأوصاف التى يوصف بها جبريل عليه السلام – كما سبق – فإننا نجد أمورًا قد ظهرت فى النصرانية بمرور الزمن جعلتهم يصفون الروح القدس بأوصاف أخرى تَعْدِل أوصاف الإله سبحانه وتعالى من غير تفريق بينهما.

يقول قاموس الكتاب المقدس: "ويعلمنا الكتاب المقدس بكل وضوح عن ذاتية الروح القدس، وعن ألوهيته، فنسب إليه أسماء الله كالحى، ونسب إليه الصفات الإلهية كالعلم، ونسب إليه الأعمال الإلهية كالخلق، ونسب إليه العبادة الواجبة لله".[1] .

غير أن هذه المرتبة من الألوهية التى وضع النصارى فيها روح القدس لم تأتي هكذا دفعة واحدة – بعد أن كان الأوائل منهم يعتقدون بأن جبريل الذى يحمل الوحي إلى الأنبياء ويؤيدهم وينصرهم – بل إن هذا الأمر اتخذ مراحل حتى يصلوا إلى إقرارهم بألوهية الروح القدس. من هذه المراحل :

أ) بعد أكثر من ثلاثة قرون من رفع المسيح (عليه السلام) اجتمع الخلق من النصارى فى نيقية سنة ٣٢٥م وصدر عن هذه الاجتماع أول قانون إيمان مقدس لهم، أقروا منه اعتقاد ألوهية المسيح (عليه السلام) كما أشاروا فيه إلى الروح

(1) انظر: "قاموس الكتاب المقدس" ، ص٤١٤.

القدس بقولهم : "ونؤمن بالروح القدس"[1] دون أن يذكروا حقيقته والأعمال الموكولة إليه، وإنما أعلنوا إيمانهم به فقط ولعل عدم ذكرهم لحقيقته لأجل تبرئة أنفسهم من الافتراء اليهودي على الروح القدس.

ب) وبعد أكثر من خمسين سنة عقدوا مجمعًا آخر فى مدينة القسطنطينية سنة ٣٨١م، فأقروا قانون الإيمان السابق فى نيقية ، ثم أضافوا الاعتقاد بألوهية الروح القدس، مع بيان بعض صفاته، فقالوا: "ونؤمن بالروح القدس الرب المحي المنبثق من الآب، الذى هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق فى الأنبياء"[2]

وبعد أن أقروا فى مجمع القسطنطينية قانون مجمع نيقية السابق المتضمن اعتقاد ألوهية المسيح، ثم إضافتهم اعتقاد ألوهية الروح القدس ، فقد اكتملت عند النصارى الأقانيم الثلاثة **ويبقى السؤال أيضًا – إذا سلمنا مع النصارى القائلين بأن الروح القدس هو الأقنوم الثالث وأنه إله له الأوصاف الكاملة من الخلق والبعث والنشور – وعند ذلك – فكيف يمكن أن يبشر المسيح الذى هو عند النصارى أقنوم من هذه الأقانيم بأن أقنومه الثانى (الروح القدس) الذى يشاركه فى تدبير أمور الخلائق على النحو المعروف للألوهية – بأنه هو المعزى (الفارقليط) الذى سيأتى بعده، إذ كيف يكون إلاهًا معه قبل أن يخلق الخلق وقبل أن تخلق السموات والأرض ثم هو يأتى بعده؟!**

الأمر الثالث: إذا كانت النصوص الإنجيلية قد أيدتنا فى رفض ما ذهب إليه النصارى من أن الروح القدس هو الذى يقصده النصارى بأنه تجلى فى التلاميذ فألهمهم أقوال المسيح لأنه هو المعزى (الفارقليط) الذى بشَّرهم به فى إنجيل يوحنا، فهل إذا حللنا ودرسنا مدلول الكلمة نفسها (المعزى (الفارقليط)) يمكن أن نجد فيه أي شيء يؤيد النصارى فيما ذهبوا إليه من أن المعزى (الفارقليط) هو الروح القدس ؟

---

[1] انظر: "تاريخ الفكر المسيحى"، لحنا جرجس الخضرى ، ٦٣١/٤ ، دار الثقافة ،القاهرة ، ١٩٨١م.

[2] انظر: السابق ، ٦٦٥/٤-٦٦٦.

أ) المعنى اللغوى للفارقليط :

حلل شيخ الإسلام ابن تيمية المعانى التى وردت فى كلمة المعزى (الفارقليط) فذكر منها: أنه الحمَّاد، والحمد ، والحامد، والمعِزّ (فى لغة اليونان) ، والمخلصَ (فى السريانية) وقالوا : هو مشتق من قولنا: "فار" ويقال بالسريانية "فاروق" فجُعِلَ فارق ، قالوا: ومعنى "ليط" كلمة يراد بها التثبت والتقدير، كما يقال فى العربية: رجل هو، وحجر هو، وبدر هو، وذكر هو.

قالوا : وكذلك يراد فى السريانية "ليط".

والذين قالوا : هو المعزُّ، قالوا : هو فى لسان اليونان ، المعزِّي.

ويعترض على هذين القولين بأن المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية. (١)

وقد ترجمت كلمة المعزى (الفارقليط) عند النصارى إلى المعزى (المعزى (الفارقليط)) وأضافوا إليها روح القدس حتى تنصرف إلى روح القدس الذي ينزل على تلاميذ المسيح ولا تنصرف إلى نبى يأتى بعده ومن يتتبع ترجمة كلمة المعزى (الفارقليط) يجد أيضًا لا يمكن أن تكون المعزى (المعزى (الفارقليط) أو المحامى أو الشخص الذي يُدْعى للمساعدة، أو الوسيط، فالكلمة اليونانية المرادفة لذلك المعنى هى (باراكالون Paracalon) من الفعل (باراكالو Parakaloo) الذى يعنى "ينادى ، يدعو ، يحث، يعزى ، يرجو، يناشد".

ففى العبارة "الشخص الذى يعزينا فى جميع أحزاننا" – مثلاً – تستعمل كلمة Paracalon وليس Paraclytos.

كما أن هناك كلمة يونانية أخرى مرادفة لكلمة "معزى" وهى (باريجوريش Parygorytys) بمعنى (أنا أعزى).

---

(١) انظر : "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" ، جـ ٨/٤.

وأيضًا فاللفظة اليونانية المرادفة لكلمة Advocate (محامى) هى Sanegorus ولكلمة "وسيط" أو "شفيع" هى "Meditea" ميديتا. [١]

ويقول البروفيسور عبد الأحد داود [٢]:

(البرقليطوس) ليس المعزى ولا (الوسيط) والمسيح لم يستخدم كلمة "باركلون –Parakalon) اليونانية قطعًا.

وإن كلمة (برقليطوس) تعنى من الناحية اللغوية البحتة (الأمجد والأشهر والمستحق للمديح) وقد ورد ذلك فى القاموس اليونانى.

والاسم مركب من مقطعين ، الأول (Par) والثانى (kleitos) مشتق من التمجيد والثناء ويكتب (Periqlytos أو Periqleitos) مما يعنى تمامًا اسم أحمد باللغة العربية، أى أكثر ثناءً وحمدًا، فليس هناك أدنى شك أن (محمد) أو (أحمد) هو المعنى بكلمة (الفارقليط) فالاسمان متطابقان فى اليونانية والعربية وكلاهما بمعنى الأشهر والأحمد تمامًا. [٣]

ب) المعنى الاصطلاحى للفارقليط عند النصارى.

يذهب النصارى ومعهم "كامبل" إلى أن المعزى (الفارقليط) هو المعزى (المعزى (الفارقليط)) والروح القدس الذى نزل فى عيد الخمسين – عيد الحصاد – وبلبل ألسنة التلاميذ وأنطقهم بلغاتٍ مختلفة.

---

(1) انظر: "منهج ابن تيمية فى دراسة النصرانية" ، ٣٧١ – ٣٧٢.

(2) عبد الأحد داود ، كان اسمه قبل إسلامه : دافيد بنجامين كلدانى، كان قسيساً للروم من طائفة الكلدان، ولد فى أروميا من بلاد فارس سنة ١٨٦٧م، وتلقى تعليمه الابتدائى فى تلك المدينة، سافر إلى روما وتلقى العلوم النصرانية فيها ، وفى عام ١٨٩٥م تم ترسيمه كاهناً، أسهم فى كتاب ونشر بعض المقالات عن الكنائس الشرقية، وكان يقوم بمهمة الوعظ والتعليم، كما تقلد مناصب أخرى، هداه الله إلى الإسلام وألف فى الرد عليهم ومن كتبه : ١- الإنجيل والصليب، ٢- محمد فى الكتاب المقدس. (انظر ترجمة وافية عنه: د. محمد بن عبد الله السحيم – مسلموا أهل الكتاب، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى عام ١٤١٧ هجرية، ج١، ص٢٣٧- ٢٥٩.

(3) انظر: "محمد فى الكتاب المقدس" ، ص١٩٤ – ٢٠٠ ، لعبد الأحد داود – ترجمة فهمى شما – مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق – من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية بقطر.

وهذا الذى ذهب إليه النصارى يظهر بطلانه من وجوه كثيرة منها:

أولاً : أن روح القدس مازالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده، وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب، ولكن لم يسمعها أحد أو يصفها بالمعزى (الفارقليط)، وهذا يدل على أن المعزى (الفارقليط) أمرٌ غير هذا. [١]

ثانيًا: أن المعزى (الفارقليط) وُصِفَ بصفات لا تناسب هذا (أى الروح) وإنما تناسب رجلاً يأتى بعد المسيح ونظيرًا له، وقد دلت عدة أمور فى بشارة يوحنا على ذلك:

١) أنه "فارقليطًا آخر" وهذا يدل على أنه ثان لأول كان قبله، ولم يكن معهم فى حياة المسيح إلا هو لم تنزل عليه روح، فعلم أن الذى يأت بعده نظيرًا له وليس أمرًا معتادًا يأتى الناس.[٢]

٢) أن هذا المعزى (الفارقليط) يشهد للمسيح أمام الناس ويعلمهم كل شئ ، ويذكرهم كل ما قال ويوبخ العالم على الخطيئة، ويرشد الناس إلى جميع الحق، وهو لا ينطق عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبرهم بكل ما يأتى، ويعرفهم جميع ما لربِّ العالمين، وهذا لا يكون ملكًا لا يراه أحد، ولا يكون هدى ولا علمًا فى قلب بعض الناس، بل لا يكون إلا إنسانًا عظيم القدر، يخاطب الناس بما أخبر به المسيح وهذا لا يكون إلا بشرًا رسولاً ، بل يكون أعظم من المسيح، فالمسيح قد بيَّن أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح من خطاب الناس فى أمور عظيمة، لا تحملها عقول أولئك. [٣]

٣) أن النصارى مقرون بالأقانيم الثلاثة وهذا يقضى بأن الروح متحد بالآب مطلقًا وبالابن نظرًا إلى لاهوته اتّحادًا حقيقيًا، فلا يصدق فى حقه "فارقليط آخر" بخلاف النبى المبشر به، فإنه يصدق هذا القول فى حقه بلا تكلف. [٤]

---

(1) انظر: "الجواب الصحيح" ، ج٤/٩.

(2) انظر: السابق ، ص١٠.

(3) "الجواب الصحيح"، جـ٤/١١.

(4) "إظهار الحق" ، جـ٤/١١٩٢.

٤) أن عيسى عليه السلام قال "هو يذكركم كل ما قلته لكم" ، ولم يثبت من رسالة من رسائل العهد الجديد أنّ الحواريين كانوا قد نسوا ما قالـه عيسـى عليـه السلام وهذا الروح النازل يوم الدار[1] ذكرهم إياه.[2]

٥) أن عيسى عليه السلام قال : "هو يشهد لأجلى".

وهذا الروح ما شهد لأجله بين أيدى أحد، لأن تلاميذه الذين نزل عليهم مـا كـانوا محتاجين إلى الشهادة، لأنهم كانوا يعرفون المسيح حق المعرفة قبل نزوله أيضًـا، فلا فائدة للشهادة بين أيديهم، والمنكرون الذين كانوا محتاجين للشهادة، فهذا الروح ما شهد بين أيديهم بخلاف محمد (ﷺ)، فإنه شهد لأجل المسيح عليـه السـلام، وصدقه، وبرَّأه من ادعاء الألوهية الذى هو أشد أنواع الكفر والضلال، وبـرأ أمه عن تهمة الزنا، وجاء ذكر برائتهما فى القرآن في مواضع متعددة.[3]

٦) أن عيسى عليه السلام قال : "وأنتم تشهدون لأنكم معي" فهذا القول يدل دلالة ظاهرة على أن شهادة الحواريين غير شهادة المعزى (الفارقليط)، فلـو كـان المراد به الروح النازل يوم الدار فلا توجد مغايرة بين الشهادتين، لأن الـروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة غير شهادة الحواريين، بل شهادة الحواريين هى شهادته بعينها.[4]

٧) أن عيسى عليه السلام قال : "إن لم أنطلق لم يأتكم المعزى (الفارقليط) فأمّا إن انطلقت أرسلته إليكم".

فعلق مجيئه بذهابه، وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين فى حضوره لمّـا أرسلهم إلى البلاد الإسرائيلية، فنزوله ليس بمشروط بذهابه، فلا يكون مـرادًا

---

[1] يوم الدار المقصود به : يوم عيد الحصاد عند النصارى.

[2] السابق ، ص١١٩٢.

[3] السابق، ص١١٩٣ ، ومن هذه المواضع فى القرآن الكريم : "آل عمـران ٣٣-٦٣، النسـاء: ١٥٥-١٧٣، المائدة : ٧٢ – ٧٥ ، ١١٠ – ١١٨، ومريم : ١٦-٣٦، والمؤمنون : ٥٠، والتحريم : ١٢.

[4] السابق : ص١١٩٣ – ١١٩٤.

بفارقليط، بل المراد به شخص لم يستفض منه أحد من الحواريين قبل زمان صعوده، وكان مجيئه موقوفًا على ذهاب عيسى عليه السلام، ومحمد(ﷺ) كان كذلك، لأنه جاء بعد ذهاب عيسى عليه السلام، وكان مجيئه موقوفًا على ذهاب عيسى عليه السلام، لأن وجود رسولين ذوى شريعتين مستقلتين فى زمان واحد غير جائز، بخلاف ما إذا كان الآخر مطيعًا لشريعة الأول، أو يكون كل من الرسولين مطيعًا لشريعة واحدة. (١)

٨) قال عيسى عليه السلام : "أما على الخطيّة فلأنهم لم يؤمنوا بى".

وهذا يدل على أن فارقليط يكون ظاهرًا على منكري عيسى عليه السلام موبخًا لهم على عدم الإيمان به والروح النازل يوم الدار ما كان ظاهرًا على الناس مُوَبِّخًا لهم. (٢)

٩) أن عيسى عليه السلام قال:"لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع".

وهذا يدل على أن فارقليط يكون بحيث يُكذِّبه بنو إسرائيل، فاحتاج عيسى عليه السلام أن يقرر حال صدقه فقال هذا القول، ولا مجال لمظنة التكذيب فى حق الروح النازل يوم الدار، على أن هذا الروح عندهم يعني الله، فلا معنى لقوله: "بل يتكلم بكل ما يسمع" فمصداقه محمد(ﷺ)، فإنه كان فى حقه مظنة التكذيب، وليس هو عين الله ، وكان يتكلم بما يوحى إليه(٣) كما قال تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(٤)، وقال: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾(٥)، وقال : ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾(٦)

(1) "إظهار الحق" ، جـ٤ ، ص١١٩٤.

(2) السابق ، ص١١٩٦.

(3) السابق ، ص١١٩٧.

(4) سورة النجم ، الآيتان : ٣-٤.

(5) سورة الأنعام ، ٥٠ ، سورة يونس ،١٥ ، سورة الأحقاف ، ٩.

(6) سورة يونس ، ١٥.

وأما عن النقطة الثانية : وهي استدل به "كامبل" – ومعه النصارى – على عدم صحة نبوة محمد (ﷺ) – بزعمهم – عدم اتفاق رسالة محمد (ﷺ) مع وحى من سبقوه من الأنبياء، وأن المعجزات وحدها – إن وجدت فلا تكفى للبرهنة على صحة نبوة محمد(ﷺ)، كما أن رسالته لم تتفق مع وحى من سبقوه من الأنبياء.

أ) أما عن دعوى "كامبل" بأن رسالة محمد (ﷺ) لم تتفق مع وحى من سبقوه من أنبياء الله فهذا الكلام لم يقدم كامبل – ولا غيره من النصارى– أدلة يقينية قطعيةً عليه، وهذا يتضح خلافه إذا عُلِمَ قطعًا أن محمدًا رسول الله، وأن موسى رسول الله، وأن المسيح رسول الله، فإن عُلِمَ ذلك علم أن أخبارهم لا تتناقض.

لكن قد يخبر هذا بما لم يخبر ذاك، فيكون إخبار أحدهم زياداتٍ على أخبار غيره، لا ما يناقض خبر غيره. [١]

وأهل الكتاب والمسلمون متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها، إما عمدًا، وإما خطأً؛ فى ترجمتها وفى تفسيرها وشرحها وتأويلها، ولم يتنازعوا إلا فى : في القدر الذي وقع فيه التحريف وفي طبيعة ذلك التحريف ؟ [٢]

فإذا كان الأمر كذلك وادُّعى على محمدٍ (ﷺ) أن ما جاء به مناقض لما جاء به الأنبياء قبله، فلابد لصاحب هذا الإدعاء من أن يُثبت لنا عدة أمور :

الأول : ثبوت ذلك اللفظ عن ذلك النبى الذى ناقضه محمد ولم يتفق معه.

الثانى : ثبوت معنى ذلك اللفظ الوارد عن ذلك النبى (ﷺ).

فهذان الأمران لابدَّ لكل من يحتج بنقل عن نبى أن يثبت لنا تحققه وتحققنا من ثبوتهما، وعليه فإذا تكلمنا عن التوراة والإنجيل قلنا : إذا كان النقل ليس بلغة النبى، بل بلغةٍ أخرى فلابد من الترجمة الصحيحة، وعامة النصارى، ليس عندهم كتب الأنبياء بلغة الأنبياء.

---

(1) "الجواب الصحيح" ، جـ٣/٢٦٣.

(2) السابق : ص٢٦٤.

فإن موسى والمسيح ومن بَيْنَهُمَا من أنبياء بني إسرائيل، إنما كانوا يتكلمون باللغة العبرانية.

والمسيح كان عبرانيًا، لم يتكلم بغير العبرانية، وإنما تكلم بعض من اتبعه بغيرها، كالسريانية واليونانية والرومية...وإن كان فيهم قليل ممن يتكلم بالعبرانية.[١]

وهذه القضية تجعلنا نرتب أمرًا ثالثًا على الأمرين السابقين وهو : من احتج من أهل الكتاب بشئ من كلام الأنبياء المنقولة بالرومية والسريانية، أو بالعبرانية، فإنه يحتاج – مع إثبات النقل – إلى إثبات الترجمة وصحتها، فإنهم كثيرًا ما يضطربون فى الترجمة ويختلفون فى معناها. [٢]

ومن ينعمْ النظر فى هذه الأمور الثلاثة المتقدمة يعلم أن ما عُلِمَ أن محمدًا(ﷺ) أخبر به فقد قامت الأدلة القاطعة اليقينية على صدقه وصدق ما أخبر به، أعظم مما قامت على صِدْق غيره وصدق ما جاء به، فمهما عارض ذلك عُلِمَ أنه كذب على الأنبياء..وعُلِمَ أيضًا أن كل ما يحتج به أهل الكتاب على مخالفة ما ثَبُتَ عن محمد(ﷺ) – فى ضوء الأمور الثلاثة السابق – لا يمكن أن يقوم لهم عليه دليل لا شرعى ولا عقلي. [٣]

وقد جمع شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمةُ الله عليه – حجج النصارى – فى هذا الباب فى نوعين فقال[٤]: ما يحتجون به إمَّا أن يكون حُجَّةً عقلية، وإما أن يكون سمعية. أما العقليات فمن احتج من اليهود أو النصارى بحجة عقلية على مخالفة شيء من دينه فلها أجوبة.

أحدها : أن يبين أن ذلك يلزم غيره من الأنبياء، فإنهم جاءوا بذلك أو بأعظم منه فلا يقدح أحد بحجة عقلية فى محمد (ﷺ)، إلا كان ذلك قد جاء بطريق الأوْلَى فى

---

(1) السابق ، نفس الموضع.

(2) السابق ، نفس الموضع.

(3) "الجواب الصحيح" ، جـ٣ ، ص٢٦٦.

(4) السابق ، ص٢٦٦ – ٢٦٧.

غيره من الأنبياء.. ويمتنع أن يكون موسى وعيسى وداود بُرَاءُ، مما يقدح فى ثبوتهم إلا ومحمدٌ أبرأ مما يقدح فى نبوته.

الثانى: أن يُبَيِّنَ أن مثل تلك الحجة لا تصلح أن يعارض بها ما جاءت به الأنبياء، كما إذا أخذ بعض الناس يطعن فى شيءٍ من الشرائع بالرأى بُيِّن له أن ما ثبت عن الأنبياء، لا يعارض برأي ولا قياس.

الثالث: أن يُبَيِّنَ فساد تلك الحجة العقلية ، من ناحية.

إن كانت من باب الخبريات بُيِّن فسادها أن جميع ما يحتج به فإنه باطل... وإن كان من باب الطلبيات، فهى من باب الأمر والنهى.

وأما إذا احتج أهل الكتاب بحجة سمعية على مناقضة كلامه(ﷺ) لكلام الأنبياء قبله (ﷺ) ، فسواء كانت الحجة من كلامه ، أو كلام غيره من الأنبياء عليهم السلام كان الجواب عليها من وجوه :

أحدها: أن يقال لهم : لا يمكنكم أن تصدقوا بنبوة نبي من الأنبياء مع التكذيب بمحمد(ﷺ)، فإنكم والطريق التى بها تثبت نبوة الأنبياء، تثبت نبوة محمد بمثلها وبأعظم منها، بل نحن نتبين أن التصديق بنبوته، أَوْلَى من التصديق بنبوة غيره، لأن كل ما يستدل به على نبوة نبى، فالجواب عن محمد(ﷺ) أَوْلَى من الجواب عن غيره.

فهو مقدم فيما يدل على النبوة؛ وفيما يجاب به عن المعارضة، وهو أكمل فى ذلك، فيمتنع مع العلم والعدل أن يُصَدِّقِ بنبوة غيره، مع التكذيب بنبوته. (١)

ثانيهما: أنه لو ساغ لأهل الكتاب القول بتناقض رسالة محمد مع رسالات الأنبياء قبله وعدم اتفاقها معهم؛ لكان القول بذلك على رسالة المسيح عليه السلام أَوْلَى من القول بذلك فى حق رسالة محمد (ﷺ) وذلك لأن المسيح عليه السلام قال أنه صدق بالتوراة وقال أيضًا: "لم أجئ لأنقضها بل لأتممها"(٢)

---

(1) "الجواب الصحيح" ، جـ ٣ /٢٦٧ -٢٦٨.

(2) إنجيل متى ، ١٧/٥.

وقال : "حقًا أقول: إنه لا يبطل حرف منها حتى تبطل السماء والأرض"(١)، ثم هو عليه السلام خالف موسى صراحة، ونبذ التوراة جانبًا...ولأن عماد التوراة وملاك اليهودية وذبائحها وسننها وختانها وكهنتها وقصاصها وأحكامها، كل ذلك قد أهدره المسيح عليه السلام وأزهقه فلم يدع لهم عيدًا إلا أبطله ولا سبتًا إلا حلَّه ولا ختانًا إلا دمث فى رفضه، ولا ذبيحة إلا نهى عنها، ولا مذبحًا إلا عَطَّله ولا كاهنًا إلا هجَّره وفسقه. (٢)

ومن أدلّ الأمثلة على ذلك ما جاء فى إنجيل متى عن المسيح عليه السلام أنه كان **[فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ذَهَبَ يَسُوعُ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزُّرُوعِ فَجَاعَ تَلاَمِيذُهُ وَابْتَدَأُوا يَقْطِفُونَ سَنَابِلَ وَيَأْكُلُونَ]** ، فلم يغير ذلك ولم ينكره(٣)

وقال متى أيضًا : إن المسيح قال مؤمنًا لمن حضره من بنى إسرائيل : **[وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِعِلَّةِ الزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي]**(٤)

وقال أيضًا : **[سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضاً]**(٥)

ثالثا : على أن رسالة محمد (ﷺ) أخبرت بمثل ما أخبر به الرسل السابقون.

فإن من دلائل نبوة محمد (ﷺ) أنه أخبر بمثل ما أخبر به الأنبياء السابقون من غير مواطئة بينه وبينهم، ولم يأخذ عنهم ولم يأخذوا عنه.

---

(1) إنجيل متى ، ٥/١٨.

(2) "الدين والدولة فى إثبات نبوة محمد (ﷺ) " ، ص٢١٢.

(3) إنجيل متى ، ١٢/١-٤.

(4) إنجيل متى ، ٥/ ٣١ -٣٣.

(5) إنجيل متى، ٥/٣٨-٤٠.

وكل منهما أخبر عن الله بأخبارٍ مفصلة، يمتنع الاتفاق عليها عادة إلا بتواطؤ فإذا لم يكن تواطؤ، وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأةْ عُلِمَ أن كـلاً مـن المُخْبـرَين صادق.(١)

وقد امتلأ القرآن بالكثير من الأخبار والقصص التى قال عنهـا ربُّ العـالمين لنبيه محمد (ﷺ) إن ذلك من الغيب الذى يوحيه الله ربُّ العالمين إليه. من ذلـك مـا قصه الله عليه من قصة يوسف عليه السلام إلى أن قال له : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (٢)

كما قص عليه أيضًا قصة نوح ثم خاطب نبيه محمدًا(ﷺ) بقوله :﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣)

وقال لما ذكر قصة زكريا ومريم:﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤)

وقال لما ذكر قصة موسـى : ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥)

وقد جاء النبى (ﷺ) من غير اليهود والنصارى ومع ذلك امتلئت شـريعته(ﷺ) بكثير مما يوافق شريعتهما ، فقد صدَّق النبى (ﷺ) بموسى عليه السلام وقال إنه كليم الله ، يقول القرآن الكريم:﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ

(1) "الجواب الصحيح" ، جـ ٤ ، ص٢٢.

(2) سورة يوسف، الآية ١٠٢.

(3) سورة هود ، الآية ٤٩.

(4) سورة آل عمران، الآية ٤٤.

(5) سورة القصص، الآية (٤٤-٤٦).

عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [1] كما صدَّق بعيسى عليه السلام وقال: "إنه روح الله وكلمته اصطفاه الله وشرَّفه ورفعه إلى السماء".

ولقد جاءت دعوة الأنبياء متوافقة لا متناقضة، ومن أهم الأمور التى توافقت فيها الشرائع الثلاثة ما يلى :

أـ التوحيد بين الأنبياء الثلاثة :

وافق النبى (ﷺ) موسى وعيسى – عليهما السلام – فى التأكيد على أن الإله واحد لا شريك له.

كما حذر كل منهم من الوثنية وعبادة الأصنام. فقد جاء فى سفر الخروج عن موسى عليه السلام : **[لاَ تَسْجُدْ لِآلِهَتِهِمْ وَلاَ تَعْبُدْهَا وَلاَ تَعْمَلْ كَأَعْمَالِهِمْ بَلْ تُبِيدُهُمْ وَتُكَسِّرُ أَنْصَابَهُمْ. وَتَعْبُدُونَ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ]** [2] ، وفى سفر اللاويين يحذر الله كذلك من عبادة الأصنام ويؤكد أنه إله واحد : **[لاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى الأَوْثَانِ وَآلِهَةً مَسْبُوكَةً لاَ تَصْنَعُوا لأَنْفُسِكُمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ]** [3] ، ونجد فى سفر التثنية: **[لا تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْداً وَلا تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ وَلا تُصَاهِرْهُمْ. ابْنَتَكَ لا تُعْطِ لابْنِهِ وَابْنَتَهُ لا تَأْخُذْ لابْنِكَ. لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعاً. وَلكِنْ هَكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ وَتُقَطِّعُونَ سَوَارِيَهُمْ وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ.]** [4]

وهذا تحذير واضح لليهود من الاختلاط بالكعنانيين الذين كانوا آنذاك يعبدون الأصنام ويؤكد الربُّ فى سفر أشعياء أنه هو الرب الواحد لا إله معه **[أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلَهَ سِوَايَ.]** [5] ، وقد أكد الله ربُّ العالمين وحدانيته منذ اللحظة الأولى عندما كلم موسى على جبل الطور فقال له: **[أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتاً وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا**

(1) سورة النساء ، الآية ١٦٤.

(2) سفر الخروج ، ٢٣/٢٤ – ٢٥.

(3) سفر اللاويين : ١٩/٤.

(4) سفر التثنية : ٧/٢–٥.

(5) سفر أشعياء : ٤٥/٥.

فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهَكَ إِلَهٌ غَيُورٌ][1]

وفى الكثير من أسفار العهد القديم نجد الحث على توحيد الله والابتعاد عن عبادة الأصنام، وقد أفرد المسيح (عليه السلام) الله عز وجل بالألوهية دون من سواه: فقد جاء فى إنجيل مرقس قول عيسى – عليه السلام – : **[الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ]**[2]

وقد جاء فى إنجيل متى على لسان المسيح عندما طلب منه الشيطان أن يسجد له مقابل أن يعطيه كل الممالك ، فقال المسيح:**[اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ]** [3]

وفى رسالة بولس لأهل رومية وهو يسألهم : **[أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضاً؟ بَلَى لِلأُمَمِ أَيْضاً؟ لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ]** [4]

وهذه الدعوة إلى التوحيد من موسى وعيسى (عليهما السلام) هى عين التوحيد الذى جاء به محمد (ﷺ) وامتلئت به آيات القرآن الكريم فإذا كان موسى قد حذر اليهود – كما سبق – أن يبتعدوا عن الكنعانيين لأنهم يشركون مع الله آلهة أخرى من الأصنام؛ كذلك حذر القرآن الكريم محمدًا وأمره بالإعراض عن المشركين الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى من الأصنام ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [5] كما أرشده بقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [6]

---

(1) سفر الخروج : ٢٠/ ١-٥.
(2) إنجيل مرقس : ١٢/٣٠-٣١.
(3) إنجيل متى : ٤/١٠.
(4) رسالة بولس إلى أهل رومية : ٣/٣٠.
(5) سورة الحجر ، الآيتان (٩٤-٩٦).
(6) سورة الصافات ، الآية : ٣٥.

وخاطبهم سبحانه بقوله: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ (1)

وجعل الله ربُّ العاملين هذه الإشارات لنبيه عن هؤلاء المشركين حتى يعودوا إلى تحقيق العبودية الكاملة لله ربُّ العاملين الذى لا إله غيره ولا ربّ سواه ولهذا كان نداؤه (ﷺ) لهم ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾(2) وكان أيضًا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(3) وقال لهم أيضًا : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾(4)

بـ الختان بين الأنبياء:

الختان سنة من سنن الأنبياء، ففى الصحيح : "اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم"(5) واستمر الختان بعد إبراهيم عليه السلام فى الرسل وأتباعهم حتى عهد محمد (ﷺ).

وقد جاء فى التوراة على لسان موسى عليه السلام الأمر بالختان، إذ يقول فى سفر التكوين : [**هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ**](6) وكما جاء على لسان المسيح :[**الحق أقول لكم: إن الكلب أفضل من رجل غير مختون**] (7)

---

(1) سورة غافر: الآية ١٢.

(2) سورة الأعراف : الآية ٥٩.

(3) سورة البقرة : الآية ٢١.

(4) سورة الأنعام : الآية ١٠٢.

(5) صحيح البخارى ، كتاب الاستئذان ، باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط برقم (٥٨٢٤)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل (عليه السلام) برقم (٤٣٦٨).

(6) سفر التكوين : ١٠/١٧.

(7) إنجيل برنابا : ٢/٢٢ وإلغاء الختان من المسائل التى استحدثها بولس فى النصرانية وابتدعها لهم فوضع لهم نصوصًا يخالف فيها دعوة المسيح إلى الختان فقال فى رسالته إلى أهل رومية : [**لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ الْغُرْلَةُ**] [غلاطية ٦/٥] كما قال أيضًا : [**لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيّاً وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَاناً**] [رومية ٢٨/٢] فأبطل بولس بذلك الختان صراحة.

وقد ثبت عن النبى (ﷺ) كما فى الصحيحين : "الفطرة شيئين : الختان، والاستحداء، وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط"(١)

جـ- بشرية المسيح ونبوته ورفعه إلى السماء.

إن الناظر فى الأناجيل يجد أن معظمها – بل جُلها – يدور فى معظمه حول الحديث عن المسيح – ابن الإنسان – منذ ولادته وحتى رفعه إلى السماء، وعلى الرغم من أن اعتقاد النصارى ألوهية المسيح (عليه السلام) إلا أن الأناجيل مليئة بالنصوص التى تدل على أن المسيح بشرٌ رسول يعتمد على الله ويتوكّل عليه شأنه فى ذلك شأن كل الأنبياء أرسله الله عز وجل لتجديد شرعه لبنى إسرائيل.

ومن الدلائل على بشرية المسيح (عليه السلام)، وأنه رسول من عند الله، ما صرح به لوقا فى إنجيله حين قال: إن الناس مَجّدوا الله قائلين :[**قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ**](٢) فلم ينكر عليهم عيسى قولهم عنه أنه نبي، فضلاً عن أن يبين لهم إنه إله – كما تدعى النصارى – كيف وهو يصرح أنه مرسل من عند الله كما جاء فى إنجيل لوقا قوله عليه السلام:[**مَنْ قَبِلَ هذَا الْوَلَدَ بِاسْمِي يَقْبَلُنِي وَمَنْ قَبِلَنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي**](٣)، فهذا تصريح منه عليه السلام بأنه مرسل من عند الله كغيره من الأنبياء والرسل.

ولما قيل له اهرب انج بنفسك قال :[**لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجاً عَنْ أُورُشَلِيمَ. يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ**] (٤) فهو يصرح عليه السلام بأنه نبى رسول ، كما فى هذا النص، وكما ورد فى إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام: [**أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي**](٥)، وكما فى إنجيل يوحنا

---

(١) صحيح البخارى كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر برقم (٥٤٤١) ورقم (٥٤٣٩) ، وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة برقم (٣٧٨).

(٢) إنجيل لوقا : ١٦/٧.

(٣) إنجيل لوقا : ٤٨/٩.

(٤) إنجيل لوقا : ١٣/٢٣.

(٥) إنجيل يوحنا : ١١/ ٤١ -٤٣.

قول المسيح عليه السلام : [**وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي**][1] فإذا هو يعلّم الناس أنه مرسل من عند الله عز وجل.

وهذا هو ما كان شائعًا عند الناس فى زمنه فقد جاء فى إنجيل متى أنه: [**وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً: «مَنْ هذَا؟» فَقَالَتِ الْجُمُوعُ: «هذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ**][2]، وكذلك قالوا عندما رأوا بعض معجزاته : [**إِنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ**][3].

ومن الدلائل على بشرية المسيح (عليه السلام) تصريحه بأنه إنسان ابن إنسان، ففى إنجيل يوحنا قول المسيح (عليه السلام) : [**أَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ**][4]

وفى إنجيل متى : [**وَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ جُمُوعاً كَثِيرَةً حَوْلَهُ أَمَرَ بِالذَّهَابِ إِلَى الْعَبْرِ. فَتَقَدَّمَ كَاتِبٌ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ**][5] ، وهذا أيضًا هو ما كان معروفًا لدى الناس فى زمنه عليه السلام أنه إنسان، وكانوا ينسبونه إلى يوسف النجار زوج أمه مريم عليها السلام، ففى إنجيل يوحنا: [**يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ**][6] ، وفى إنجيل يوحنا:[**إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ**] [7] وفى إنجيل متى: [**أَلَيْسَ هذَا ابْنَ النَّجَّارِ**][8] ، ومن دلائل بشريته عليه السلام اتصافه بصفات البشر من التعب والعجز ونحو ذلك، فقد جاء فى إنجيل يوحنا: [**يَسُوعُ قَدْ تَعِبَ مِنَ السَّفَرِ**][9] ، ومن

---

(1) إنجيل يوحنا : ٢٤/١٧.

(2) إنجيل متى : ١٠/٢١ –١١.

(3) إنجيل يوحنا : ١٤/٦.

(4) إنجيل يوحنا : ٤٠/٨.

(5) إنجيل متى : ١٨/٨ – ٢١.

(6) إنجيل يوحنا : ٤٥/١.

(7) إنجيل يوحنا : ١١/٩.

(8) إنجيل متى : ٥٥/١٣.

(9) إنجيل يوحنا : ٦/٤.

ذلك ما جاء فى إنجيل يوحنا **[أنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي]**[1].

ويتفق هذا ما مع ذكره القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام إذ يقول القرآن الكريم عنه : ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾[2] ، وقال أيضًا : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[3] وقال أيضًا: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً ﴾[4]، وقال : ﴿ قَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[5].

ويلحق بهذا الأمر تلك القضية التى أشار إليها القرآن الكريم وهى رفع المسيح عليه السلام وليس صلبه – كما يدعي النصارى – وأكدتها النصوص الواردة فى الأناجيل.

قد ورد أكثر من نص فى الأناجيل يؤكد أن المسيح (عليه السلام) قد رُفِعَ إلى السماء فقد جاء فى إنجيل متى : **[لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ]**[6] ، وكما جاء فى لوقا: **[لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ]**[7] ، وجاء فيه أيضًا: **[فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ**

---

[1] إنجيل يوحنا : ٥/٣٠.
[2] سورة المائدة : الآية ٧٥.
[3] سورة النساء : الآية ١٧١.
[4] سورة النساء : الآية ١٧٢.
[5] سورة المائدة : الآية ٧٢.
[6] إنجيل متى : ٤/٦.
[7] إنجيل لوقا : ٤/١٠-١١.

الْمَدِينَةِ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلَ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى][1].

ثم جاء القرآن الكريم واتفق ما جاء فيه مع ما جاء فى هذه النصوص الصريحة الواردة فى الأناجيل، فأوحى الله ربُّ العالمين إلى نبيه محمدًا (ﷺ) قوله :

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

والآن إذا كان قد اتضح لنا أن رسالة محمد (ﷺ) لم تناقض رسالة من سبقه من الأنبياء بل اتفقت معها، ودلَّت على ما دلُّوا عليه ، – إذا كان ذلك كذلك– فهل يمكن أن نجد فى رسالات الأنبياء السابقين أخبارًا وبشارات السابقين تنبيء عن محمد (ﷺ) وعن مبعثه رسولاً من عند الله من بعدهم؟.

البشارات بالنبى (ﷺ) فى الكتب السابقة.

سبق وأن قرر لنا "كامبل" – وغيره من النصارى– أن من علامات النبى الصادق أن يُبَشَّرَ به الأنبياء السابقون عليه ، ثم ادَّعى أن هذا الأمر غير متحقق فى النبى محمدٍ (ﷺ) وأنه لم يخبر به أحدٌ من الأنبياء السابقين.

وإذا سلَّمنا "لكامبل" بصحة كلامه فإن هناك سؤالاً يلوح ويتردد وهو: **هل من لم تبشر به النبوات ليس بنبى ؟**

معلوم باتفاق أهل الملل، أنه ليس من شرط نبوة كل نبى، أن يبشر به من قبله، إذ النبوة ثابتة بدون ذلك، لاسيما ونوح وإبراهيم وغيرهما، لم يُعْلَمْ أنه بشَّر بهما مَنْ قَبْلَهما، وكذا عامة الأنبياء الذين قاموا فى بنى إسرائيل، لم تتقدمهم بشارات[3].

---

[1] إنجيل لوقا : ٤/٢٩–٣٠.

[2] سورة النساء : الآيتان (١٥٧–١٥٨).

[3] "الجواب الصحيح" ، جـ٣، ٢٧٥/٢٧٨.

وقد وضع أهل العلم ضابطًا لهذه البشارات، فقالوا : من بعث بشريعة غير ناسخةٍ لشريعةٍ قبلها فهذا النبي لا يتقدم له بشارات فى شريعة من سبقه، ومثل هؤلاء من أنبياء بني إسرائيل داود وإشعياء وغيرهما. (١)

وأما من جاء بِنَسْخ بعضُ شَرْع مَنْ قبله ، كما جاء المسيح عليه السلام بنسخ بعض أحكام التوراة، وكذلك محمدٍ (ﷺ) فهذا تتقدم له بشارات فى الكتب السابقة عليه. (٢)

ولما كانت شريعة عيسى بها بعض أحكام ناسخة لبعض أحكام فى شريعة موسى وكانت شريعة محمد ناسخةً لشريعة المسيح فإن موسى بشّر بالمسيح وكذلك غيره من الأنبياء، وموسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء بشروا بمحمد (ﷺ).

---

(1) السابق : ص٢٧٨.

(2) السابق : نفس الموضع ، والمتنازع فيه بين أهل العلم هو هل يشترط أن يكون قد أخبر النبى (ﷺ) بذلك قبل النسخ ؟ والإجابة فيه على قولين :

الأول : شريعتا التوراة والإنجيل، لم تشرع شرعًا مطلقًا بل مقيدًا، إلى أن يأتى محمدٌ (ﷺ) وهذا يمثل الحكم المؤقت بغاية لا يعلم متى تكون، كقوله تعالى : ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء : الآية ١٥) ومثل هذا جائز باتفاق أهل الملل. وهل يسمى هذا نسخًا أم لا ؟ أمر متنازع فيه.

وعلى هذا القول، فثبوت نبوة المسيح ، ومحمد (صلوات الله وسلامه عليهما)، لا تتوقف على جواز النسخ المتنازع فيه فإن ذلك إنما يكون فى الحكم المطلق، والشرائع المتقدمة لم تشرع مطلقاً.

وأما القول الثانى : إن الإشعار بالناسخ واجب، أو قيل : إنه غير واجب فعلى القولين قد أشعر أهل الشرع الأول، بأنه سينسخ ، فإن موسى بشر بالمسيح، وكذلك غيره من الأنبياء ، وموسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء، بشروا بمحمدٍ (ﷺ).

وإذا كان هذا هو الواقع ، فنبوة المسيح ومحمد (ﷺ) ، لا تتوقف على ثبوت النسخ المتنازع فيه.

(الجواب الصحيح: (٣/٢٧٨-٢٧٩).

وإذا كان هذا هو الواقع فنبوة المسيح ومحمد (ﷺ)، لا تتوقف على ثبوت النسخ المتنازع فيه، وعليه فإن العلم بنبوة محمد(ﷺ) ونبوة المسيح لا تتوقف على العلم بأن مَنْ قبلهما بشَّر بهما، بل طرق العلم بالنبوة متعددة.

فإذا عُرِفَتْ نبوته(ﷺ) بطريق من الطرق، ثبتت نبوته عند من علم ذلك وإن لم يُعلَّم أن من قبله بشَّر به، ...وخاصة إذا علمنا أن ليس كل ما قالته الأنبياء المتقدمون علمناه ووصل إلينا. وليس كل ما أخبر به المسيح ومن قبله من الأنبياء وصل إلينا وهذا مما يعلم بالاضطرار.[١]

ولو قُدِّرَ أن هذا ليس فى الكتب الموجودة اليوم بأيدى أهل الكتاب، لم يُقْطَع بأن الأنبياء لم يبشروا به.

فإذا لم يمكن اليهود أن يقطعوا بأن المسيح لم يبشر به الأنبياء، ولا يمكن أهل الكتاب أن يقطعوا بأن محمدًا (ﷺ) لم تبشر به الأنبياء، لم يكن معهم عِلْمٌ بعدم ذلك، بل غاية ما يكون عند أحدهم ظن، لكونه طلب ذلك، فلم يجده.

ودلائل نبوة المسيح ومحمد قطعيه يقينية، لا يمكن القدح فيها بظن، فإن الظن لا يدفع اليقين.[٢]

طرق إثبات النبوة :

تتعد طرق إثبات النبوة لمحمد (ﷺ) عند أهل العلم، فمنهم من جعلها من باب العلم الضرورى – أو العلم باضطرار –[٣] والمقصود به هو طريق العلم اليقينى بنبوة محمد (ﷺ) ، فالجميع يعلم ضرورة – أن محمدًا هذا هو الذى كان بمكة ثم هاجر إلى المدينة ادّعى النبوة، وجعل حجته على دعواه النبوة هى القرآن الكريم وأن هذه الحجة ظهرت منه ونزلت عليه، وأننا قد علمنا "كل ذلك بالنقل المتواتر، كما نعلم

---

(1) "الجواب الصحيح" ، ٢٧٩/٣ ، و"قارن المعنى" (١٣٨/١٦، ١٢٢).

(2) السابق ، ص٢٨.

(3) انظر : على سبيل المثال "الجواب الصحيح ، ٢٧٩/٣" ، والمعنى ،١٣٨/١٦، و"قارن جهود القاضى عبد الجبار" ، ص٣٥٨.

البلدان وأخبارها، وأخبار الملوك بالنقل وهذا مما لا يقع التنـازع فيـه"[1] لأن هـذه الأمور لا مجال للاستدلال فيها وإنما تعرف بالاضطرار. [2]

والعلم الضروري هو مما لا دليل عليه ولا حجة، فهو يعرف بـأوّل العقـل وبديهتـه ويعلمه الجميع – عامهم وخاصهم – ، ولا يستطيع الخصم إنكاره أو جحوده. [3]

ومنهم من جعل المعجزات التى أجراها الله ربُّ العالمين على يـدي نبيـه(ﷺ) على اختلاف ضروبها[4] طريقًا من طريق إثبات نبوة محمد(ﷺ) .

ومن أهل العلم من جعل سبيل إثبات النبوة البحث عن البشـارات فـى كتـب الأنبياء السابقين عليه(ﷺ).

– وعند تناولنا لآراء الدكتور "كامبل" حول نبوة محمد(ﷺ) وجدناه ينفى وجود معجزات لمحمد تشهد لنبوته كمعجزات موسى والمسيح عليهما السلام، وينفى "كامبل" – كذلك وجود – بشارات فى كتب الأنبياء السابقين عن محمد (ﷺ) تؤيد بنبوته.

ولهذا نفرد فى الصفحات القادمة – إن شاء الله عز وجل – الحديث عن إثبات النبوة بهاتين الطريقتين (المعجزات – البشارات).

الطريقة الأولى : معجزات النبى محمد (ﷺ)

يرى الدكتور "كامبل" أن معجزات محمد المشهورة بإخباره عن غلبة الفـرس للروم، ثم عودة الكرَّة بالهزيمة على الفرس أمرٌ غير خارق للعادة ولا يمثل معجـزة، لأنه يمكن أن يقال بالحدث[5] وخاصة – على حد زعم كامبل – إذا ما قارنًا معجـزات محمد ومعجزات المسيح وموسى – عليهما السلام – .

---

[1] "المختصر فى أصول الدين" ، ٢٣٨/١ ، تحقيق ودراسة د/محمد عمارة، دار الهلال ، ١٩٧١م، ضـمن كتاب رسائل العدل والتوحيد.

[2] المغنى ، ١٥١/١٦.

[3] انظر: "جهود القاضى عبد الجبار" ، ص٣٥٩.

[4] فأقسام المعجزات عند علماء الأديان ثلاثة :

١- معجزة عقلية وهى القرآن الكريم. ٢- معجزات القدرة.

٣- معجزات العلم وهى الأخبار عن الغيوب.

[5] انظر : ما سبق من هذا البحث ، ص٣٧

وفى الحقيقة أن هذا الأمر تدحضه الأدلة وتكذبه الشواهد؛ فإن معجزات النبى محمد (ﷺ) الحسية – فضلاً عن القرآن – تعتمد على الإقناع العقلى ، كما تعتمد أيضًا على القناعة الحسية ، ويمكن تقسيما إلى قسمين:

١) ما يتصل بالعلم أو (إخبار الرسول (ﷺ) بالغيوب).

٢) ما يتصل بالقدرة أو (المعجزات الحسية المادية) [1]

والأمثلة على هذين القسمين فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية أكثر من أن تحصى عنه (ﷺ).

القسم الأول : الإخبار عن الغيوب.

والإخبار عن الغيوب المقصود به: ليس حدوث المُخْبَرْ عنه فى ذاته وليس الإخبار نفسه وإنما هو اختصاصه (ﷺ) بالمعرفة التى يمكنه معها الصدق فى الإخبار عن الغيوب وبذلك تعلم صحة نبوته ، فالإخبار عن الغيوب ليس من باب ما يتوصل إليه بطرق الاستدلال أو الضرورة[2] كما أنه لا يصح أن يقع عن طريق الاتفاق فلابد أن يُخصَّ بعلم خارج عن العادة[3].

ومعجزاته (ﷺ) – من هذا النوع – متعددة "فإنها لا تكاد تحصى كثرة، وهى دالة، وكل واحد منها يدل على النبوة"[4] وهى تنقسم أيضًا إلى ماضيه ومستقبله.[5]

<u>فأما الماضية</u> : كقصص الأنبياء عليهم السلام وقصص الأمم البالية من غير سماع من أحد ولا تلقي من كتاب، وقد أشير إليه بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ ﴾ [6]

---

[1] انظر: "جهود القاضى عبد الجبار"، ص٣٦٥ ، و"إظهار الحق" ، جـ٤، ١٠٠١.

[2] انظر: المعنى ، ١٥/١٩٣.

[3] انظر: المعنى ، ١٦/٤٢٢.

[4] انظر: الأسبق ، ١٦٥/٤٢٠.

[5] "إظهار الحق" ، ٤/١٠٠١.

[6] سورة هود ، الآية ٤٩.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١)

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٢)

ومثله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ (٣) إلى أن قال الله لنبيه(ﷺ): ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (٤)

وإخبار الله ربُّ العالمين لنبيه عن قصة مريم(٥) وقصة زكريا(٦) ثم قول الله عز وجل لهم ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٧)

ولم يكن أَمْرُ إخبار النبي (ﷺ) عن أمورٍ ماضية موقوفًا على ما ورد فى القرآن الكريم، بل إن سنته (ﷺ) ملْئ بالأخبار عن الغيوب الماضية ، من ذلك :

١) ما روِي عن حذيفة – رضي الله عنه – عن النبي (ﷺ) أنه قال : "..إن رجلاً كان فيمن كان قبلكم ، أتاه الملك ليقبض روحه ، فقيل له : هل علمت من خير؟ قال: ما أعلم، قيل له : انظر ، قال: ما أعلم من شيئً غير أنىي كنت أبايع الناس فى الدنيا وأجازيهم، فأنظر إلى الموسر وأتجاوز عن المعسر فأدخله الله الجنة". فقال

(1) سورة القصص : الآية ٧.
(2) سورة البقرة : الآيتان (٩٤-٩٥).
(3) سورة يوسف : آية ٧.
(4) سورة يوسف : الآيتان (١٠٢-١٠٣).
(5) انظر : سورة مريم ، الآيات (١٦-٣٥).
(6) سورة مريم ، الآيات (٢-١١)
(7) سورة آل عمران : الآية ٤٤.

وسمعته يقول : "إن رجلاً حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا، وأوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمى (فامتَجَشَتْ) [1]، فخذوها فاطحنوها، ثم انظروا يومًا راجًا فاذروه فى اليم، ففعلوا ، فجمعه الله فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك فغفر الله له. (قال عقبة بن عمرو: وأنا سمعته يقول ذلك : (وكان نباشًا)". [2]

٢) وأخبر النبى (ﷺ) عن امرأة من بنى إسرائيل فقال : "بينما امرأة ترضع ابنها إذ مر بها ركب وهى ترضعه، فقالت : "اللهم لا تمت ابنى حتى يكون مثل هذا، فقال: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم رجع فى الثدى، ومر بامرأة تجرر ويلعب بها، فقالت: اللهم لا تجعل ابنى مثلها، فقال : اللهم اجعلنى مثلها، فقال: أما الراكب فإنه كافر، وأما المرأة فإنهم يقولون لها: تزنى، وتقول : حسبى الله، ويقولون : تسرق، وتقول : حسبي الله". [3]

وأخبر عن امرأة أخرى من بني إسرائيل فقال: "بينما كلب يطيف ببركة، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغيٌ من بغايا بنى (إسرائيل)، فنزعت موقها، فسقته فغفر لها به"[4].

وأما المستقبلية :

أخبر القرآن الكريم وكذا السنة عن كثير من الأخبار الغيبية التى ستحدث فيما يُستَقْبَلُ من الزمان، ثم جاءت المقادير فوقعت هذه الأخبار فى الأيام اللاحقة على الوجه الذى أُخْبِرَ به عنها، ومن أدل الأمثلة على ذلك :

١) خطاب الله ربِّ العالمين لأصحاب النبى (ﷺ) بقوله : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ . . . . ﴾ [5]

---

[1] الامتجاش : أي هدأت وسكنت.

[2] صحيح البخارى ، كتاب "أحاديث الأنبياء" ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣١٩٤).

[3] صحيح البخارى، كتاب "أحاديث الأنبياء" ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل برقم (٣٢٠٧).

[4] صحيح البخارى، كتاب "أحاديث الأنبياء" ، باب حديث الغار برقم (٣٢٠٨) وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل سقى البهائم المحترمة وإطعامها برقم (٤١٦٤).

[5] سورة الفتح : الآية ٢٧، وانظر: "دلائل النبوة للبيهقى" ، ٣١٣/٤ ، و"البداية والنهاية"، لابن كثير، ٢٠٨/٦.

٢) وكقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[1]

فكان الله وعد المؤمنين بجعل الخلفاء منهم، وتمكين الدين المرضّى لهم وتبديل خوفهم بالأمن، فوفّى وعده فى مدة قليلة بأن ظهر فى حياة الرسول (ﷺ) أنّ أهل الإسلام تسلّطوا على مكة وخيبر.[2] والبحرين[3] ومملكة اليمن وأكثر ديار العرب، وأن إقليم الحبش[4] صار دار الإسلام بإيمان النجاشى الملك، وإن هذا الاستخلاف زاد فى خلافة الصديق الأكبر رضيِ الله عنه بأن استخلف أهل الإسلام على بعض ديار فارس[5] وعلى بصرى[6] ودمشق وبعض الديار الأخرى من الشام أيضًا، ثم زاد هذا التسلّط فى خلافة الفاروق –رضى الله عنه– بأن تسلطوا على سائر ديار

---

[1] سورة النور: الآية (٥٥) ، وانظر: "دلائل النبوة" ، ٣/٥، و"البداية والنهاية" ، لابن كثير، ٦/٢٠٧، و"قارن إظهار الحق" ، ٣/٨٠٠.

[2] ناصية على بعد ثمانية بُرُد (حوالى ١٤٥كم) شمال المدينة المنورة على طريق تبوك والشام، "معجم البلدان"، ٢/٤٠٩.

[3] البحرين : اسم جامع للبلاد الواقعة بين البصرة وعمان وهى (منطقة الأحساء) ، "معجم البلدان"، ١/٣٤٨.

[4] يقصد إقليم الحبشة واسمه الآن أثيوبيا.

[5] فارس – اسم لإقليم واسع فى جنوب غرب إيران يحده الخليج الغربى من الغرب والجنوب وأهم مدنه شيراز، وثغره بوشير (بوشهر)، وهذا الإقليم هو نواة الإمبراطورية الفارسية القديمة التى أسسها الملك فورش الذى ملك سنة ٥٥٩ق.م. بدأ فتح فارس فى زمن عمر وتمّ فتحها زمن عثمان –رضى الله عنهما– (معجم البلدان ، ٤/٢٢٦).

[6] بصرى : بلدة فى أقصى جنوب سوريا بمحافظة درعا، جنوب شرقى مدينة درا بحوالى ٣٦كم وشمال الحدود الأردنية بحوالى ١٥كم، وهى قصبة كورة حوران ومشهورة عند العرب، لأنها كانت نهاية طريق القوافل من الحجاز إلى الشام، قدمها النبى (ﷺ) وهو صبى برفقة عمه أبى طالب فنصحهما راهبها بالرجوع لما رأى من علامات وقد فتحت بصرى وجميع أرض حوران على يد خالد بن الوليد سنة ١٣هـ/٦٣٤م ؛ (معجم البلدان ١/٤٤١).

الشام وجميع مملكة مصر وعلى أكثر ديار فارس أيضًا، ثم زاد هذا الاستخلاف فــى خلافة ذي النورين – رضي الله عنه – بأن استخلفوا فى جانب الغرب إلى أقصــى الأندلس[1] والقيروان[2]، وفى جانب الشرق إلى حد الصين كل ذلك فى مدة ثلاثــين سنة[3].

٣) وكقوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ أى أرض العرب ﴿وَهُمْ﴾ أى الروم ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ أى الفــرس ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ أى ما بين الثلاثة والعشرة ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[4] عن عروة بن الزبير عن نيــار بــن مكــرم الأســلمى ، قــال: لمــا نزلت: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المســلمون يحبــون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب وفى ذلك قول الله تعــالى ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ وكانت قريش تحب ظهــور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – ليصيح فى نواحي مكة {لم غلبت الــروم فى أدنى الأرض} قال ناس من قريش لأبي بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صــاحبك أن

---

(1) الأندلس: (أندلوسية) بضم الدال وفتحها، كلمة الجمية لم تستعملها العرب فى القديم، وهى اسم للإقلــيم الواقع فى جنوب أسبانيا.

(2) القيروان : مدينة فى تونس، أنشأها عقبة بن نافع فى خلافة معاويــة ســنة ٥٠هــ/٦٧٠م، الجــامع المشهور الذى يرجع تاريخه إلى القرن ٩م. (معجم البلدان ، ٤/٤٢٠).

(3) "إظهار الحق" ، ٣/٨٠١ – ٨٠٢.

(4) سورة الروم : الآيات (١–٧).

الروم ستغلب فارس فى بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك ، قال: بلى – وذلك قبل تحريم الرهان– فارتضى أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبى بكر كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين قسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه قال قسموا بينهم ست سنين، قال فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على الفارس فعاب المسلمون على أبى بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال فى بضع سنين وأسلم عند ذلك ناس كثير"[1]

وإذا كان رأي "كامبل" أن هذا الإخبار الغيبي من النبى (ﷺ) من الممكن أن يكون مبنيًا على الظن أو الحَدْث منه (ﷺ) فهذا الكلام من "كامبل" مردود من وجوه:

أولاً: أن محمدًا (ﷺ) مُعْتَرَفٌ له بأنه على القمة من العقل (ﷺ) وذلك الاعتراف من أصدقائه وأعدائه على السواء، وليس من شأن العاقل المدّعى للنبوة أن يدّعى ادعاءً قطعيًا أن الأمر الفلاني يكون فى المدة القليلة هكذا البتة، ويأمر معتقديه بالرهان على هذا لاسيمًا فى مقابلة المنكرين الطالبين لمذلّته سببًا لمذلّته وكذبه عندهم، ويحصل لهم سند عظيم لتكذيبه.[2]

ثانيًا : أن العقلاء وإن كانوا يقولون فى بعض الأمور بعقولهم ويكون ظنهم صحيحًا تارة وخطأ مرة أخرى، لكن جرت العادة الإلهية بأن القائل لو كان مدعي النبوة كذبًا، ويخبر عن الحادثة الآتية، ويفتري على الله بنسبة هذا الخبر إلى الله، لا يكون هذا الخبر صحيحًا بل يخرج خطأ وغلطًا البتة. [3]

ثالثًا : أنه (ﷺ) جاء الأمر منه لأتباعه بالجزم والقطع واليقين، ولو كان شاكًا لكانت مجازفةٍ وتضحية منه بأتباعه جميعهم لو لم يقع الأمر على ما وصف، وهذا لا يقع من عاقل فضلاً عن محمد (ﷺ).

---

(1) سنن الترمذى، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة الروم برقم (٣١١٨) وقد ورد هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد مع اختلاف فى اللفظ برقم (٢٣٦٥).

(2) "إظهار الحق" ، جـ٣، ٨٠٨ – ٨٠٩.

(3) السابق : نفس الموضع.

القسم الثانى : المعجزات الحسية :

وردت كثيرٌ من المعجزات الحسية فى القرآن والسنة المتواترة أجرها الله لنبيه (ﷺ) لتكون من دلائل نبوته من ذلك :

١) قوله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[1]

فَنَقْلُ القرآن الكريم لهذه المعجزة للنبى (ﷺ) جزمه بوقوعها بصيغة الماضى يمثل حد التواتر وحصول الإجماع على وقوعها[2]، وقد كان وقت وقوعها –وهو الليل– حال دون رؤية كثير من الناس لها، أو أن كثيرًا من الناس رأوها ولم ينقلهـا لأن ذكر القرآن لها أغناهم عن ذكرها. [3]

٢) قول الله ربّ العالمين فى سورة الإسراء ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[4]

فهذه الآية ومجموع الأحاديث الصحيحة[5] يدلان على أن المعراج بالنبى كان بالجسد والروح فى يقظةٍ من النبى(ﷺ).

---

(1) سورة القمر: الآيتان (١–٢).

(2) انظر: المغنى (٤١٩/١٦).

(3) انظر: "تثبيت دلائل النبوة" ، ٥٦/١–٥٨، و"قارن إظهار الحق"، جـ٤، ١٠٣٨–١٠٤٤.

(4) سورة الإسراء : الآية (١).

(5) فتح البارى ١٩٦/٧، وصحيح مسلم باب الإسراء برسول الله (ﷺ) من كتاب الإيمان (٢٠٩، ٢٣٧)، و"سيرة ابن هشام" ، ٣٩٥/١–٤٠٧، و"دلائل النبوة" ، للبيهقى ، ٣٥٤/٢، و"البداية والنهاية"، ١١٩/٣–٣١٩/٦.

كما وردت كثير من المعجزات الحسية التى ظهرت منه (ﷺ) على خلاف العادة ومنها:

١) عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه (ﷺ) قال لأعرابى :"أرأيت إنْ دعوت العَذْق [1] من هذه النخلة أتشهد أنى رسول الله ؟ " قال : نعم ، فدعاه، فجعل ينقز[2] حتى أتاه، فقال "ارجع" ، فرجع إلى مكانه"[3].

٢) وعن جابر رضى الله عنه : ذهب رسول الله (ﷺ) يقضى حاجته، فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادى، فانطلق رسول الله (ﷺ) إلى إحداهما، فأخذ يغصن من أغصانها، فقال : "انقادى علىَّ بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش[4] الذى يصانع قائده... وذكر جابر: أنّه فعل بالأخرى كذلك، حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال: "التئما علىَّ بإذن الله" ، فالتأمتا، فجلس خلفهما، فخرجت أُحْضِر[5]، وجلست أحدّث نفسى، فالتفتّ فإذا رسول الله (ﷺ) مقبلاً والشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق".[6]

٣) وعن جابر – رضى الله عنهما – أيضاً : عطش الناس يوم الحديبية، والنبى(ﷺ) بين يديه ركوة [7] فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال: "ما لكم قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه العيون فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنت قال : لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة".[8]

---

(1) العَذْق : بالفتح النخلة بحملها وكل غصن له شعب، وبالكسر عِذْق : العُجون بما فيه من الشماريخ والقبو من النخل والعنقود من العنب وجمعه أعذاق وعذوق (لسان العرب : مادة عَذَق).

(2) ينقر – بمعنى يقفز ، يقال نقز ، ينقز وينقز نقرا، ونقزانًا : وثب صُعُدا، والتنقيز : التوثيب (لسان العرب: مادة نَقَزَ).

(3) سنن الترمذى، كتاب المناقب عن رسول الله، باب آيات إثبات نبوته(ﷺ) برقم (٣٥١٦).

(4) المخشوش : أى الذى جُعل فى أنفه خِشاش، وهو بالكسر عود يربط عليه حبل ويقال له خِشاش؛ لأنه يخش فى أنف البعير أى يدخل فيه، فإن كان عودًا فى عظم الأنف فهو الخشاش، ويشدّ به الزمام ليكون أسرع لانقياده (لسان العرب : مادة خشش).

(5) أى أعدوا، والحَضروا والإحضار : ارتفاع الفرس فى عدوه (لسان العرب : مادة حَضَرَ).

(6) جزء من حديث جابر الطويل فى صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبى اليسر برقم (٥٣٢٨).

(7) إناء يشرب فيه الماء ، ويكون الصغير، وجمعه : ركاء (لسان العرب : ماءه ركو).

(8) صحيح البخارى ، كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام برقم (٣٣١١).

الطريقة الثانية : البشارات :

توصل البحث فيما سبق إلى أن طرق إثبات النبوة : كثيرة ومتعددة، ولكن قد بّزها جميعاً عند علماء الأديان طريقتا المعجزات والبشرات.

وأكثر الناس حرصاً على استخدام طريقة البشارات فى إثبات النبوة هم المهتدون إلى الإسلام من علماء أهل الكتاب، وذلك لأنهم أعلم بمدلول تلك البشارات فى كتبهم، ولعلها – أى البشارات – كانت من الأسباب الرئيسة فى تحولهم من دينهم إلى دين الإسلام فى ضوء ما أرشد إليه القرآن الكريم حين أورد الذكر المفصل للرسول(ﷺ) وصفاته وأخلاقه وبلده وصفات أمته وأتباعه وعلوهم فى الأرض وجعلهم أمة عظيمة ، بقول الله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] ويقول الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾[2]

وقال القرآن الكريم عنه (ﷺ) ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾[3]

وإنّ تتبّعُ علماء الأديان من المسلمين لبشارات الكتاب المقدس جعلهم يقفون عليها فى مواطن كثيرة من التوراة والإنجيل.

ففى العهد القديم : فى سفر التكوين وردت أربع بشارات بمحمد(ﷺ) اثنتان منها لإبراهيم عليه السلام، واثنتان لهاجر، وفى سفر التثنية وردت بشارتان على لسان موسى عليه السلام.

---

(1) سورة الأعراف : الآيتان (١٥٦–١٥٧).

(2) سورة الفتح : الآية (٢٩).

(3) سورة البقرة : الآية (١٤٦) ، والأنعام : الآية (٢٠).

وفى مزامير داود سبع نبوءات، أما فى سفر إشعياء فنحو تسع وعشرين بـــن نبوءة، وهناك نبوءة فى كل من الأسفار التالية : هوشع – ميخا – حبقوق– صفنيا – زكريا، يليها أربع نبوءات فى سفر إرميا ، فاثنتان فى سفر حزقيال، ومثلهما فى سفر دانيال.

وفى العهد الجديد : فيه نبوءة للمسيح (عليه السلام) فى إنجيل يوحنـــا، ثـــم هنـــاك نبوءة لشمعون الصفا فى رسالة بطرس الأولى، وفى إنجيل لوقا نبوءة، وأخيرًا فـــى رسالة بولس إلى أهل غلاطية ما يفيد معنى النبوءة.

وجميع هذه النبوءات شملت وصف نبى هذه الأمة(ﷺ) من حيث اسمه وسمته، ودور رسالته بين النبوات، وأمته أمه العرب.[(١)]

ولكثرة هذه البشارات على هذا النحو يكتفى بذكر البعض منها.

١ـ من العهد القديم Old testament.

أ) البشارة ببلدة (ﷺ) : جاءت فى التوراة [**جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ**] [(٢)] ففى هذه البشارة إشارة إلى أماكن ثلاثة : سيناء وفيها جبل الطور وفيه نزلت التوراة على موسى وجبل سعير[(٣)] وفيه أنزل الإنجيل على عيسى وفاران هى مكة – سكنى إسماعيل – استناداً إلى ما جاء فى التوراة نفسها [**وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ. وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ**] [(٤)]

---

(1) انظر: "حوار حول العقيدة" ، ص٣٦٢.

(2) سفر التثنية (٢/٣٣)، وجاء فى سفر إشعياء (١٣/٢١) [وهى من جهة بلاد العرب فى الوعر من بـــلاد العرب تبيتين يا قوافل الدارتيين] ، كما جاء فى سفر حبقوق (٣/٢) [الله جاء من التيمن، والقدوس مـــن جبل فاران سلاه جلاله غطى السماوات والأرض امتلأت من سبيحة] وقيل : هى اسم مكـــة بالعبرانيـــة، وقيل اسم جبال مكة، وقد تطلق على جبال الحجاز كلها. (معجم البلدان ٢٢٥/٤).

(3) يقول السمو آل بن يحيى :"وجبل سعير" ، هو جبل الشراة الذى فيه بنو العيص الذين آمنوا بعيسى عليه السلام، وكان فى هذا الجبل مقام المسيح" .... انظر : "إفحام اليهود" ، ص١١٨.

(4) سفر التكوين (٢١/٢٠ –٢١).

والمعلوم أنه لم يأت من فاران – موطن إسماعيل – بنى إلا محمد(ﷺ) فهو المشار إليه فى النص[١].

ويربط شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله – بين هذه البشارة وبين قوله تعالى فى القرآن الكريم[٢] ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾[٣].

إذ يُقْسم الله تعالى – بالتين والزيتون والمراد الأرض التى ينبت فيها واشتهرت به وهى الشام، وفيها أنزل الله الإنجيل ، ويقسم بطور سيناء وهو الجبل الذى كلم الله فيه موسى وناداه من واديه الأيمن فى البقعة المباركة، وأقسم بالبلد الأمين وهى مكة، البلد الذي أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه فيه: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[٤]

كما أن الله وعد إسماعيل كما تقول التوراة بأن يباركه ويجعله أمة عظيمة، ولم يظهر هذا لنبي الله إسماعيل إلا بظهور مَنْ جاء من نسله وهو محمد(ﷺ).

---

(1) الدين والدولة ، ص١٣٨ ، ١٣٩ ، ونلفت النظر إلى أن من تكلم فى الأديان استدل بهذه البشارة من ذلك على سبيل المثال : الإعلام بمناقب الإسلام الإسلام للفيلسوف أبى الحسن العامرى ، ص٢٠٣، والنصيحة الإيمانية لنصر بن يحيى المتطبب ، ص١١٤٤، والآثار الباقية عن القروق الخالية للبيرونى، ص١٩، و"تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان" ، ص١٣٥، والجواب الصحيح لابن تيمية، (٣٠٠/٣) ، وإظهار الحق لرحمة الله الهندى (ص١١٣٤/٤ – ١١٣٥)، ومقامع هامات الصلبان للخزرجى ، ص٢١٦ -٢١٧ ، والرد على النصارى لأبى البقاء الجعفرى ، ص١١٦.

(2) انظر : "الجواب الصحيح" ، (٣٠٢/٣ – ٣٠٣).

(3) سورة التين : الآيات (١–٨).

(4) سورة إبراهيم : الآية (٣٥).

تقول التوراة : [**وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيراً جِداً. اثْنَيْ عَشَرَ رَئِيساً يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً**][١]

وقد قرر بعض علماء اليهود ممن اهتدوا إلى الإسلام، أنه يخرج اسم محمد من عبارات التوراة فى موضعين بلغة الجُمَلِ التى يعرفها لسان اليهود. [٢]

الأول : قوله : "جداً جداً" فهو بتلك اللغة: بمادمان ، وعدد هذه الحروف اثنان وتسعون؛ لأن الباء اثنان ، والميم أربعون ، والألف واحد، والدال أربعة، والميم الثابتة أربعون، والألف واحد، والدال أربعة، وكذلك الميم من (محمد) أربعون، والحاء ثمانية، والميم أربعون، والدال أربعة"[٣].

الثانى : قوله : "لشعبى كبير" ، فهو بتلك اللغة: لُغَوى غَدُول : فاللام عندهم ثلاثون، والغين ثلاثة ؛ لأنه عندهم فى مقام الجيم إذ ليس فى لغتهم جيم ولا صاد، والواو ستة ، والياء عشرة ،والغين أيضاً ثلاثة، والدال أربعة، والواو ستة، واللام ثلاثون ، فمجموع هذه أيضاً اثنان وتسعون"[٤].

ويرى السمو أل بن يحيى أن اسم النبى(ﷺ) كتب ملغراً لأنه لو صرح به ليدلته أو أسقطته من التوراة.[٥]

---

(1) سفر التكوين (٢٠/١٧).

(2) يقول أحد أحبار اليهود إن أكثر أدلتهم يكون بحرف الجُمَل الكبير وهو حرف أبجد، وإن أحبار اليهود حين بنى سليمان النبى عليه السلام بيت المقدس اجتمعوا وقالوا : يبقى هذا البناء أربعمائة وعشر سنين، ثم يعرض له الخراب لأنهم حسبوا لفظة : بذات وصورتها كما يلى :

ب	ز	أ	ت	
٢	+ ٧	+ ١	+ ٤٠٠	= ٤١٠ (انظر: "إظهار الحق"، جـ٤/١١٣٧-١١٣٨)

ولمعرفة طريقة حساب هذه الحروف (انظر : إفحام اليهود ، ص١١٥ ، ١١٧ ، هامش.

(3) صورتها كما يلى : (بماد ماد) :

ب	م	أ	د	م	أ	د
٢	+٤٠	+١	+٤	+٤٠	+١	٤ = ٩٢

وحروف كلمة محمد حسابها كما يلى :

م	ح	م	د
٤٠	+٨	+٤٠	+٤ = ٩٢

(4) وصورتها كما يلى : (لغوى غدول) :

ل	غ	و	ى	غ	د	و	ل
٣٠	+٣	+٦	+١٠	+٣	+٤	+٦	٣٠ = ٩٢

(5) انظر: "إفحام اليهود" ، ص١١٥ ، ١١٧.

٢ـ البشارة بشريعته :

جاء فى سفر التكوين **[لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ]** (١)

ويقول أحد أحبار اليهود(٢) من اهتدوا إلى الإسلام : فى شرح هذا النص: "لا يزول الحاكم من يهوذا ولا راسم من بين رجليه حتى يجئ الذى له وإليه يجتمع الشعوب"(٣).

فعرَّف هذا الحرب (شيلون) بأنه الحاكم.

وفى هذا النص السابق من التوراة دلالة على أن يجئ سيدنا محمد (ﷺ) بعد تمام حكم موسى وعيسى؛ لأن المراد من الحاكم هو موسى؛ لأنه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة إلى زمان موسى إلا موسى، والمراد من الراسم هو عيسى؛ لأنه بعد موسى إلى زمان عيسى ما جاء صاحب شريعة إلا عيسى، وبعدهما ما جاء صاحب شريعة إلا محمد، فعُلم أن المراد من قول يعقوب فى آخر الأيام هو نبينا محمد عليه السلام ؛ لأنه فى آخر الزمان بعد مضي حكم الحاكم والراسم ما جاء إلا سيدنا محمد عليه السلام"(٤)

* * * * * * * * * * * * * * *

---

(1) سفر التكوين (١٠/٤٩).

(2) هو الحبر عبد السلام الدفتري الذى أسلم فى عهد السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد الفاتح كان يحفظ التوراة بتمامها فصار دفتريًا، أسلم وحسن إسلامه وكتب رسالة بعنوان "الرسالة الهادية" ، يرد فيها على مزاعم اليهود (كشف الظنون ٢/٢٠٢٧).

(3) انظر: "إظهار الحق" ، (جـ٤ /١١٣٩).

(4) السابق: نفس الموضع.

٣ـ البشارة بأمته وصحابته :

نقل شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله – بشارةً جاءت فى مزامير داود تقول: [**سَبِّحُوا الله تسبيحًا جَدِيدًا، وليَفرَحْ بالخَالق مَنْ اصطَفى الله له أمّته وإعطَاء النصر، وسَدّد الصَالحينَ منِهُمْ بالكَرامَة ، يُسَبّحونَه عَلىَ مضَاجِعِهِم، ويكبّرون الله بأصوَاتِ مُرتفعة، بأيديهم سيوفٌ ذاتُ شَفرَتين، لِينتَقمْ بهم مِنَ الأمَمِ الَذين لا يَعبُدُونَهَ**].[1]

وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمدٍ(ﷺ) وأمته فهم الذين يكبرون بأصواتٍ مرتفعة فى آذانهم للصلوات الخمس، وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة فى أعيادهم، عيد الفطر، وعيد النحر، وفى الصلاة والخطبة، وفى ذهابهم إلى موضع الصلاة، وفى أيام "منى" الحجاج، وسائر أهل الأمصار يكبرن عقب الصلوات : فإمام الصلاة سين له الحمد والتكبير".[2]

وليس هذا لأهل الكتاب فاليهود كانوا يجتمعون بالبوق أيام موسى والنصارى شعارهم الناقوس.[3]

ولا يمكن أن يكون للنصارى، لأنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة، ولا بأيدهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم، بل أخبارهم تدل على أنهم كانوا

---

(1) جاء فى المزمور (١٤٩/٢-١) ما نصه : سبحوا الرب أنشدوا للرب إنشادًا جديدًا فإن تسبيحه فى جميع الأصفياء، وليفرح إسرائيل بخالقه ويبتهج بنوصهيون بملكهم ، وهو يخالف ما نقله ابن تيمية، لكنه يقارب رواية مستخرجى البشارات من مسلمه أهل الكتاب وغيرهم ، راجع مثلاً :

- عليًا بن ربن الطبرى ، الدين والدولة ، ص٨٤.
- أبا عبيدة الخزرجى ، مقامع هامات الصلبان ، ص٢١٨.
- القرطبى، الإعلام ، بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، ص٢٦٦.

وقد رجح الدكتور عبد الراضى عبد المحسن أن الإمام بن تيمية ربما قد أطلع على نسخة أخرى من نسخ الكتاب المقدس التى أطلع عليها هؤلاء إذ إن مخالفة نص البشارة لدى ابن تيمية ليس من قبيل الخطأ من أحد النساخ ، لأن ابن القيم قد نقل عنه نفس النص بنفس المخالفة ونفس تعليق الإمام على البشارة (انظر: هداية الحيارى" ، ص١٤٣ – ١٤٤، تحقيق أحمد حجازي السقا، المكتبة القيمة، القاهرة، سنة ١٣٩٩هـ.

(2) انظر: "الجواب الصحيح" (جـ٣ / ٣١٥ – ٣١٦) ، وقارن منهج ابن تيمية فى دراسة النصرانية، ص٣٦٠.

(3) السابق : ص٣١٦.

مخلبين مع الأمم ، ولم يكونوا يجاهدونهم بالسيف، بل النصارى قد تغيب من يقاتل الكفار بالسيف. [١]

وقوله فى البشارة "يسبحون على مضاجعهم" بيان لنعت المؤمنين الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فلا يتركون ذكر الله فى حال من الأحوال كما يقول تعالى فى القرآن الكريم : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [٢]

٢ـ من العهد الجديد New Testament

أ) البشارة باسمه (ﷺ) فى الأناجيل :

جاء فى إنجيل يوحنا : **[إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ فارقليطًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ]** [٣]

وفيه أيضًا : **[وَمَتَى جَاءَ المعزى (الفارقليط) الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي.وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الاِبْتِدَاءِ]** [٤]

وفيه أيضًا :**[وَمَتَى جَاءَ المعزى (الفارقليط) الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي]** [٥]

---

[1] السابق ، ص٣١٨.

[2] سورة آل عمران : الآية (١٩١) ، وانظر : "الجواب الصحيح" (جـ٣/٣١٧).

[3] إنجيل يوحنا : ١٤ / ١٥-١٧.

[4] إنجيل يوحنا : ٢٦/١٤ -٢٧.

[5] إنجيل يوحنا (٢٣/١٤).

وقد تناولنا هذه النصوص – فيما سبق– وتحقق لدينا أن المعزى (الفـارقليط) المقصود به : هو الحامد وأحمد ومحمود. [١]

وقد أوضح لنا المهتدى إلى الإسلام الدكتور عبد الأحد داود بشارة مهمة جاءت فى إنجيل لوقا تصرح باسم الإسلام وباسم أحمد (ﷺ) فقال : "جاء فى لوقا أنه ظهـر فى الليلة التى ولد فيها المسيح عليه السلام جمهور من الجنود السماوية للرعاة الذين كانوا فى البرية يترنمون بهذا النشيد : "الحمد لله فى الأعالى: وعلى الأرض إسلام ! وللناس أحمد"[٢]

وقد قرر هذا الكلام – وهو يترجم هذا النص السابق – وهو من القائمين على ترجمة الأبحاث اللغوية من العهد الجديد من اليونانية بذكر مترادفاتها ومشتقاتها فـى اللغات السريانية والكلدانية والعبرانية فى كتب العهد القديم – حين كـان مـن كبـار علماء النصرانية– .

ب- البشارة بصحابته وأوصاف أمته :

جاء فى إنجيل متى على لسان المسيح فى أكثر من موضـع التبشـير بلفـظ (ملكوت السماوات) يقول متى : [**فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ وَقَالَ لِلَّذِينَ يَتْبَعُونَ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هَذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ**][٣]

وفى إنجيل متى هكذا : [**وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلاً: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ**][٤]

---

(1) انظر : ما سبق من هذا البحث ، ص٢٧٤- ٢٦٧

(2) انظر : "الإنجيل والصليب" ، ص٣٤ – ٣٧ ، وقد استنتج – رحمه الله – هذه البشارة بعد ترجمة نصوص البشارة إلى أكثر من لغة، ثم بعد ترجمتها إلى العربية يكون هذا نصها (انظر: الإنجيل والصـليب) مـن ص٣٤-٣٧.

(3) إنجيل متى (٨/ ١٠ -١٢).

(4) انظر إنجيل متى (٣/٢ – ٤)

ولما أرسل الحواريين إلى البلاد الإسرائيلية للدعوة والوعظ وصّاهم بوصايا منها هذه الوصية أيضًا : **[وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. اِشْفُوا مَرْضَى]**(1)

وفيه أيضًا : **[وَدَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَاناً عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وَشِفَاءِ أَمْرَاضٍ]**(2)

وفيه أيضًا : **[وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلُوكُمْ فَكُلُوا مِمَّا يُقَدَّمُ لَكُمْ وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا وَقُولُوا لَهُمْ: قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ فَاخْرُجُوا إِلَى شَوَارِعِهَا وَقُولُوا: حَتَّى الْغُبَارُ الَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضُهُ لَكُمْ. وَلَكِنِ اعْلَمُوا هَذَا أَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ.]** (3)

فما هو ملكوت السماوات فى هذه البشارات كلها ؟

إن ملة العيسوية مؤلفة من خمسمائة مذهب ونيف كلٌ منها يدَّعى أن الجماعة التى ينتسب إليها هى ملكوت الله، وإن إرادة الله نافذة فى تلك الجماعة وحدها، وإن الأربعمائة والتسعة والتسعين الباقية كلها فى الضلالة، حتى إنه ليؤكد بالأقسام والإيمان المغلظة إن مدعاة صحيح".(4)

والنصوص السابقة وغيرها التى تكلمت عن ملكوت السماوات، تقرر أنه لم يظهر فى عهد يحيى (عليه السلام) وكذلك لم يظهر فى عهد عيسى عليه السلام، ولا فى عهد الحواريين والسبعين، بل كلّ منهم مبشّر به ومخبر عن فضله ومترجٍ لمجيئه، فلا يكون المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة التى ظهرت بشريعة عيسى عليه السلام، وإلا لما قال عيسى عليه السلام والحواريون والسبعون : "إن ملكوت السماوات قد اقترب" ، ولَمَا علّم التلاميذ أن يقولوا فى الصلاة : "وليأن ملكوتك"؛ لأن

---

(1) إنجيل متى (١٠/٧).

(2) انظر: "الإنجيل والصليب" ، ص١٠٣.

(3) إنجيل لوقا (٩/١-٣).

(4) إنجيل لوقا (١٠/٨-١٢).

هذه الطريقة قد ظهرت بعد إدعاء عيسى عليه السلام النبوة بشريعته فهو عبارة عن طريق النجاة التى ظهرت بشريعة محمد(ﷺ) ".[١]

وقد أكثرت الأناجيل من التشبيهات والتمثيلات التى أجرتها على لسان المسيح لملكوت السماوات والأرض، مما جعل المهتدين إلى الإسلام يتتبعونها بدقة شديدة ليتأكدوا لأي شئ تصف وعلى أي شيء تقع، فجاءت معظم تشبيهات المسيح للملكوت على النحو التالي:

١) شبه المسيح (عليه السلام) ملكوت الله بأنه عبارة عن التأليف بين كل أنواع البشر من غير تفريق بين جنس وعرق وأمةٍ ووطن وتوحيدهم بإخاء معنوى وروابط قوية دينية. [٢]

وهذا الوصف لا ينطبق إلا على أمة محمد كما شبهها القرآن الكريم بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٣] وقوله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٤] ، وقوله : ﴿اعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً . . . ﴾[٥] وقوله : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾[٦]،وقوله: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[٧] وأيضًا : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[٨]

---

[١] "إظهار الحق" ، جـ ٤ /١١٧٤.

[٢] "الإنجيل والصليب" ، ص١٠٥ ، وانظر نص هذا التشبيه فى متى (١٣/١-٤) ومرقس (٤/١-٢٠).

[٣] سورة الحجرات : الآية (١٣).

[٤] سورة الحجرات : الآية (١٠).

[٥] سورة آل عمرن : الآية (١٠٣).

[٦] سورة الأنفال : الآية (٦٣).

[٧] سورة الأنفال : الآية (٤٦).

[٨] سورة التوبة : الآية (٧١).

وفى الحديث عن النبى(ﷺ) فيما رواه عنه النعمان بن بشير قوله: "ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" [١]

وروى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله (ﷺ) قال :"لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال"[٢]

كما أن هذا التشبيه لا يقرب النصارى على هذا النحو من قريب ولا من بعيد لأنه قد ورد فى الأناجيل: **[أَوْلادُ الشَّيطانِ لَيسوُا مِنْ أبناءِ المَلَكوُتِ بَلْ أولئِكَ هُمُ الحَشَرَاتُ النَّتِنَةُ النَّجِسَةَ على سَواءٍ فى شَبَكَةِ السَّمَكِ]**[٣]

ويقول متى : **[وَالْحَقْلُ هُوَ الْعَالَمُ. وَالزَّرْعُ الْجَيِّدُ هُوَ بَنُو الْمَلَكُوتِ. وَالزَّوَانُ هُوَ بَنُو الشِّرِّيرِ]**.[٤]

٢) ملكوت الله ينشأ آنًا فآنًا وينمو سنة فسنه، ويكبر عصرًا فعصرًا ويتقوى على الدوام وبدون انقطاع. [٥]

يقول متى فى إنجيله : **[يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ وَتَصِيرُ شَجَرَةً حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا]**[٦]

وهذا التشبيه هو عين ما أخبر به ربُّ العالمين عن أصحاب محمد(ﷺ) أول أمرهم فى قوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾[٧] .

---

[1] صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم برقم (٥٥٥٢).

[2] صحيح البخارى، كتاب الأدب ، باب الهجرة (٥٦١٢).

[3] إنجيل متى (١٣– ٤٧ –٥٠).

[4] إنجيل متى (١٣/٣٨).

[5] "الإنجيل والصليب" ، ص١٠٥.

[6] إنجيل مرقس (٤/٣١–٣٢) ، إنجيل لوقا (١٣/١٨– ١٩).

[7] سورة الفتح : الآية (٢٩).

وهذا يدل أن ملكوت السماء طريقة النجاة ظهرت بشريعة محمد(ﷺ) ، لأنه نشأ فى قوم كانوا حقراء عند العالم لكونهم أهل البوادى غالبًا، وغير واقفين على العلوم والصناعات محرومين عن اللذات الجسمانية والتكلفات الدنياوية لاسيما عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر، فبعث الله منهم محمدًا (ﷺ)، فكانت شريعته فى ابتداء الأمر بمنزلة حبة خردل أصغر الشرائع بحسب الظاهر، لكنها لعمومها نمت فى مدة قليلة وصارت أكبرها، وأحاطت شرقًا وغربًا حتى إن الذين لم يكونوا مطيعين لشريعة من الشرائع تشبثوا بذيل شريعته.[1]

كما يخبرنا كلٌ من متى ومرقس أن أبناء الملكوت يتكاثرون جدًا فى مدةٍ قليلةً لأن كلام الملكوت يؤثر فى قلوبهم يؤدى بهم إلى الإيمان.[2]

٣) ورد فى الأناجيل أن أبناء ملكوت الله لا يكنزون لهم كنوزًا فى الأرض حيث يفسدها السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل ويكنزون لهم كنوزًا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب السارقون ويسرقون يعلمون أنهم لا يدومون على الأرض، فلا يبتغون من الدنيا غير الطيبات المشروعة، وكل رجائهم فى الآخرة، وعلى ربهم يتوكلون.[3]

وهذا الوصف أيضًا مُثَبتٌ عن أتباع محمد(ﷺ) فى نهي القرآن لهم عن أن يطلبوا الدنيا ويكنزوها ، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4]

٤) جاء فى الأناجيل أن مواصفات أبناء ملكوت الله كالنور ساطعة متألقة، وكل من يراهم يفهم عاجلاً من كلامهم وأطوارهم وأخلاقهم من هم وإلى أى دين ينتسبون وبأي كتاب هم يهتدون.[5]

---

(1) انظر : إظهار الحق (جـ٤ /١١٧٦).

(2) انظر: "الإنجيل والصليب" ، ص١٠٦ ، وإنجيل متى (١٣-٣٠-٣٣) ومرقس (٤/٣١- ٣٢).

(3) انظر : "الإنجيل والصليب" ، ص١٠٧ ، وقارن إنجيل متى : (٩/١٩- ٢١).

(4) سورة التوبة : الآيتان (٣٤ – ٣٥).

(5) انظر: "الإنجيل والصليب" ، ص١٠٦ ، وقارن إنجيل متى: (٥/١٤- ١٦).

يقول متى فى إنجيله : **[أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجاً وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ.]**[١]

وهذا الوصف قد أخبر النبى أنه متحقق فى أمته وذلك فى الحديث الذى رواه أبـو هريرة عنه (ﷺ) فقال: سمعت النبى (ﷺ) يقول : "إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا مجحلين[٢] من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل"[٣]

****

---

(1) إنجيل متى : (١٤/٥ -١٦).

(2) الغُرُّ : بضم المعجمة وتشديد الراء جمع أعز أى ذو عزة ، وأصل الغره لمعه بيضاء تكون فـى جبهـة الفرس، ثم استعملت فى الجمال والشهرة وطيب الذكور والمراد به النور والمحجلين : من التحجيل وهو بياض يكون فى ثلاث قوائم من قوائم الفرس والمراد به النور (فتح البارى لابن حجر (جـ١ /٢٣٥).

(3) صحيح البخارى ، كتاب الوضوء ، باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء برقم (١٣٣).

الفصل الخامس

توظيف المنهج لدى كُلٌ من المُتَجادِلينْ

ويشتمل على ما يلى :

المبحث الأول : مدى توظيف المنهج لدى بوكاي.

المبحث الثانى : مدى توظيف المنهج لدى كامبل.

تمهيـــــد :

تكتسب الدراسات النظرية أهميتها من عـدة أمـور تَقْـدُمها جميعًـا طبيعـة الموضوع الذى تتناوله – ولمَّا كان الدين من أجلّ الموضوعات وأشرفها رُتِّبَ علـى ذلك أن أصبحت دراسات الأديان من أشرف الدراسات وأجلها – ولكن هنـاك أمـورًا أخرى يجب أن تصحب الأهمية التى يكتسبها موضوع الدراسة، من أهمها جميعًا مدى اتباع هذه الدراسة لمنهج علمي دقيق وواضح. ولا يكون المنهج المتبع مقبولاً إلاَّ إذا جاء وِفْق أصولٍ يتفرع عنها فروعٌ تكون معظمها محلَّ قبول لدى الدارسين فى هـذا الحقل موضوع الدراسة.

وتفرض طبيعة المقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة اتباع طريق معين فـى سير الدراسة من أوَّلها إلى منتهاها؛ هذا الطريق يدور فى فلك مناهج معينـة يُقْتَفَـى أثرها ويُسَارُ على دربها.

وقد تحدثت فيما سبق عن أن علماء المسلمين قد نجحوا – فى ضوء القـرآن والسنة– أن يسبقوا الغرب إلى وضع قواعد وأصول منهجية لتطبيقها علـى دراسـة الأديان، فجاءت هذه الدراسة نائية عن الاعتماد على الأخيلة والظنون، وبعيـدة عـن الأخبار المحتملة للصدق والكذب. وهذا بدوره أدى إلى جعل دراساتهم للأديان متميزة بالنزاهة المطلقة والأمانة العلمية والحيدة التامة فى عرض ومناقشة القضايا ونصاعة الحجة وقوة البرهان والأصالة والعمق.

وذكر البحث أيضًا فيما سبق أن علماء الغرب أنفسهم – وخاصة المُبَرِّزين فى هذا الميدان – اعترفوا لعلماء المسلمين بأنهم أحرزوا قصب السبق فـى هـذا قبـل غيرهم خاصة فى مجال النقد المترابط حول العهدين القديم والجديد. [1]

وهذا الاعتراف بدوره يجعلنا نقرر أن نجاح دارسى الأديان مـرتبط بإتبـاعهم المناهج التى وضعها السابقون الأولون من العلماء ، وهذا من الممكن أن يتحقق لأى باحث تجرد عن الهوى – كما تجردوا – والتزم الموضوعية -كما التزموا – ووصف ونَظَّم وقارن، ونقد وعارض كما نجد ذلك في الدراسات المنهجية عندهم، ومن فعـل ذلك وتحقق بهذا المنهج فسوف يصل إلى الحقائق المرجوة من بحثه.

---

[1] انظر ما سبق من هذا البحث ، ص ٤ إلى ص ٩.

المبحث الأول: مدى توظيف المنهج لدى بوكاي

أحسب أن باحثًا فى الأديان كموريس بوكاي نجح فى أن يطبِّق كثيرًا من المناهج التى رُسِمَتْ أصولها وفروعها عند علماء المسلمين، لأنه من يتابع كتابات الدكتور بوكاي فى الأديان يجد – من غير مبالغة – كثيرًا من أصول وفروع هذه المناهج متحققة عنده ومرعية.

التزام الموضوعية لدى بوكاي :

أخذ بوكاي على نفسه عهدًا قبل أن يخط بقلمه حرفًا واحدًا أن يلتزم الموضوعية فى دراسته للأديان فقال: "حاولت خلال دراستي هذه – وأظنني قد نجحت – التزام الأسلوب الموضوعي المجرد الذى يتبعه الطبيب عند فحص مريض جديد، إذ يمحِّصُ كل أعراض المرض بعناية حتى يصل إلى التشخيص السليم ، وعندما بدأت الدراسة لم يكن لديَّ أدنى اقتناع بالإسلام"[1] ، فقاده ذلك – أى عدم اقتناعه – إلى دراسة القرآن الكريم وذلك دون أى فكر مسبق، وبموضوعية تامة بحثًا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعًا كثيرة من الظواهر الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي، استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على أيَّة مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث. [2]

وهذه الموضوعية قادت بوكاي إلى أن يطرق كل باب لكل منهج يظن فيه أنه سيساعده للوصول إلى الحقيقة التى يتغياها، فجاءت دراساته متبعة لتطبيق كثيرٍ من القواعد للعديد من المناهج على النحو التالي :

---

[1] انظر: "القرآن والعلم الحديث" ، ص١٩.

[2] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٧.

١) المنهج التاريخي:

نجح الدكتور بوكاي فى استخدام المنهج التاريخي، حيث استعان بالمعرفة التاريخية التى ساعدته على تحليل الأحداث التي يمكن دراستها من خلال تطورها التاريخي، ومن خلال حرص الدكتور بوكاي على تطبيق المنهج التاريخي فى دراسته النقدية هاجم أباء الكنيسة الذين يرون أنه لا ينبغى أن ننظر إلى التاريخ فى التوراة مثلاً حسب قواعد النوع التاريخي الذى يمارسه المحْدَثون، لأنهم يرون – أى أباء الكنيسة– أننا لو تتبعنا الصحة والخطأ فيما ورد عن مفاهيم تاريخية فى التوراة فإننا لن ننتهى إلاَّ إلى تعارض غير حقيقى أو إلى توافق مصطنع. (١)

ورفْض بوكاي وجهة النظر هذه رفضًا تامًا يقوده إلى أن يقرر ما يلى :

– لا يجب النظر إلى كتب التوراة بزخرفتها بِدْعيًّا بميزات نريد أن تتميز بها؛ وإنما بأن ندرس موضوعيًا ما هي عليه ، وذلك لا يتضمن فقط معرفة بالنصوص، بل يتضمن أيضًا معرفة بتاريخ النصوص. إن معرفة تاريخ النصوص تسمح فى الواقع بتكوين فكرة عن الظروف التى قادت إلى التعديلات النصية عبر القرون. وإلى التكون البطئ لمجموعها كما نملكه اليوم بأجزاء متعددة محذوفة وأخرى مضافة. (٢)

كما يرى بوكاي أنه من الضرورة بمكان أن نعرف الأحداث التاريخية والصراعات الدينية التى صحبت تدوين الكتب السماوية وذلك لأن "معرفة هذه الوقائع أمر رئيسي حتى نفهم فى أي جَوٍ من الصراع بين الجماعات حررت تلك الكتب. (٣)

وقد طبق الدكتور بوكاي وجهة النظر هذه عندما تناول بدقة الأحداث التى دارت بين اليهودية المسيحية والمسيحية البولسية (نسبة إلى بولس) فقرر أنه منذ رفع المسيح (عليه السلام) وعلى مدار أكثر من قرن كانت هناك صراعات بين اتجاهين : بين المسيحية البولسية واليهودية المسيحية انتهى إلى أن حلَّ الاتجاه الأول محلَّ الثانى، حتى ولو كان بشكل شديد التدرج ، واعْتُبِرَ بولس – من قبل اليهودية المسيحية – خائنًا وعدوًا. (٤)

---

(1) انظر : السابق ، ص٦٠.

(2) انظر: السابق ، ص٦٣.

(3) انظر: السابق ، ص٧٥.

(4) انظر: السابق ، ص٧٣.

ومن الأصول التى اعتمدها بوكاي أيضًا فى اتباع المنهج التاريخي هو **ضرورة البحث عن المصادر الأصلية للنصوص**: [١]

حَرِص بوكاي على ضرورة استقاء المعلومات والبيانات من منابعها الأولى ومصادرها التاريخية الأصلية خاصة فيما يتعلق بالعهدين القديم والجديد.

وقدحَرَصَ بوكاي على ضرورة التحقق من أصول هذا النص ومن ثم قاده سعيه وراء المصادر الأصلية إلى نتائج مهمة منها :

١) فيما يختص بالعهد القديم لم يكن هناك فى البدء نص واحد فقط؛ بل كان هناك تعدد فى النصوص ...ففى القرن الثالث قبل الميلاد تقريبًا كان هناك على الأقل ثلاث مدونات للنص العبري للتوراة : (النص المحقق (الماسورى – Massorethque) والنص المعروف بالسامري(أو أسفار موسى الخمسة Penta teque samaritain) ثم بعد ذلك، فى القرن الأول قبل الميلاد ، اتجاه إلى تدوين نص واحد.

٢) لم يتم تدوين نص الكتاب المقدس (العهد القديم) إلا فى القرن الأول بعد الميلاد.

٣) ولو كانت هذه المدونات الثلاث موجودة الآن لأمكن إقامة المقارنات للوصول ربما إلى رأى عما كان عليه النص الأصلى، ولكن يشاء سوء الحظ ألا تكون لدينا أقل فكرة عنه. إن أقدم نص عبرى للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد.[٢]

٤) أما فيما يختص بالأناجيل فإن خروج النصوص التى نملكها اليوم إلى النور بدأت فى عام سبعين ميلادية بعد تعديلات فى المصادر، وذلك لأنها الفترة التى كانت الجماعتان المتنافستان (اليهودية المسيحية والمسيحية البولسية) فى أوج صراعهما. [٣]

---

[1] انظر: "ما أصل الإنسان" ، ص١٤٧ – ١٤٩.

[2] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٢٢.

[3] انظر: السابق ، ص٧٥.

٥) لا يمكن اعتبار الأناجيل الأربعة (مرقس ومتى ولوقا ويوحنا) أنها تشكل أولى الوثائق الثابتة فى المسيحية : فرسائل بولس سابقة عليها.

٦) أما فيما يختص بالقرآن فيشير بوكاي إلى أنه من المهم أن نعلم بالتأكيد التاريخ الدقيق لإنجاز النص ؛ لأننا سنحاول فهم بعض فقراته فى ضوء المعارف المحصّلة فى العصر الحاضر، إن ما نعنيه بهذه المقارنة ليس له أية قيمة إلا بمقدار ما يؤكد تطابق النص الحاضر مع النص القديم، عندئذ يمكن أن يكون النص الحاضر، كما يقال، نصًّا (من العصر). [1]

٧) ومما يتأكد به بوكاي أن المصادر الأصلية للقرآن هى التى تحت يده أن أقدم الوثائق المعروفة التى وجدت فى كل العالم الإسلامى والمخطوطات الموجودة فى أوروبا[2] تطابق كل منها الأخرى تمامًا. [3]

كما حرص بوكاي أيضًا على الاستعانة بكتابات علماء الأديان وخاصة فيما يتعلق بالكتاب المقدس ، فأكثر جدًا من حشد أدلته على صحة ما يذهب إليه من آراء حول الكتاب المقدس باستخدام أقوال علماء أهل الكتاب.

ومن الأمثلة على ذلك انكاره للأسطورة فى كتب التوراة؛ والتى استدل على وجودها بقول أدموند جاكوب – أحد أباء الكنيسة– والذى يقول فيه : "يحتمل أن ما يرويه العهد القديم عن موسى والآباء الأولين لا يتفق إلا بشكل تقريبى مع المجرى التاريخي للأحداث ، ولكن الرواة كانوا يعرفون ، حتى فى هذه المرحلة من النقل الشفهى، كيف يضفون الأناقة والخيال فى شكل حكاية لما حدث فى أصل العالم والإنسان، ويستطيع العقل النقدى أن يراها، فى نهاية الأمر، معقولة بشكل كاف". [4]

---

[1] Reflexionx sur Le Coran , p, 229 – 237.

[2] يشير بوكاي إلى أنه توجد بالمكتبة الوطنية بباريس قطع يرجع تاريخها – حسب تقدير الخبراء – إلى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين أى إلى القرنين الثانى والثالث من الهجرة.(انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص١٦٣).

[3] انظر : "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص١٦٣ ، وانظر أيضًا : "صحة النص القرآنى وطريقة تدوينه" ، ص٢٧ ، مقال سابق بمجلة الفيصل.

[4] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٢٥.

وعندما رفض الدكتور بوكاي الفرض القائل بأن موسى هو كاتب التوراة استعار البرهنة على هذا الرفض بما قاله الآب ديفو R.P. De Vaux مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس، والذى يؤكد فيه أن كل النقاد للكتاب المقدس يرفضون أبوة موسى على الأقل لجزء من الأسفار الخمسة ، ويؤكد فيه أيضًا على الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب فى أسفار موسى الخمسة. (١)

٢) المنهج التحليلي المقارن.

يمثل المنهج المقارن العمود الرئيس فى دراسات بوكاي للكتب السماوية الثلاثة وهذا المنهج من الأهمية بحيث إنه مكّن بوكاي من إجراء مقارنات وموازنات بين كثير من الإشارات والتي ورد ذكرها فى القرآن الكريم مقارنًا مع أحد الكتابين الآخرين التوراة أو الإنجيل.

وقد نجح بوكاي فى تحديد كثير من الإشارات المشتركة بين كتابين. ولم يقف حد المقارنة بين تلك الإشارات الواردة فى كتابين ، بل إن الدكتور بوكاي قام بإجراء مقارنات وردت فى كتاب واحد ، غير أنها تكررت، كأن تكون فى التوراة فقط أو القرآن فقط أو الأناجيل فقط ، ولهذا جاءت دروب المقارنة عند بوكاي متنوعة على ضربين :

أ) المقارنة غير المباشرة :

وهذا النوع عند بوكاى هو عبارة عن الإشارة التى وردت متكررة فى كتاب واحد، وجاءت فى كل مرة إمَّا متفقة أو مختلفة أحيانًا.

من ذلك تلك المقارنة التى ذكرها بوكاي عن مفهوم اليوم وما يعنيه من مدة زمنية إذا ما قارناه بما يدل عليه ذلك المفهوم الزمني فى آيات أخرى فالله ربُّ العالمين ذكر أنه خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (٢)

---

(1) انظر: السابق ، ص٣١ – ٣٢.

(2) سورة الأعراف : الآية (٥٤).

فمدلول كلمة يوم المشار إليه فى الآية ليس المعهود عندنا بـأربع وعشـرين ساعة بل يعنى دهرًا طويلاً أو فترة من الزمن غير محدودة وإن طالت.

وهذا المعنى يرى بوكاي أنه يمكن التوصل إليه إذا ما قارنا هذه الآية بآيـات أخرى ورد ذكرها فى القـرآن الكـريم فـى مواضـع أخـرى مثـل قـول الله ربّ العالمين: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [1] وقوله : ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [2].

ويرى بوكاي أن هذه الطريقة من طرق المقارنة تجعلنا نرى المشكلة عن قرب أكثر وأن نفحص المعاني الممكنة فى القرآن نفسه.[3]

كما استخدم الدكتور بوكاي هذا الضرب من ضروب المقارنـة مـع الأناجيـل الأربعة التى هى بمثابة الكتاب الواحد – ، فيجد قضية معينة ثم يقوم بمقارنتها هـى هى فى الكتب الثلاثة الأخرى التى تتحدث عن ذات القضية، ويبين مدى التنـاقض أو التوافق؛ من ذلك – مثلاً – ما تذكره الأناجيل عن حادثة آية يونس فى الأناجيل.

يقول متى عن حادثة موت المسيح وأن بقاءه فى باطن الأرض أنه يكون ثلاثة أيام وثلاث ليال، ثم يعود متّى فيخبرنا بما يجعلنا نتأكد بأن المسيح – عليه السلام– لم يمكث بالأرض إلا ليلتين وليس ثلاث ليال.

يقول متى فى إنجيله : **[يَا مُعَلِّمُ نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً». فَقَالَ لَهُمْ: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ.]**[4]

بينما يقول فى موضع آخر : **[مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيراً مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ]**[5]

---

[1] سورة السجدة : الآية (٥).

[2] سورة المعارج : الآية (٤).

[3] انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص١٦٦.

[4] انظر: إنجيل متى (٢٧ / ٥١ – ٥٣).

[5] إنجيل متى (١٦/١–٤) ، وإنجيل لوقا (١١/٢٩–٣٢) ، وإنجيل مرقس (٨/١١–١٢).

يقرر لنا بوكاي أنه بمقارنة هذين النصين نجد أن متى يخبرنا فى النص الأول أن مدة قيامة المسيح ستكون ثلاثة أيام وثلاث ليال ، بينما إذا حللنا النص الثاني نجد أن المدة المذكورة لا يمكن أن تحتوي إلا على ليلتين وليس ثلاث ليال. [١]

ب) المقارنة المباشرة :

وهى تلك التى أجراها بوكاى حول موضوع واحد ورد ذكره فى كتابين سماويين وليس فى كتابٍ واحد ، وجعل مقياس صحة أحد هذين الكتابين على الآخر هو الحقائق العلمية المقطوع بصحتها والتى لا يرقى إليها أى شك.

فما كان من الروايات متفقًا معها فهو الصحيح وما كان مختلفًا فهو الخطأ ولا شك، وصور هذه المقارنة لدى الدكتور بوكاي كثيرة ، وقد سبق تفصيل القول فى كثيرٍ منها فى ثنايا الدراسة[٢]، ويمكن إجمالها فيما يلى :

١) رواية الطوفان بين التوراة والقرآن. [٣]

٢) أطوار خلق الإنسان كما فى التوراة والقرآن. [٤]

٣) نسب المسيح بين الإنجيل والقرآن. [٥]

٤) خلق العالم بين القرآن والتوراة. [٦]

٥) خروج بني إسرائيل بين التوراة والقرآن. [٧]

٦) فرعون والخروج بين التوراة والقرآن. [٨]

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص٨٥ ، ٨٦.

(2) انظر ما سبق من هذا البحث ، ص

(3) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٥٤ – ٥٦ ، ص٢٤٨ ، ٢٥٠ ، وقارن: "القرآن والعلم الحديث" ، ص٥٠ – ٥١.

(4) انظر: "ما أصل الإنسان" ، ص١٤٥ –١٥٩.

(5) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٠٨ – ١١٦.

(6) انظر: السابق ، ص٤٢ –٥٠ ، ص١٦٤–١٦٨، وانظر أيضًا : "القرآن والعلم الحديث" ، ص٤٥ –٤٩.

(7) انظر: السابق ، ص٢٥٣ – ٢٥٨ ، وانظر أيضًا : "القرآن والعلم الحديث "، ص٥١ –٥٤. وانظر أيضًا: **Les Momies dos Pharaons et La Medcine , p : 58 – 62.**

(8) انظر: السابق ، ص ٢٦٥ –٢٧١، و"القرآن والعلم الحديث" ، ص٥١ – ٥٣.

٧) أيام الخلق للسماوات والأرض بين التوراة والقرآن. [١]

٨) التلازم بين الدين والعلم بين التوراة والإنجيل والقرآن. [٢]

٩) مريم أمُ المسيح بين القرآن والأناجيل. [٣]

٣) مجادلة أصحاب العقائد والزامهم الحجة.

يظهر منهج المجادلة مع الآخرين بوضوح لدى بوكاي عند تناوله لكثير من القضايا القرآنية التى خرج منها بعد دراستها بنتيجة مهمة هي أن هذا القرآن لا يقبل النقد من وجهة النظر العلمية.

هذه النتيجة حَدَتْ به إلى أن يتناول كثيرًا من الاعتراضات التي يثيرها بعض علماء الغرب حول القرآن الكريم ، وقد حرص بوكاي على أن يُلْزِمَ مجادله الحجة بطرقٍ شتى.

كما ركَّز بوكاي جدًّا على استخدام هذا المنهج لدراسة الأحكام المغلوطة التي تصدر فى الغرب عن الإسلام، والتي تنتج عن الجهل حينًا، وعن التسفيه العامد حينًا آخر. كما يقول بوكاي إن الذي دفعه إلى ذلك أنه : إذا كنا نستطيع أن نغفر الأخطاء الخاصة بتقدير الأحداث، فإننا لا نستطيع أن نغفر تقديم الوقائع بشكل ينافي الحقيقة. [٤]

وقد أكثر الدكتور بوكاي من مجادلة علماء الغرب وألزمهم الحجة في كثير من الأمور الزائفة التي روَّجوها عن الإسلام وأهله.

من ذلك قوله : "إن هناك دعاوي من الغرب عن القرآن تنافي الواقع تمامًا، كتلك الأكذوبة الخاصة بالقرآن والتي روج لها أستاذ بجامعة اليسوعيين اللاهوتية بمدينة ليون؛ وهى أن القرآن الكريم ينقل سيرة ذاتية أملاها الله بشكل معجز على محمد(ﷺ)[٥].

---

(1) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل" ، ص١٦٤ – ١٦٨.

(2) انظر: "القرآن والعلم الحديث" ، ص١٤ – ١٥ ، انظر: "ما أصل الإنسان" ، ص٢٣٤.

(3) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص٢٤٥ – ٢٤٦.

(4) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم" ، ص١٧١.

(5) انظر: "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " ، ص١٧١.

وحقيقة الأمر أنه لا صلة هناك بين القرآن الكريم وما يسميه المؤلف "بالسيرة الذاتية" فالقرآن رسالة، ولو كان المؤلف قد استعاد حتى نسخ ترجمة للقرآن لثبت له ذلك، إن الدعوى تنافي الواقع تمامًا. (١)

ويرى بوكاي أنه يجب على هذا المروج للأكاذيب وأمثاله أن يعيدوا النظر فى الأحكام الخاطئة الصادرة عن الإسلام، كذلك الحكم المسبق واسع الانتشار الذي يقول بجبرية الإسلام ، فيكفي أن نذكر فيه ما ظل يجهله الغربيون عن عبارة القرآن الكريم. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(٢) ، و ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٣)

كما جادل بوكاي مخالفة حول تلك الأغلوطة التى يروج لهـا الغـرب فـى أن محمدًا إنسان كتب القرآن من عند نفسه، فيجيبه بوكاي قائلاً: "على حين نجـد فـى التوراة أخطاء ضخمة لا نكتشف فى القرآن أى خطأ"(٤).

ودِقَّة بعض التفاصيل الخاصة بالظاهرات الطبيعية، أذهلتنى مطابقتها للمفاهيم التى نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات. (٥)

وهذا يجعلنا نقرر أنه لم يكن ممكنًا لأى إنسان فى عصر محمد أن يكون عنده أدنى فكرة ... إذ ليس هناك سبب خاص يدعو إلى الاعتقاد بأن أحـد سـكان شـبه الجزيرة العربية استطاع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشـرة قـرون ثقافتنـا العلمية فيما يخص بعض الموضوعات. (٦)

كما افترض بوكاي في مجادله أنه سيقول إن الذى جعل محمـدًا يـأتى بهـذه المعارف العلمية في القرآن أن عصر الحضارة الإسلامية كان نشطًا ومواكبًا لنهايـة تنزيل القرآن؛ مما أمكن محمدًا أن يستلهم دراساتهم بسبب تقدمهم على علماء عصرهم.

---

(1) انظر: السابق ، ص١٠٢.

(2) سورة البقرة : الآية (٢٥٦).

(3) سورة الحج : الآية (٧٨).

(4) "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم " ، ص١٥٢.

(5) السابق ، ص١٥١.

(6) السابق ، ص١٥٢.

ويرد بوكاي على هذا الاحتجاج بقوله : إن من يعرف ولـــو يســيرًا، تــاريخ الإسلام ويعرف أيضًا أن عصر الازدهار الثقافي والعلم فى العالم العربي – فى القرون الوسطى– لاحقٌ لمحمد (ﷺ) لن يسمح لنفسه بإقامة مثل هذه الدعاوى الوهمية، فــلا محل لأفكار من هذا النوع ، وخاصة أن معظم الأمور العلمية الموحَى بها أو المصاغة بشكل بَيِّن تمامًا فى القرآن لم تتلق التأييد إلا فى العصر الحديث. (١)

كما يرفض بوكاي القول بأن محمدًا (ﷺ) استكتب القرآن من التوراة والإنجيل لأنه لو كان ذلك كذلك لكان هناك سؤال كيف استطاع محمد أن يصحح الأخطاء العلمية الواردة فى التوراة ويُورِدها صحيحة فى القرآن ، كمـا أن هــذه الــدعوى لا تقــل استخفافًا عن قولنا بأن المسيح أيضًا قد خدع معاصريه باستلهامه للعهد القــديم فــى أثناء تبشيره، كما أنه بمقارنة القرآن مع التوراة والإنجيل نجــد أن القــرآن يعطــى روايات مختلفة عن نفس الحدث. (٢)

****

---

(1) السابق ، نفس الموضع.

(2) انظر : السابق ، ص١٥٦ ، ٢٤٦.

المبحث الثاني : مدى توظيف المنهج لدى "كامبل"

وجدنا فيما سبق عند دراستنا لمدى نجاح بوكاي فى توظيف المنهج أنه أخذ على نفسه عهدًا البداية بأن يلتزم الموضوعية فى الدراسة؛ وأن يضع خطًا فاصلاً، ليحكم به بين الأديان الثلاثة؛ وهو الحقائق العلمية اليقينية الثابتة، والتي لا يرقى إليها أى شك، فجاء هذا الضابط الذى وضعه متفقًا مع كل دراساته على الأديان، وخاصة إذا علمنا أنه ذيَّل عناوين دراساته بما يفيد أنها ستكون فى ضوء المعارف العلمية الحديثة. وأحسب أن بوكاي قد نجح فى ذلك، فجاءت مناهجه التي اتبعها متوافقة مع الخط المنهجي الذي رسمه لنفسه منذ البداية.

ويبقى السؤال : هل نجح كامبل، وهو الذى تصدَّى للرد على بوكاي فى أن يرد بمنهج علمى يُمكِّن قارئه من أن يقبل أرائه ويقتنع بها ؟

لقد عَنْوَنَ كامبل لدراسته التى خصصها لدحض آراء بوكاي بـ"القرآن والكتاب المقدس فى نور التاريخ والعلم" ، فأصبح لدى القارئ تصور عن أن كامبل سوف يتبع المنهج التاريخي ملتزمًا أصوله وفروعه ومعتمدًا على المصادر الأصلية التي تُسْتَقى منها هذه الأصول وتلك الفروع.

ومن ثم يتوقع القارئ أن يجد عنده منهجًا علميًا تخضع فيه كل الآراء إلى الاحتكام إلى الحقائق العلمية التى أثبت العلم الحديث صحتها بلا ريب، كما يوحى بذلك عنوان كتابه.

وفى الحقيقة – وبموضوعية تامة – أن من يقرأ دراسة كامبل يجد أنها تخلو من أصول وفروع المنهج العلمي التجريبي المشار إليهما فى عنوان الدراسة.

ولعل ذلك يرجع إلى أن كامبل كان فى موقف المدافع – لا المهاجم– عن أمور دحضتها حجج بوكاى المبنية على اليقين الذى لاشك فيه وليس هذا معناه أن دراسات الرجل خلت من المناهج البتة ، لأنه لمَّا كان يتحدث عن كتب سماوية ثلاثة. بها روايات مختلفة فكان لابد من أن يلجأ إلى المقارنة أحيانًا، والمجادلة عما يؤمن به أحيانًا أخرى، ولذلك انحصرت دراساته فى إتباع المناهج الآتية :

١) المنهج المقارن

لمّا كان الدكتور كامبل يرد على ما توصل إليه الدكتور بوكاي من أن التوراة والإنجيل كتابان محرَّفان، وأن من أسباب هذا التحريف ما حدث من صراعات عند تدوين هذين الكتابين، أدَّى به ذلك إلى أن يعقد مقارنة بين الأدوار التى مر بها الإنجيل عند تدوينه وبين الأدوار التي مر بها القرآن عند تدوينه – أيضًا– ، غير أنه قبل أن يعقد المقارنة بينهما يصرح بقوله : إنه ما دام القرآن لا يحتوى على ما أعتقده فلابد أن المسلمين قد حرفوه ليجعلوه يقول ما يعجبهم. [١]

يَخلُصْ كامبل من هذه المقارنة إلى أن القرآن والإنجيل كتابان متشابهان فى أدوار تدوينهما وفى تطور نصوص كل منهما[٢]، فيرى – بزعمه– أن المشكلة التى يواجهها المسيحيون فى التواريخ المبكرة تشبه تاريخ المسلمين، فقد كان المسيحيون مكروهين مضطهدين لمدة (٣٠٠) سنة بعد صعود المسيح للسماء. [٣]

كما يرى كامبل أنه بمقارنة التطور الأولى للقرآن والإنجيل نجد أن عدد المسلمين مع محمد مائة وخمسين مسلمًا، ولكنهم عجزوا عن مصاحبة محمد إلى المدينة. [٤]

وكذلك كان عدد المسيحيين أحد عشر تلميذًا [٥] كانوا موجودين مع المسيح، كما كان معه مائة وعشرين مؤمنًا ممن تركوا بيوتهم بسبب إيمانهم. [٦]

كما قارن كامبل بين المسيح (عليه السلام) وجميع الأنبياء من ناحية الطاعة لله وعدم معصيته فذهب من خلال هذه المقارنة إلى أن المسيح هو النبى الذى بلا خطية ، والرسول الذى بلا وزر... ولاشك أنه هو الشفيع الكامل. [٧]

---

(1) انظر : "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٩٦.

(2) السابق : الموضع.

(3) انظر: السابق ، ص١٠٢ ، وسوف يأتى بيان تفصيل المقارنة بين القرآن والإنجيل فى موضعه من هذه الدراسة عند الحديث عن موقف كامبل من تحريف القرآن.

(4) السابق ، ص٩٧.

(5) لأن كامبل ومعه النصارى يعتقدون أن التلميذ الثاني عشر وهو "يهوذا الاسخريوطى" كان قد انتحر بعد أن خان المسيح.

(6) انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص١٠٣.

(7) انظر ما سبق من هذا البحث ، ص٣٦٧.

وقد وظف كامبل المنهج المقارن في تتبع ارتقاء الدين من تعدد الآلهة إلى التوحيد .. وذلك فى معرض حديثه عن المقارن عن تعدد الآلهة عند الشعب اليهودي وتطورها نتيجة التطور الطبيعي للأحاسيس الدينية التى لم تكن تعتمد على وحي [١]، وكذلك الأمر كان عند حال قبيلة قريش بمكة أيام محمد(ﷺ)، فقد كان القريشيون يرون أنهم يؤمنون بأن الله هو الأعلى وبقية آلهتهم أدنى، يشفعون لهم عند الله. [٢]

٣) المنهج النقدي الجدلي

اعتمد كامبل فى نقده الجدلي على أن يستخرج البرهان على صحة ما يذهب إليه من القرآن الكريم ويستخرجها كذلك من نصوص الحديث الشريف الذي رُوي عن محمد (ﷺ)، كما اعتمد فى جدله أيضًا أن يقول لمخالفه بأن أى نظرية نقدية طبُقِت على التوراة والإنجيل يمكن تطبيقها كذلك على القرآن.

ويضرب الأمثلة على ذلك بنظرية الوثائق أو المصادر الأربعة[٣] التي تحدث عنها الدكتور بوكاي واستدلّ بها – هو وغيره من النقاد – على وجود أكثر من مصدر لكتابة العهد القديم.

واعتمد كامبل فى نقده الجدلي مع مخالفه على القول بأن هناك أمورًا فى نظرية الوثائق لو طبُقّت على القرآن لرفضنا القول أن يكون الله قد أوصى بشيءٍ إلى محمدٍ (ﷺ) وهذه الأمور منها المعجزات.

فأصحاب نظرية الوثائق لا يؤمنون بالمعجزات التى أجراها الله لموسى والمسيح، فلو طبقّت هذه الرؤية لاستحال الوحى والمعجزات التى أجراها الله لمحمد(ﷺ)[٤].

وخاصة إذا علمنا أن أصحاب هذه النظرية يقولون بأن الأخبار التى وردت عن إبراهيم عليه السلام فى التوراة ما هى إلا مجرد أساطير وروايات. ولو طبقنا هذه

---

(1) انظر: السابق، ص٧٢.

(2) انظر: السابق، ص٧٩.

(3) انظر تفصيل القول فى التعريف بنظرية المصادر الأربعة وأهم أعلامها فيما سبق من هذا البحث، ص١٣٠.

(4) "القرآن والكتاب المقدس" ، ص٧٣.

وخاصة إذا علمنا أن أصحاب هذه النظرية يقولون بأن الأخبار التى وردت عن إبراهيم عليه السلام فى التوراة ما هى إلا مجرد أساطير وروايات. ولو طبقنا هذه الرؤية وهذا النقد المتكرر مع ما ذكره القرآن الكريم أربع مرات[1] من قصة زيارة الضيوف المكَّرمين لِيبُشِّروه بابن فى هذا السن المتقدم – قياسًا على نظرية الوثائق – لقلنا إن هذه الوثائق الأربع أساطير وروايات. [٢]

كما جادل كامبل محاورة ناقدًا القول بأن القرآن يحتوي على معرفة مسبَّقةٍ بالعلوم، ويُرْجع سبب ذلك إلى الأصل السماوي ويرى كامبل أن محاوره – بناء على هذا القول – ينتقد الكتاب المقدس لأنه يُشْعر أنه لا يحتكم للطبيعة التى تظهر مجد الله وقوته. [٣]

وهذا القول غير صحيح، لأنه إذا قرأنا العهد القديم لوجدنا آيات تتحدث عن الطبيعة وما يحدث فيها وقد كتبت هذه الآيات قبل الهجرة بألف وثلاثمائة سنة.

جاء فى نبوة عاموس: **[اَلَّذِي صَنَعَ الثُّرَيَّا وَالْجَبَّارَ وَيُحَوِّلُ ظِلَّ الْمَوْتِ صُبْحاً وَيُظْلِمُ النَّهَارَ كَاللَّيْلِ. الَّذِي يَدْعُو مِيَاهَ الْبَحْرِ وَيَصُبُّهَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ يَهْوَهُ اسْمُهُ.]**[٤]

كما نقرأ فى نبوة إشعياء: **[كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ هَكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ. لأَنَّهُ كَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ وَالثَّلْجُ مِنَ السَّمَاءِ وَلاَ يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ بَلْ يُرْوِيَانِ الأَرْضَ وَيَجْعَلاَنِهَا تَلِدُ وَتُنْبِتُ وَتُعْطِي زَرْعاً لِلزَّارِعِ وَخُبْزاً لِلآكِلِ هَكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لاَ تَرْجِعُ إِلَيَّ فَارِغَةً بَلْ تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ وَتَنْجَحُ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ]** [٥]

---

[1] ورد ذكر زيارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام يبشروه بغلام له ثم يذبحه لله فى رؤيا منام فى سورة الذاريات ، الآيات (٢٤–٣٠) ، وسورة الحجرات (٥١–٥٦) ، وسورة هود (٦٩–٧٤) ، وسورة الصافات (٩٩–١٠٣).

[2] السابق ص٨٧–٨٨.

[3] انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص١٦٧.

[4] سفر عاموس: (٥/٨).

[5] سفر إشعياء : (٥٥/٩–١١).

وجاء فى سفر أيوب :[**هُوَذَا اللهُ عَظِيمٌ وَلاَ نَعْرِفُهُ وَعَدَدُ سِنِيهِ لاَ يُفْحَصُ. لأَنَّهُ يَجْذِبُ قَطَرَاتِ الْمَاءِ. تَسُحُّ مَطَراً مِنْ ضَبَابِهَا الَّذِي تَهْطِلُهُ السُّحُبُ وَتَقْطُرُهُ عَلَى أُنَاسٍ كَثِيرِينَ**](١)

يرى كامبل فى هذه الآيات التوراتية أنها تصف ما ذكره القرآن(٢) عن دورة الماء، من أن الماء يتبخر من البحار والأرض ليصبح سُحُبًا تنزل مطرًا فتسبب إنبات الأرض ووجود آبار وينابيع سفلى فيها. (٣)

كما أن المعلومات التى ادعى بوكاي أنها علمية فى القرآن يمكن أن يعرفها الإنسان العادي الذى يتعامل مع الأرض كالفلاحين الذين يتحدثون عن الجفاف فى الآبار والينابيع مما يبرهن معرفتهم بأن المطر مصدر المياه الجوفية، كما أن الأمور التى لم تقدر الملاحظة وحدها أن تدركها أيضًا لا نجد لها ذكرًا فى القرآن. (٤)

وأما فيما يخص الآيات التى اقتبسها بوكاي من العهد المكى الأول: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾(٥)

فنحن نتساءل : أليست هذه الحقيقة ظاهرة طبيعية معروفة لدى كل صياد بسيط يصيد فى نهر عذبٍ يصبُّ ماءه فى بحر مالح...لقد قام محمد برحلات تجارية فى خدمة خديجة، وسافر حتى حلب شمالي دمشق، ولعله فى رحلةٍ من هذه ذهب إلى ساحل سوريا أو لبنان، وسمع من بحار عن عدم امتزاج الماءين المالح والعذب. (٦)

---

(1) سفر أيوب : (٣٦/٢٦-٢٨).

(2) انظر: يشير كامبل إلى كثير من الآيات القرآنية التى تتحدث عن دورة المياه وتبخرها (انظر: سورة الأعراف: ٥٧، والزمر: ٢١، والنبأ : ١٢: ١٦).

(3) انظر: "القرآن والكتاب المقدس" ، ص١٦٧.

(4) انظر:"القرآن والكتاب المقدس"، ص١٦٨.

(5) سورة الرحمن : الآيات (١٩-٢٢).

(6) انظر: "القرآن والكتاب المقدس"، ص١٧١.

٣) المنهج التاريخي :

حاول كامبل أن يستعين بالمعطيات التاريخية لكلٍ من القرآن والإنجيل لكي يتمكن من فهم الأحداث التاريخية لكلٍ منهم ككتاب سماوي، ولكي يتمكن كذلك من إجراء المقارنة بينهما منذ أطوار تدوينهما الأولى، وحتى استقرارهما بين أيدى من يؤمن بهما.

ويرى كامبل أن التاريخ هو السبيل الوحيد الذى يمكن من خلاله تحديد معنى الكلمات المستخدمة في القرآن والإنجيل، بل وغيرهما من الكتب.[١]

ويرسم لنا كامبل هذا السبيل فى المعرفة التاريخية بأن: "تأتي بنماذج من استعمالات (الكلمة المعينة) – التى نريد معرفة معناها – فى كتابات تعود إلى القرن الأول الميلادي – (فيما يخص الإنجيل) أو القرن الأول الهجري (فيما يخص القرآن)- من شعر ورسائل ومكتبات حكومية، وهذا يتطلب اكتشاف وثائق جديدة مثل ألواح نوزي[٢] التى تعود للقرن الخامس عشر قبل الميلاد، التى ساعدتنا لنفهم العادات زمن إبراهيم الخليل".[٣]

ثم يرى كامبل أن الخطوة التالية لهذه هى المقارنة أطوار نصوص الكتاب المقدس مع أطوار النص القرآني من حيث المشابهة فى الظروف التاريخية أو الاختلاف بينهما فى هذه الظروف مع التركيز على إبراز الصراعات الدينية التى تعرضت لها الجماعات الدينية التى كانت مهتمة بتدوين تلك الكتب وقت تنزيلها.

ومن خلال هذه الرؤية يرى كامبل أن أدوار القرآن الأولى متشابهة مع أدوار الإنجيل الأولى من عدة وجوه :

---

(1) انظر: "القرآن والكتاب المقدس فى نور التاريخ والعلم" ، ص٢٢.

(2) ألواح نوزي : هي ألواح اكتشفها علماء الآثار وقالوا أنها ترجع إلى سنة ١٥٠٠ ق.م، وقد كتبت بالحروف المسمارية، وقد دُوِّن فيها كثيرًا من عادات إبراهيم ويعقوب وإسحاق، وقد اكتشفت بين عامي ١٩٢٥-١٩٣٠، ونوزي نسبة إلى موقع فى شمال شرقي بلاد الرافدين (انظر: "القرآن والكتاب المقدس"، ص٧٩-٨٠)

(3) "القرآن والكتاب المقدس فى نور التاريخ والعلم" ، ص٢٢.

فى هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة كان عـدد المسـلمين حـوالى ١٥٠ مسلمًا بالإضافة إلى بعض المسلمين فى المدينة. (١)

كما كان عدد المسيحيين مع المسيح ١٢٠ مؤمنًا قويي الإيمان بالمسيح تركوا بيوتهم بالإضافة إلى أن أحد عشر تلميذًا كانوا موجودين معه. (٢)

من الهجرة إلى موت محمد(ﷺ) ظل يتزايد عدد المسلمين إلى أن وصـل إلـى ١٤٠ ألفاً ساعة موت محمد.

وبناءً على المعلومات الواردة عن المسيح نجد أن المسيح قد أجرى ما بـين ٩٠٠ و١٠٠٠ من المعجزات التى شاهدها نحو ١٥ ألف شخص، ولابد أن نحـو ٨٥ ألف آخرين من أهل المرضى الذين نالوا الشفاء عرفوا بـالمعجزات وشـهدوا قـدرة المسيح المعجزية. (٣)

كما لجأ كامبل إلى استخدام المنهج التاريخي في إثبات المشابهة بين طريقـة تدوين القرآن مع طريقة تدوين الأناجيل فى أيامهما الأولى.

فعلى حين انتشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية، وكان ذلك سببًا رئيسـا فى مناشدة الصحابة أبا بكر الصديق أن يدوِّن القرآن لانتشار القتل فى حفظته(٤)، نجد أيضًا أن عدد المسيحيين بدأ يزيد، ولكن اليهود قد ألقوا القبض على الرسـل؛ ولكـن نجد أن المسيحية قد بدأت فى الانتشار خارج فلسطين إلى الحبشة علـى يـد بعـض تلاميذ المسيح، كما سافر بولس إلى دمشق – أول أمره – ليقضي على أتباع المسيح هناك، كما انتشرت أيضًا فى تركيا واليونان وروما. (٥)

---

(1) انظر: "القرآن والكتاب المقدس"، ص٩٧.

(2) انظر: السابق ، ص١٠٣.

(3) انظر: السابق ، ص١٠٤.

(4) انظر: السابق، ص٩٨.

(5) انظر: السابق، ص١٠٦ – ١٠٧.

خاتمـــة البحث
وذكر أهم النتائج

اهتم هذا البحث بتسليط الضوء على حوار ومجادلة أحسـبها غيـر مألوفـة؛ إذ المألوف فى المجادلات العقدية أن تكون بين مُخْتلفَيْ الدين ، ويحاول كـل منهمـا أن يسوق أدلته على صحة معتقده وبكل سبيل، حتى ولو أعوزه ذلـك إلـى أن يسـتدل بنصوص من كتب لا يؤمن بالصحة الكاملة لها ، كالأناجيل مـثلاً إذا كـان المسـتدل مسلماً. وأما إذا كان نصرانياً فإنه يسوق النصوص من القرآن الكريم أو من السـنة النبوية اللذين لا يؤمن بأولهما ككتاب منزل من عند الله رب العالمين ومعجزة خالدة، وكذا لا يؤمن بالنبي الذي يقول خصمه – المجادل الأول – بأنه مرسل مـن عنـد الله يجب إتباع سنته ، وعلى العكس من كل أنواع المتجادلين جاء مُتَجَادلِيْنا من أبناء ملة واحدة وهى النصرانية ، بل من أصحاب مذهب واحد وهو الكاثوليكية، والتي يدين بها معظم الغرب النصراني ، وهذا بدوره حدا بالدراسة إلـى أن تُعَـرِج الدراسـة علـى الطريقة التي درس بها العلماء الأوائل من المسلمين الدين ، ومقارنة هذه الطريقة بما كان عليه الغرب أيضًا من دراستهم له، فخرجت هذه الدراسة بالعديد من النتائج التي وقفت عليها هذا البحث بعد تمحيصه لأدلة كل من المُتَجادِلُيْن وفحصها فحصًـا دقيقًـا – وبموضوعية تامة – وبيان المقبول منها والمرفوض، ثم بيان أسباب الرفض مـع سوق الأدلة على ذلك.

وكان من أهم النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة ما يلي :

١) في ضوء القرآن والسنة، وكذا في ضوء الفهم الصحيح لهما مـن قِبَـل علمـاء المسلمين؛ تمكنوا من دراسة الأديان السماوية من خلال مناهج واضـحة محـددة المعالم والأصول، تَمكنُ لمن يسيرُ وفقها أن يتأكد من صحة كل ما يطلق عليه أنه دين ، وذلك من خلال الأصلين الثابتين الراسخين عند علمـاء المسـلمين وهمـا السند والمتن. فأما السند فلابد لمن يبحث عن صحة أى دين أن يستوثق بدءًا من

الطريقة التى نقل له بها هذا الدين أمتصلة هى أم منقطعة ، وإذا كانت متصلة فاتصالها جاء عن طريق العدول الكافة الذين لا يمكن تواطؤهم على الكذب، أم على العكس من ذلك ؟ وأما المتن فلابد أن يكون بدءًا متفقًا مع بديهيات العقل ومسلماته ، ثم هو بعد يتفق مع قوانين الطبيعة التي خلقها الله سبحانه وتعالى، ففي ضوء هذين الأصلين جاءت مناهج علماء المسلمين واضحة المعالم محددة الأهداف يمكن لمن يستوعبها أن يطبقها ويستوثق بها من صحة أى دين.

٢) في الوقت الذي وضع فيه علماء المسلمون المناهج الواضحة لدراسة الأديان، والتي صاروا وفق أصولها وطبقوا قواعدها، كان الغرب النصراني في غيابات الجهل بكل الأديان ، حتى دينه الذي يدين به ، إذ إن الكنيسة قد حجرت على عقول النصارى واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس ، وإدانة كل من جاهر بحقيقة لم تقرها من قبل، ومن لم يذعن لها تحيق به اللعنة، فأدى ذلك إلى تحجر العقل الأوربي وبعده عن الدين، وتسليم مقاليد الأمور للكنيسة.

٣) جاءت معرفة بعض مناهج دراسة الأديان في وقت متأخر جدًا عند الغرب النصراني، ولم تأت هذه المعرفة عندهم متواضعة على مناهج ثابتة يرتضونها لدراسة الأديان ، بل إنهم اختلفوا في تحديد مناهج ثابتة لها أصول وقواعد يمكن مراعاتها عند دراسة أى دين بل إنهم كلما عرفوا منهجًا نشأت أزمة تجديده حول منهج آخر يظنون فيه أنه المقبول والمناسب لدى علمائهم ، ثم يفاجئون بأنه ليس كذلك ، حتى أصبح البحث عن المنهج المناسب مشكلة المشاكل في مجال مقارنة الأديان تعقد بسببه المؤتمرات ، وتنشر لأجله الكتب والمذكرات ، وتصدر لأجل تنشيط البحث الصحف والمجلات.

٤) تمكن موريس بوكاي – وهو على نصرانيته- أن يجرد نفسه من الهوى واستطاع وبموضوعية تامة أن يتوصل إلى صحة النص القرآني ، وذلك من خلال النظريات العلمية التي تواضع عليها العلماء التجريبيون شرقًا وغربًا، وسلموا بصحتها.

فمكنته هذه النظريات من الاستوثاق من النص القرآني بأنه لا ريب فيه مـن ربَ العالمين ، وعلى العكس منه وقوع التحريف والتبديل في التـوراة والإنجيـل، إذا مرَّرنا نصوصهما على ذات الحقائق العلمية السابقة التي سبق وأن مررنا عليهـا النص القرآني.

٥) إن تأكد بوكاي من وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل جعلـه يـرفض وبشدة تعليقات وتفسيرات علماء اللاهـوت ، والتـي يـرى أنهـا ضـرب مـن البهلوانيات التي تحتاج إلى مؤمنين من غير قيدٍ أو شرط أو إثارة أية أسئلة، وقد دفعه ذلك إلى أن يجهر بأن مفسري الكتاب المقدس يعرفون الأمور غير المقبولة عقلاً وعلمًا في الكتاب المقدس ، ومع ذلك يقرونها ولا يعترفون بأنهـا مناقضـة للعقل وغير مقبولة.

٦) أكد هذا البحث أن النتائج التي توصل إليها الدكتور بوكاي فيمـا يخـص الكتـب المقدسة، والتي توصل إليها من خلال الاحتكام إلى الحقـائق العلميـة المقطـوع بصحتها، -هذه النتائج- قد سبقه إليها علماء المسلمين من دارسي الأديان بمـا يقرب من ألف عام ، فرفضوا هذه الأخطاء الواردة في التوراة والإنجيـل عقـلاً ونقلاً، غير أنهم استندوا في ذلك إلى تلك القاعدة العظيمة التي رسـخها علمـاء الحديث من المسلمين والتي تتضمن فحص السند فحصًا دقيقًا ، ثم النظر في المتن وتمحيصه في ضوء القرآن والسنة، ثم بعد ذلك يستأنسون بمـا تمليـه علـيهم المعطيات التاريخية والجغرافية.

٧) لفت البحث النظر إلى أهمية الاهتمام بمسألة ترجمة القرآن الكريم إلى غير لغته، ووجوب توفر لجان علمية مسلمة متوحدة ومتضافرة فيما بينها والعمل على القيام على أمر هذه المهمة ، وأن يعمل كلٌ في تخصصه لإتمام هذا الأمر علـى النحـو المرضي ، ومحاولة تأدية المعنى – قدر المستطاع- إلى اللغة المتـرجم إليهـا ، حتى نتوقى الترجمات المغرضة التي يقوم على معاني لـم يقلهـا، ولا يمكـن أن

يتحملها في لغته الأصلية. ويأتي كل ذلك التحريف والتشويه عن عمد وقصد وعنت كما أظهرت الأمثلة ذلك في ثنايا هذا البحث.

٨) بيَّن البحث تهافت الأدلة التي التف حولها كامبل ومن معه من النصارى مستنطقًا إيها معاني ليس فيها، ومستخدمًا شواهد ليست في مواضعها خافيًا عن قارئه السياق العام التي وضعت فيه مستلاً إياها من سياقاتها عن عمدٍ ، مقتفيًا أثر المنصرين الأوائل الذين رسموا له معالم الطريق الغير صحيح، فضلوا وأضلوا.

٩) توصل هذا البحث إلى أن أوصاف التحريف والتبديل والتعطيل والتغيير التي أخبر الله بها عن أهل الكتاب في القرآن الكريم جاءت السنة النبوية فألحت على توفرها فيهم، بل وذكرت لنا صورًا وقصصًا عمليةً حدثت مع صاحب الرسالة نفسه (ﷺ)، فهُدِي بها من هُدِيَ عن بينة، وضل بها من ضلَّ عن بينة.

١٠) توصل هذا البحث إلى أن الأوصاف الدينية التي اتصفت بها طائفة المسيحية اليهودية التي آمنت بالمسيح وأحيت شريعة موسى ، تنطبق تمامًا مع أوصاف الشرع الذي جاء به محمد (ﷺ). غير أن هذه الطائفة قد عُفي رسمها واندثرت كتبها بسبب ما حدث لها من طائفة المسيحيين البولسية، فلم يتمكنوا من الحفاظ على كتبهم. ومن نجا منهم ظل ينتظر بعثته النبى الذي أخبر عنه الأنبياء الذين آمن بهم فلما وجد علاماته آمن به وصدقه وهذا يدل على صحة نبوة محمد(ﷺ)، ويدل أيضًا على تحريف المسيحية البولسية لرسالة المسيح عليه السلام، وذلك لأنهم ينكرون نبوة محمد (ﷺ) كما أن شريعتهم فيها ما يختلف مع شريعة المسيحية اليهودية، والتي آمنت بدين المسيح الصحيح عند بعثته.

١١) بإجراء المقارنة بين القرآن والأناجيل يتضح لنا أنه لا يمكن بحال إجراء مثل هذه المقارنات بين الكتابين، لا من حيث التنزيل ولا من حيث الحفظ والتدوين والتعبد. وذلك لأنه قد ثبت لنا أن القرآن الكريم نزل منجمًا على محمد(ﷺ) بحسب

الحوادث، مما مكن له ولأصحابه أن يحفظوه جزءًا جزءًا وأن يتعبدوا به بين يدي الله – رب العالمين– فيثبت في صدورهم، ثم هم بعدّ يراجعونه على نبيهم (ﷺ) ثم يتبعون ذلك كله بالتدوين والكتابة في الصحف والألواح وغيرها من الوسائل، على أيدي كتبة حفظ لنا التاريخ أسماءهم وما تميز به كل منهم. أما الأناجيل فلم يثبت أن المسيح (عليه السلام) كتب إنجيله، كما لم يثبت أيضًا أن هذه الأناجيل كاتبوها شهود عيانٌ رأوا المسيح وسمعوا منه كما هو الحال مع أصحاب محمد (ﷺ). ولهذا لا ينبغي أن نقول بتعدد المصاحف كما هو الحال فى الأناجيل وتعددها، لأنه قد ثبت لنا – في هذا البحث– أن عثمان (رضي الله عنه) جمع الناس على مصحف واحد اجتمعت عليه كل قلوب الصحابة وألسنتهم، ثم هو بعد يقرر حرق كل الألواح والصحف التي كُتب فيها القرآن أولا. حتى يتوقى ألا يقع الناس في أي خلاف على القرآن الكريم.

١٢) إن الدراسة السياقية الصحيحة للآيات القرآنية التي تتحدث عن أهل الكتاب في القرآن الكريم تقودنا إلى القول بأن القرآن الكريم جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، بمعنى أنه هو الحكم والرقيب والشاهد على ما فيها،

١٣) توفر المهتدون إلى الإسلام – وغيرهم من علماء المسلمين– على إعادة النظر فيما جاء في الكتاب المقدس فوضعوا أيديهم على مواصفات وبشارات لا تنطبق إلا على محمد (ﷺ) ورسالته، بل ومكان بعثته (ﷺ) ، وكذا توصلوا إلى مواصفات لا تنطبق – أيضًا – على صحابة محمد (ﷺ) ، فجلوا هذه البشارات وأشاروا إلى تلك الأوصاف فأصبحت بمثابة السراج المنير الذي يهتدى به الدارس الموضوعي للأديان واضعًا يده على الحقيقة المحمدية بتؤدة واطمئنان.

وصلى الله وسلم على محمد النبى الأمي عليه السلام ، وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

ملحق الدراسة :

نص المناظرة بين الدكتور "وليم كامبل" والدكتور "ذاكر عبد الكريم نعيق":

الدائرة الإسلامية لشمال أمريكا .

THE QUR'AN AND THE BIBLE, IN THE LIGHT OF SCIENCE - PART 1

(Sabeel Ahmed) *Auzubillahi Minash Shaitanir Rajeem, Bismillahir Rahmanir Rahim*.....(Arabic)...In the Name of Allah the Most Gracious, the Most Merciful. Dr. William Campbell, Dr. Zakir Naik, Dr. Mazachis, Dr. Jamal Badawi, Dr. Samuel Nauman and Mr. Sam Shamoon, distinguished guests, ladies and gentlemen, *As Salaamu Alaikum Wa Rahmatullahi Wa Barakatahu*... Peace and Blessings of Almighty Allah be upon all of you. On behalf of the organizers... the Islamic Circle of North America, I, Syed Sabeel Ahmed, welcome all of you to this unique event ... a dialogue on the topic – 'The *Qur'an* and the *Bible* in the light of Science.' Again on behalf of Dr. Campbell, Dr. Zakir Naik, Islamic Circle of North America, this dialogue is being held in a spirit of friendship, understanding each other's view points. A brief introduction of ICNA's activities - Islamic Circle of North America. The goals of Islamic Circle of North America, are to motivate Muslims to perform their duty of being witnesses unto mankind, offering educational training opportunities to increase the Islamic knowledge and to enhance the character. ICNA is also active in opposing immorality and oppression of all forms, supporting efforts for socio-economic justice, civil liberties in the society, strengthening the bond of humanity, by serving all those in the need, anywhere in the world, with special focus on our neighborhood across North America. For today's unique dialogue, the two main moderators are Dr. Mohammed Naik representing Dr. Zakir Naik, and Dr. Samuel Naaman representing Dr. William Campbell.It is my duty to ensure a fair and proper conduct of this meeting - therefore we request our speakers as well as the audience, to maintain due decorum for a healthy dialogue.With that, I would request Dr. Samuel Naaman to give the introduction of Dr. William Campbell - *Assalamu Alaikum.*

(Samuel Naaman) Thank you brother Sabeel Ahmed - It is a pleasure and honour to be here with you this evening. And first of all, I myself with a group of our brothers and sisters from the Christian background, really like to thank the Islamic Circle of North America, and the local people who have organized this unique event. They have done a great job - they have worked very hard. And now we have come to the last moment, to be here. Dr. William Campbell did his medical work, in Cleveland Ohio at Casewestren Reserve University. He worked for twenty years in Morocco, where he learnt Arabic. After 7 years in Tunesia, he wrote his book, answering Dr. Maurice Bucaille. He is a convinced Christian, who likes to explain the *Injeel* or the Gospel, to everyone. At age 74, Dr. Campbell is retired with 10 grandchildren. And we are really thankful, and we are really happy to be with you tonight - Thank you.

(Dr. Mohammed) On behalf of the Islamic Research Foundation, I Dr. Mohammed Naik am pleased to be amongst you all along with Dr. Zakir. It is a pleasure to be here

for this unique event, and have the good pleasure of having scholars like Dr.William Campbell, Dr. Jamal Badawi, Dr. Mazzacus, as well as my co-colleague Brother, Dr. Samuel Naaman, here with us. I on behalf of Brother Samuel and myself, present the format for the dialogue. The format as agreed and decided fair, by both our speakers is, Dr. William Campbell would first address you for 55 minutes on the topic - 'The *Qur'an* and the *Bible* in the light of Science.' Then Dr. Zakir Naik at the far end, would make his presentation for 55 minutes on the same topic. This would be followed by a response session, in the which Dr. Campbell would respond to the matter presented by Dr. Zakir for 25 minutes, followed by Dr. Zakir too responding for 25 minutes, to the matter presented by Dr. Campbell. Lastly, we would have the open Question and Answers session, in which the audience may pose questions to each speaker alternately, on the question mikes provided in the auditorium. After the mikes-questions are handled, we would allow questions on index cards to be provided by volunteers in aisles, and in the order selected at random, by the coordinators and the advisors, to each of the speakers. Ladies and gentlemen... to address you, today... Dr. William Campbell.

(Dr. William Campbell) Greetings to Dr. Naik, who came... almost surely came the farthest. Greetings to Sabeel Ahmed, and Mohammed Naik, and greetings to the organising committee. Calling this... 'The ultimate dialogue' – It is a bit of an exaggeration - But it is good advertising. And greetings to you the audience. I would like to also bring greetings in the name of *Yehowah* or better known as *Jehowah* the great Creator God, who loves us. I wish to start by speaking about words. Tonight we are going to speak about the words of the *Bible*, and the words of the *Qur'an*. The scholars of modern linguistics tell us...'A word, a phrase or sentence means, what it meant to the speaker, and the person or crowd of people listening. In the case of the *Qur'an*, what it meant to Mohammed, and those listening to him. In the case of the *Bible*, what it meant to Moses or Jesus, or those listening to them. To check this we have the context of all the usage in the *Bible* or the *Qur'an*. In addition, there is the poetry and letters of that century - For the Gospel, the first century A.D... for the *Qur'an* the 1st century of the *Hijra*. If we are going to follow the truth, we may not make up new meanings. If we are seriously after truth, there are no permissible lies. Here is an example of what I am taking about - We can have the first slide here. This is talking about two dictionaries, that I have in my home - One from 1951 and 1991. In these two dictionaries, the first meaning 'pig'... 'a young swine of either sex' - is the same. The second meaning... 'any swine or hog', 'any wild or domestic swine' - It is the same. Third... 'the flesh of swine... pork' - it is the same. Then the meaning of... 'person or animals of piggish habits' - It is the same... 'A person who is gluttonous.' And down here, pouring metal into a pit, for pig iron, is the same. But over here, is a new meaning. A police officer... we call police officers 'pigs.' All right the question is – 'In the *Torah*, it says you cannot eat pigs. Or can I turn around and say... 'O yes! That means police officers - You cannot eat police officers.' Off course not. In the *Qur'an*, Allah says... 'You cannot eat pigs.' Can I translate it... 'Cannot eat police officers ?' No! it is wrong - It would be stupid - It would be lying actually. Mohammed did not mean... 'police officers' - Moses did not mean... 'police officers.' We may not have any new meanings. We must use the meanings known in the first century A.D. for the *Bible* or that is for the Gospel, and the first century of the Hijra, for the *Qur'an*. Now let us look at what the *Qur'an* is going... says about

'Embryology.' Oh sorry! Got the wrong thing. It is been said that the idea of the *embryo* developing through stages, is a modern one - And the *Qur'an* is anticipating modern embryology, by depicting different stages. In his pamphlet entitled... 'Highlights of human Embryology' by Keith Moore - Dr. Moore claims... 'The realization of the embryo develops in stages in the uterus was not discussed to illustrate it, until the 15th century.' We will weigh this claim by considering the meaning of the Arabic words used by the *Qur'an*. And secondly, by examining the historical situation leading upto, and surrounding the *Qur'an*. We will start by looking at the main words using the word '*Alaqa*' - main verses. The Arabic word '*Alaqa*' in the singular, or 'Alaq' as the collective plural, is used six times. In the Surah of 'The Resurrection', 'AL-Qayamat', 75 : 35 to 39, we read... 'Was he man, not a drop of sperm ejaculated, then he became '*Alaqa*', and God shaped and formed, and made of him a pair – the male and the female.' In the Surah of 'The Believer' – Al Momin, 40:67, it says... 'He it is who created you from dust, then from a sperm drop, then from a leech like clot - '*Alaqa*.' Then brings you forth as a child, that perhaps you may understand. In the Surah of 'The Pilgrimage' – Al-Hajj, 22:5, it says... 'O mankind! If you have doubt about the resurrection, consider that we have created you from dust. Then from a drop of seed, then from a clot '*Alaqa*', then from a little lump of flesh, shapely and shapeless. And finally the following statement is there in the Surah of 'The Believers', Al-Mominun, 23:12 to 14, which reads... 'Verily, We created man from a product of wet earth, then placed him as a drop of seed, in a safe lodging. Then We fashioned the drop of clot - '*Alaqa*', and of the clot, We fashioned a lump, and of the lump We fashioned bones, and We clothed the bones with meat. Then We produced it as another creation. And here you have the stages according to the *Qur'an... 'Nutfa'* ... 'sperm', '*Alaqa*' ... 'clot', *'Mudgha'* ... 'piece of meat', *'Azaum'* ... 'bones', and the fifth stage – 'dressing the bones with muscles. Over the last hundred plus years, this word '*Alaqa*', has been translated as follows. There is ten translations here - I am not going to read them all. 3 are in French, - (French), (French), (French), or a 'clot of blood', 3 versions... 5 versions are English, where it is either 'clot' or 'a leech like clot', 1 version is in Indonesian, at the bottom there... 'Siganpaudara', 'lump clot', or 'a clot of blood' and the last one is Parsi – 'Khunbasfa' ... 'a clot of blood'. As every reader who has studied human reproduction would realize, there is no stage, as a 'clot', during the formation of a fetus. So this is a very major scientific problem. In the dictionary it is a word, and the only meanings given for '*Alaqa*' in this feminine singular, are 'clot' and 'leech' - And in North Africa, both of these meanings are still used. Many patients have come to me to ask for a clot to be removed from their throat, ... and many women have come to me and told me their period did not come. When I say... 'I am sorry, I cannot give you medicine to bring your period, because I believe that is a baby.' The will say *'Mazaaltem'*- It is still blood.' So they were understanding these ideas of the *Qur'an*. Lastly we must consider the first verses which came to Mohammed, in Mecca. These are found in the 96th Surah called '*Alaqa*' ... 'Clots' - from the very word, that we are studying. In 96: 1, 2, we ... read... 'Proclaim in the name of your Lord, who created.' Created man from 'Alaq'. Here the word is in the collective form. This form of the word can have other meanings, because 'Alaq' is also the derived verbal noun of the word '*Alaqa*'. The verbal noun usually corresponds to 'dejerant', in English as in a sense ... 'Swimming is fun'. Therefore we could expect it to mean hanging or clinging or adhering. But the ten translators listed above have all used 'clot' or

'congealed blood' in this verse too. In spite of the number and qualifications of these translators who used the word 'clot', the French Doctor, Maurice Bucaille has sharp words for them. He writes ... 'What is more likely to mislead the enquiring reader, is once again the problem of vocabulary?' The majority of translations describe - for example, man's formation ... from a blood clot. A statement of this kind is totally unacceptable to Scientists specialising in the field. This shows how great the importance of an association, between linguistic and scientific knowledge is, when it comes to grasping the meaning of Qur'anic statements, on reproduction. Put in other words, Bucaille is saying ...'No body has translated the *Qur'an* correctly, until I Dr. Bucaille came along.' How does Dr. Bucaille think that it should be translated? He proposes that instead of 'clot', the word '*Alaqa*' should be translated as, 'something which clings', which would refer to the fetus being attached to the uterus through the placenta. But as all you ladies who have been pregnant now, the thing which clings, does not stop its clinging to become chewed meat. It keeps on being a thing which clings, which is attached by the placenta for 8 and a half months. Thirdly, these verses say that...'The chewed meat becomes bones, and then the bones are covered with muscles. They give the impression that first the skeleton is formed and then it is clothed with flesh - And Dr. Bucaille knows perfectly well, that this is not true. The muscles and the cartilage precusses of the bones, start forming from the solmite at the same time. At the end of the 8th week, there are only a few centers of calcification started - But the fetus is already able to make muscular movement. In a personal letter from Dr. T.W. Sadler, who is associate Professor in Embryo Anatomy, and the author of 'Langman's Medical Embryology', Dr. Sadler states ... 'At the eight week post perozation, the ribs would be cartilaginous ... not bones - And muscles will be present'. Also at this time, calcification will just begin. Muscles would be capable of some movement at 8 weeks. It is always better to have two witnesses, so we shall see what Dr. Keith Moore has to say about the development of bones and muscles, in his book 'The Developing Human'. Extracted from the Chapters 15 and 17, we find the following information: The skeletal system develops from mesoderm. The limb muscles develop in the limb buds that are derived from this somatic mesoderm. We see that here on this slide. It is difficult perhaps to see, but there is the limb bud, and then here there is just the little bit of cartilage with the muscles around. Here there is more cartilage, and this is the whole bud. The bones are formed and in the form of bones, but it is all cartilage - No bones yet. The second slide shows how it forms. Here is the... here is the cartilage. Though it is just the bone it looks like cartilage, and then it starts to have some calcium deposited, and then it starts to have calcification, and bone formed. As the bone marrow is formed ... sorry, I want to go back to this. As the bone marrow is formed, mild blast develop a large muscle mass in each limb bud, separating into extensive reflexive muscles. In other words, the limb muscles develops simultaneously, for the mezincaine surrounding the developing bones. So there is the cartilage, and here are the muscles developing around the cartilage. During a personal conversation with Dr. Moore, I showed him Dr. Salder's statement, and he agreed that it was absolutely valid. <u>Conclusion:</u> Dr. Salder and Dr. Moore agree - There is no time when calcified bones have been formed, and then the muscles are placed around them. The muscles are there, several weeks before there are calcified bones, rather than being added around previously formed bones, as the *Qur'an* states. The *Qur'an* is in complete error here. The problems are far from being solved. Let us return to the '*Alaqa*' - Dr. Moore also has a suggestion. He says... 'Another Verse, in the *Qur'an*

refers to the leech like appearance, and the chewed like stages of human development'. From this definition, Dr. Moore has gone ahead to propose...'There are 23-30 day ------ a 23 day embryo – 3 millimeters long - that is an 8th of an inch. I can hardly put my fingers there lose together without touching. This is stage 10, shown on the inside cover of Moore's book. This is the beginning, and here is the sperm entering the egg - So that is stage 1. Comes down here to stage 6th in the second week. And here is the 3rd week. And there is the first stage 10, and here is day 23, and this is what Dr. Moore wants to say... 'looks like a leech'. If we could look further though, and look at the X-Ray... Here is day 22 and the back bone is still open. And when we look at day 23 the back bone is open there, and it is open there, and the head is wide open - It does not look like a leech at all. And if you keep on this is the diagram of it - The head is open, the nogstral neurropore, and finally this diagram shows there is the 20 day embryo. It is got a yolk sac, it is got an umbilicus - It does not look like a leech at all. The problem... the great problem with these two definitions for the word '*Alaqa*', is that no confirming examples have been provided, from the Arabic used. In the centuries surrounding the Hijr, the only way to establish the meaning of the word, is by usage. The only way to establish whether the singular form '*Alaqa*' can mean a 3 millimeters 'embryo', or 'the thing that clings', is to bring census, demonstrating this usage from the letter, throughout the Arabs of Mecca and Medina, close to the time of Mohammed, especially from the language of the Quresh. This will not be an easy task because much work has already been done on the clear Arabic, of the Quresh. The early Muslims understood intuitively, the need to know exactly what the Qur'anic words mean - And for this reason they make comprehensive studies of their language and poetry. Hence Abu Bakr, former Rector of 'The Main Mask in 'pairs', brought up this subject at a conference, under one God in Munkalia, 1985. He posed the question to the audience...'Has the comprehend of the text of the *Qur'an*, known at the time of Mohammed remained stable?' And his answer was...'Ancient poetry shows that it has'. We can only conclude...'If the verses which bring spiritual comfort and hope to Muslims have remained stable, then the scientific statements embedded in those Verses, must also be accepted as stable, unless new evidence can be brought forward'. This is especially important, since some of the Verses say that this information is a sign. The Surah of 'The Believers' we saw above, says ... 'He it is, who created you from dust, then from a sperm drop, then from a clot... '*Alaqa*' that perhaps you may understand'. And in the Surah of 'The Pilgrimage', He said... 'O mankind! If you have doubt about the resurrection, consider. Therefore the question must be asked...'If it was a clear sign to the men and women of Mecca and Medina, what did they understand from the word '*Alaqa*' which would lead them to faith, in the resurrection?' <u>The answer :</u> We are going to examine the historical situation leading up to the time of Mohammed, to see what Mohammed and his people believed about embryology. We will start with Apocrities. According to the best evidence, he was born on the Greek island of Kuss, in 460 B.C. And he has stages. His stages are as follows - The sperm is a product which comes from the whole body of each parent - Weak sperm coming from the weak parts and strong sperm from the strong parts. Then he goes ahead and talks about the coagulation of the mother's blood. The seed embryo, then is contained in the membrane. Moreover it grows because of it's mother's blood, which descends to the womb - For once a woman conceives, she ceases to menstruate. Then about flesh - He says... 'At this stage, with the descend in coagulation of the mother's blood , flesh begins to be formed with the umbilicus. And

lastly bones - He says...'As the flesh grows it is formed in this distinct members, by breath. The bones grow hard, and send out ....branches like a tree. Next we will look at Aristotle. In his book on the generation of animals, sometime about 350 B.C., he gives his stages of embryology and he talks about 'first semen' and 'menstrual blood' or 'catemania'. In this section, Aristotle speaks of the male semen, as being in a pure state. It follows, that what the female would contribute to the semen of the male, would be material for the semen to work on. In other words, the semen clots the menstrual blood. Then he goes to flesh. He says natural forms this from the purest material... 'the flesh', and from the residue there are, it forms bones. And lastly around the flesh around the bones, and attached to them by thin fibrous bands, grow the fleshly parts. Clearly, the *Qur'an* follows this exactly. Sperm clotting in the menstrual blood which forms meat - then the bones are formed and lastly around about the bones grow the fleshly parts. Next we will consider, Indian medicine. The opinion of *Sharaka* in 123 A.D., and *Shushruta* is that..."Both, the male and female contributed seed. The secretion of the male is called the *sukra*... semen. The secretion of the woman is called the *Artava... sanita...* blood. And it is derived from the blood by way of .....food, by way of blood" Here we see that in the mandeson of India, they too had the idea that the child was formed from semen and blood. Now we shall look at Galen. Galen was born in 131 A.D, in Bergamum - Modern Bergamum in Turkey. Galen says... *Semen*, the substance from which the fetus is formed, is not merely menstrual blood, as Aristotle maintained - But menstrual blood plus the two semen. The *Qur'an* agrees with Galen here, when it says in Surah 76:2, 'We created man from a drop of mingled sperm'. Now we look at the Galen stages. Galen also taught that the embryo developed in stages. The first is that, in which the form of the semen prevails. The next stage is, when it has been filled with blood - And heart and brain and liver are still unarticulated and unshaped. This is the period that Hypocrites called '*fetus*'. The Qur'anic Surah 22:5 reflects this saying...'Then out of a morsel of flesh, partly formed and partly unformed. And now the third period of gestation has come. This.... thus, nature caused flesh to grow on and around all the bones. We saw above that the *Qur'an* agrees with this. In Surah 23:14, where it says... 'And We clothe the bones with meat'. The fourth and final period...Sorry, the fourth and final period, is at the stage when all the parts in the limbs have been differentiated. Galen was so important in medicine, that just about the time of the Hijra, 4 leading medical men in Alexandria, Egypt, decided to form a Medical School, using 16 books of Galen, as the basis of the studies. This continued up to, and including the 13th century. We must now ask ourselves - What was the political, economic and medical situation in Arabia, at the time of Mohammed? From the Hajramount in Yemen, the caravans of the spice trade past North, through Mecca and Medina, and then reached into all of Europe. In North Arabia, in about 500 A.D., the Gazaneeds took over, and by 528, they controlled the Cyrian deserts over to the outskirts of Medina. '*Syraic*'... a form of Aramaic, related to Arabic, was their official language. As early as 463, the Jews translated the Torah and Old Testament from Hebrew, into '*Syriac*' - The British Museum has a copy.

This made it available to the Guscians, who were Christians and to the Jewish tribes in Arabia. During this time Syrgius Cyrra Cynie who died in Constantinople in 536, one of the earliest and greatest translators from Greek into Syraic, translated various works on medicine, including 26 works of Galen. This made them available in the kingdom

of Kasrov I, in Persia and to the Ghasan tribe, whose influence extended to the outskirts of Medina. Kasrov I, Arabic Khisra, King of Persia, was known as Kasrov the great. His troops conquered areas as far away as Yemen - And he also loved learning, and started several - schools. The school of Jundi Shapueer became during Kasrov first's long reign of 48 years - The greatest intellectual center of the time. Within it's walls Greek, Jewish, Nostorian, Persian and Hindu thoughts and experience were freely exchanged. Teaching was done largely in Syriac - from Syraic translations of Greek texts. This method Aristotle, Hypocates and Galen were readily available when the Medical School of Jundi Shapaer was operating during his reign. The next step was that the conquering Arabs compelled the Nostorians to translate their Cyriac text of Greek medicine, into Arabic. The translation from Syriac to Arabic was easy, as the two languages had the same grammar. Considering the local medical situation during Mohammed's life, we know there were physicians living in Arabia during this period. Harith bin Caladia was the best educated physician trained in the healing art. He was born about the middle of the 6th century at Taif, in the tribe of Bani Sakif. He travelled through Yemen, and then Persia, where he received his education in the Medical Sciences, at the great Medical School of Jundi Shapuer - And thus was intimately acquanted with the medical teachings af Aristotle, Hypocrates and Galen. Having completed his studies, he practiced as a Physician in Persia, and during this time he was called to the court of King Kusrov, with whom he had a long conversation. He came back to Arabia about the beginning of Islam, and settled down at Taif. While there, Abu Khair, a King of Yemen came to see him in connection with a certain disease, and on being cured, rewarded him with much money, and a slave girl. Though Harith bin Caladia did not write any book on Medicine, his views on many medical problems are still preserved in his conversation with Kasrov. About the eye, he says that it constituted of 'fat', which is the white spot. About the second is constituted with 'water', which is the black part. And of 'wind' which constitutes the eyesight. All these things we know to be wrong now - But this was Greek thought. All is goes to show the acquaintance of Harith with the Greek doctors. Summarising the situation in a few words in his book, 'Eastward delamitry Arabs', Dr. Lucaine La' Clerk writes...Harith bin Caladia studied medicine in Jundi Shaperer, and Mohammed owed to Harith the part of his medical knowledge. Thus with the one as well as the other, we easily recognize the traces of Greek medicine. Sometimes Mohammed treated the sick, but in the difficult cases he would send the patients to Harith. Another educated person around Mohammed, was Laden bin Harith. Not related to the doctor - He was a Pershiate and cousin of Mohammed, and had also visited the court of Kosrov. He had learned Persian and music, which he introduced among the Quraish at Mecca. However he was not sympathetic to Mohammed - Marking some of the stories in the *Qur'an*. Mohammed never forgave him for this, and when he was taken prisoner in the battle of Badr, he caused him to be put to death. In summary we see that... 1) Arabs living in Mecca and Medina in 600, had political and economical relations with people from Ethiopia, Yemen, Persia and Byzantine. 2) A cousin of Mohammed, knew Persian well enough, to do his musical studies in it. 3) The Ghasine tribe which ruled the Syrian desert over to the gates of Medina, used Syriar.... one of the main languages used to teach medicine - And Jundi Shapuer is their official language. An ill king of Yemen came to Taif, to consult the physician Harith Bin Caladia, who had been trained well at Jindi Shapaer – the best medical school in that world, and to whom Mohammed sometimes send patients. 5)

During Mohammed's lifetime a new medical school was established in Alexandria, using the 16 books of Galen as their text. This source shows that there was ample opportunity for Mohammed and the people around him, to have heard the embryological theories of Aristotle, Apocratis and Galen, when they went to seek treatment from Harith bin Colada and other local doctors. Thus when the *Qur'an* says in the late Meccan Surah of 'The Believer', 40: 67…'He it is who created you from dust, then from a sperm drop, then from a leach like clot, that perhaps you may understand'. And then in the Surah of 'The Pilgrimage'… 'O! Mankind! If you have doubt about the resurrection, consider that we have created you from dust'. It is correct for us to ask again, what were they to understand? What were they to consider? And here are the Qur'anic stages again - *Nutfa*… 'sperm', *Alaqa*… 'clot', *Mudga*… 'piece of meat', *Azaam*… bones. And… 5) dressing of bones with muscles.' The answer is very clear - They were understanding and considering that which was common knowledge, the embryological stages as taught by the Greek physicians. I don't mean that Mohammed's listeners all knew the names of the Greek physicians - But they knew the embryological stages of the Greek physicians. But they knew the embryological stages of the Greek physicians. They believed that the male sperm mixed with the female menstrual blood to cause it to clot, and this became the baby. 2) They believed there was a time when the fetus was formed, and unformed. 3) They believed the bones formed first, and then was covered with muscles. Allah was using that common knowledge as a sign, encouraging the listeners and readers to turn to Him. The trouble is, that this common knowledge was, and is not true. Era of physicians after Mohammed. We must now look at two well-known Physicians, from the period after Mohammed. Obviously they had no effect on the *Qur'an*, but they demonstrated that faith, and the embryological ideas of Aristotle, Apocrates and Galen, continued among the Arabs right up to the sixteen hundreds. If the correct translation of *Alaqa* is 'leach like substance', as modern Muslims like Shabbir Ali claim, there is no place for these post Qur'anic doctors said so. In fact it is just the opposite. The ideas of these Greek Physicians were being used to explain the *Qur'an*, and the *Qur'an* was coded to enlighten the meaning of the Greek Physicians. The human being takes its origin from two - This is speaking about Evenesena or Avisena. The human being takes its origin from two things – the male sperm which plays the part of factor – the female sperm… first part of the menstrual blood, which provides the matter. Thus we see that Ibn Seena gave the female semen, exactly the same role that Aristotle has assigned to the menstrual blood. It is difficult to overstate the importance of Ibn Seena, as a scientific and philosophical authority, for the pre modern Europeans. Then we are going to look at Ibn Khaima Zaujia. Ibn Khaim took full advantage of the agreement between Qur'anic Revelation and Greek medicine. It is not very clear probably, but the Hippocrates is in purplish, and the *Qur'an* is an bold type green, and the Hadith is in purple, and commentaries are in red, and his own thoughts, in sort of a blue-green. So it starts out – He is giving - He says Hypocrites said, in the third Ch. of Kitab al-Ajinna….'The semen is contained in a membrane, and it grows because of the blood of its mother, which descends to the womb. Some membranes are formed at the beginning, others after the second month and others in the third month'. And this phrase about the blood descending to the womb, we saw it when we looked at Hypocrites slide. That is why God said - Here in the *Qur'an* is mentioned…'He creates you in the womb of your mothers, by one formation after another, in three darkness - That is *Qur'an* 39 : 6. Then he gives his own ideas….

'Since each of these membranes has its own darkness when God mentioned the stages of creation and transformation from one state to another, He also mentioned the darkness of the membranes'. Most commentators explain, and here are the words of the commentators...'It is the darkness of the belly and the darkness of the womb and the darkness of the placenta. In a second example, we read, Hippocrates said...'The mouth opens up spontaneously and the nose and ears are formed from the flesh. The ears are opened and the eyes which are filled with a clear liquid.' The Prophet used to say... 'I worship Him who made my face and formed it, and opened my hearing, and eye sight and ...... and so forth. Here we look at Hippocrates again, and they are in the second stage - It is the same thing, which I read. Ibn Khaim is quoting Hippocrates, and speaks about the mother's blood descends around the membrane.

He could do this as we have seen, because the educated people of Mohammed's time were familiar with Greek medicine. However what is important for us here today to realize is, that there is no place where the *Qur'an* corrected Greek medicine. There is no place for Ibn Khaim shouting..."Hey you guys you got it this all wrong - the correct meaning of '*Alaga*' is, 'that which clings', or 'leach' like substance." On the other contrary, even Khaima is demonstrating the agreement between the *Qur'an* and the Greek medicine - Their agreement in error. A final witness is the commentary of Badawi in 1200 A.D. - Here we have the commentary. We have the... we have the *Qur'an* here, we have his commentary, and here it is being translated. And he says then from '*Alaqa*'...'a piece of solid blood', is his explanation of *'Alaqa'*, *'Alaqa'* is underlined - that is from the *Qur'an.* And here is his explanation... 'A piece of solid blood.' Then he goes on... 'Then from a piece of meat' - from the *Qur'an.* 'A piece of meat originally as much as can be chewed, and so forth.' As I mentioned in the beginning of the study, it is been said that the idea of the embryo developing through stages, is a modern one and that the *Qur'an* is anticipating modern embryology, by depicting different stages. Yet we have seen that Aristotle, Hippocrates, the Indians and Galen have all discussed the stages of embryological development, during the thousand years before the *Qur'an.* And after the coming of the *Qur'an*, the court of the different stages, as described by the *Qur'an* and the Greek doctors, was carried on in the teachings of Abisenia and Ibn Khaim - and is essentially the same as that taught by Galen, and those preceding him. Concerning the bone stage, it is clear as Dr. Moore demonstrated so capably is his text book that muscles start forming from the Semites, at the same time as the cartilage models of the bone. There is no bone stage where there is a skeleton sitting here, and then and then the muscles are plastered around it. It is equally clear that *'Alaqa'* in the *Qur'an*, means 'clot' - and that the Quraish who heard Mohammed speaking, understood him to be referring to the menstrual blood, as the female contribution to the developing baby. Therefore we can conclude that during all these years, the Qur'anic Verses on embryology, saying that man is created from a drop of sperm, which becomes the clot, were in perfect record with the science of the 1^{st} century of the Hijra, of the time of the *Qur'an.* But when compared with the modern science of the 20^{th} century, Hippocrates is in error, Aristotle is in error, Galen is in error, and the *Qur'an* is in error - They are all in serious error. Now we are going to look a little bit about, 'moon light.' Does the *Qur'an* state that...'The moon gives off reflected light from the sun', before his was common knowledge ? In the Surah Noor, 71 : 15 - 16, it says... 'See ye not how Allah has created the seven heavens, one above another and made the moon a light... *'Nur'*

in their midst, and made the sun as a lamp...*'Siraj.'* The moon is called a 'light'...Arabic *'Nur'* - and the sun a lamp -*'Siraj'*. Some Muslims claim that since the *Qur'an* uses different words, speaking from about the light of the sun, and the light of the moon, it reveals that the sun is a source of light, while the moon only reflects light. This claim is implied very strongly by Shabbir Ali in his booklet...'Science in the *Qur'an*' - and stated clearly by Dr. Zakir Naik in his Video - 'Is the *Qur'an* God's Word' as you will now see clearly.

(Dr. Zakir Video Clipping) "The light that we have... the light that we obtain from the moon - where does it come from? So he will tell me that previously we thought that the light of the moon was its own light. But today after science has advanced, we have come to know that the light of the moon is not its own light, but a reflected light of the sun. I will asked him a question, that its is mentioned in this *Qur'an*, in Surah Al- Furqaan, Ch. No..25, Verse No.61...'Blessed is He, who has created the constellation and placed therein a lamp and a moon which has reflected light. The Arabic word for moon is *'Qamar'*, and the light described there is *'Munir'*- which is borrowed light, or *'Nur'*, which is a 'reflection of light.' The *Qur'an* mentions that the light of the moon is reflected light. You say you discovered it today? ...How come it is mentioned in the *Qur'an* 1400 years ago? He will pause for a time - He won't reply immediately and then he may say...'May be, may be it is a fluke.' I don't argue with him for sake....."

(Dr. Campbell) Near the end of the video we heard Dr. Naik explain the Arabic word for 'moon' is *'Qamar'*, and the light described there is *'Munir'*, which is 'borrowed light' or '*Nur*', which is a reflection of light.' Please do not forget what he said... '*Munir* is borrowed light, and *Nur* is reflected light.' Not only is this claim to be a statement in keeping with scientific truth, but it also claimed to be scientifically miraculous, since this was supposedly only discovered relatively, recently. It is correct that the moon does not emit its own light, but only reflects the light of the sun - But this was known already almost a thousand years before Mohammed. Aristotle in about 360 BC discussed, knowing that the earth was round, by its shadow on the moon. He could only speak of the Earth's shadow crossing the Moon, if he knew that Moon's light is reflected light. If you still insist that this is a miracle of scientific knowledge, then we must ask ourselves...'Do the Qur'anic words themselves support this claim?' '*Siraj*' - first we shall look at '*Siraj.*' In Surah *Nur* which was read above, in Surah Al Furqaan, 25 : 61, it is simply 'lamp'... referring to the Sun. In Surah Naba, 78:13, '*Siraj Wahjan*' means 'a dazling lamp', again indicating the Sun. The words '*Nur*' and '*Munir*' comes from the same Arabic word - root. The word *Munir* is used 6 times in the *Qur'an* 4 times Suratul Imran, 3 : 184, Al Haj 22 : 8, Lukman 31: 20 and Fatir 35 : 35. It is the phrase 'Kitabul *Munir*', which Yusuf Ali translates as... 'A book of enlightenment' and Picktall uses... 'The Scripture giving light.' Clearly this indicates a book which is radiating the light of knowledge. Nothing about 'reflection'... '*Nur*'. It says in Surah *Nur*, 71:16 and Yunus, 10:5 that... 'Allah made the light... the Moon a light.' Thus we find that the *Qur'an* says that the Moon is a light, and it never says that the Moon reflects light. Moreover in other Verses, the *Qur'an* says that... 'Allah is a *Nur*... a light.' Surah *Nur*, 24:35, one of the most beautiful passages in the *Qur'an* reads... 'Allah is the light... *Nur* of the Heavens and the Earth. The parable of His light, is as if there was a niche and within it a lamp, the

lamp enclosed in glass. The glass as it was a brilliant star and so forth.' Thus we see that the word '*Nur*' is used for both, 'the moon' and 'Allah.' Are we going to say that Allah gives off reflected light? I think not. But if you continue to insist that '*Nur*' used for the Moon, means 'borrowed' or 'reflected light', and we saw above, that Allah is 'the light'... *Nur* of the Heavens and the Earth - What is the source of this light? '*Siraj*', of which Allah is only a reflection. Think about it - If Allah is named '*Nur*' or a 'reflected light'... who or what, is the '*Siraj*'? Well the *Qur'an* tells us who the '*Siraj*' is - But the answer will shock you. In Surah Al Ahzab, 33:45, 46 we find... 'O Prophet! Surely We have send thee as a witness - A bearer of glad tidings and a warner, and as a lamp spreading light. Here it says that Mohammed is the lamp spreading light. In Arabic it is '*Sirajaan Munira*' Linguistically and spiritually, this is the end of the discussion. Linguistically '*Siraj*' and the adjective 'Moon' here are used together for the same shining thing - the person Mohammed. It is clear '*Munir*' does not mean reflected light in this verse – or in any other verse. It means shining. The people of Mohammed's time understood that the Moon was shining, and they were right. Just as the people of Moses' time understood that the Sun was the greater light, and the Moon the lesser light, and they were right. But if you insist, the Arabic words '*Nur*' and 'Moon' here mean reflected light, then based on the use of these words in the *Qur'an*, Mohammed is like the 'Sun' and 'Allah' is like the 'Moon.' Does Dr. Naik really want to say that Mohammed is the source of Light, and Allah is only his reflection? Why are these so called scientific claims made, which no Muslim can support, if he make a serious study of his own *Qur'an*. In a dialogue like tonight it makes an honest discussion very difficult - almost impossible. Let us go on and look at the water cycle. Some Muslim authors claim that the *Qur'an* shows pre scientific knowledge of water cycle. What is the water cycle? Here in this slide, you see four steps. The first step is evaporation - The water evaporates from the seas and the earth. Second step – it becomes clouds. Third step – it gives rain. And fourth – this rain causes the plants to grow. Seems all very straight forward, and everybody knows 2, 3 and 4. Even if they live in a town, they know that clouds come and rain comes, and their flowers grow. But what about step one – 'the evaporation.' We cannot see it - It is difficult. And the *Qur'an* does not have step one. Now we are going to look at a Prophet from the *Bible* - Prophet from 700 B.C... Prophet Amos And he writes... 'He who made the Pleiades and Orion, Who turns blackness into dawn, and darkens day into night, and then Who calls out for the waters, of the sea.'... Stage one. And pours them out over the face of the land... stage three - The Lord (Yahweh) is His name. And one other Prophet is Job, in 36:26-28, at least a thousand years before the *Hijra*. He says... 'How great is God – beyond our understanding! The number of his years is past finding out. Stage one – He draws up the drops of water which distill from the mist as rain -that is stage three And then the clouds are mentioned – Stage two - Which pour down their moisture and abundant showers fall on mankind. So here in the *Bible*, this difficult stage one, is there for more than a thousand years, before the *Qur'an*. Now let us go on and look at Mountains. The *Qur'an* has more than a dozen Verses stating that God placed firm and unmovable mountains on the Earth. And in some of these Verses, the mountains are listed as either a blessing for believers, or a warning for the unbelievers. One example of this is found in the Surah Luqman, 31:10,11, where the mountains are one of five warnings. It says... 'He has created the heavens. Says... 'He has created the heavens without support, that you can see, and has cast *aalqa* onto the earth...'firm mountain'–'*Rawaasiya*', lest it should shake with

you. In 'The Prophets'... Al-Ambiya, 21:31, as one of seven warnings we read... 'And We have set on the earth, firm mountains lest it should shake with you..... with them.'Finally in 'The Bee'... Nahl, 16:15, says that... 'He has cast '*aalga*' onto the earth... 'firm mountains' '*Rawaasiya*', lest it should shake with you. We see then that the believers and the Non-believers are told, that Allah has done this great thing - He strolled down and placed the mountains, so that the earth will not shake violently with them. Therefore we must ask ourselves... 'What did they understand ?' In the next two Verses, another picture is given, 'The News', Al-Naba 78 : 6-7... "Have We not made the Earth an expanse, and the mountains as stakes '*Al – jebaala awtaad*', as those used to anchor a tent in the ground. And then 'The Overwhelming' Al-Ghashiya, 88:17-19... 'Do they...the unbelievers not look at the mountains... '*Al-jibaal*'... how they have been pitched like a tent.' Here men are told that the mountains are placed as tent pegs -Tent pegs keep the tents, stable. So again the idea is put forward that the pegs... the mountains will keep the earth from shaking. A third picture is presented in the word '*Rawaasiya*', used for mountains. This word comes from the Arabic root '*Arsa.*' And the same root is used for the Arabic word for 'anchor.' To 'throw out' or 'cast the anchor' is *aalgaa almirsaa.* So instead of 'Cast the anchor to keep the ship from moving' - 'We have cast the mountains, to keep the earth from shaking'. From these pictures, it is clear that Mohammed's followers understood that the mountains were thrown down like tent pegs, to keep a tent in place like an anchor to hold the ship in place - To stop the earth from moving or limit earthquakes.

But in fact this is false - the forming of mountains causes earthquake. Therefore these Verses present a definite problem. Dr. Maurice Bucaile recognised this, and discussed them in his book... 'The *Bible*, the *Qur'an* and Science.' After quoting the above Verses about 'Mountains', he says... 'Modern Geologists described the faults in the Earth, as giving foundations to the mountains, and the stability of the Earth's crust results from this phenomenon of these faults. When asked about this, Professor of Geology, Dr. David A. Young says... 'While it is true that many mountain ranges are composed of folded rocks and the folds maybe of large scale, it is not true that the folds render the crust stable. The very existence of the fold, is evidence of instability in the crust.' In other words, mountains don't keep the earth from shaking - their formation caused and still causes the surface of the earth to shake. Geological theories of the present time propose, that the hardened crust of the earth is made of sections and plates, which slowly move with relation to each other. Sometimes the plates separate, like North and South America, separating from Europe and South Africa. And some times they go together and they slide next to each other, and they bump into each other, and then they cause earthquakes. An example of this type of mountain formation is found in the Middle East, where the migration of Arabia towards Iran, has resulted in the zygross range in Iran. In many parts of the world, as one travels along the roads, one sees a hillside, where the sand storm layers which were horizontal when they were deposited, are now sticking up at angles. And so here you can see, these sand storm layers, which were horizontal in the beginning, now they are striking up at 75 degrees. They were pushed up there by an earthquake, by the mountains being formed. Sometimes the plates get caught on each other and starts sliding - During this period, great forces are built up. When the forces of friction are overcome, the piece of plate that was stuck, lurches forward, causing a shock wave of a thrust

quake, and then all of a sudden it goes 'dumm' like this. In a recent earthquake, it was calculated that the Coco Splade in Mexico, suddenly jumped forward 3 meters. Well if your house suddenly jump 3 meters, there will be a Catastrophe. Another type of mountain is that formed by volcanoes. Lava and ash from inside the earth are thrown out and piled up, until a high mountain is formed - Even from the bottom of the sea. And we can see this kind of action in this picture. I hope you can see it - Not clear is it? The ocean crust is right here and the continental crust is there, and the oceanic crust is going down under the continental crust, and mountains have been found here. Here is the volcano, and here is the magma of the molted rock, going up through the volcano, and here is another volcano with magma going up. And so this is how the mountains are formed and earthquakes are formed. In the case of some igneous mountains, molten rock intrudes into the probe of the volcano's opening and cools, to form a relatively dense intrusion, which extends below the surface of the earth. So this... if this gets stuck and sealed, then it would be like a plug - However it is not a root. It does not bear the weight of the mountain - It is really a plug. Therefore at occasions, pressure builds up under the plug, and the volcano explodes as happened in the South Pacific at Crackato, in 1883 when the whole island was blown away. And it happened at Mount Saint Halena in Ardase, when a mountain was blown away. We can conclude from this information, that mountains were formed originally with movement and shaking, and that now in the present, earthquakes are caused by their continued formation. When the plates buckle over each other, there are earthquakes - When the volcanoes erupt there can bring earthquake. However it is clear that the followers of Mohammed were understanding these Verses, to say that Allah threw the mountains down, as a tent peg or anchors, to keep the Earth from shaking. Throwing the mountains down under the Earth may be poetry, but to say that mountains keep the Earth from shaking, is a severe difficulty, which is out of step with modern science. Now we are going to take a little look at what the Sun says about... what the *Qur'an* says about the 'Sun.' In the Surah of the Kahf, 18:86, it says... 'Until when Zulqarnain... that is Alexandra the great, reached the setting of the sun, he found it set in a spring of murky water.' I'm sorry - In 20th Century Science...20th Century Science... the Sun does not set in a spring of murky water. And then in 'The Criterion', Al Furqaan, 25:45 to 46, it says... 'Hast thou not turned thy vision, to thy Lord - how He prolongs the shadow! If He willed, He could make it stationary! Then do We (God) make the sun its guide." What about this? Has the sun... if we think of the sun overhead, you have no shadow or a little tiny shadow, and then as the sun goes down, your shadow gets longer on the other side. Well the sun is stationary in relation to the Earth - It is not what causes the shadow to shift. The rotating Earth guides the shadows. So if you demand 20th century accuracy, the Surah should say... 'The rotating earth causes the shadows to change. I would look at a different subject... 'Solomon's death.' Whether this is Science, I don't know -May be sociology. Solomon's death – He is popped up on his staff. Says... 'The jinn worked for him, as Solomon desired. 'Then when We decreed death upon Solomon, nothing showed them his death, except a little creeping creature of the earth, which gwaned away his staff. And when he fell, the jinn saw clearly how - If they had known the unseen, they would not have continued in the humiliating penalty of work. So here Solomon... he's dead, propped up on his staff, like a walker from Morocco overseeing only a road gay, and no cook comes to ask him... what he wants for dinner. And no General comes for orders, and none of his Nobles comes to say... 'Lets go hunting.' No one notices. I'm

sorry - I do not believe this story and it won't fit 20th century Sociology, or 7th century Sociology, where the king will never be left alone like that. Now finally let us look at 'Milk.' It says in the Surah of 'The Bee', Nahl, 16:66... 'We pour out to you from what is within their (the cattle's) abdomen, between excretions and blood – milk, pure and agreeable to the drinkers.' The abdomen where the intestines are.... Sorry - In 20th century medical science, the abdomens where the intestines are... is where the intestines are - the mammary glands are under the skin. In humans they are under the skin here - In cattle they are under the skin between the legs. No connection - There is no connection between the breasts and the intestines, and the their faces, in any way. Faces though in the body, it really is outside of the animal - Animals has finished with it. It is not connected to milk or to anything else. And finally going to look at 'Communities.' The Surah of 'The Cattle', Al – Anam 6:38, 'There is not an animal on the earth, nor a being that flies on two wings, but forms communities like you.... Speaks about no animal on earth, not a being that flies, and then it says, that every one of them is communities like you - And I assume that the Qur'an is speaking about we humans. Well, in some Spiders, when they finishes mating, the mother eats the father. Well I'm glad that my wife did not eat me. Even in Bees, the extra male Drones are thrown out to die. Well I'm glad also that after we had four children, that my wife did not push me out of the house too. Finally, the Lions. When the Lion gets old, the male Lion gets old, a young lion comes along and drives him away from his own wives, and the young lion takes over the wives. But what he does with the cubs? The cubs of the old lion – he kills them all. So I do not think that this stance is true all other communities and all other animals do not live as communities like us. In conclusion it is clear that the *Qur'an* has many scientific errors. As a generality the *Qur'an* meets and reflects the science of its time - the science of the 7th century AD. We came here to seek truth - I've done my best to present valid information. If you want to see all the references, my book... 'The *Qur'an* and the *Bible* in the light of History and Science', is for sale outside that door, at a bargain price, tonight. May the God of all truth, guide you - Thank you.

(Dr. Mohammed) Thank you Dr Campbell for your presentation. Now we have Br. Sabeel Ahmed presenting an introduction of our next speaker, Dr. Zakir Naik.

(Br Sabeel Ahmed) As Salaam Alaikum Wa Rahmatullah. It is my pleasure to introduce one of the best scholars of our time, Dr. Zakir Abdul Karim Naik. Age 34 years old, he is the president of Islamic Research Foundation, Bombay, India. Though a medical doctor by professional training, Dr. Zakir Naik is known as a dynamic international orator, in Islam and comparative Religion. Dr. Zakir Naik clarifies Islamic view points, and clears misconceptions about Islam, based upon the *Qur'an*, Hadith and the other Religious Scriptures, as well as adhering to reason logic and scientific facts.

He is popular for his critical analysis and convincing answers to challenging questions posed by audiences, after his public talks. In the last four years itself, Dr. Zakir Naik has delivered more than 400 public lectures world wide, in addition to many public talks in India. He appears regularly on many international TV and Satellite TV channel programs in several countries of the world. He has authored books on Islam

and comparative Religion. He has also participated in several symposiums and dialogues, with prominent personalities of other Religious faiths.

(Dr. Mohammed) May I announce, after the talks by both the speakers and the response session, we would be having an open Question and Answer session. So those who have come late, kindly note, we'll have questions on the mikes, followed by questions on index cards. Ladies and gentlemen, may I call upon Dr. Zakir Naik to present his talk.

(Dr. Zakir) ...(Arabic)... Respected Dr. William Campbell, Dr. Maracuss, Dr. Jamal Badavi, Br. Samuel Nauman, Dr. Mohammed Naik, my respected elders and my dear brothers and sisters, I welcome all of you with the Islamic greetings... *'As Salaamo Alaikum Wa Rahmatullahi Wa Barkatahu.* May peace mercy and blessings of Allah Subhanawataala be on all of you. The topic of today's dialogue is 'The *Qur'an* and the *Bible* in the light of Science.' The Glorious *Qur'an* is the last and final Revelation which was revealed to the last and final Messenger Prophet Mohammed, peace be upon him. For any book to claim that it is a Revelation from Almighty God, it should stand the test of time. Previously in the olden days, it was the age of miracles - Alhamdulillah, the *Qur'an* is the miracle of miracles. Later on came the age of literature and poetry, and Muslims and Non Muslims alike, they claim the Glorious *Qur'an* to be the best Arabic literature available on the face of the Earth. But today is the age of science and technology. Let us analyze whether the *Qur'an* is compatible or incompatible with modern science. Albert Einstein said... 'Science without Religion is lame, and Religion without Science is blind'. Let me remind you that the Glorious *Qur'an* is not a book of Science...S-C-I-E-N-C-E, It is a book of signs S-I-G-N-S... It is a book of Ayats. And there more than 6000 signs... *Ayats* in the Glorious *Qur'an* out of which more than a thousand speak about science. As far as my talk regarding *Qur'an* and Science is concerned, I will only be speaking about scientific facts which has been established. I will not be speaking about scientific hypothesis and theories, which are based on assumption without any proof, because we all know many a times science takes U-turns. Dr. William Campbell who wrote a reply to the book of Dr. Maurice Bucaille... 'The *Qur'an* and the *Bible* in the light of history and science' - He says in his book, that there are two types of approaches. One is a concordance approach - Which means a person tries to bring compatibility between the Scripture and science. And the other is the conflict approach, in which a person tries to bring a conflict between Scripture and science, like how Dr. William Campbell has done very well. But as far as the *Qur'an* is concerned, irrespective whether a person uses a conflicting approach, or a concordance approach – As long as you are logical, and after a logical explanation is given to you, not a single person will be able to prove a single Verse of the *Qur'an*, in conflict with established modern science. Dr. William Campbell has pointed out various alleged scientific errors in the *Qur'an*, and I am supposed to actually refute in the rebuttal. But since he chose to speak first, I will be refuting a few points in my talk - I will reply to the major part of his talk, mainly dealing with Embryology and with Geology. The remaining InshaAllah, InshaAllah, I will try my level best to reply in the rebuttal. I have to do both - I cannot do injustice to the topic. The topic is... '*Qur'an* and *Bible* in the light of Science.' I cannot only speak about one Scripture - Dr. William Campbell hardly spoke about one or two points about the *Bible*, which I will deal with InshaAllah. I will speak about both

InshaAllah, - I want to do justice to the topic. As far as *Qur'an* and modern Science is concerned, in the field of 'Astronomy', the Scientists, the Astronomers, a few decades earlier, they described, how the universe came into existence - They call it the 'Big Bang'. And they said... 'Initially there was one primary nebula, which later on it separated with a Big Bang, which gave rise to Galaxies, Stars, Sun and the Earth, we live in.' This information is given in a nutshell in the Glorious *Qur'an*, in Surah Ambiya, Ch. 21, Verse No. 30, which says.... (Arabic).... Do not the unbelievers see...? .... (Arabic).... 'That the heavens and the earth were joined together, and we clove them asunder.' Imagine this information which we came to know recently, the *Qur'an* mentions 14 hundred years ago. When I was in school, I had learned that the Sun in respect to the Earth - it was stationary - the Earth and the Moon, they rotated about in axis, but the sun was stationary. But when I read a Verse of the *Qur'an* saying, in Surah Al-Ambiya, Ch.. 21 Verse No. 33, it says.... (Arabic). ... 'It is Allah who has created the night and the day.'.... (Arabic).... The sun and the moon.... (Arabic).... Each one travelling in an orbit with its own motion. Now Alhamdulillah, modern science has confirmed the *Qur'an*ic statement. The Arabic word used in the *Qur'an* is *'Yasbahoon'*, which describes the motion of a moving body. When it refers to a celestial body, it means it is rotating about its own axis. So *Qur'an* says the sun and the Moon, they revolve as well as rotate about their own axis. Today we have come to know that the Sun takes approximately 25 days to complete one rotation. It was Edvin Hubbel who discovered that the universe is expanding. The *Qur'an* says in Surah Dhariyat, Ch. 51, Verse No. 47, that...'We have created the expanding universe' - The vastness of space. The Arabic word '*Mohsiana*' refers to 'vastness' – 'the expanding universe.' Regarding the topics on Astronomy, which Dr. William Campbell touched, I will deal in the rebuttal, InshaAllah. In the field of 'Water cycle, Dr. William Campbell pointed out, certain things. The *Qur'an* describes the water cycle in great detail. And Dr. William Campbell mentioned 4 stages. In his book he mentions 4 (a) and (b) - the last one he did not mention in the slide - I don't know why? It says... 'The Driplinition'...'The Water table.' He missed out here - Maybe because it was not mentioned in the *Bible*. He said there is not a single Verse in the *Qur'an*, which speaks about 'evaporation.' *Qur'an* says in Surah Al-Tariq, Ch. No. 86, Verse No. 11, that....(Arabic).... 'By the capacity of the heavens to return.' And almost all the commentaries of the *Qur'an* - they said, that this Verse of Surah Tariq, Ch. No. 86, Verse No. 11, refers to the capacity of the heavens to return back rain - meaning 'Evaporation.' Dr. William Campbell who knows Arabic, may say...'Why did not Allah Subhanawa Taala specifically mention....(Arabic) .... Meaning... 'The capacity of the heavens to return back rain.' Why did not Allah mention specifically? Now we have came to know why did not Allah do that, in His Divine wisdom. Because today we have came to know that besides - the Ozonosphere... the layer above the earth - Besides returning back rain, it even returns back other beneficial matter and energy of the Earth, which is required by the human beings. It does not only return back rain - Today we have come to know, it even returns back waves of Telecommunication, of Television, of Radio, by which we can see TV, we can communicate, we can hear the radio. And besides that, it even returns back the harmful rays of the outer space, back on the other side, and absorbs. For example the sun light... the ultraviolet rays of the Sun light is absorbed by the Ionosphere. If this was not done, life on the Earth would have ceased to exist. So Allah Subhanawataala is far superior and for more accurate, when He says.... (Arabic).... By the capacity of

the Heaven to return.' And the remaining things as he mentioned is there in the *Qur'an* - You can refer to my Videocassette. The *Qur'an* describes the 'Water cycle' in great detail. Regarding what he said about the *Bible*, he showed stage 1 and stage 3 in the first slide, and in the second stage 1, 3, and then 2. 'That the rain water is taken up'... he says... 'and then the rain water comes down on the Earth.' This is the philosophy of Phasofmillitas, in 7th century BC. He thought that the spray of the ocean was picked up by the wind, and send to the interior as rain. There is no cloud mentioned there. In the second quotation Dr. William Campbell gave - First is, according to him, 'evaporation' which we agree. We don't mind having the concordance approach with the *Bible*. '...Then rain falls down, and then are the clouds formed.' - That is not the complete water cycle. Alhamdulillah, the *Qur'an* describes the water cycle in great detail, in several places. How does the water rise, evaporates, forms into clouds - the clouds join together, they stalk up, there is thunder and lightning, water comes down, the clouds move into the interior, they fall down as rain, and the evaporation of the water table and Alhamdulillah in great detail. The *Qur'an* speaks about the water cycle in great detail, in several places. In Surah *Nur*, Ch. No. 24, Verse No. 43, in Surah Rum, Ch. No. 30, Verse 48, in Surah Al-Zumar, Ch. 39, Verse 21, in Surah Muminun, Ch. 23, Verse 18, in Surah Rum Ch. No. 30, Verse No. 24, in Surah Al-Hijr, Ch. 15, Verse No. 22, in Surah Araf Ch. No. 7, Verse No. 57, in Surah Rad, Ch. No. 13, Verse No. 17, in Surah Furqan, Ch. 25, Verse No. 48 and 49, in Surah Fatir, Ch. No. 35, Verse No. 9, in Surah Yasin, Ch. 36, Verse No. 34, in Surah Jathiya, Ch. 45, Verse No. 5, in Surah Qaf, Ch. No. 50, Verse No. 9, in Surah Al-Waqiah, Ch. No. 56, Verse No. 68 and 70, in several places, Surah Al-Mulk,Ch. 67, Verse No. 30, the Glorious *Qur'an* speaks about the 'Water cycle', in great detail. Dr. William Campbell spent maximum time on Embryology'... about half his talk - quite a lot on Geology - and touched on other six topics - I've noted down. In the field of Geology, we have come to know today - the Geologists, they tell us, that the radius of the Earth is approximately 3750 miles, and the deeper layers, they are hot and fluid, and cannot sustain life. And the superficial part of the Earth's crust, which we live on, it is very thin - Hardly 1 to 30 miles. Some portions are thicker, but majority one to 30 miles. And there are high possibility that this superficial layer, the Earth's crust - it will shake. It is due to the 'Folding phenomenon', which gives rise to mountain ranges, which gives stability to this Earth. And *Qur'an* says in Surah Nabaa, Ch. No. 78, Verse No. 6 and 7...'We have made the Earth as an expanse.... (Arabic) ....and the mountains as stakes.' The *Qur'an* does not say, mountains were thrown up as stakes... mountain as stakes. Arabic word *'Autaad'* means 'stakes'... meaning 'tent peg'. And today we have come to know in the study of modern Geology, that mountain has got deep roots. This was known in the second half of the 19th century. And the superficial part that we see of the mountain, is a very small percentage. The deeper part is within - Exactly like a stake how it is driven in the ground. You can only see a small part on top... the majority is down in the ground - or like a tip of the ice berg...you can see the tip on the top and about 90% is beneath water. The *Qur'an* says in Surah Gashiya, Ch. 88, Verse No. 19, and Surah Naziat, Ch. No. 79, Verse No. 32 ..... (Arabic) .... And We have made the mountains standing firm on the Earth' - Made the mountains standing firm on the Earth. Today after modern Geology has advanced, and Dr. William Campbell said that... 'By the theory of Platectonics - It was propounded in 1960, which gives rise to mountain ranges.' The Geologists today, do say that the mountains give stability to the Earth - Not all Geologists, but many do

say. I have not come across a single Geological book, and I challenge Dr. William Campbell to produce a single Geological book - Not his personal correspondence with the Geologist. That does not carry weight. His personal correspondence with Dr. Keith Moore .... Documented proof. And if you read the book 'The Earth' which is referred by almost all the universities, in the field of Geology, one of its authors by the name of Dr Frank Press, who was the advisor to the former president of USA, Jimmy Carter, and was the president of the Academy of Science of USA. He writes in his book that...'The mountains are wedge shaped - It has deep roots within. And he says that...'The function of the mountain is to stabilize the earth.' And the *Qur'an* says in Surah Ambiya, Ch. No 21, Verse No. 31, in Surah Luqman, Ch. No. 31 Verse No.10, as well as in Surah Nahl, Ch. No. 16, Verse No. 15, that...'We have made the mountains standing firm on the Earth, lest it would shake with them and with you.' The function of the mountain in the *Qur'an*, is given to prevent the Earth from shaking. Nowhere does the *Qur'an* say that the mountain prevents the earthquake. And Dr. William Campbell said - He writes in his book, and even the talk, that... 'You find in the mountains regions, there are various earthquakes, and mountains cause earthquake.' Point to be noted - Nowhere does the *Qur'an* say that mountains prevent earthquake. The Arabic word for 'earthquake' as Dr. William Campbell knows Arabic, is *'zilzaal'* or *'zalzala'*- But the words used in these three Verses I quoted, it is *'Tamida.' 'Tamida'* means 'to shake', 'to 'sway', 'to swing.' And *Qur'an* says in Surah Luqman, Ch. 31, Verse No. 10, as well as Surah Nahl, Ch. No. 16 Verse No. 15...'We have put on the earth mountains standing firm, lest it would shake with you. It is *'tamide bikum'*...'Shake with you', Indicating, if the mountains were not there, if you would have walked, if you would have moved, even the earth would have moved with you - If you would have swayed, even the earth would have swayed with you. And we know normally when we walk on the Earth, the Earth does not shake, and the reason for this is, according to Dr. Frank Press and Dr. Najjat who is from Saudi Arabia, and he wrote a full book on the Geological concepts in the *Qur'an*, answering almost every thing what Dr. William Campbell has said - in detail. And Dr. William Campbell in his book, he writes that...'If mountains prevent the shaking of the earth, then how come you find earthquakes in the mountains regions.' I said, No where does the *Qur'an* say, mountains prevent earthquake. Earthquake is *'zilzaal'* - and if you see the definition in the Oxford dictionary, it says... Earthquake is due to convulsion of the superficial crust of the Earth, due to relief of compressed Siesmic waves, due to crack in the rock, or due to volcanic reaction. The *Qur'an* speaks about *'zalzala'* in Surah *Zalzaal*, Ch. 99 - But here it speaks about *'tamida bikum'*- 'to prevent the earth from shaking with you.' And in reply to the statement...'That if mountains prevent earthquakes, how come you find earthquakes in mountainous regions ?' The reply is, that - If I say that medical doctors, they prevent the sickness and disease in a human being, and if someone argues...'If doctors prevent the sickness and diseases in a human being, how come you find more sick people in the hospitals, where there are more doctors than at home - where there are no doctors.' In the field of Oceanology, the Glorious *Qur'an* says, in Surah Furqan, Ch. No. 25, Verse No. 53, that...'It is Allah who has let free two bodies of following water - One sweet and palatable, the other salt and bitter. Though they meet, they do not mix. Between them there is a barrier which is forbidden to be trespassed. *Qur'an* says in Surah Rahman, Ch. 55 Verse No. 19 and 20....... (Arabic) ......'It is Allah who has let free two bodies of flowing water. Though they meet, they do not mix.

Between them there is barrier, which is forbidden to be trespassed.' Previously the commentators of the *Qur'an* wondered...'What does the *Qur'an* mean? We know about sweet and salt water - But between them there is a barrier - though they meet do not mix. Today after advancement of Oceanology, we have come to know, that whenever one type of water flows into the other type of water, it looses its constituents, and gets homogenized into the water it flows. There is a slanting homogenizing area, which the *Qur'an* refers to as '*Barzak*' 'unseen barrier' And this has been agreed upon by several Scientists, even of America, by the name of Dr. Hay - he is an Oceanologist. And Dr. William Campbell writes in his book that...'It is an observable phenomena. The fisherman of that time knew there were two types of water... salt and sweet So Prophet Mohammed during an expedition to Syria, he may have gone in the sea, or he might have spoken to these fishermen.' Sweet and salt water is an observable phenomenon, I agree - But people did not know that there was an unseen barrier, until recently. The Scientific point to be noted here is the 'Barzak' - not the sweet and the salt water. In the field of Embryology, Dr. William Campbell spent approximately half of his talk on that. Time will not permit me to reply to every small thing which are illogical. I'll just give a brief reply, which will be satisfactory InshaAllah. And for more details, you can refer to my Video cassette – '*Qur'an* and Modern Science', and my other cassettes on... '*Qur'an* and Medical Science.' There were a group of Arabs who collected the data dealing in the *Qur'an* about 'Embryology' and the Hadith dealing with Embryology. And they presented it to Professor Keith Moore, who was the chairman and the head of the department of 'Anatomy', in the university of Toronto, in Canada - And at present he is one of the leading scientist in the field of 'Embryology.' After reading the various translations of the *Qur'an*, he was asked to comment, and he said... 'Most of the Verses of the *Qur'an* and the Hadith, are in perfect conformity with Modern Embryology. But there are a few Verses which I cannot say that they are right neither can I say that they are wrong, because I myself don't know about it. And two such Verses were the first two Verses of the *Qur'an* to be revealed, from Surah Iqra or Surah Alaq , Ch. 96 Verses No. 1 and 2 which says...(Arabic)... 'Read, recite or proclaim in the name of thy Lord, Who created, Who created the human beings from something which clings - a leech like substance. Regarding Dr. William Campbell's statement that...'To analyse the meaning of a word, we have to see what was the meaning at that time when it was revealed'-At that time when the book was written. And he rightly said that to analyze the meaning, we have to analyze the meaning at the time it was revealed, and to the people whom it was meant for. As far as this statement of his is concerned, regarding the *Bible*, I do agree with it totally - Because the *Bible* was only meant for the children of Israel, for that time. It is mentioned in the Gospel of Mathew, Ch. No. 10, Verse No. 5 and 6, Jesus Christ peace be upon him tells his disciples... 'Go ye not in the way of the Gentiles.' Who are the Gentiles? The Non-Jews, the Hindus, the Muslims 'But rather go to the lost sheep of the house of Israel.' Jesus Christ peace be upon him said in the Gospel of Mathew, Ch. No. 15, Verse No. 24... 'I am not sent, but to the lost sheep of the house of Israel.' So Jesus Christ and the *Bible*, were only meant for the children of Isreal. Since it was meant for them, to analyze the *Bible*, you have to use the meaning of the word, which was utilized at that time. But the *Qur'an* was not meant only for the Arabs of that time - *Qur'an* is not meant only for the Muslims. The *Qur'an* is meant for the whole of humanity, and it is meant to be for eternity. *Qur'an* says in Surah Ibrahim, Ch. 14, Verse. 52, in Surah Baqarah Ch. No. 2, Verse 185, and

Surah Zumar Ch. 39, Verses. 41, that the *Qur'an* is meant for the whole of human kind. And Prophet Mohammed, may peace be upon him, was not sent only for the Muslims or the Arabs. Allah says in the *Qur'an* in Surah Ambiya Ch. No. 21, Verse No. 107------(Arabic)----That We have send thee as a mercy, as a guidance, to the whole of humankind.' So as far as the *Qur'an* is concerned, you cannot limit the meaning only for that time, because it is meant for eternity. So one of the meaning of *'Alaqa'*... is 'leech like substance' or 'something which clings.' So professor Keith Moore said... 'I did not know whether the early stage of the embryo looks like a leech' And he went into his laboratory, and he analyzed the early stage of an embryo, under a microscope and compared it with the photograph of a leech, and he was astonished at the striking resemblance. This is a photograph of a leech, and human embryo. What Dr. William Campbell showed you is the other perspective of it. If I show this book - it looks like a rectangle - If I show you like that, it is a different perspective. That diagram is given in the book - The diagram which you saw on the slide is even there - And I'll deal with it InshaAllah. Professor Keith Moore, after about 80 questions were asked to him, he said... 'If you would have asked me these 80 questions, 30 years ago, I would not be able to answer more than 50 percent - Because embryology has developed recently in the past 30 years.' He said this in the eighties. Now, do we believe Dr. Keith Moore whose statement is available outside in the foyer - his videocassette is available... 'This is the truth'...'Anna-ul-Haq'... recorded statement. So will you believe Dr. William Campbell's personal conversation with Professor Keith Moore, or the one mentioned in this book, with Islamic edition as well as the photograph that I had shown to you? And in the videocassette available outside you can see it - He makes those statements. So you have to choose which is more logical - Personal discussion with Dr. William Campbell or his statement on Video. Like how Dr. William Campbell showed my video - 100 percent proof what I said... 'Moon is reflected light' - I'll come to it later on. And whatever additional information he got from *Qur'an* and Hadith, it was incorporated later into this book...'The Developing Human' - the 3rd edition nd this book got an award for the best medical book written by a single author in that year. This is the Islamic edition that was put forward by Shaikh Abdul Majeed Al-Jindani and certified by Keith Moore himself. The *Qur'an* says in Surah Muminun, Ch. 23 Verse No. 13, and Surah Haj Ch. 22, Verse No. 5, and no less than 11 different places in the *Qur'an*, that the human beings have been made from a 'nutfaa' 'minute quantity of liquid'...like a trickle that is remaining in the cup. 'Nutfa' in Arabic... a very small quantity. Today we have come to know, that in one seminal emission, in which there are several millions of sperms, only one is required to fertilize the ovum - 'The *Qur'an* refers as 'nutfa.' *Qur'an* says in Surah Sajda Ch. 32 Verse no. 8...'We have created the human beings from '*Sulalah*' - That means the best part of a whole. The one sperm which fertilizes the ova out of the millions of sperms, the *Qur'an* refers to as '*Sulalah*'...'best part of the whole.' And *Qur'an* says in Surah Insan, Ch. 76 Verse No. 2...'We have created the human beings from '*nutfatunamshaj*'...a minute quantity of mingled fluid' - referring to the sperm as well as the ovum - Both are required for the fertilization. The *Qur'an* describes the various embryological stages in great detail, of which the slides were shown to you - Dr. William Campbell, he helped me to complete this topic. It is mentioned in Surah Muminun Ch. 23, Verses No. 12 to 14 - The translation is that...'We have created the human beings from a '*nutfa*.' – 'A minute quantity of liquid.' Then placed it in '*cararemakeen*' - a place of

security. Then We made it into an '*Alaqa*' - a leech like substance - something which clings - a congealed clot of blood. Then We made that '*Alaqa*' into a '*Mutga*' a 'chewed like lump.' Then We made the '*Mutga*' into '*Izama*'...bones. Then clothed the bones with '*leham*'... flesh. Then We made it a new creature. Blessed be Allah Who is the best to create. These 3 Verses of the *Qur'an*, speak about the various embryological stages in great detail. First the *nutfa* placed in a place of security - Made into an '*Alaqa*', *Alaqa* has got 3 meanings - One is 'something' which clings', and we know that in the initial stages, the embryo clings to the uterine wall and continues clinging till the end. Point No.2, that it also means a leech like substance, and as I discussed earlier, the embryo in the initial stages, does look like a leech. Besides looking like a leech - it also behaves like a leech - It receives its blood supply from the mother' like a bloodsucker. And the 3rd meaning which Dr. William Campbell objected to - that is the right meaning... 'the congealed clot of blood'- And that is why *Qur'an* has a scientific error. And I do agree with him that Dr. William Campbell did not agree. He said how can it mean a congealed clot of blood, because if this is the case, then the *Qur'an* is wrong. am sorry to say *Qur'an* is not wrong - Dr. William Campbell with due respect to him... He is wrong. Because today...today...after advancement of embryology, even Dr. Keith Moore - He says that... 'In the initial stages, the embryo, besides looking like a leech, also looks like a congealed clot of blood, because in the initial stages, of the stage of '*Alaqa*', 3 to 4 weeks, the blood is clotted within closed vessels. And Dr. William Campbell made it easy for me - He showed you a slide. It will be difficult for you to see - But this is the slide he showed you. This is exactly what Professor Keith Moore said... 'Looks like a clot, in which the blood is clotted within closed vessels And during the 3rd week of the embryo, the blood circulation does not take place - it starts later on - Therefore it assumes the appearance of a clot. And if you observe the conspectus - that is after abortion takes place, you can see, it look like a clot. Only one line answer is sufficient to answer all the allegations of Dr. William Campbell is that, the stages of the *Qur'an* while it describes the embryological stages, is only based on appearance... Appearance. First is the appearance of the '*Alaqa*' , a 'leech like substance' as well as a clot of blood.' And Dr. William Campbell rightly said that some ladies come and ask... 'Please remove the clot' - It does look like a clot And the stages are based on appearance. It is created from something, which appears like a clot, which appears like a leech, and is also something which clings. Then the *Qur'an* says... 'We made the '*Alaqa*' into '*Mutga*' – a chewed like lump.' Professor Keith Moore took plastic seal, and bit between his teeth to make it look like a '*Mutga*'- The teeth marks resembled the 'somites.' Dr. William Campbell said... 'When the '*Alaqa*' becomes a '*Mutga*' the clinging is yet there - It is there till 8 and a half months- So... the *Qur'an* is wrong.' I told you in the beginning, the *Qur'an* is describing the appearance. 'The leech like' appearance and the 'clot like' appearance, is changed to the 'chewed' like appearance. It yet continues to cling till the end - There is no problem. But the stages are divided on appearance - Not on the function. Later on the *Qur'an* says... 'We made the '*Mutga*' into '*Izama*'...bones - Then clothed the bones with flesh.' Dr. William Campbell said, and I do agree with him, that... 'The precursors of the muscles and the cartilagees... that is the bones, they form together - I agree with that. Today embryology tells us that the primordia of the muscles and the bones - they form together between the 25th and the 40th day, which the *Qur'an* refers to as the stage of 'mudga.' But they are not developed... they are not developed. Later on, at the end of

the seventh week, the embryo takes form of human appearance - then the bones are formed. Today modern embryology says the bones are formed after the 42nd day, and it gives an appearance of a skeletal thing. Even at this stage when the bones are formed, the muscles are not formed. Later on, after the 7th week and the starting of 8th week, are the muscles formed. So *Qur'an* is perfect in describing first '*Alaqa*', then '*Mutga*', then '*Izama*', then clothed with flesh, and when they form - the description is perfect. As Professor Keith Moore said that... 'The stages - that how it is described in modern embryology... stage 1,2,3,4,5, is so confusing, The *Qur'an*ic stage on embryology describing on the base of appearance, and the shape, is far more superior.' Alhamdulillah. Therefore he said... therefore he said that... 'I have no objection in accepting that Prophet Muhammed is the messenger of God and that this Glorious *Qur'an* has to be a Divine Revelation, from Almighty God.' It is mentioned in Surah Nisa, Ch. No. 4, Verse No. 56, It speaks about 'Pain.' Previously the doctors, they thought that the brain was only responsible for feeling of 'pain.' Today we have come to know besides the brain, there are certain receptors in the skin, which are responsible for feeling of the pain, which we call as the 'pain receptors.' *Qur'an* says in such Surah Nisa Ch. 4, Verse 56, that... 'As to those who reject Our signs, We shall cast them into the hell fire, and as often as their skins are roasted, We shall give them fresh skin, so that they shall feel the pain. Indicating that there is something in the skin, which is responsible for feeling of pain, which the *Qur'an* refers to as 'pain receptors.' Professor Thagada Tagada Shaun, who is the head of the department of Anatomy, in Chang Mai University in Thailand, - Only on the basis of this one Verse, he proclaimed the *Shahada*, in the 8th Medical conference in Riyadh, and said ...(Arabic).... That... 'There is no God but Allah, and that Prophet Mohammed, peace be upon him, is the Messenger of Allah. I started my talk by quoting the Verse from the Glorious *Qur'an* from Surah... from Surah Fussilat, Ch. 41, Verse 53, which says...(Arabic) 'That soon We shall show them Our signs in the farthest reaches of the horizons, and into their souls, until it is clear to them, that this is the truth.' This one Verse was sufficient to prove to Dr. Thagada, Thagada Shaun, that *Qur'an* is a Divine Revelation. Some may require 10 signs, some may require 100. Some, even after a 1000 signs are given, they will not accept the truth. *Qur'an* calls such people, as in Surah Baqarah Ch. 2, Verse 18...(Arabic)... 'The deaf, the dumb, the blind, they will not return to the true path.' The *Bible* says the same thing in Gospel of Mathew, Ch. No. 13, Verse No. 13... 'Seeing they see not, hearing they hear not, neither will they understand.' nd regarding the other parts of 'Embryology', I will deal in my rebuttal InshaAllah, if time permits - I have to do justice to the other part also... regarding '*Bible* in the light of science.' At the outset let me tell you, that *Qur'an* says in Surah Rad, Ch. 13, Verse. 38, that... 'We have given several Revelations.' y name only 4 are mentioned - The *Torah*, the *Zaboor*, the *Injeel* and the *Qur'an*. The *Torah* is the '*Wahi*' the 'Revelation', which was given to Prophet Moses, peace be upon him. The *Zaboor* is the '*Wahi*', which was given to David, peace be upon him. The *Injeel* is the '*Wahi*', the 'Revelation' which was given to Jesus, peace be upon him. And *Qur'an* is the last and final Revelation, which was given to the last and final Messenger Prophet Mohammed, peace be upon him. Let me make it very clear to every one, that this *Bible* which the Christians believe to be the word of God, is not the '*Injeel*' which we Muslims believe, was revealed to Prophet Jesus, peace be upon him. This *Bible* according to us, it may contain the words of God - But it also contains words of Prophets, words of historians, it contains absurdities, obscenity, as well as

innumerable scientific errors. If there are scientific points mentioned in the *Bible* - there are possibilities - why not? It may be part of the word of God, in the *Bible*. But what about the scientific errors ? - What about the unscientific portions? - Can you attribute this to God ? want to make it very clear to my Christian brothers and sisters - The purpose of my presentation on '*Bible* and science' is not to hurt any Christian's feeling. If while presenting, if I hurt your feelings, I do apologize in advance. The purpose is only to point out, that a God's Revelation cannot contain scientific errors. As Jesus Christ, peace be upon him said... 'Search ye the truth, and the truth shall free you.' We have the Old Testament, we have the New Testament - Now you should follow the Last and Final Testament, which is the Glorious *Qur'an*. As far as Dr. William Campbell is concerned, I can be more liberal with him - Because he has written a book 'The *Qur'an* and the *Bible* in the light of history and science.' He has given a presentation, and he is a medical doctor - I don't have to be very formal with him. As far as the other Christian brothers and sisters are concerned, I apologize if I hurt you feelings during the presentation. Let us analyse what the *Bible* says about modern science - First we deal with Astronomy., The *Bible* speaks about the creation of the universe. In the beginning, 1st Book, Book of Genesis, 1st Ch., it is mentioned - It says... 'Almighty God created the Heavens and the Earth, in six days and talks about a evening and a morning, referring to a 24 - hour day. Today scientists tell us, that the universe cannot be created in a 24 hour period of six days. *Qur'an* too speaks about six *'ayyams'*. The Arabic word singular is *'yaum'* plural is *'ayyam'*. It can either mean a day of 24 hours, or it is a very long period, an *'yaum'*, an epoch. Scientists say we have no objection in agreeing that the universe - it could have been created in 6 very long periods. Point No.2 - *Bible* says in Genesis Ch. No. 1 Verses No. 3 and 5,...'Light was created on the first day.' enesis, Ch., 1 Verses, 14 to 19... 'The cause of light - stars and the sun, etc. was created on the fourth day'. How can the cause of light be created on the 4th day - later than the light which came into existence on the first day? - It is unscientific. Further, the, *Bible* says Genesis, Ch. 1, Verses 9 to 13... 'Earth was created on the 3rd day. How can you have a night and day without the earth ? The day depends upon the rotation of the Earth Without the earth created, how can you have a night and day? Point No..4, Genesis, Ch. No. 1 Verses 9 to 13 says... 'Earth was created on the third day.' Genesis Ch. No. 1 Verses 14 to 19 says...'The Sun and the Moon were created on the fourth day.' Today science tells us... 'Earth is part of the parent body... the sun.' It cannot come into existence before the sun – It is unscientific. Point No. 5, the *Bible* says in Genesis, Ch. No.1, Verse No. 11 to 13...'The vegetation, the herbs the shrubs, the trees - they were created on the 3rd day And the Sun, Genesis, Ch. No. 1, Verses. 14 to 19, was created on the 4th day.How can the vegetation come into existence without sunlight, and how can they survive without sunlight ? Point No.6, that the *Bible* says in Genesis, Ch. 1, Verses No.16, that...'God created two lights the greater light, the Sun to rule the day, and the lesser light the Moon, to rule the night. The actual translation, if you go to the Hebrew text, it is 'lamps'...'Lamps having lights of its own.' And that you will come to know better, if you read both the Verses – Genesis, Ch. No.1, Verse. 16, as well as 17. Verse No.17 says...'And Almighty God placed them in the firmament, to give light to the earth... To give light to the earth.' Indicating, that Sun and the Moon has its own light - which is in contradiction with established scientific knowledge that we have. There are certain people who try and reconciliate, and say that the six days mentioned in the *Bible*, it actually refers to epocs - like the *Qur'an* long periods - not six, 24 hour

day. It is illogical - you read in the *Bible*, evening, morning - It clearly states 24 hours, it indicates. But even if I use the concordance approach - no problem. I agree with your illogical argument - Yet they will only be able to solve the 1st scientific error of 6 days creation, and second, of first day 'light' and 3rd day 'earth.' The remaining four, yet they cannot solve. Some further say that... 'If it is a 24-hour period, why cannot the vegetables survive for one 24 hour day without sunlight?' I say 'Fine - If you say that the vegetables were created before the sun, and can survive for one 24-hour day, I have got no objection. But you cannot say the days mentioned are 24 hours as well as epochs - You cannot have the cake and eat it, both. If you say it is long period, you solve Point No.1 and 3, the remaining 4 are yet there. If you say the days are 24 hours day, you solve only Point No.5 - the remaining 5 are yet there - It becomes unscientific. I leave it to Dr. William Campbell, whether he wants to say... 'It is long period', and say that there are only 4 scientific errors - or say... 'It is a 24 hour day', and say there is only 5 scientific errors in the creation of the universe. Regarding the concept of Earth, there are various Scientists who have described... 'How will the world end.' Hypothesis - Some may be right, some may be wrong. But either the world will perish or the world will live forever. Both cannot take place simultaneously – It is unscientific. But this is exactly what the *Bible* says. It is mentioned in the *Bible*, in the book of Hebrews, Ch. No.1 Verses No.10 and 11, and the book of Psalms, Ch. No.102, Verse No.25 and 26, that...'Almighty God created the Heavens and the Earth, and they will perish.' Exactly opposite is mentioned in the book of Ecclesiastics, Ch. No.1, Verse No.4, and the book of Psalms, Ch. No.78, Verse No.69, that... 'The earth will abide forever.' I leave it to Dr. William Campbell to choose which of the two Verses are unscientific - the first pair or the second pair. One has to be unscientific - Both cannot take place. The world cannot abide forever as well as perish – It is unscientific. Regarding 'the Heavens', the *Bible* says in Job, Ch. 26, Verse 11, that...'The pillars of the Heaven will tremble.' *Qur'an* says in Surah Luqman, Ch. 31, Verse No.10, that...'The Heavens are without any pillars - Don't you see? Don't you see the Heavens are without any pillars? - *Bible* says heaven have got pillars. Not only do the Heavens have got pillars - *Bible* says in the first book of Samuel, Ch. No.2 Verses No.8, as well as the book of Job Ch. No.9, Verse No.6, and the book of Psalms Ch. No.75, Verse No.3, that... 'Even the earth have got pillars.' In the field of 'Diet and Nutrition' lets analyse, what does the *Bible* say. The *Bible* says in the book of Genesis, Ch. No.1, Verse No.29, that... 'God has given you all the herbs bearing seeds, the trees bearing fruits - those that bear seed, as meat for you.' New International Version says... 'The seed bearing plants, and the trees bearing fruits bearing seeds are food for you, all of them.' Today, even a layman knows that there are several poisonous plants like wild berries, stritchi, datura, plants containing alkaloid, polyander, bacaipoid - that which if you ingest, if you eat there are high possibilities you may die. How come the Creator of the universe and the human beings, does not know, that if you have these plants, you will die. I hope Dr. William Campbell does not give these vegetarian diet to his patients. The *Bible* has a scientific test how to identify a true believer. It is mentioned in the Gospel of Mark, Ch. No.16, Verse No.17 and 18 - It says that... 'There will be signs for true believers and among the signs - In my name they shall cast out devils, they shall speak foreign tongues, new tongues, they shall take up serpents - And if they drink deadly poison, they shall not be harmed - And when they place their hand over the sick, they shall be cured.' This is a scientific test - In scientific terminology, it is known as the 'confirmatory

test' for a true Christian believer. In the past 10 years of my life, I have personally interacted with thousands of Christians, including missionaries - I have not come across a single Christian, who has passed this confirmatory test of the *Bible*. I have not come across a single Christian who took poison - I have not come across any who took poison, and who has not died. And in scientific terminology, this is also called as the 'falsification test' That means if a false person tries and does this test... takes poison, he will die. And a false person will not dare attempt this test - If you are not a true Christian believer, you will not dare attempt this test. Because you try and attempt the falsification test, you will fail. So a person who is not a true Christian believer, will never attempt this test. I have read the book 'The *Qur'an* and the *Bible* in the light of history and science' written by Dr. William Campbell. And I assume - that he is a true Christian believer, and at least I would like him to confirm to me about the falsification test. Please be rest assured... Please be rest assured, I will not ask Dr. William Campbell to have deadly poison - Because I don't want to jeopardize the debate. What I'll do - I will only ask him to speak in foreign tongues... In new languages. And as many of you may be aware that India is a land, which has more than 1000 languages and dialects. Only thing I request him is, to say these 3 words... 'One hundred rupees', in the 17 official languages. There are only 17 official languages in India and to make it easier for Dr. William Campbell, I have got a 'One hundred-rupee note.' And this has all the 17 languages mentioned here. Besides English and Hindi, I will help him. I give him a beginning – *'Ek sav rupaiya,* In Hindi.

The remaining 15 languages are here - I request him to read. I know the test says... 'They will speak foreign languages on their own, without the help of reading' - but I want to make the test easier, I want to see someone passing the test - I've not seen any one. So if he cannot say it on his own, or from his memory, at least read it. I don't mind I'll accept it. And I would request the chairperson to give it to Dr. William Campbell. He has his rebuttal - 15 languages, 'Ek sav rupaiya'... 3 words only. What does the *Bible* say regarding 'Hydrology'? *Bible* says in Genesis, Ch. No.9, Verse No.13 to 17, that... 'After God, at the time of Noah submerged the world by flood, and after the flood' subsided, He said... 'I put up a rainbow in the sky as a promise to the humankind never to submerge the world again, by water. To the unscientific person it may be quite good... 'Oh rainbow is a sign of Almighty God, never to submerge the world by flood again.' But today we know very well, that rainbow is due to the refraction of sunlight, with rain or mist. Surely there must have been thousands of rainbows before the time of Noah, peace be upon him. To say it was not there before Noah's time you have to assume that the law of refraction did not exist - which is unscientific.' In the field of medicine, the *Bible* says in the book of Leveticus, Ch. No.14, Verse No.49 to 53 - it gives a novel way for disinfecting a house from plague of leprosy... disinfecting a house from plague of leprosy. It says that... 'Take two birds, kill one bird, take wood, scale it - and the other living bird, dip it in water... and under running water - later on sprinkle the house 7 times with it.

Sprinkle the house with blood to disinfect against plague of leprosy? You know blood is a good media of germs, bacteria, as well as toxin - I hope Dr. William Campbell does not use this method of disinfecting the OT, the operation theatre. It is mentioned in the book of Leveticus, Ch. No.12, Verse No.1 to 5, and we know medically, that after a mother gives birth to a child, the post-partal period, it is unhygienic. To say it is

'unclean', Religiously - I have got no objection. But Leviticus, Ch. No.12 Verse No.1 to 5, says that... 'After a woman gives birth to a male child, she will be unclean for 7 days, and the period of uncleanliness will continue for 33 days more. It she give birth to a female child, she will be unclean for two weeks, and the period of uncleanliness will continue for 66 days. In short, if a woman gives birth to a male child... 'a son', she is unclean for 40 days. If she gives birth to a female child... 'a daughter', she is unclean for 80 days. I would like Dr. William Campbell to explain to me scientifically, how come a woman remains unclean for double the period, if she gives birth to a female child, as compared to a male child. The *Bible* also has a very good test for adultery - How to come to know a woman has committed adultery, in the book of Numbers, Ch. no.5 Verse No..11 to 31. I'll just say in brief. It says that... 'The priest should take holy water in a vessel, take dust from the floor, and put it into the vessel - And that is the bitter water 'And after cursing it, give it to the woman And if the woman has committed adultery, after she drinks it, the curse will enter her body, the stomach will swell, the thigh will rot, and she shall be cursed by the people. If the woman has not committed adultery, she will remain clean and she will bear the seed. A novel method of identifying whether a woman has committed adultery or not. You know today in the world, there are thousands of cases pending in different parts of the world, in different courts of law - only on the assumption that someone has alleged that a woman has committed adultery. I had read in the newspapers, and I came to know from the media, that the President of this great country Mr. Bill Clinton, he was involved in a sex scandal about 2 years back. I wonder, that why did not the American court use this 'bitter water test' for adultery? He would have gone scot-free immediately. Why did not the Christian missionaries of this great country, specially those who are in the medical field like my respected Dr. William Campbell, use this bitter water test to bail out their President, immediately. 'Mathematics' is a branch, which is closely associated with science, with which you can solve problems, etc. There are thousands of contradictions in the *Bible* - hundreds deal with mathematics, and I'll first touch on few of them. It is mentioned in Ezra, Ch. No.2, Verse No.1, and Nehemiah, Ch. No.7, Verse No.6, the context that... 'When the people returned from exile, from Babylon, when king Nebucheldeser of Babylon, when he released the men from Israel, they came back from captivity' - and the list of the people are given. The list is given in Ezra, Ch. No.2, Verse No.2 to 63, and Nehemiah Ch. No.7, Verse No.7 up to 65; the list is given with the names as well as number of people released. In these 60 Verses there are no less than 18 times - the name is exactly the same but the number is different. There are no less than 18 contradictions in less than 60 Verses, of these two Chapters. This is the list - I don't have time to run through the list - There are no less than 18 different contradictions in less than 60 Verses. Further it is mentioned in Ezra, Ch. No.2 Verse No.64 that... 'The total congregation, if you add up... if you add up, it comes to 42,360.' And if you read in Nehemiah, Ch. No.7, Verse No.66, there also the total is the same 42,360. But if you add up all these verses - which I had to do my homework - this is the list of Ezra... this is the list of Nehemiah. Ezra Ch. No 2, Nehemiah Ch. No 7 - If you add up - I had to do my homework...if you add up, Ezra Ch. No. 2 - It does not come to 42,360 - it comes to 29,818. And if you add up Nehemiah, Ch. No. 7, even then it does not come to 42,360 - It comes to 31,089. The author of the *Bible*, presumed to be 'Almighty God', does not know simple addition. If you give this problem, even to a person who has passed elementary school, he will be able to get the right answer. If you add up all the 60

Verses, it is so easy. Almighty God did not know adding – *Nauzubillah*... if we presume, that this is the word of God. Further if we read, in Ezra Ch. No. 2, Verse No. 65, it says...There were 200 singing men and women - Nehemiah Ch. No. 7, Verse No. 67...'There were 245 singing men and women.' Were they 200 - or were they 245 singing men and women? Context is the same - A mathematical contradiction. It is mentioned in the 2nd Kings, Ch. No 24, Verse No 8, that...'Jehoiachin was 18 years old, when he began to reign Jerusalem, and he reigned for 3 months and 10 days. 2nd Chronicles, Ch. No 36, Verse No 9, says that...'Jehoiachin was 8 years old when he began to reign and he reigned for 3 months, 10 days. Was Jehoiachin 18 years when he began to reign, or was he 8 years old? Did he reign for 3 months, or did he reign for 3 months 10 days? Further it is mentioned in the 1st Kings, Ch. No 7, Verse No 26, that...'In Solomon's temple, in his molten sea, he had 2000 baths. In 2nd Chronicles, Ch. No 4, Verse No 5, he had 3000 baths. Did he have 2000 baths or did he have 3000 baths? – That, I leave it upon Dr. William Campbell to decide which is correct. There is a clear-cut mathematical contradiction. Further more it is mentioned in the First Kings, Ch. No. 15, Verse No. 33, that... 'Basha, he died in the 26th year of reign of Asa.' And 2nd Chronicles Ch. No 16, Verse No 1, says that...'Basha invaded Judah in the 36th years of the reign of Asa.' How can Basha invade 10 years after his death? - It is unscientific. To make it easier for Dr. William Campbell, to answer to the points I have raised, I will just mention it in brief -The points that I mentioned. The first point was that -'The creation of the Earth and the Heaven - the universe was in six, 24-hour days. Light was then before the source of light - Point No. 2. Three - Day came into existence before creation of Earth. Point No. 4 - Earth came into existence before Sun. Point No. 5 - Vegetation came into existence, before sunlight Point No. 6 - Light of the Moon is its own light. Point No. 7 - The earth - Will it perish or will it abide forever? Point No. 8 - The earth has got pillars. Point No. 9 - The heavens have got pillars. Point No. 10 - God said... 'You can have all plants and all vegetation, including the poisonous plants?' Point No. 11 - The scientific test the falsification test, of Mark, Ch. No. 16, Verse No. 17 and 18. Point No. 12 - A woman remains unclean for double the period, if she gives birth to a daughter, as compared to a son. Point No. 13 - Using blood to disinfect the house, against plague of leprosy. Point No. 14 – How do you find out the bitter water test for adultery? Point No. 15 - Eighteen different contradictions in less than 60 Verses of Ezra, Ch. 2, and Nehemiah, Ch. 7. I did not count them as 18 different - I counted them only as one. Point No. 16 - The total is different is both the chapters. Point No. 17 - Are there 200 singing men and women, or are there 245 singing men and women? Point No. 18 - Was Jehoiachin 18 years old, or was he 8 years old when he began to reign? Point No. 19 - Did he reign for 3 months, or 3 months 10 days. Point No. 20 - Did Solomon had 3000 baths, or 2000 baths? Point No. 21 - Is that Basha, how could he invade Judah, 10 years after his death? Point No. 22 is - Almighty God - He said, I put up a rainbow in the sky, as a promise to the human kind, never to submerge the world again by water. I have listed only 22, out of the hundreds available unscientific points in the *Bible*... scientific errors - And I request Dr. William Campbell to answer them. And irrespective whether he uses the 'concordance approach' or the 'conflict approach'... as long as he is logical, he will never be able to prove scientifically, all these 22 aspects I have told him. We agree in Jesus Christ peace be upon him - to him was revealed the *Injeel*. This is not the *Injeel* - It may contain part of God - But the other unscientific portion is not the word of God. I would like to end my talk by giving the quotation of the

المراجـــــع والمصـــــادر

أ) المراجع والمصادر العامة :

- **ابن أبي هاشم (أحمد بن الحسين) :**
  - شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، تحقيق : د.عبد الكريم عثمـــان، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ /١٩٦٥م.
- **ابن الأثير (الجزرى ابن الأثير، ت ٦٣٠هـ) :**
  - الكامل فى التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- **ابن الجزري (محمد بن محمد بن على بن يوسف ، ت : ٨٣٣هـ) :**
  - النشر في القراءات العشرة ، طبعة دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
- **ابن القيم (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ، ت : ٧٥١ هـ) :**
  - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق محمـــد حامـــد الفقـــي، مكتبـــة الرياض الحديثة ، الرياض، بدون تاريخ.
  - هداية الحيارى ، تحقيق أحمد السقا ، المكتبـــة القيمـــة ، القـــاهرة ، ســـنة ١٣٩٩هـ.
- **ابن تيمية (الإمام أحمد بن عبد الحليم ، ت : ٧٢٨هـ) :**
  - مجموع الفتاوي، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، نسخة مصـــورة مـــن طبعـــة الرياض.
  - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، طبعة المدني بالقاهرة، بدون ترقيم.
  - معارج الوصول ، المطبعة السلفية، سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

- **ابن حجر (شهاب الدين أبى الفضل أحمد ، ت : ٨٥هـ) :**
  - فتح الباري بشرح صحيح البخارى ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.
  - الإصابة فى تمييز الصحابة ، ط١ ، دار صادر، مطبعة السعادة، القاهرة، سنة١٣٢٨هـ.
- **ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد ، ت ٤٥٦هـ) :**
  - الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الندوة الجديدة، بيروت.
  - الرد على بن النغريلة ، تحقيق : د. إحسان عباس، ١٣٨٠هـ/١٩٥٩م.
  - الأصول والفروع ، تحقيق : د . سهير أبو وافية ، د.إبراهيم هلال ، ود.عاطف العراقي ، دار النهضة العربية ، ط١ ، سنة ١٩٧٨م.
- **ابن خلدون (أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ /١٤٠٦م) :**
  - دار الكتاب اللبناني ، سنة ١٩٨٢م.
- **ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل ، ت : ٧٧٤هـ) :**
  - تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامى سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
  - البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون ترقيم.
- **ابن منظور (محمد بن مكرم المصرى ، ت : ٦٣٠هـ) :**
  - لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف ، القاهرة.
- **ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، ٢١٣هـ) :**
  - السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة علوم القرآن.
- **أبو زهرة (الشيخ محمد) :**
  - محاضرات في النصرانية ، الطبعة الرابعة ، دار الفكر العربى، بدون تاريخ.

- **أبو قرة (ثاوذورس ، ت : ٢١٥ هـ) :**
  - ميمر في وجود الخالق والدين القويم، تحقيق أغناطيوس ديك، جونيه–لبنان سنة ١٩٨٢م.
- **أبي يعلي (أحمد بن على المثنى الموصلي التميمى ، ت ٣٠٧هـ) :**
  - مسند أبي يعلي، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون بدمشق، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- **اسبينوزا (الفيلسوف اليهودي باروخ ، ت ١٦٧٧م) :**
  - رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة د. حسن حنفى ، الطبعة الثالثة، مكتبة النافذة ، سنة ٢٠٠٥م.
- **الأصفهانى (أبي القاسم الراغب) :**
  - المفردات فى غريب القرآن ، تحقيق : محمد خليل عيتانى، دار المعرفة للطباعة والنشر، سنة ١٩٩٩م.
- **الألبانى (العلامة : محمد ناصر الدين) :**
  - صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى.
- **الآلوسي (محمود أبو الفضل ، ت : ١٣٧٠هـ) :**
  - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المعروف بتفسير الآلوسي ، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق – مصر، سنة١٣٥١هـ.
- **الآمدي (سيف الدين على بن أبي علي ، ت : ٦٣١هـ) :**
  - الإحكام فى أصول الأحكام، دار الحديث، بدون تاريخ.
- **أمين (د / أحمد) :**
  - ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة العاشرة، د.ت.
- **أنسلم كورميدا (عبد الله الترجمان) :**
  - تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب، تقديم وتحقيق د. محمود حماية، دار المعارف ، سنة ١٩٨٤م.

- **الباجي (القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي ، ت : ٤٧٤هـ):**
  - رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبى الوليد الباجي عليها، تحقيق ودراسة : د. محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الصحوة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

- **الباقلاني (القاضي أبو بكر بن الطيب ، ت : ٤٠٣هـ) :**
  - التمهيد فى الرد على الملاحدة : المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، تحقيق : محمود الخضيرى، ومحمد أبو ريدة ، دار الفكر العربي ، د.ت.
  - نكت الانتصار لنقل القرآن ، دراسة وتحقيق : محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، سنة ١٩٧١م.

- **بدوى (د / عبد الرحمن) :**
  - مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات بالكويت، الطبعة الثالثة، الكويت، سنة١٩٧٧م.

- **بسيط (القس عبد المسيح) :**
  - الكتاب المقدس يتحدى نقاده والقائلين بتحريفه ، كنيسة السيدة العذراء مريم بمسطرد ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ.

- **البعلبكي (منير) :**
  - قاموس المورد – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثانية والعشرون، سنة ١٩٩٤م.

- **البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، ت ٤٢٩ هـ) :**
  - أصول الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.

- **البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود ، ت : ٥١٦هـ) :**
  - معالم التنزيل ، على هامش تفسير الخازن ، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٠م ، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.

- **البنا (الشيخ أحمد) :**
  - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، طبعة عالم الكتب.

- **البنداق (د / محمد صالح) :**
  - المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، منشـورات دار الأوقـاف الجديـدة، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م.

- **بوكاي : (موريس) :**
  - القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولي ، سنة ١٩٩٦م.
  - القرآن والتوارة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ترجمة أ.على الجوهري، طبعة مكتبة القرآن.
  - ما أصل الإنسان ، دراسة فى ضوء الكتب المقدسة ،مكتبة التربيـة للخلـيج العربى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٢م.
  - القرآن والعلم الحديث ، ترجمة مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

- **البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد ، ت : ٤٤٠هـ) :**
  - الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق إدوارد سخاور – ليبتـزج، سـنة ١١٧٨م.
  - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقـل أو مزدولـة ، تحقيـق إداورد سخاو، عالم الكتب، بيروت.

- **البيهقي (أبى بكر أحمد بن الحسين ، ت : ٤٥٨ هـ :**
  - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تخريج وتعليق د.عبد المعطي قلعجـي ، الطبعـة الأولـى ، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت، سـنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **التفتازاني (سعد الدين ، ٧٩١هـ) :**

  - شرح العقائد النسفية ، تحقيق : د.أحمد حجـازي السـقا، مكتبـة الكليـات الأزهرية ، سنة ١٩٨٨م.

- **الجاحظ (عمرو بن بحر ، ت : ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٩م) :**

  - المختار فى الرد على النصارى ، تحقيق د. محمد عبد الله الشـرقاوي، دار الجيل، بيروت ، سنة ١٤١١هـ /١٩٩١م.

- **الجبرين (د / محمد عبد الله) :**

  - مجموع-قصص وأخبار من صحيح السنة والآثار، الرسالة الثالثة (اليهـود)، دار الصميعى للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

- **جديد (إسكندر) :**

  - عصمة التوراة والإنجيل، بدون دار نشر، وبدون تاريخ.

- **جعفر (د / محمد كمال) :**

  - الإسلام بين الأديان ، مكتبة دار العلوم ، سنة ١٩٧٧م.

- **الجعفري (أبو البقاء صالح بن الحسين المصري ، ت ٦٢٨هـ) :**

  - الرد على النصارى ، تحقيق د : محمد حسانين ، مكتبة وهبة سنة ١٩٨٨م.

- **الجليند (د / محمد السيد) :**

  - منهج السلف بين العقل والتقليد ، القاهرة ، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- **الجويني (إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله ، ت : ٤٧٨هـ) :**

  - شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تحقيق د/أحمد حجازي السقا،مكتبة الكليات الأزهرية،مصر،ط١، سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

- **الحداد (الأب درة) :**

  - مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي ، منشورات بمكتبة البولسية، جونيـة، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٦م.

- **الحريري (موسى) :**
  - قس ونبي ، بدون بيانات.
- **حسن وهويدى (د/ محمد خليفة ود/ أحمد هويدي) :**
  - اتجاهات نقد العهد القديم ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العربية ، سنة ١٤٢٢هـ / سنة ٢٠٠١م.
- **الحسيني (أبي النصر مبشر الطرازي) :**
  - إلى الدين الفطري الأبدي ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٦م.
- **حلمى (د / مصطفى محمد) :**
  - الإسلام والأديان ، دار الدعوة للطبع والنشر ، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م.
- **حماية (د / محمود) :**
  - ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٣م.
- **الحموي (ياقوت الرومي البغدادي، ت : ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) :**
  - معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- **حنفي (د / حسن) :**
  - مقدمة في علم الاستغراب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، سنة ١٩٩٢م.
- **الخزرجي (أبو عبيدة) :**
  - مقامع هامات الصلبان بين الإسلام والمسيحية ، تحقيق د. محمد شامة ونشره تحت عنوان : بين الإسلام والمسيحية ، مكتبة وهبة ، سنة ١٩٧٩م.

- **خشان (الأب أدموند) :**
  - قوانين الرهبانية المارونية المريمية ورسومها، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٩م، بدون ناشر.
- **الخضري (حنا جرجس) :**
  - تاريخ الفكر المسيحي ، دار الثقافة ، القاهرة ، سنة ١٩٨١م.
- **خطاب (فهمي إبراهيم) :** علم الحيوان ، دار المعارف ، سنة ١٩٩٩م.
- **خلاف (الدكتور عبد الوهاب) :**
  - علم أصول الفقه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، شباب الأزهر، الطبعة الثامنة، بدون تاريخ.
- **الخلف (د / سعود عبد العزيز) :**
  - دراسات فى الأديان اليهودية والنصرانية ، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ.
- **خليفة (حاجي ، ت : ١٠٦٧هـ) :**
  - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الفكر ، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- **الخوري (بولس الخوري)**
  - التفسير المسيحي للقرآن من القرن الثامن الميلادي إلى القرن الثاني عشر، المكتبة البولسية (جونيه – لبنان)، الطبعة الأولى بدون تاريخ.
- **الدالاتي (د / عبد المعطي) :**
  - ربحت محمدًا ولم أخسر المسيح، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، دمشق، بدون تاريخ.

- **دراز (د/ محمد عبد الله) :**
  - بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ
  - مدخل إلى القرآن الكريم.

- **دروزة (محمد عبد الله) :**
  - تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المكتبة العصرية للطبع والنشر، بيروت، ١٩٦٩م.

- **الدمشقي (يوحنا ، ت : ١٣٢هـ / ٧٤٩م) :**
  - المائة مقال في الإيمان الأرثوذكسي ، تعريب الأرشمندريت أدريانوسى شكور، المكتبة البولسية ، بيروت ، سنة ١٩٨٤م.

- **ديدات (الشيخ أحمد) :**
  - هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ ، تحقيق وترجمة : المهتدى إبراهيم خليل أحمد ، دراسة وتقديم : د. نجاح الغنيمى ، دار المنار، مصر، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- **الذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي) :**
  - سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت ، سنة ١٩٨٢م.

- **الذهبي (د / محمد حسين) :**
  - الإسرائيليات في التفسير والحديث ، مكتبة وهبة ، الطبعة الرابعة.

- **الرازي (فخر الدين ، ت : ٦٠٤هـ) :**
  - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر ، بيروت.

- **ربيع (د / يحي محمد) :**
  - الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

- **رسلان (د / محمد سعيد) :**
  - الوضع في الحديث وجهود العلماء في مواجهته ، مكتبة البلاغ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
  - فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين ، دار العلوم الإسلامية ودار البخاري ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م.
  - شعار الفاتيكان "النجاسة من الإيمان" (تحت الطبع).

- **رضا (الشيخ محمود رشيد) :**
  - الوحي المحمدي ، المطبعة السلفية ، بدون تاريخ.

- **زاده (عبد الرحمن بك أفندي باجه جى زادة) :**
  - الفارق بين المخلوق والخالق ، تحقيق عصام فارس، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

- **الزرقاني (الشيخ : محمد عبد العظيم) :**
  - مناهل العرفان في علوم القرآن ، الطبعة الثالثة ، عيسى البابي الحلبي، ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م.

- **الزركلي (خير الدين) :**
  - الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، والمستشرقين، مطبعة كوستاتسوماس ، سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.

- **زقزوق (د / محمود حمدي) :**
  - المستشرقون والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، المحاكم الشرعية بدولة قطر ، سنة ١٤٠٤هـ.

- **زكى (د/عزت) :**
  - تاريخ المسيحية ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، سنة ١٩٨٠م.

- **الزمخشري (محمود بن عمر ، ت : ٥٢٨هـ) :**
  - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.
- **الزنجاني (أبو عبد الله) :**
  - تاريخ القرآن ، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات في بيروت ، لبنان، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.
- **سالم (د /شريف) :**
  - دلائل تحريف الكتاب المقدس، الدار العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- **السقا (د / منقذ محمود) :**
  - هل العهد القديم كلمة الله ؟ مكتبة النافذة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **السقا (د/أحمد حجازى) :**
  - نقد التوراة ، أسفار موسى الخمسة ، مكتبة الكليات الأزهرية، سنة١٩٧٦م.
- **السوهاجى (د / ناصر) :**
  - تحذير أهل الإيمان من التقارب بين الأديان ، الطبعة الأولى، مكتبة صيد الفوائد ، سنة ٢٠٠٥م.
- **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ، ت : ٩١١هـ) :**
  - الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور، دار الفكر العربي، بيروت، سنة١٩٩٤م.
  - المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية – بيروت ، سنة ١٩٩٨م.
- **الشرفي (أ /عبد المجيد) :**
  - الفكر الإسلامي فى الرد على النصارى حتى نهاية القرن الرابع، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، سنة ١٩٨٦م.

- **الشرقاوي (د / محمد عبد الله) :**
  - مناهج البحث والتفكير العلمي ، دار الثقافة العربية ، سنة ١٩٩٧م. – فى مقارنة الأديان ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٩٠م.
  - منهج نقد النص بين ابن حزم واسبينوزا ، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م.
  - الإيمان ، مكتبة الزهراء، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- **شكري وأنيس (د / محمد شكري ، و د / محمد أنيس) :**
  - أوربا في مطلع العصور الحديثة – الجزء الأول ، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٦١م.

- **شلبي (د/أحمد) :**
  - المسيحية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥م. – اليهودية ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٨٨م.

- **الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، ت : ٥٤٨هـ) :**
  - الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة، بيروت ، د.ت.

- **صموئيل (د / فرين) :**
  - إنجيل برنابا بين المؤيدين والرافضين ، ط٣ ، مطبعة أوتوبرنت، بالقاهرة، سنة ٢٠٠٤م.

- **الصوياني (د / محمد) :**
  - القرآن والتوراة والإنجيل ، مكتبة العبيلكان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

- **طاهر (د / حامد) :**
  - منهج البحث بين التنظير والتطبيق ، دار النصر، القاهرة، سنة ١٩٩٤م.

- **الطبرسي (الفضل بين الحسين الطوسي) :**
  - مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ، نشره دار التقريب فى القاهرة، سنة ١٩٧٠م.

- **الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، ت : ٣٤٠هـ) :**
  - جامع البيان في تأويل آي القرآن، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- **الطبري : (على بن زين، ت : ٣٤٧هـ- ٨٦١م) :**
  - الدين والدولة فى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، تحقيق : عـادل نويهض، دار الآفاق العربية، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٢م.
- **الطويل (د / توفيق أحمد) :**
  - قصة الصراع بين الدين والفلسفة، دار النهضة العربية، سنة ١٩٧٩م.
- **ظاظا (د / حسن ظاظا) :**
  - أبحاث في الفكر اليهـودي، أطـواره ومذاهبـه، دار القلـم، بدمشـق، سنة١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.
- **عاشور (د / سعيد) :**
  - أوربا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٨٣م، القاهرة.
- **العامري (أبو الحسن، ت ٣٨١هـ) :**
  - الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق : د. عبد الحميد غراب، نشر مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر، الرياض، سنة ١٤٠٨هـ.
- **العبد (د/ عبد اللطيف محمد) :**
  - التفكيـر المنطقـى، دار الثقافـة العربيـة، الطبعـة الثالثـة، سـنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- **عبد الباقي (د / محمد فؤاد) :**
  - المعجم المفـرس لألفـاظ القـرآن الكـريم، دار الريـان للتـراث، سـنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **عبد الحميد (د / رأفت) :**
  - الفكر المصري في العصر المسيحي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

- **عبد الكريم (خليل) :**
  - النص المؤسس ومجتمعه ، منشورات الجيل، دار مصر المحروسة.
- **عبد الله (د / محمد جمعة) :**
  - رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم ، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
- **عبد الوهاب (لواء مهندس أحمد) :**
  - المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، مكتبة وهبة ، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- **عبيد (د / إسحاق) :**
  - محاكم التفتيش نشأتها وتطورها ، دار المعارف، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٨م.
- **عثمان (د / حسن) :**
  - منهج البحث التاريخي ، دار المعارف ، الطبعة السادسة، سنة١٩٨٧م.
- **عجيبة (د / أحمد على) :**
  - أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي ، دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م.
- **علوان (د / توفيق محمد) :**
  - حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، دار المنار الحديثة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣م.
- **على (د / جواد) :**
  - المفصل في أديان العرب، دار الشعاع ، الطبعة الأولى ، سنة ٢٠٠٤م.
- **الغرناطي (محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، ت : ٧٥٤هـ):**
  - البحر المحيط ، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

- **غريغورس (الأنبا) :**
  - مذكرات في علم اللاهوت المقارن ، مطرانية شبرا الخيمة، بدون بيانات.
- **الغزالي (حجة الإسلام أبو حامد ، ت : ٥٠٥هـ) :**
  - قواعد العقائد ، من تخريج الحافظ العراقي من أحياء علوم الدين.
  - المستصفي من علم الأصول، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت.
  - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، تحقيق الأب روبير شدياق، تعليق وتقديم عبد العزيز عبد الحق حلمي، طبعة القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، سنة ١٩٧٣م.
- **فاندر (الدكتور القسيس) :**
  - ميزان الحق ، الطبعة العربية الثالثة ، بإشراف مركز الشبيبة بسويسرا، سنة ١٩٨٣م.
  - فلسفلة العصور الوسطى ، طبعة دار القلم ، الكويت ، سنة ١٩٧٩م.
- **القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ت : ٦٧١هـ :**
  - الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ، الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
  - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، تحقيق: أحمد حجازى السقا ، طبع دار التراث العربي، القاهرة، بدون ترقيم.
- **القسطلاني (شهاب الدين أحمد بن محمد ، ت ١٣٠٤هـ) :**
  - إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر العربي، بيروت.
- **كامبل (دكتور وليم) :**
  - القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم، مكتبة الحياة والنور بألمانيا، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٦م.
- **الكردي (محمد طاهر بن عبد القادر) :**
  - تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ، مطبعة الفتح الوطنية بجدة، سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

- **لوريمر (جون) :**
  - تاريخ الكنيسة ، ترجمة عزرا مرجان ، الطبعة الأولى، مكتبة دار الثقافة، سنة ١٩٩٠م.
- **ماكس (هيم ماكس) :**
  - بولس وتحريف المسيحية ، ترجمة سميرة عزمى الزيني، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ، بدون تاريخ.
- **المسعودي (أبو الحسن بن الحسين بن على ، ت : ٣٤٦هـ) :**
  - مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار المعرفة ، بيروت ، سنة ١٩٨٣م.
- **المطعني (د / عبد العظيم إبراهيم) :**
  - مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، الطبعة الأولى، دار الأنصار، سنة ١٩٨٠م.
- **المغربي (السموأل بن يحي المهتدى ، ت : ٥٧٠هـ) :**
  - إفحام اليهود ، تحقيق د / محمد عبد الله الشرقاوي، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإرشاد ، بالرياض، سنة ١٤٠٧هـ.
- **المقريزي (تقى الدين أحمد بن على ، ت : ٨٤٥ هـ) :**
  - تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، تحقيق د / عبد المجيد دياب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ.
- **منتصر (د/ عبد الحليم) :**
  - تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، دار المعارف، سنة ١٩٣٣م.
- **المهتدي (إبراهيم خليل أحمد):**
  - محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن ، مكتبة الوعى العربى، بدون تاريخ.

- **المهتدي (الدكتور عبد الأحد داود) :**
  - محمد فى الكتاب المقدس، ترجمة فهمى شما ، مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق من مطبوعات ، رئاسة المحاكم الشرعية بقطر. – الإنجيل والصليب، طبع في القاهرة، سنة ١٣٥١م ، ترجمة ، مسلم عراقي.
- **النجار (د / كامل) :**
  - قراءة منهجية للإسلام ، مطبعة تالة للطباعة والنشر ، طرابلس، الجماهيرية العربية الاشتراكية العظمى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٨٥هـ / ٢٠٠٥م.
- **النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ، ت ٧١٠هـ) :**
  - مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، طبعة مكتبة صبيح بالأزهر، مصر، بدون تاريخ.
- **النشار (د / سامى) :**
  - مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، طبعة دار الفكر العربي ، سنة ١٩٤٧م.
- **نعيق (د / ذاكر عبد الكريم) :**
  - القرآن والعلم الحديث، ترجمة فاتن الزلباني، الناشر ، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- **نعيم (د / خالد محمد) :**
  - الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر، المختار الإسلامي، القاهرة ، سنة ١٩٨٨م.
- **نعيم (د / سمير) :**
  - المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية ، مكتبة جامعة عين شمس، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٨٧م.
- **النووي (أبو زكريا ، محي الدين بن شرف، ت ٦٧٦هـ) :**
  - شرح صحيح مسلم ، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة ، دار الشعب، بدون تاريخ.

- **الهمذاني (القاضي عبد الجبار ، ٤١٥هـ / ١٠٣٥م) :**
  - تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق د . عبد الكريم عثمان ، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٦٦م.
  - رسالة المختصر في أصول الدين ، من رسائل التوحيد والعدل، بتحقيق د.محمد عمارة ، دار الهلال، سنة ١٩٧١م.
  - المغني فى أبواب التوحيد والعدل، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، بمراجعة د. إبراهيم مدكور وإشراف ، د. طه حسين.
- **الهندي (رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرواني ، ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م) :**
  - إظهار الحق، تحقيق، د. محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- **الهوريني (أبو الوفاء نصر الوفائي) :**
  - المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية ، تحقيق وتعليق : د.طه عبد المقصود ، الطبعة الأولى، مكتبة السنة – القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **الهيثمي (نور الدين على بن أبى بكر) :**
  - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الفكر، بيروت ، سنة ١٤١٢هـ.
- **وافي (د / عبد الواحد) :**
  - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، دار نهضة مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- **ول ديورانت (ول ديورانت) :**
  - قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٣م.

ب) موسوعات العامة التي ليس لها مؤلف محدد :

١. قاموس الكتاب المقدس ، بإشراف الدكتور : جون طومسون، والدكتور بطرق عبد الملك، إبراهيم مطر ، الطبعة السابعة ، دار الثقافة ، سنة ١٩٩١م.

٢. الإنجيل ، كتاب الحياة ، ترجمة تفسيرية ، دار الثقافة ، مصر ، سنة ١٩٨٣م.

٣. الكتاب المقدس ، كتب العهدين (القديم والجديد) دار الكتاب المقدس، القاهرة، سنة ١٩٧٠م.

٤. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، نخبة من العلماء والباحثين ، بإشراف: محمد شفيق غربال ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

جـ) الرسائل العلمية

١. الشرقاوي (د / حمدي عبد الله) :

- مناهج دراسة الأديان بين المتكلمين والفلاسفة في القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، بإشراف الأستاذ الدكتور / محمد السيد الجليند ، سنة ١٩٩٩م.

٢. الصياد (ريمة شريف) :

- جوار حول العقيدة بين المسلمين وأهل الكتاب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد مذكور ، سنة ٢٠٠٣م.

3. (دراخشان – أعظم)

- Western Criticism on Christianity in 20th Century

بإشراف الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الله الشرقاوى – الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان

٤.بري (د / صفيـة) :

- مناهج دراسة الأديان في الغرب في القرن العشرين ، رسالة ماجستير بمكتبة كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بباكستان بإشراف الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الله الشرقاوي ، سنة ١٩٩٤م.

٥.الرمادي (د/أماني زكريا)

- الإنتاج الفكري حول القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والفرنسـية فـي القـرن العشرين ، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، إعـداد : أمـاني زكريا الرمادي محمد سعيد وإشراف الأستاذ الدكتور : محمد فتحي عبد الهادي ، ومشاركة د/محمد السروجي، سنة ١٩٩٣م.

٦.عبد المحسن (د / عبد الراضي) :

- منهج ابن تيمية في دراسة النصرانية ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، بإشراف الأستاذ الدكتور : محمد عبد الله الشرقاوي.

٧.عطا الله (د / مختار محمود) :

- منهج المعتزلة في مجادلة علماء الملل المخالفة حتى نهايـة القـرن الخـامس الهجري، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم، بإشراف الأستاذ الدكتور: السيد رزق الحجر ، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٩١.

٨.الطعان (د : أحمد إدريس) :

- منهج الأشاعرة في مجادلة علماء الملل المخالفة حتى نهاية القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير، بإشـراف أ. د : أبـو اليزيـد العجمـي، سـنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

د) المقالات والدوريـــات :

١. بلاشير (المستشرق ريجيس) :

- مقال عن بلاشير ، مجلة العربي ، العدد (٥٦٤) ، نوفمبر سنة ٢٠٠٥م.

٢. **بوكاي (د / موريس) :**

- مساوىء الترجمات المتداولة للقرآن الكريم ، مقال بمجلة الفيصل، العدد (٢٠٤)، جمادي الآخرة ، سنة ١٤١٤هـ ، نوفمبر – ديسمبر ، سنة ١٩٩٣م، ترجمة وتعليق د / محمد خير البقاعي.
- أخطاء الترجمات والتفاسير حول بعض الآيات القرآنية لموريس بوكاي ، مجلة الفكر الإسلامي بلبنان – العدد الأول للسنة الحادية عشرة.
- أفكار أوحت بها تجربة شخصية ، مقال للدكتور موريس بوكاي ، بمجلة الأصالة، الجزائر ، العدد ٨٥.

٣. **الرافعي (أ . مصطفى صادق) :**

- تحت راية القرآن ، مقال بمجلة الهلال، ديسمبر ، سنة ١٩٧٠م.

٤. **استنابولي (محمد مهدي) :**

- إلى البابا بولس السادس ، عظيم أهل ملته ، مقال بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ١٧ ، رجب ، سنة ١٣٩٢هـ.

٥. **سلامة (د / إبراهيم عبد الحميد) :**

- تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية وهيمنته عليها ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد (٤٦).

٦. **الشعيبي (د / عبد العزيز عبد العزيز) :**

- الروح القدس في عقيدة النصارى ، جامعة أم القرى ، العدد (٢٢).

٧. **الشويعر (د / محمد سعد) :**

- الملك فيصل وموريس بوكاي ، مقال بمجلة الجزيرة للدكتور : محمد سعد الشويعر ، عدد الجمعة ٢٠ جمادي الثاني ، سنة ١٤٢٥هـ ، ٦ أغسطس ٢٠٠٤م .

٨. **الصلابي (د / محمد علي) :**

- الوسطية في القرآن الكريم ، مجلة (ليبيدا وطننا) ، الحلقة الأخيرة ، العدد ديسمبر، سنة ٢٠٠٥م.

٩. الصاوي (د / عبد الجواد) :

- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مقال بمجلة البيان للدكتور : عبد الجواد الصاوي مدير هيئة الإعجاز العلمي ، عدد السبت ٢٤ جمادى الأولى ، سنة ١٤٢٠هـ - الموافق ٤ سبتمبر ، سنة ١٩٩٩م.

١٠. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء :

- بيان بطلان دعوة التقريب بين الفرق والأديان ، مقال بمجلة التوحيد التى تصدر عن جمعية أنصار السنة بالقاهرة، بتاريخ ٢٠٠٦/٥/١م ، العدد (٥١).

١١. محمد (د/دين) :

- مشكلة المنهج في علم الدين المقارن ، بحث في حولية الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام أباد ، العدد الأول ، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٢. مدكور (د / عبد الحميد عبد المنعم) :

- الحوار المسيحي الإسلامي ، دراسة لإحدى الوثائق، ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الخامس للفلسفة الإسلامية "الإسلام ومواد الحضارات" في كلية دار العلوم، سنة ٢٠٠٠م.

١٣. القاضي (الشيخ عبد الفتاح) :

- المصحف الشريف، أبحاث في تاريخه وأحكامه ، مقال بمجلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، العدد ٣٥ ، سنة ١٩٦٨م.

هـ) المؤلفات والموسوعات الأجنبية :

أ- مؤلفات باللغة الإنجليزية :

1) Sharpe : (E – J)

- Comparative Pieligion A history , New York , 1975.
- Encyc. Of Religion , Art "Study of Religion.

2) Encyc.

- Encyclopidio of Brtitainice – 1965.

3) Azam : (Drakshan)

- Western Criticism on Christianity in 20th century – under supervision prof. Dr m.A Al sharqwi , 1994.

4) Elliot Bomms . L.E.

- Religion in the victorition Era, Edition , London , 1946.

5) James. E.

- Comparative Religion, London , 1961.

6) Frank Whaling. E.D.

- Contemporary Approachest to the study of Religion. Berlin,1984.

7- Louis Jardan .

- Comparative Religion – its censis crowht Edin , burgn, 1905.

8) Nothing Nom.

- Religion A sociological , view , London , 1971.

9) Comstoch, W.R.

- Approaches to the study of Religion , New York, 1971.

10) Buccillc . Murice.

- Mommies of the Pharaons , press by , st, Martin , Spress, New York , 1990.

11) Encyclopaedia, Britannica, 1960.

12) Campbell (William. F).

- The Gospel of Barnabas, Christian study center. Rwalpindi Pakistan.

13) Kenney (Joshph .o.p).

- Eqrly Islam. Adition by Domincan Publicotions, LA Gos , 1997.

بـ مؤلفات باللغة الفرنسيـــة :

14) Buccoille. Maurice :

- Moise et Pharon, Lcs Hebreux en Egyptie, New York, 1990, Reflexions sur le coran, seghers, Parise 1989.

15) Compbell, (William.F.Compbell) :

- Le coran et la Bible a la lumier de l'nistoria et de lascince Edition revue et carrigee.

Summary in English:

The research addresses one of the forms of controversial critique on the three divine revelations between two characters belonging to the Western hemisphere Dr. Maurice Bucay and Dr. William Cambel.

Since such research discourses about the three religions and their comparison, it was necessary for the research to bring forth the evaluation of religion comparison subject by Moslems, as well as indicating the most important methodologies they used, and then indicating the West knowledge of such Subject in later time, with introducing some methodologies they used, and then indication to that they have not come to agreement on too many of them.

Following that, research exhibits the two Study figures and their efforts in religions.

- And then, a review of Maurice Bucai evidences of his view of the torah and bible (Old and New Testaments) and the soundness of the Quranic text, reaching Such view through application of the indubitable Science theories and facts.

Second part of such study display William Camble evidence on Torah and bible Soundness through citation of some of Quran Kareem verses, discoursing about the Holy book followers and their books. Research would address Combles evidence in the light of Quran Kareem, assembling the Quranic verses together to get to ,know the correctness or wrongfulness of what Camble had gone to in the light of all of them together.

Camble mentions also, later or, evidence from the saying of the prophet (Hadith sharif) by which he concludes the trueness of the Torah and bible, mentioning that Mohamed may Allah prayer and peace be upon himand his colleagues had been reading Torah and bible and did not say that they were perverted.

Research discuses such evidence in light of all prophetic Sayings, discoursing about the Holy books followers, and stating the attitude of the prophet Mohamed may Allah prayer and peace be upon him, and his colleagues towards Torah and bible.

The research mentions also in their part with which Camble had reasoned out that Quran Karim is a perverted book, because it had gone through the same stages that the bible had gone through when it was written down, and that Quran versions (Copies) are also multiple exactly such as the bible. I've discussed such evidence through holding a comparison between the two books (Quran and Bible), from which it was apparent that by no means it is possible to match what the Bible had been exposed to, with Quran Karim, because the farmer, that is Quran karim had found who hear, keep, pray by, and write it, but the later, the Bible had not enjoyed any of such, therefore it had gone through perversion and alteration.

And then fourth chapter of such part discourses about the prophet hood issue, and concentrating on Bocai's proving it on Mohamed may Allah prayer and peace be upon him, whereas Camble refuses that there is a prophet after Christ. Therefore we had broached the annunciations in the Bibles and Torah and also the indications God has performed to his prophet Mohamed may Allah prayer and peace be upon him (1).

And then the last chapter comes to discourse on the extent of success of both controversial in application of a methodology for his studies.

Following that, came the research conclusion including many of the results, that the authentic result is that Quran is authentic with what have of Torah and Bible and over whelming them.

That means that it is the observer and judgment by which spots are correct and which are wring, which were perverted, and which were not.

It show us also many of the issues that Holy books followers have hidden and that it came authentic with the inspiration of the prophets preceding it.

In accordance with such finding, more finding is following such as:

It is not to compare between Quran and bible, not in regards of revelation, nor in regards of recording, because Quran Karim had been upon Mohamed may Allah prayer and peace be upon him (1) following suit with events which enabled the prophet and his followers to keep it by heart and pray by it, and collecting its chapters together.

But the bible, of which the Christians admit that Christ did not write and the Jews did not give him the chance to pass it to his gospels, and the claims the Paul had entered in Christianity and generalizing the Christ mission to the entire world often it was restricted on Jews only.

And also, Bibles recording had come often ascension by long time, and Christians have not agreed upon that Bibles scribers have seen Christ.